نحو معجم آلي للمصطلحات الموحدة

د. عباس الصوري (*)

1- استهلال

تتبنى هذه الورقة اتجاه التحديث في مجال صناعة المعجم، وذلك بانعطاف على تيار المعالجة الإلكترونية في إعداد معجم عربي متخصص معد أصلاً لتشغيله على الإنترنت، على غرار ما هو موجود في اللغات الحية الأخرى، إذ نجد إلى جانب المعاجم الورقية التي لها وظائفها المعروفة، المعاجم الإلكترونية التي يمكن تصفحها على الحاسوب، أو من خلال آلة صغيرة يمكن نقلها وتصفحها متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وتنطلق من ملاحظتين:

أولها: أن توفير المصطلح العربي يعد شرطاً لتنمية لغوية سليمة. فالعرب يقولون "إن مصطلحات العلوم مفاتيحها"؛ فالاهتمام بضبط المصطلح هو اهتمام بضبط المفاهيم، والمفاهيم هي مفاتيح الدخول إلى عصر التنمية العلمية والاقتصادية ومحاورة النهضة التكنولوجية التي يجد العالم العربي نفسه في عمق دوامتها.

ثانيهاً: أن التواصل المعجمي والمصطلحي، بين مراكز البحث، يجب أن يستجيب للتطور الذي حصل في مجال وسائل الإعلام الحديثة، وبالتالي خضوع النشاط المعجمي والمصطلحي للتنظيم الآلي الذي يكفل له هذه القفزة النوعية المطلوبة للتفاعل مع المعارف العلمية الحديثة بأيسر السبل وأسهلها.

2- منطلقات:

حاول العرب منذ بداية النهضة الانفتاح على العلوم الحديثة والاستفادة مما تستخدمه من مناهج ومقاربات لتنمية لغتهم، ولقد كان للرعيل الأول من علماء اللغة النهضويين الفضل في إرساء اللبنات الأولى في إدخال مناهج التحديث التي تتطلبها المواكبة لمطالب العصر، وعلى نهجهم سارت مجامع اللغة العربية، مثل مجمع اللغة العربية بدمشق (1919)، ومجمع القاهرة (1932)، والمجمع العلمي العراقي (1947)، وغيرها من المجامع المستحدثة...، فقد سعت هذه المجامع إلى بذل جهود كبيرة في تعريب العلوم العصرية والمحافظة على لغة عربية سليمة تجد مقبولية في كل الدول العربية، وهو الأمر الذي جعل الإدارة العامة للثقافة بالجامعة العربية، منذ العقد الرابع في القرن الماضي، تدعو مختلف الدول العربية إلى تجميع جهودها من خلال اتحاد شامل لكل المجامع اللغوية والعلمية العربية، فكانت ولادة هذا الاتحاد بمنزل المرحوم طه حسين سنة 1971. وبه أقرت أهدافه التي يأتي على رأسها(تنسيق جهودها (المجامع) في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها) (**).

والواقع أن المجامع العربية لم تدخر جهداً في خدمة اللغة العربية والعمل على إيجاد المصطلح العلمي الدقيق

(*) مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

(**) اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في خمس عشرة سنة. من منشورات مجمع القاهرة ، بدون تاريخ.

الذي تتطلبه عملية النهوض بالترجمة وتعريـب مراحـل التعليم المختلفة وإدخال اللغـة العربيـة إلى المؤسسـات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها... فأصدرت عدداً مـن المعاجم المتخصصة وقوائم المصطلحات في كل المجالات، وتناولت بالدراسة مختلف الصعوبات التي تهم مشـاكل التوليد في المصطلح العلمي ومسـائل تقيـيس المفـاهيم والألفاظ...ومن يراجع الوثيقة الهامة التي أصدرها مجمـع اللغة العربية بالقاهرة في عيده الخمسيني (مـن 1934 إلى 1984) سيجد، من خلال القرارات العلمية الغزيرة الـتي رصدها الوثيقة، نوعية المشاكل التي حاول أن يبث فيهـا المجمع على مدى خمسين سنة، ونحن الآن نحتفـل بمـرور عشرين سنة على هذه الوثيقة وما يزال في القوس مـنزع كما يقال. ومع ذلك، فإن هذه القرارات يمكن أن تشكل عناصرها، كما لاحظ بعض البـاحثين "عناصـر أوليـة لمشروع نظرية عربية حديثة في علـم المصـطلح"(عبـد اللطيف عبيد 1984).

وقد أضيفت إلى جهود المجامع والجامعات والمراكز المتخصصة في مجال تنمية اللغة العربية وتحديثها الجهـود التي بذلتها الهيئات القومية العربية، كالمنظمات العربية التي تعمل في إطار الجامعة العربية، كالمنظمة العربيـة للعلـوم الإدارية، والمنظمة العربية، للتنمية الزراعية والتعدين.. إلخ. فقد اهتمت كل واحدة منها بالمصطلحات المتصلة بمجال تخصصها، أما المنظمة العربية للتربية والثقافـة والعلـوم (ألكسو) فقد حاولت عبر جهازها المتخصص، مكتـب تنسيق التعريب، أن تتبع أعمـال المجـامع والجامعـات والهيئات المتخصصة، وتجميع ما يصدر عنها مـن قـوائم مصطلحية، وتقوم بتوثيقها وتنميطها وإعدادها للنظر فيها والاتفاق على المناسب منها، وقد تم ذلك عـبر عشـرة مؤتمرات للتعريب عقدتها المنظمة بمختلف العواصم العربية. فوصل ما أصدرته من معاجم مصطلحية موحدة لحد الآن ما ينيف عن أربعين معجماً في مختلف العلـوم الرياضـية والاقتصادية والفيزيـاء والطـب والعلـوم الإنسـانية والاقتصادية وغيرها... فتجمعت لها ذخيرة هائلـة مـن المصطلحات الموحدة، لاشك أن لها أهمية مـن الناحيـة الكمية، لكن الأهم من ذلك أن تؤدي وظيفتها المنتظـرة في عملية تنمية اللغة العربية. فما هي الإجراءات الكفيلـة باستثمارها وترويجها في سوق لغوية أضـحت عاتيـة لا يكفي فيها الإشادة بقيمة اللغة العربية، وإنما يكون الحسم فيها لمن يمتلك الأدوات العلمية الضرورية للـدفاع عـن الحقوق اللغوية المشروعة؟ وهذا يقتضي منا الحديث عـن إجرائين يعدان من أساسيات علم المصطلح: هما: المنهجية الحديثة في التوثيق، ومنهج التناول والاستخدام. والمنهجان معاً لا يمكن تصورهما خارج التنظيم الآلي وما حققه مـن نقلة في البحث المصطلحي.

3- أهمية المعلوميات

بذل الباحثون العرب جهوداً مضنية لترويض اللغـة العربية الغنية بحمولاتها الثقافية والمتميزة بمعجمها اللغـوي الهائل لمواكبة الحياة العلمية الحديثة وترقيتها، للتعبير عـن كل مرافق الحياة العامة، والتفاعل مع ما يسم العصر مـن ظواهر التغيير السريعة وما يصحبها من تدفق المعلومـات الجامح الذي أدى إلى توليد مفاهيم جديدة تتطلب إيجـاد مفاتيح لفكها واستثمارها وتنظيم تأمين تبادلها والتواصل مع معطياتها المتراكمة عبر الحدود اللسانية، من هنا كانت أهمية اللجوء إلى علم وليد تستطيع من خلاله لغة الضـاد إحداث النقلة النوعية الضرورية وطي المراحـل بسـرعة لتحقيق هذه المواكبة المطلوبة بإلحاح. ونعـني بـه علـم

المعلوميات الذي سار أخيراً في اتجاه معالجة المعارف الإنسانية مستعيناً في ذلك بالمكتسبات التي حققها تطور الذكاء الاصطناعي الذي دعم الجهود اللسانية، من خلال تطويره لقواعد المعطيات العلائقية وتشغيلها في إطار الشبكات الدلالية، بحيث أمكن إقامة حوار بين الإنسان والآلة، بلغة تقترب أكثر فأكثر من اللغة الطبيعية. وبفضل ظهور الوسائط المتعددة (Multimedia) وتطوير النظم المعلوماتية المعقدة، تم إدراج الوسائل السمعية البصرية، في عملية تطوير الحواسيب خصوصاً، بعد أن ازدادت سرعة استجابتها للمساءلة والاسترجاع، وأصبحت لها قدرة فائقة على معالجة المادة اللغوية، بحيث يمكن خزن كميات لاحصر لها من البيانات واستخدامها بيسر عند الحاجة. ولعل من أهمها في وضعنا العربي الحالي هو كيفية التعامل مع تقنية الحاسوب في تحديث اللغة العربية في المجالين المعجمي والمصطلحي، على اعتبار أن "مصطلحات العلوم مفاتيحها" كما يقول العرب، فالاهتمام بضبط المصطلح هو اهتمام بضبط المفاهيم، والمفاهيم هي مفاتيح الدخول إلى عصر التنمية العلمية والاقتصادية ومحاورة النهضة (التكنولوجية)التي يجد العالم العربي نفسه في عمق دوامتها.

4- المعلوميات والتنظيم الآلي للمعجم:

هناك مفهومان أساسيان يحددان البحث في مجال التنظيم الآلي للمصطلحات، مفهوم هندسة اللغة بمعنى تناول أنشطتها في مجالي الفهم والإنتاج اللغوي وإيجاد أدوات تمكن من المعالجة الآلية لها، ومفهوم علم المصطلح الذي يعالج قضايا المصطلح من منظور علمي دقيق... وكثيراً ما يوسم البحث المصطلحي العربي بالنقص على مستوى التنظير والانصراف أكثر للتراكم المعجمي، رغم محدودية الإبداع فيه(*)، وأن النشاط المصطلحي غير واضح المنهجية، سواء على مستوى التقييس، أو الحد من الترادف والاشتراك اللفظي والنظرة القطرية في اختيار المصطلحات والتمسك بها مما لا يساعد على تطوير التواصل العلمي بين مراكز البحث في الأقطار العربية.

من أجل ذلك دعت الحاجة إلى إدخال الوسائل التقنية الحديثة لمعالجة القضايا المعجمية والمصطلحية، (وقد اتضح بعد التعامل مع تقنية الحاسوب لمعالجة إشكالية الحرف العربي، أن استخدامه الآلي طوى عقوداً من الخلاف حول الحلول العملية وغير العملية التي اقترحت لادخال الحرف العربي إلى الطباعة) وعندما حاولت الهيئات العربية المتخصصة تجريب الحاسوب في الصناعة المعجمية والمصطلحية برزت عدة صعوبات، على رأسها: أولاً: مسألة التخزين ووسائله وما تتطلبه عملية الاسترجاع.

ثانيا: مسألة التداول: أي أن عملية تخزين عدد هائل من المعاجم وقوائم المصطلحات لا يؤمن رواجها، فالمطلوب إذن اللجوء إلى إجراء آلي يساعد على وصولها بأيسر السبل إلى التداول في الأوساط التعليمية والأكاديمية....

5- توثيق المصطلحات:

يتناول التوثيق المصطلحي عدة مجالات: منها ما يتعلق بضبط مصادر المصطلحات وطرائق وضعها، ومنها كذلك جمع البيانات التي تشكل قواعد التخزين والاسترجاع. وقد لاحظ المعجميون أن هناك مشاكل على مستوى التوثيق العلمي، والسبب يعود في نظرهم إلى غياب نظرية مصطلحية كفيلة بالحد من هذه المشاكل التي برزت بفعل تعدد المنابر العلمية في التعامل مع المصطلحات المستحدثة، وقد بذلت عدة اجتهادات من خلال المجامع

(*) لم يتجاوز الإنتاج المعجمي منذ بداية النهضة إلى الآن سوى بضع مئات من المعاجم العربية التي تعنى بالمصطلحات. ويشترك جلها في نفس السمات الخاصة بالجانب الكمي.

والهيئات القومية، وقدمت عدة اقتراحات علمية حول معايير انتقاء المصطلحات ووضع منهجية قارة للتقييس: تقييس المفاهيم بحيث يكون عليها إجماع في كل المنابر، وتقييس الألفاظ لرفع الإ ام الذي يحدثه التعدد في التسمية.

وفي هذا الإطار إرتأى مكتب تنسيق التعريب أن تكون عمليةُ التوثيق مؤسسةً وفق التقنيات المعلوماتية، وذلك بإنشاء بنك للمصطلحات يكون أداة للتعاون المصطلحي العربي، عن طريق وضع القواعد البيانية التي تتطلبها عملية توحيد المصطلح العربي، ومواكبة ذلك بتأسيس الشبكة العربية للإعلام المصطلحي، التي يجب أن تكون مبنية على التجارب العلمية السابقة التي نجدها ضمن ما ينشر من أعمال لهذه المراكز. مثلاً(*):

- المركز الدولي للإعلام المصطلحي (INFOTERM): ساعدت اليونسكوعلى تأسيسه بفيينا سنة 1971 من أجل جمع المصطلحات وتقييسها وإعداد معايير دولية لوضعها، وكذلك دعم الجهود لإنشاء شبكة دولية تربط بين مراكز التوثيق والإعلام المصطلحي،...إلخ، ولهذا المركز مجلة خاصة بالأخبار المصطلحية نشرت سنة 1988 ملفاً عن الأنشطة المصطلحية بالوطن العربي (بالعدد 21).

- الشبكة الدولية للمصطلحات (TERMNET) : أسستها اليونسكو عام 1979 لتشجيع التعاون الدولي في حقل المصطلحات وتطوير سوقها وترويج الأدوات الضرورية للمعلومات وإدارة المعارف، خصوصاً ما يتعلق منها بالجانب القانوني في شروط الحيازة والنشر...

- مؤسسة (iso) أنشأت هذه المؤسسة العتيقة فرعاً لها سنة 2001 (iso /TC 37) خصصته لقضايا المصطلح والمصادر اللغوية الأخرى. ويعد فرع إيزو مرجعاً هاماً في عملية المواصفات المعتمدة في وضع المصطلح... إلخ.

وفي العالم العربي هناك عدة تجارب ترسمت خطى المراكز الدولية السابقة الذكر، مثل تجربة "المعربي" سنة 1978 بمعهد التعريب بالرباط، وتجربة المركز الوطني السعودي للمصطلحات " باسم" 1983.

أما مكتب تنسيق التعريب التابع لمنظمة (الألكسو) فقد بنى تجربته في توثيق المصطلحات الموحدة على أساسين: التوصيات الصادرة عن مؤتمرات التعريب، وكذلك الندوات التي عقدها ا امع حول إدخال التطبيقات الحاسوبية في ا ال المصطلحي. والأساس الثاني متابعة المنظمة من أجل وضع مكنز عربي شامل للغة العربية وثقافتها. فعلى هذين الأساسين أقيم مشروع مكتب تنسيق التعريب الخاص ببنك المصطلحات الموحدة والمعجم الآلي لهذه المصطلحات.

6- بنك المصطلحات :

يحاول المكتب من خلال هذا المشروع مواكبة التقنيات الحديثة في عملية تخزين المصطلحات وتوثيقها وتيسير الحصول عليها بأسهل الطرق وأقصرها. وقد عمل في ذلك على الانسجام مع توصيات مؤتمرات التعريب المتتالية -كما أسلفنا- وما توصلت إليه مختلف ا امع عبر الدراسات والقرارات التي تمخضت عنها. وعن طريق إرساء الشبكة الإعلامية أمكن معالجة مفهوم التوحيد بمعناه الفعلي الذي يجعل الباحث على إطلاع دائم وميسر بالمصطلحات الجديدة الموثقة، دون أن تستغرق عملية النشر والتوزيع وقتا طويلا. ويتوخى المكتب أساسا من خلال ذلك كله تكوين نواة لإنشاء شبكة عربية مصطلحية (ARABTERM)، على غرار الشبكات الدولية المشار إليها سابقا.

(*) الإفادات المتعلقة بالتنظيم التقني لمشروع معجم المصطلحات الآلي استمدت من الوثائق التي أنجزها فريق البحث الخاص ذا المشروع في المكتب.

ولتحقيق هذه الأهداف سار المكتب على النهج التالي:

- أولاً : تخزين الذخيرة المصطلحية التي يتوفر عليها المكتب، وهي تتكون في مرحلة أولى من جميع المصطلحات الموحدة التي أجاز ا مؤتمرات التعريب التي عقد ا المنظمة، وفي مرحلة موالية توثيق كل المصطلحات التي تجمعت من خلال القوائم المصطلحية المتعددة التي قام المكتب بنشرها على صفحات مجلة اللسان العربي، وكذلك ما أجازته مجامع اللغة العربية ومختلف الهيئات المتخصصة. وهي تعد بمئات الآلاف من المصطلحات المستجدة باستمرار ودون توقف. فالمنهجية التي اتبعها المكتب في عملية التوثيق حاول أن تكون شاملة ومهيكلة، وفي نفس الوقت مرنة ومنفتحة على حركية صناعة المصطلح..

أما عملية التوثيق في حد ذا ا فقد التزم فيها بقواعد بيانية محددة: فالمادة المصطلحية تخضع أولا للتحليل قبل إدراجها وفق معايير تتحكم في نتائج البحث حسب الشكل التالي(*):

المادة المصطلحية:
- ← المتن اللغوي
- ← نوعية التصنيف
- ← المعالجة
- ← ترتيب الوحدات
- ← معالجة الوحدة المصطلحية

وتتم المعالجة بناء على البيانات التالية :

بيان التوثيق : - الرقم التسلسلي.

- المرجع.

- طريقة الوضع وتاريخه.

ثانيا- بيانات لغوية : الدخلة :

- معلومات نحوية وصرفية.
- تفكيك المصطلح.
- الجذر، السوابق، اللواحق.
- المرادفات.
- درجة التوحيد.
- المقابلات بالإنجليزية والفرنسية.
- التعريفات.

ثالثا : بيانات تحدد المحتوى المفهومي للمصطلح

تنصب على العلاقات في تكوين المفاهيم والحقول الدلالية، وهي :

- العلاقات الهرمية كعلاقة الجنس والتبعيض.
- علاقات ترابطية كعلاقة التضاد وعلاقة التعميم والتخصيص والجزء والكل...إلخ.

وعلى هذه القواعد أقيم نظام البحث والمساءلة في استخدام البنك حسب طرق معينة لاسترجاع البيانات مثل:

- البحث بالكلمة المفردة.
- البحث عن طريق الموضوع أو مجال التطبيق.
- البحث بالعوامل: وهي خمسة عوامل:(التجاور والمعية والحذف والنفي والاجتياز).

ولتفعيل جهاز البنك، خطط المكتب لإرساء شبكة إعلامية تمكن من الوصول إلى المعلومات المخزنة وسهولة الحصول عليها، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بواسطة الربط والتواصل مع الشبكات الأخرى المتوفرة في العالم العربي والشبكات الدولية المتخصصة في ا ال المصطلحي.

(*) الشكل مستوحى من خطاطة وردت بالتقرير الذي أعدته لجنة البحث.

7- نحو معجم آلي للمصطلحات الموحدة

إذا رجعنا إلى وثائق المكتب، ولاسيما التقرير الذي أعدته لجنة إعداد "مشروع المعجم الآلي الشامل" والتي انكبت على إنجازه هذه اللجنة، ستجد التعريف الآتي: "هو معجم مبني وفق ضوابط الصناعة المعجمية الحديثة... يوفر المادة العربية من مفردات لها علاقة بالمصطلح العلمي وألفاظ الحضارة"...

فهو معجم آلي غير ورقي، تسمح آليته بإمكانات التخزين الكبيرة، وبإمكان الإغناء المستمر، وبإمكانات البحث المتنوعة انطلاقا من اللفظ أو المصطلح أو من ا ال العلمي أو الموضوعي وباللغة التي يختارها المستعمل... وبالمعالجة النحوية والصرفية والدلالية.

وللتمييز بين المعجم الآلي أو الإلكتروني وبين بنك المصطلحات، قدمت الدراسة هذه البيانات حول المعجم الآلي باعتباره نتاج تطبيق المعلوميات في مجال الصناعة المعجمية، كما أنه سجل من المفردات اللغوية المرفوقة بمعلومات عنها، مثل : كيفية النطق ا، وأصلها واستعمالا ا، ومعانيها، وعلاقا ا بغيرها. والسجلُ محفوظ بنظام معين في ذاكرة ذات سعة تخزين كبيرة، ويقوم جهاز آلي بإدارة هذه المعطيات وتدبيرها وفق برنامج محدد سلفا. ومن خصائصه أن يمكِّن مِن ولوجه واستعماله وتعديله بالحذف أو الإضافة.. ويتميز هذا المعجم بسهولة الاستعمال والسرعة في البحث والاسترجاع(*)...

وعند مقارنة المعجم الآلي ببنك المصطلحات، نجد أن المعجم الآلي – كما أسلفنا- يختلف في أنه لا يتضمن إلا المخزون المنظم من المعطيات المصطلحية بمجالات علمية محددة وفق البرامج المعمول ا في بنوك المصطلحات، لكنه متمم لعمل المعجم الآلي، من حيث أن وجوده يعد منطلقا للنشر الإلكتروني عبر الشبكات الإعلامية، ويساعد على الربط بين الموقع الذي ينظم من خلاله محتويات البنك والمؤسسات العلمية للتواصل المصطلحي (ا امع مع وغيرها).

1-7 مصادر المعجم الآلي :

التركيز في مرحلة أولى على :

- مصطلحات المعاجم الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب.
- القوائم المصطلحية الصادرة عن الجهات المتعاونة مع المكتب.
- المصطلحات التي أجاز ا مختلف ا امع اللغوية في العالم العربي.

2-7 أهدافه :

- تقريب اللغة العربية من المستعمل بالوسائل التقانية الحديثة.
- توفير المادة اللغوية الضرورية في عملية التعريب.
- إشاعة ألفاظ الحضارة الموحدة بين المستعملين في الوطن العربي.
- جعل اللغة العربية لغة تواصل وتعليم وبحث علمي.

(*) وبالنسبة للبرامج المطبقة ذا المعجم فقد أتت بعد أن قام فريق البحث بالمكتب بدراسة نماذج متعددة أعطت نتائج إيجابية في وضع معاجم آلية باللغات الإنجليزية والفرنسية وغيرها... بعد تطويرها مثل **برنامج** « AUTOLEX » الذي يتوفر على قواعد ومعطيات مصطلحية ويعتبر أداة لدعم الترجمة، وقد وصل إلى حد معالجة المسكوكات اللغوية والعبارات المخ لة...

- **برنامج** LEXITERM وهو برنامج للتدبير المصطلحي متعدد اللغات، وفي إمكان الباحث رؤية الجذاذات مقرونة بصورها على شاشة الحاسوب.
- **برنامج** NEOLOG وهو منظم على أساس إعداد جذاذات ترابطية للترادف والتضاد وغيرها من العلاقات...
- **برنامج** LEXICALIST ، وهذا برنامج عام يتضمن قواعد مفتوحة على معالجة النصوص دلاليا ونحويا كما له القدرة على الإيجاز غير النصوص في الحقول الدلالية والمعجمية إلخ...

7-3 الجذاذة المعتمدة في المعجم الآلي :

وقع الانطلاق من الجذاذة المعمول ـا في بنـك المصطلحات، وذلك بإتمامها وإغنائها لتسـتوعب كـل المعلومات التي يحتاج إليها المسـتعمل العـربي، ويمكـن تلخيصها على الشكل التالي:

- المصطلح العربي - الإنجليزي - الفرنسي
- ا ال العلمي العام : ا ال العلمي الفرعي
- البيانات اللغوية : اسم / صفة / فعل ...
- الجذر : السوابق / اللواحق
- وضعه : معرب / مولد
- درجته : حديث/ أصيل (تراثي)
- درجة توحيده
- تعريفاته

والذي يسر إدراج كل هـذه المعلومـات عـن المصطلح، الإمكانات التي يوفرها المعجم الآلي، من سـعة التخزين، والقدرة على التنظيم والبحث والاسترجاع...

وإذا أضيف إلى هذه الإمكانات كلها السرعة الفائقـة في تلبية الطلبات، فإن المعجم سيوفر للمستعمل كل ما يطلبه من معلومات عن المصطلح التي يحتاج إليها في أبحاثه.

خاتمة :

مشروع المعجم الآلي للمصطلحات الموحدة يندرج ضمن هذه التجارب الرائدة التي تبذل من خلالهـا كـل الجهود الممكنة، وتوظف كل وسائل التقانية التي أمكـن ترويضها في ا ال المعجمي لجعل اللغة العربية تـدخل إلى الحداثة من أبوا ا الواسعة، ولتظل لغتنا فاعلةَ ومواكبـة لمتطلبات العصر الذي يعيش أبناء الأمة العربية في صميمه. وهذا ليس مجرد طموح ينتاب المشتغلين في مجـال تنميـة اللغة العربية، وإنما هي ضرورةٌ تمليها ظروف الحياة الثقافية البالغة التعقيد، والتي أصبح الحاسوب جزءا من مفردا ـا الأساسية.

التعريف المصطلحي: عناصره وإشكالياته

أ. عبد العزيز احميد(*)

يقع المصطلح من حيث هو مفهوم، متجاذبا بين أطراف ثلاثة، هي التي تتحكم في صياغة مفهومه وتحديده، وهذه الأطراف هي:

العلامة (لفظ المصطلح) والتعريف وا ال الذي يمثل السياق العلمي الذي يحقق فيه المصطلح العلمي إثماره.

وكلها عناصر، عند التأمل، ذات طبيعة لسانية. والتعريف، باعتباره طرفاً من هذه الأطراف، يقوم على مجموعة من العناصر والخصائص ذات الطبيعة اللسانية التي تعتبر بمثابة الضوابط له، كالبساطة، والإيجاز، والوضوح، والمعنى الحقيقي، والتناسب الدلالي بينه وبين المصطلح...

وترمي هذه الورقة إلى إبراز عناصر التعريف، والوقوف عند خصائصه، وبيان إشكالياته، وكيف يتكامل مع الأطراف الأخرى قصد تحقيق تواصل جيد.

1- مفهوم التعريف:

يستند لفظ "التعريف" في اللغة إلى معنى الإعلام والبيان والإيضاح[1]، وعلى هذا المعنى تأسس المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ، ذلك أن "الغرض من الحد الإشعار بالحقيقة التي ا قيام المسؤول عن حده، وبه تميزه الذاتي عما عداه "[2]، فوجود التعريف أصلاً إنما هو لاعتباره وسيلة لبيان المفاهيم وتمييز بعضها من بعض، "اعلم أ م إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شيء وتمييزه من غيره تمييزاً ذاتياً، حدوه بحد يحصل لهم الغرض المطلوب [3].

وتجاوزاً للخلاف الواقع في لفظة التعريف وما يرادفه أو يخالفُه من الألفاظ الدائرة في الدائرة المفهومية نفسها، نقدم أن "الحد هو اللفظ الجامع المانع، ومعناه: الذي يجمع المحدود على جنسه، ويحصره، ويمنع ما ليس منه أن يدخل فيه، وما هو منه أن يخرج عنه" [4]، فالتعريف ذا المعنى معادل دلالي حقيقي للمعرف لا يزيد ولا ينقص عنه شيئاً، وهو ما أكده ابن فارس بقوله: " إن الحد عند النظار ما لم يزد المحدود ولم ينقصه ما هو له". [5]

ويتكون التعريف (أوالحد) من مكونين أساسيين، هما: الجنس والفصول، " وطريقة الحدود أن يؤتى بالجنس القريب، ثم يقرن به جميع الفصول.

فالجنس يدل على جوهر المحدود دلالة عامة، والقريب منه أدل على حقيقة المحدود، لأنه يتضمن ما فوقه من الذاتيات العامة.

(*)كلية الآداب – ظهر المهراز- جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس.

والفصل يدل على جوهر المحدود دلالة خاصة" [6]، ومثال ذلك، تعريف الكلمة بأ ا اللفظة، وهذا هو الجنس، وهو عام يشمل المهمل منها والمستعمل، أما الفصل وهو ما يحترز به عن غيره [7]، فقولنا "الدالة على معنى" لأن هذا يفصلها من المهمل، وهو فصل أول، ثم فصل ثان، وهو قولنا "مفرد" لأنه فصلها من المركب، نحو: الرجل والغلام.

والتعريف بما هو دلالة مؤشر على غيره استلزاماً، إذ لا يذكر التعريف إلا ليدل على شيء آخر يحتاج إلى بيان، وهو نوعان: حقيقي، وهو "أن يكون حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه من حيث هي فيعرف بغيرها"، ولفظي و"هو أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى، فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى، كقولك الغضنفر للأسد، وليس هذا تعريفاً حقيقياً يراد به تصور غير حاصل، وإنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر المعاني" [8]، وهذا النوع الأخير هو الذي يسميه الغزالي "الشرح"، وهو ما يطلب بصيغة السؤال "فيطلب به شرح اللفظ كما يقول من لا يدري العقار: ما العقار ؟ فيقال له: الخمر- إذا كان يعرف الخمر(...) ولنسمه (...) حداً لفظياً، إذ السائل لا يطلب به إلا شرح اللفظ" [9].

1.1-التعريف والحد والرسم:

يرتبط التعريف في استعمال النظار بألفاظ أخرى، كالحد والرسم، ارتباط ترادف، أو ارتباط عموم بخصوص، فقد يكون كل من التعريف والحد "اسمين لمسمى واحد (أي لمعنى واحد)، وهو ما يميز الشيء عن ما عداه (كالحيوان الناطق، فإنه يميز الإنسان عن جميع ما عداه مما يشارك في مطلق الحيوان) ولا يكون كذلك إلا ما كان جامعاً (لأفراد المحدود، فلا يخرج عنه شيء منها) مانعاً (من دخول غيرها فيه")[10].

لكن التعريف أعم من الحد، عند النحاة والمناطقة "فإن المُعرف بالمعنى المذكور عندهم أعم من الحد لشموله له ولغيره، فهو عندهم أربعة أقسام: الحد التام، والحد الناقص، والرسم التام، والرسم الناقص"[11].

أما الرسم فيفهم على أنه الصفة الدالة على المحدود، كقولنا: الإنسان حيوان ذو رجلين منتصب القامة ضحاك، وما أشبه ذلك [12]، وهو تام وناقص كما سلف [13]، لكن بعض النظار يتجوزون في بعض الأحيان فيكتفون بالرسم بدلاً عن التعريف وهذا ما نبه عليه الغزالي حينما فسر عسر الحد، فيطلب الرسم دونه، "وأكثر ما ترى في الكتب من الحدود رسمية، إذ الحقيقة عسرة جداً"ص [14].

وقد أنكر بعض النحاة إقامة غير الحد مقامه، فهذا عبد القاهر الجرجاني يرفض أن يسد الوصف مسد التعريف حينما يعلق على من عرف الاسم بأنه ما جاز الإخبار عنه قائلاً: " وليس الإخبار بمطرد في جميع الأسماء، لأجل أن "كيف" و"أين" و"متى"و"إذ" وما أشبه ذلك أسماء بلا خلاف، والإخبار عنها ممتنع، وإذا تقرر هذا علمت أن قوله " فما جاز الإخبار عنه" وصف للاسم وليس بحد، لأنك تقدر على طرده، وهو أن تقول: كل ما صح الإخبار عنه فهو اسم، ولا تقدر على عكسه، وهو أن تقول:كل ما لم يصح الإخبار عنه فليس باسم، لما ذكرنا من أن نحو كيف وأين اسم، والإخبار عنه مع ذلك ممتنع، والحد يجب أن يكون مطرداً ومنعكساً [15].

وعلى منوال ما سبق يرد "التقريب" أن يكون حداً، " وقوله: الاسم الدال على بعض أحوال الذات فتقريب وليس بحد على الحقيقة" [16].

لكن آخرين، ومنهم الغزالي، يعتبرون الرسم نوعاً من الحد، وهو الحد الرسمي، يتكامل مع غيره من الأنواع "إذ هو مطلب مرتسم بالعلم غير متشوف إلى درك حقيقة الشيء[16]، بخلاف الحد الذاتي أو الحقيقي الذي" أعني به كل داخل في ماهية الشيء وحقيقته دخولاً لا يتصور فهم المعنى دون فهمه، وذلك كاللونية للسواد والجسمية للغرس والشجر، فإن من فهم الشجر، فقد فهم جسماً مخصوصاً، فتكون الجسمية داخلة في ذات الشجرية دخولا ا قوامها في الوجود والعقل (...) وما يجري هذا ا رى فلا بد من إدراجه في حد الشيء [17]، وهذا النوع يتطلب إدراج كل الذاتيات التي يتصور ا حقيقة الشيء وماهيته، "وأعني بالماهية ما يصلح أن يقال في جواب ما هو" [18]. وإن كانت هذه الذاتيات ألْفاً، " ولا تبالي بالتطويل، لكن ينبغي أن تقدم الأعم على الأخص، فلا تقول: نام جسم، بل بالعكس" [19].

وخلاصة ما يمتاز به التعريف الحقيقي، أنه يروم تعريف الشيء بما يوجد فيه، لا في غيره، إذ "التعريف ينبغي أن يكون مختصاً بالمعرف دون غيره" [20].

وليس المطلوب التطويل في هذا الباب، لأنه لا يعدو أن يكون كالمقدمة لغيره، وهو دخيل على هذا العلم، كما هو دخيل على غيره، وإن كان كالمقدمة النظرية له، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يبنى التعريف؟.

والجواب عن السؤال يقتضي أن نقرر أن التعريف نتيجة للسياق الذي يعتبر مناسبة لإبراز العلاقات السياقية "وهي علاقات حضورية تقوم على عنصرين فأكثر، تتحقق في الوقت نفسه، ضمن سلسلة من العناصر موجودة بالفعل" [21].

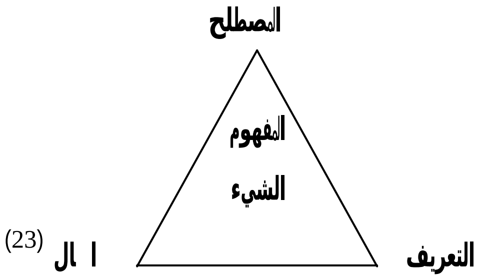
فمن خلال التجليات السياقية المختلفة التي يبرز فيها المصطلح، والعلاقات التي ينسجها مع غيره من العناصر، تنبثق المعطيات التي تشكل مادة التعريف، سواء أكانت ذاتية أم رسمية.

2.1- التعريف والمصطلح:

يرى (Alain Rey) أن كلمتي "تعريف" و"مصطلح" ترتبطان ارتباطاً مشتركاً، وتؤشران إلى بداية و اية محددتين. ويكتسب المصطلح هويته داخل النسق المفهومي، من قدرته على تعيين مفهومه داخل هذا النسق، وتتمثل الوسيلة الإجرائية التي تعبر عن هذا النظام من التحديدات المتبادلة في العملية المسماة بالتعريف.

وتعتبر العلاقة بين التعريف والمصطلح من الركائز الأساسية في علم المصطلح، حيث لا نتصور اللغة العلمية دون وجود التعريفات، صراحةً أو ضمناً، ويلاحظ أن اللغات العلمية تتفاوت من حيث دقة التعريفات [22].

ويشكل الترابط بين المفهوم والمصطلح والتعريف وا ال، الذي يوجد به المصطلح، ما يسمى "المثلث الاصطلاحي" الذي يمكن تمثيله على الصورة الآتية:



تتطلب اللغة العلمية أن تكون المفاهيم محددة في استعمال المستعملين، وأن تكون التعريفات بدورها مؤسسة على مصطلحات محددة ما أمكن ذلك، لأن المصطلحات هي التي تترجم نظرية العلم، ولذا فإن وضوحها يتوقف على مدى وضوح هذه المصطلحات على شكل نظام من التعاريف[24].

ويركز التعريف على حصر مفهوم المصطلح، بالدرجة الأولى، من خلال متابعته في تجلياته السياقية المختلفة، حيث يحتمل أن تتعدد تعاريفه تبعاً لذلك، ويكون التعريف النهائي للمصطلح تحديد مفهومه، وإيضاح المكانة التي يحتلها ضمن النسق المفهومي الذي يوجد فيه، وطبيعة العلاقة التي تربطه بالعلامة (اللفظ) [25].

وتتوقف صياغة التعريف على فهم دلالة المصطلح، و"دون فهم دلالي للمصطلح، لا يمكن إثبات التعريف(...)، وهذه حالة تعم جميع أنواع الخطاب العلمي" [26].

3.1- المتن المعرف:

نقصد بالمتن المعرف العبارة التي تتضمن كل المعلومات التي من شأ ا أن تكون" بطاقة هوية" للمصطلح، وتجعله مفارقاً لغيره من المصطلحات التي تجاوره في نفس ا ال، وتوضع موازية له، وهي عبارة عن توسيع للمفهوم الذي يتضمنه المصطلح...، وإنما يحتاج المصطلح إلى توسيع، لأنه بطبيعته عبارة عن تكثيف مفهومي في غاية الانصهار[27]، إذ في "التسمية فائدة الاختصار"[28]، ودور التعريف أن يوسع هذا التكثيف بواسطة مجموعة من الكلمات التي تتوخى شرحه وتوضيحه حتى يسهل على المتلقي استيعابه. وقوام هذه العبارة، التي تمثل التعريف، أ ا عبارة عن معادل دلالي للمصطلح بدون زيادة ولا نقصان "وذوو البصائر لا يودعون مقاصد الحدود إلا في عبارات هي قوالب لها، تبلغ الغرض من غير قصور ولا ازدياد، يفهمها المبتدئون، ويحسنها المنتهون" [29].

4.1 شروط التعريف الكفائي:

ليس كل عبارة قابلة لأن يعرف ا، ذلك أن التعريف يستوجب جملة من الشروط تتحدد بمقتضى المقصد منه.

فإذا كان التعريف شرحاً بمعنى ما فإن عموده **البساطة**، فينبغي "أن يختار في الحدود والرسوم أوضح الألفاظ في المعنى المراد، ويحترز من الألفاظ المشتركة، فكيف باستعمال لفظ هو في غير المعنى المقصود أظهر" [30]، " ولا يورد في الحدود إلا الألفاظ الصريحة المشهورة في المعنى المقصود ا" [31]، ولأنّ "الذي تقتضيه صناعة الحدود ارتياد أبلغ الألفاظ، وأبعدها عن الإيهام، وأقر ا إلى الأفهام" [32].

وإضافة إلى شرط البساطة ينضاف شرط **الإيجاز**، وخاصة مع الحد الذي يوصف بالحقيقي، فإن من الشرائط المطلوبة" أن تحترز من الألفاظ الغريبة الوحشية، وا ازية البعيدة، والمشتركة المترددة، واجتهد في الإيجاز ما قدرت، وفي طلب اللفظ النضر ما أمكنك" [33].

وبعد ذلك شرط **الوضوح**، فإذا كان التعريف الحقيقي (أو الذاتي) تتعسر صياغته في أحايين، فإن اللوازم (أو الصفات) يجب أن تكون ظاهرة معروفة" فإن الخفي لا يعرَف" [34].

ومن الشروط التي يتطلبها التعريف الناجح أن يكون قائماً على **الحقيقة** قبل ا از، لأن ا از شفاف

وحمال ذو وجوه، "والحد المطلوب به إثبات حقيقة الشيء، فلا يستعمل فيه مجاز ولا استعارة" [35].

فإذا تعذر تحقيق مطالب العبارة المعرفة بشروطها المنصوصة، حق أن يجتاز إلى ذلك مسالك يحتمها الافتقار مع الاجتهاد في أن تكون"أشد مناسبة للغرض (...) فما كل أمر معقول له عبارة صريحة موضوعة للإنباء عنه" [36].

وخامس الشروط أن يطلب **الجنس القريب** قبل البعيد، يقول ابن يعيش معلقاً على الزمخشري في تعريف الفعل: "الحد ينبغي أن يؤتى فيه بالجنس القريب ثم بالفصل الذاتي، وقوله "ما دل" فـ "ما" من ألفاظ العموم فهو جنس بعيد، والجيد أن يقال كلمة أو لفظة أو نحوهما لأ ـما أقرب إلى الفعل من ما" [37].

أما سادس الشروط فأن يكون التعريف **جامعاً مانعاً**، فلا "بد في كل حد، حقيقياً كان أو غير حقيقي، من أن يكون جامعاً مانعاً" [38]، والمقصود بالجامع المانع أن يكون جامعاً لكل الصفات والشروط التي تتصل به، فلا يخرج عنه ما هو فيه، وأن يكون مانعاً لكل ما ليس منه أن يدخل فيه، ولا تكفي واحدة من الصفتين دون الأخرى [39].

لكن السؤال الذي نشارك الزجاجي طرحه هو "هل يجوز أن يختلف الحد إذا كان قولاً وجيزاً يدل على طبيعة الشيء الموضوع له؟" [40]، وبعبارة أخرى إذا كان المطلوب أن يكون التعريف قولاً وجيزاً يترجم المعرف كما هو، فما الأسباب الداعية إلى اختلاف التعاريف حول المعرف الواحد؟

ويجيب الزجاجي نفسه عن هذا السؤال، مرجعاً ذلك إلى المقاصد والأغراض التي تكمن خلف التعريف، فمن النحاة "من أراد التقريب على المبتدئ، فحدها (أي المصطلحات) من جهة تقرب عليه، ومنهم من أراد حصر أكثرها، فأتى به، ومنهم من طلب الغاية القصوى، والحد على الحقيقة، فحدها على الحقيقة على ما ذكرنا، وليس في شيء مما أتوا به ما يخرج عما ذكرناه، وذلك بين في كلامهم لمن تدبره، وهو نظير ما تقدم ذكره من تحديد الفلسفة" [41]. ويقول السيرافي: "وإنما لقب النحويون أشياء من ألفاظهم ليرتاض ا المتعلمون ويتناولوها من قرب، وجعلوا لكل شيء مما خالف معناه معنى غيره من الألفاظ التي يحتاجون إلى استعمالها كثيراً، لقباً يرجع إليه، لئلا تتسع عليهم الألفاظ، فيدخل الشيء في غير بابه احتياطاً". [42]

5.1- إشكال العلاقة التعادلية بين المصطلح والتعريف:

ونعود إلى إشكال العلاقة بين المصطلح والتعريف، ونتساءل عن مدى اطراد صفة التعادل بينهما؛ أي اعتبار التعريف معادلا دلالياً للمصطلح؟

إن مما يدفع إلى الإذعان لهذا التصور هو كون التعريف مطلوباً منه أن يتضمن مجموع الخصائص الداخلة في مفهوم المصطلح، ولذلك دأب المصطلحيون على تسمية التعريف بأسام من مثل: الشرح، والمعادل الدلالي، والتعبير المفسر، والوصف المصطلحي... وهي أسام تعلن بصراحة عن مساواة قائمة بين المعرف (Le défini) والكلمات التي يتكون منها التعريف. [43]

ولهذا الاعتبار استحق "التعريف" من المصطلحي أهمية متزايدة لكونه مفردة على غاية من الأهمية في

العمل المصطلحي، وقاعدة صلبة في تحقيق التواصل الناجح.

سعياً وراء توضيح هذا الإشكال، يتطلب الموقف الوقوف عند بعض أنواع الجمل التي تنهض بوظيفة التعريف.

تتكون التعاريف من جمل نمطية، هدفها وضع الفوارق الفاصلة بين المفاهيم أو المصطلحات المعرفة.

والجملة النموذج في هذا الإطار هي من نوع:

س هو كـ

ويعني هذا الشكل أن س وكـ قابلان للاستبدال، فكل واحد من هذين العنصرين يمثل بديلاً للآخر (Périphase).

من أنواع الجمل النموذجية الأخرى الجملة المكونة من أجزاء تعريفية من نوع:

/س هو أ +ب+ج+د.../

ويمثل هذا الشكل التعريف التالي: "تتكون الكلمة، بالإضافة إلى الجذر، من لاحقة أو أكثر تسمى السوابق أو اللواحق" [(44)]، فهذا تعريف مركب محوره الفعل (تتكون) والذي يمكن أن يعوض بما يرادفه من الأفعال، فقد تم تعريف المفهوم هنا بمجموعة من المصطلحات التي تمثل مجموعة من المفاهيم الجزئية التي تكونه. ويلاحظ أن الإمكانات التركيبية الخاصة ذا التعبير ليست متعددة، فنحن هنا أكثر قربا من التعريف المنطقي.

إن هذا النوع من التعريف الذي يقوم على التجزيء لا يعدو أن يكون تقريبياً (Approximative)، ولا يكرس تعادلاً بين عنصرين من مستوى سيميائي مختلف.

فالجملتان: س و ك، لا تقبلان الاستبدال، كما هو الشأن مع الجمل التي يحضر فيها الرابط (هو).

فإذا نظرنا إلى التعريف التالي: "يتكون الخطاب من متوالية من التراكيب" فإنه يتكون من جملة معادلة دلالياً، لكن لا يجوز معه الاستبدال، فلا نقول: " متوالية من التراكيب يتكون الخطاب"، وترجع الخصوصية التركيبية لهذا النوع من التعاريف إلى تضمنها عناصر لغوية هي نفسها مصطلحات لما تحظ بتعريف [(45)].

وهكذا نصل إلى أن التعريف الاصطلاحي لا يمثل دائماً شكل معادلة، إنه ليس انعكاسياً (Réciproque) دائماً، فلا سبيل إلى القول بالشرح المعادل، أو الترادف الضمني... إلخ، وأبرز ما يمثل هذه الحالة هو التعريف بالتعميم (en extension) الذي يقوم على تعديد مجموع الأشياء التي تندرج تحت مفهوم، ومثال ذلك:

كواكب النظام الشمسي هي: عطارد، فينوس، الأرض، المريخ، زحل، الزهرة، أورانوس، نيبتون، بلوتون.

فالرابط (هو) أو (هي) تكون عوضاً عن فعل "تضمن" أو ما كان في معناه... [(46)].

فهذه بعض أنواع المتون (أو الجمل) المعرفة يمكن أن تكون نموذجاً لغيرها مما يمكن استقراؤه من أنماط التعاريف [(47)].

6.1- التعريف والنسق:

لا تشتغل المصطلحات اشتغالاً اعتباطياً، ولا هي مجموع متراكم بطريقة فوضوية، بل إ ا تعكس نظاماً مبيناً ال محدد تحكمه علاقات غاية في الدقة والتنسيق، وهذه العلاقات، إما أن تكون "بطريقة تسلسلية، أو عبارة عن شبكة، أو بأي طريق آخر من الطرق المنطقية" [(48)].

وإذا كانت المصطلحات تعكس نظاماً مفهومياً بهذا المعنى، تكون فيه المصطلحات معرفة أو قابلة لأن تكون كذلك، فوظيفة التعريف هي رسم الحدود بين هذه المفاهيم المنسقة عن طريق تحليلها وبيان العناصر المكونة لكل واحد منها، ولا نتصور المصطلح ولا التعريف الخاص به، إلا داخل نسق يمثل بنية علم معين، فتكون حصيلة النسق مجموعة من القيم المفهومية المتكاملة، هي التي نسميها المصطلحات، والنسق هو الذي يحدد انتماءها، والنتيجة أن أي تعامل مع المصطلح يتوقف على تحديد النسق الذي ينتمي إليه المصطلح، باعتباره المجال الذي يستقي منه قيمته الدلالية.

ويشكل الترابط بين المفهوم والعلامة والنسق والتعريف المثلث السيميائي الذي أشرنا إليه سابقاً، حيث يبدو فيه النسق (أو المجال) القاعدة الصلبة التي تتأسس عليها العناصر الأخرى [49].

7.1- التعريف والتطور المعرفي:

يحيل التعريف الاصطلاحي على ثقافة المجتمع الذي يستعمله، إنه في ارتباط وثيق بالتطور الحاصل في المعارف العلمية والبنيات الفكرانية (الأيديولوجية) وحفريات المعرفة، وهو ما يفسر التطور الذي يحصل في التعاريف في كثير من الأحيان، كما يتأثر محتوى التعريف بنوعية القارئ الذي يستثمره [50].

تنعكس ثقافة واضع التعريف عليه، ارتباطاً بمستوى الوعي الاجتماعي، وبطبيعة الثقافة السائدة، وهذا يثير مسألة مدى "موضوعية" التعريف بالنظر إلى المصطلح، وإلى أي حد ينقل التعريف معنى المصطلح وفق مقاصد واضعه [51].

8.1- أنواع التعريف:

التعريف هو "القول الشارح"، حسب النظار العرب، الذي يستهدف توضيح مفهوم المصطلح حتى يتضح للمتلقي، ويكون المتخاطبون على قاعدة مشتركة في الفهم والإفهام والرد والقبول. قال أبو سعيد السيرافي لمتى بن يونس في المحاورة المشهورة: " حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإنا إذا فهمنا مرادَك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سننٍ مرضية وطريقة معروفة" [52].

ويتنوع التعريف إلى أنواع كثيرة لا تكاد تحصى، حتى إن البعض ذهب إلى "أنه لا يمكن وضع قواعد عامة للتعريف، فكل طريقة تؤدي إلى توضيح معنى اللفظ في ذهن السامع مقبولة "[53].

تتحكم في تنوع التعريف اعتبارات شتى، منها: طبيعة اللغة، هل هي عادية أم نظرية علمية، هل هي ثنائية (حالة الترجمة مثلا) أم أحادية، ومنها نوعية التخصص، فإن التخصصات العلمية ألوان تتباين بموجبها التعريفات، فمنها ما يكون التعريف فيها غاية (علم المعجم وعلم المصطلح مثلاً)، ومنها ما يكون وسيلة لا غير (كما هو شأن باقي العلوم)، ومن الاعتبارات الثاوية خلف التعاريف، ثقافة المعرف وإمكاناته وتجربته في الميدان، فكل هذه وغيرها اعتبارات يجب وضعها في عين الاعتبار عند تلقي أي تعريف.

وبالنظر إلى ما سبق، فإننا لا نستهدف الإحاطة بكل أنواع التعريف، فإن ذلك يتأباه المقام، ويخرج عن الطاقة والإمكان، وإنما سنكتفي بذكر نماذج منها تغنينا عن غيرها، مع العلم أن التعريف يشكل حجر الزاوية بالنسبة للدراسة المصطلحية، فمن التعاريف:

- **التعريف الموسوعي:**

وهو أكثر ارتباطاً بالمعارف ذات الطبيعة الموسوعية، إذ "لما كانت الموسوعة عبارة عن خزان لمختلف المعارف، فإن التعريف في هذا النوع من الممارسات العلمية، هو في النهاية عبارة عن "تلخيص" لعدة معارف، وهو يختلف عن التعريف الذي نجده في القاموسية والمصطلحية" (54).

وهو بطبيعته تعريف معقد لقيامه على عدة أركان، من أهمها: التعريف اللغوي الموجز، ثم الوصف الدقيق لبنية الشيء المعرف، ثم الحديث الموسع عن خصائصه وأهدافه (55).

- **التعريف الصرفي الدلالي (La définition morpho-sémantique):**

وهو تعريف يقوم على صياغة بنية معادلة دلالياً تتضمن الخصائص ا لية للمفهوم (56).

- **التعريف المنطقي:**

ويقوم على تحديد المصطلحات والألفاظ، تحديداً لا يدع مجالاً للبس، وهو نوعان رئيسان: التعريف بالحد، ويسمى التعريف التحليلي، والتعريف بالرسم، ويسمى التعريف الوصفي، والحد تام وناقص، كما أن الرسم تام وناقص أيضاً (57)، ويستجيب هذا النوع من التعريف للعمل المصطلحي بصفة عامة، وإن كان لا يستجيب لكل ا الات.

- **التعريف المفهومي (La définition en compréhension):**

وهو الأكثر نجاعة في ا ال المصطلحي، ويتجلى هذا النوع من التعريف في تعيين صنف عام يكون المصطلح المستهدف بالتعريف جزءاً منه، ثم يعمل بعد ذلك على ما يميزه عن المفاهيم الأخرى التي هي من نفس الصنف، ثم يعدد بعد ذلك مجموع الخصائص والمميزات الخاصة بالمفهوم، ويغلب أن تعدد التعريفات المحتملة في هذا النوع، فيكون المصطلحي أمام اختيارات متعددة (58).

- **التعريف الاصطلاحي:**

وهو المنبثق من مجال مخصوص، ويكفي أن يكون قادراً على التمييز بين الشيء والآخر، والمفهوم والآخر، مع تميزه بالإيجاز.

ويراعى في هذا النوع من التعريف أن لا تتضمن عبارته المصطلح المعرف (59).

وأمام صعوبة التعريف في أحيان كثيرة، فإن المصطلحي يعدل عنه إلى السياق التعريفي (Contexte définitoire)، كما يلاحظ في أحيان أخرى، أن كثيراً من التعريفات غير تامة وناقصة، ويفسر هذا عادة، بنقص خبرة واضعيها الناتج عن قلة الممارسة وعمق التأمل النظري في الموضوع الذي يتصل به التعريف.

الهوامش

1- لع: عرف.

2- البرهان، للجويني: 119/1.

3- شرح المفصل: 18/1.

4- كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، للباجي: 10-11، والتعريفات، والمستصفى:31-32.

5- الصاحبي: 50.

6- شرح المفصل: 18/1.

7- المستصفى: 25.

8- التعريفات.

9- المستصفى: 21-22.

10- شرح الحدود النحوية: 42-43.

11- نفسه: 42، 43.

12- الإيضاح: 46.

13- التعريفات.

14- المستصفى: 25.

15- المقتصد: 70/1-71.

16- شرح المفصل: 44/3.

17- المستصفى: 22.

18- نفسه.

19- نفسه: 23.

20- نفسه: 25.

21- شرح ابن عقيل: 202/1.

22- Cours de linguistique : générale166-167، والمنوال النحوي العربي: 79.

23- La définition terminologique :253

24- نفسه 255.

25- Prolégomènes:33-34

26- Introductions à la terminologie :84

27- La définition de concepts préscientifique, Apport de la critique textuelle et de l'étude philologique, la définition: 60.

28- De la terminologie grammaticale :21

29- شرح المفصل: 73/1.

30- البرهان: 159/1.

31- شرح الرضي على الكافية: 52/1.

32- نفسه: 40/1.

33- الرهان: 565/1.

34- المستصفى: 25.

35- نفسه.

36- شرح المفصل: 3/7.

37- المستصفى: 26.

38- شرح المفصل: 3/7.

39- البسيط في شرح جمل الزجاجي: 160/1-161. يقول أبو الوليد الباجي: " وأصل الحد في كلام العرب المنع، قال الله تبارك وتعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) ومنه سمي السجان حدادا لمنعه من يسجن من الخروج والتصرف. فلما كان في الحد ما قدمناه من المنع، صح أن يوصف بالحد. الحدود في الأصول: 23-24.

40- نفسه: 169/1.

41- الإيضاح: 46.

42- الإيضاح: 47.

43- شرح كتاب سيبويه: 54/1.

44- La définition terminologique: 256

45- De la terminologie grammaticale: 21

46- نفسه.

47- La définition terminologique: 256

48- تحتاج التعاريف العربية، في شتى ا الات العلمية، إلى استقراء بغية الوقوف على الجوانب الثابتة فيها والمتحولة، حتى يتمكن من تجريد الأوصاف المطردة فيها، وتنميط التعابير الخاصة ا.

49- Les définitions de noms dans un arrêté ministériel français de terminologie, la définition: 262 .

50- La définition terminologique : 251

51- نفسه: 255.

52- الإمتاع والمؤانسة: 83.

53- مدخل إلى علم المنطق، مهدي فضل الله: 75.

54- La définition terminologique: 253

55- المعجم العلمي العربي المختص: 133-134.

56- La définition terminologique : 257.

57- علم المنطق: 77- 78.

58- La définition terminologique: 257

59- نفسه: 258.

المصادر والمراجع

1- **لسان العرب** لابن منظور، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.

2- **البرهان** في **أصول الفقه:** إمام الحرمين الجويني، تح: عبد العظيم الديب، الطبعة الثانية، 1400 هجرية.

3- **شرح المفصل:** موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت (بدون).

4- **كتاب المنهاج** في **ترتيب الحجاج:** أبو الوليد الباجي، تح: عبد ا يد تركي، دار الغرب الإسلامي.

5- **التعريفات:** الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.

6- **المستصفى من علم الأصول:** أبو حامد الغزالي، تح: محمد مصطفى أبو العلا، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1971.

7- **الصاحبي** في **فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب** في **كلامها:** أحمد بن فارس، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997.

8- **شرح الحدود النحوية:** جمال الدين الفاكهي، تح: محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986.

9- **الإيضاح** في **علل النحو،** أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الرابعة، 1982.

10- **المقتصد** في **شرح كتاب الإيضاح:** عبد القاهر الجرجاني، تح: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، 1982.

11- **دروس** في **الألسنية العامة،** دو سوسور، تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985.

12- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:** دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.

13- **المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة:** عز الدين مجذوب، دار محمد علي للنشر والتوزيع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، تونس، الطبعة الأولى، 1998.

14- **شرح الراضي على الكافية:** رضى الدين الاستراباذي، تصحيح وتعليق، يوسف حسن عمر، بدون.

15- **البسيط** في **شرح** جمل **الزجاجي:** ابن أبي الربيع السبتي، تح: عياد بن عبد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1986.

16- **شرح كتاب سيبويه:** أبو سعيد السيرافي، الجزآن الأول والثاني، تح: رمضان عبد التواب، محمد فهمي حجازي، محمد هاشم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

17- **الإمتاع والمؤانسة:** أبو حيان التوحيدي، تصحيح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.

18- **مدخل** إلى **علم المنطق:** مهدي فضل الله، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.

19- **المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري:** إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993.

المراجع الأجنبية

1- DE BESSE Bruno : **« La définition terminologique »,** in La définition, Librairie Larousse, 1990.

2- HERRERA Teresa : **« La définition de concepts préscientifique, apports de la critique textuelle et de l'étude philologique »,** in La définition, p : 60, Centre d'étude du lexique, Larousse, 1990.

3- HJEMSTEV Louis : **Prolégomènes à une théorie du langage,** Minuit, Paris, 1971.

4- LEDUC-ADINE : **De La Terminologie grammaticale : quelques problèmes théoriques et pratiques, Langue française,** 47, Septembre 1980.

5- LERRA Pierre et SOURIOUSE Jean-louis : **« Les définitions de noms dans un arrêté ministériel français de terminologie** », in. La définition, p : 262.

6- RONDEAU GUY : **Introduction à la terminologie,** Gaèto MORIN éditeur, 2éd, 1984.

التعريف داخل التواصل السياسي : مقاربة تداولية

د. توبي لحسن (*)

تـقـديـم

إذا كان التعريف لغة واصفة لمفهوم معـين، فـإن مقاربتنا له، في هذا البحث، لن تتطـابق مـع انشـغال المعجميين، لكوننا لا نروم تعقب التعاريف المعجميـة في الخطابات السياسية، قصد تقويمها أو التثبت مـن مـدى استيفائها لمقتضيات التعريف المعجمي وضوابطه المتبعة في الصناعة القاموسية، وإنما الهدف الأساس هو رصد كيفية جريانه داخل التواصل السياسي.

يكتسي التواصل السياسي بعدا استراتيجيا، لكـون الفاعل السياسي يوظف مجموعة من العمليات اللغوية وغير اللغوية، للتأثير على المخاطبين، أو ترويج صورة عن نفسه تحظى بالقبول والتقدير لدى المتلقـي، أو تسـويغ ورود مجموعة من الأفكار الإيديولوجية، أو السعي إلى تقـديم تأويل سياسي لحدث معين. وقد يعمل في أوضاع نزاعية على تقويض مرتكزات الخطاب المنافس، أو النيـل مـن صورة الآخر (الخصم السياسي)، كي تفقد مصـداقيتها وجاذبيتها لدى الرأي العام.

لهذه الأسباب ستدفعنا مقتضيات هذا العمـل إلى محاولة الإجابة عن جملة من الأسئلة، من بينها:

ما مقومات التواصل السياسي؟ كيـف يسـتخدم الفاعل السياسي آلية التعريف؟ وهل يحتفظ المفهـوم (العام أو الخاص) بمدلوله داخل التواصل السياسـي أم يخضع للتغيير؟ وإذا ثبتت الفرضية الثانية، فمـا هـي العوامل المتحكمة في ذلك؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سـنعمد إلى التمثيـل بالخطاب الصحافي، على أننا سنركز على ما يعـرف بصحافة الرأي، وبمعطيات تمثيلية مستمدة من مقابلات صحفية.

التواصل السياسي: من أي منظور

ظلت السياسة على مر العصور نموذجا للتواصل التأثيري، لكونه يعتمد على إجراءات عديدة (لغوية أو غير لغوية)، تنجح في إقنـاع المخـاطبين أو تعـديل تمثلا م أو جرهم إلى الإقدام على أفعال مخصوصـة. وشكل التواصل السياسي بؤرة اهتمام الكـثير مـن الدراسات التي كانت حصيلتها متباينة، بسبب تعـدد المنطلقات النظرية والمنهجية: فغدا هذا الموضوع محطة يلتقي فيها عالم الاجتماع وعالم الـنفس والبلاغـي واللساني ...كل واحد يرصده وفق إطـار تصـوري محدد المعالم، ويحاول النفاذ إليه بنـاء علـى جهـاز مفاهيمي، يكشف عن خصوصـية في الطـرح وفي الأهداف المسطرة.

(*) أستاذ باحث بجامعة محمد الخامس/ الرباط

ترتب على هذا الغنى في المقاربات اختلاف في تحديد وضعه الاعتباري، وفي طبيعة الاهتمامات التي ينصرف إليها البحث: فالبعض ركز على التمثلات الاجتماعية للذات والآخر، فسعى إلى الإجابة عن السؤالين التاليين: ما هي الصورة التي يحرص المتكلم (الفاعل السياسي) على إعطائها لنفسه أو لخصمه؟ وبموجب أي نشاط خطابي يتم ذلك؟ وقد ينشغل بالعوامل الاجتماعية التي تحرك الصراع السياسي. في حين يمكن أن يتجه عالم النفس إلى تعرية الدوافع النفسية التي تثوي خلف الصراع السياسي بين الأطراف المتنافسة، كتبسيطها في مفهوم (الحرمان). لكن في مقابل ذلك، يجعل آخرون من بنية التواصل السياسي(الخطاب) أساسا تنهض عليه دراستهم، كأن يبحثوا في الاستراتيجية الخطابية التي يستند إليها الفاعل السياسي، لإقناع خصومهم في أوضاع سجالية أو غير سجالية، أو يتجه اهتمامهم إلى الآليات اللغوية التي تقوم عليها عملية الإقناع.

يستند التواصل السياسي، في الغالب الأعم، إلى بعد استراتيجي. والمقصود بهذا المفهوم زمرة من العمليات الخطابية التي يلتجئ إليها الفاعل السياسي للوصول إلى مقاصده الإقناعية، بحيث قد يضع نصب عينيه ترويج صورة عن نفسه أو الدفاع عن أفكار إيديولوجية، أو تقديم تأويل سياسي لحدث معين . وقد يسعى، داخل أوضاع نزاعية إلى تقويض مرتكزات الخطاب المنافس والنيل من صورة الآخر، لكي تفقد مصداقيتها وجاذبيتها لدى المخاطب. ولا يمكن بلوغ هذه المقاصد ما لم يتم التوسل بإجراءات لغوية أو غير لغوية تناسب مقتضيات المقام التخاطبي.

لهذا تعد هذه الاعتبارات سندا كافيا لمقاربة التواصل السياسي من زاوية "تداولية"، تستحضر البعد الاستعمالي في اللغة، وتفاعل الأطراف التواصلية، ومقاصدهم الإنجازية، وسياق التلفظ.

من هنا يتبين أن هذا المنطلق المنهجي ينأى عن التصورات اللسانية، التي ترصد الظاهرة اللغوية من زاوية داخلية (Internal)، كالنظر إليها من زاوية صواتية أو تركيبية أو دلالية. على أنه يجب ألا يفهم مما تقدم أن المقاربة التي نعتمدها في غفلة عن "القيود الداخلية" التي يطرحها الخطاب السياسي، بل إن الإطار النظري المتبنى يراعي قيدين متفاعلين، الأول "داخلي" يقضي بان الوصف التداولي للخطاب السياسي ينبغي أن ينسجم مع تصور عام للبنية اللغوية، ويجب ألا تصرف العناية فقط إلى قواعد الاستعمال (Règles d'emplois). بمعنى آخر، إن دراسة بنية الخطاب السياسي، قصد استجلاء نظامه الداخلي، يجب أن تتجه في ضوء الإشكاليات التواصلية والمعرفية، كالتركيز على الوسائط المقامية أو دراسة التفاعلات التي تحكم أطراف العملية التواصلية وأثرها في السلوك اللغوي.(1)

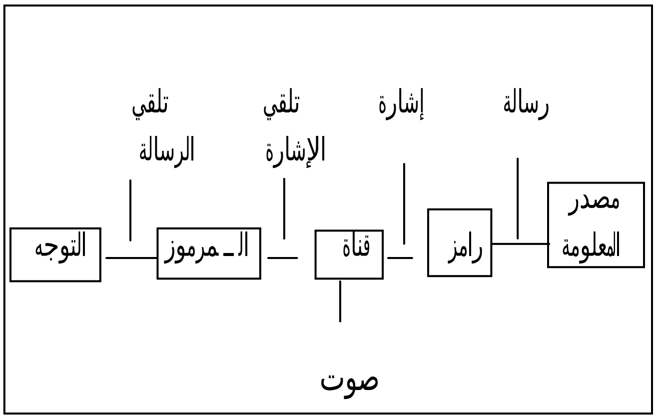
التواصل التأثيري والتواصل السياسي

يبدو من مدلول التواصل الإنساني أنه غير قابل للحصر في آلية تبليغ المعلومات، لأنه يرتكز على مبدإ المشاركة الإيجابية للأطراف التواصلية. بمعنى آخر، ينهض الفعل التواصلي على مبدإ خلق روابط اجتماعية بين المتخاطبين، ويتضح ذلك بشكل جلي عندما يستهدف الخطاب التأثير على الآخرين، وتتجه عناية المتكلم إلى جعلهم يتقاسمون رأيه أو يشاطرونه مشاعره أو يتبعون سلوكه، وطبعا، من دون إعمال عنف مادي.

إن التواصل لا يمكن اختزاله في إطار رؤية تحـدد دور المرسل في تعبئة أفكاره وآرائه داخل حاويات، قصد تصديرها إلى المتلقي.

لا شك أن هذا المنظور لا يبرأ من التقصير، لكونه يغيب الواقع المركب للفعل التواصلي ويعجز عن تقـديم جواب مقنع عن السؤال التالي: كيـف يحـدث التـأثير المتبادل بين أطراف العملية التخاطبية؟

لقد كُتب لهذه الرؤية التبسيطية الشيوع، خاصـة بعد ظهور كتاب شانون وويفر (1949) Shannon and Weaver، حيث صاغ المؤلفـان نظريـة في التواصـل مستوحاة من مجال الاتصالات الهاتفيـة، وتـتلخص في الخطاطة التالية:

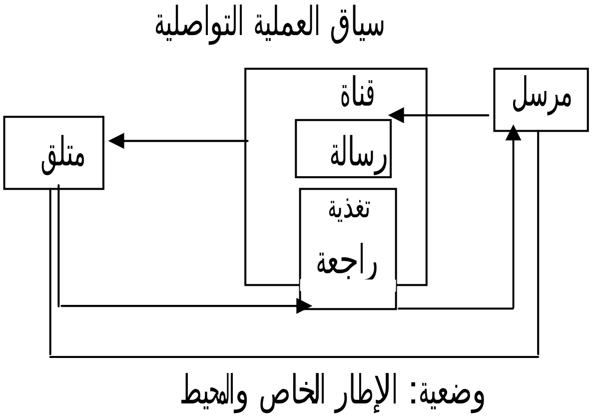


يقصد بمصدر المعلومة أحـد العـاملين في مجـال المواصلات، إذ يعقد عبر القناة المتواضع عليهـا معلومـة معينة. أما الرامز والمرموز فهما عبارة عن آلتين تلغرافيتين، في حين تعد القناة سلكا كهربائيا، والرسـالة نصـا (أي مجموعة من الحروف)، والإشارة اندفاعا كهربائيا.

والحقيقة أن هذا النموذج يؤاخذ من جهـات عدة، لعل أهمها كونه يبسط الفعل التواصلي حيـث يحصر دوري: المرسل والمتلقي في نطاق ضيق، أحدهما يكتفي بإرسال الرسـالة، والثـاني يضـطلع بـدور المستقبل. وهي ملاحظة تنبهت إليها بعض النمـاذج التي تعتمد على خلفية علم النفس أو علم الاجتماع، وحاولت استدراك الوجهة الأحادية للتواصـل مـن خلال طرحها لمفهوم "التغذيـة الراجعـة"(Feed-back)، واعتبرت أن مقاربته يجب أن تأخـذ بعـين الاعتبار مجموعة من الوسائط، كالسياق وطبيعة العلاقة التفاعلية القائمة بين المتكلم والمخاطب.

إن من شأن هذا المنطلق أن يراعي خصوصـية الوضعيات التواصلية التي يكون فيها التأثير والتلقـي مناوبة، كما هو الحال في المناظرات السياسية، حيـث يتحول المتكلم أو الفاعل السياسي إلى متلق، ويصـح العكس بالنسبة لهذا الأخير.

وبمراعاة هذه الاعتبارات تصـبح نظرتنـا إلى التواصل قابلة لأن يمثل لها في الخطاطة التالية:



إن من بين مظاهر الجدة في هذه الخطاطة، مقارنة بسابقتها، كونها تضم في بنيتها مفهوم "التغذية الراجعة"، الذي يقوى على الإحاطة بوضعيات تواصلية متباينة، خاصة تلك التي يمن فيها الوظيفة التأثيرية. لم يعد التأثير في ضوء هذا النموذج له وجهة أحادية (مرسل ← متلق)، وإنما يغدو عملية تفاعلية بين طرفين، يضطلع كل واحد بوظيفتين مختلفتين، الإرسال (أو التأثير) والتلقي.

إذا كان المتكلم داخل التواصل التأثيري يروم تعديل تمثلات المتلقي أو سلوكه، عن طريق آليات خطابية متنوعة، ومن دون الاستناد إلى عنف مادي، فإنه يجب ألا يفهم من هذا الكلام أن التأثير لا يسلم من توظيف للعنف.

إن حضوره داخل التواصل السياسي يكتسي بعدا معنويا، إذ يمكن أن نمثل لذلك بالطرق المعمول بها في مجال تسويق البضائع، والتي قد تدرس في معاهد تكوينية متخصصة، في إطار شعبة التواصل، وهي في العمق ليست سوى برامج تتوخى إكساب الطالب آليات تمكنه من وضع الآخر (الزبون) في شرك ذهني، ولن يخرج منه إلا بالإقدام على فعل مسطر بشكل قبلي أو يعمل على تبني أطروحته.

وقد يحصل التأثير بطرق مختلفة، منها الاستناد إلى آلية جذب المتلقي وحمله على تبني أطروحته أو تحقيق قصده، وهي طريقة معمول بها في الكثير من الممارسات السياسية.

لكن تبقى من أشد اللحظات التأثيرية قوة عندما يعتمد التواصل على آليات عقلانية تسوغ ورود الخطاب، فلا يملك المخاطب سوى الإذعان لقصد المتكلم. وإن تجافى عن ذلك فلا يستقيم صنيعه ما لم ينتج خطابا يعلو حجية عن الأول. ولا نعني من هذا التصنيف للوضعيات التواصلية أننا ننفي كل شكل من أشكال التداخل بينها، فقد يراهن التواصل على آليتي : الإغواء والاستدلال الحجاجي. وهي حقيقة نلمسها بوضوح في الخطاب الإشهاري، ذلك أن منشأ فعاليته التأثيرية ترجع أساسا إلى اعتماده على أكثر من سجل (Registre).

استعمالات التعريف في الخطابات بين المطابقة والمباينة

التعريف

يقصد بالتعريف كل وصف لفظي مسند إلى مفهوم معين، حيث يخول رصد خصائص الأشياء والأفعال[2]. والاهتمام به يمتد إلى أرسطو الذي أرسى دعائم نظرية في التعريف تركز على ماهية الشيء، وتراعي في ضبط الألفاظ الجنس والخاصة والتحديد والعرض.

وفي مقابل هذا الطرح يرد التصور الوضعي الذي يعنى بالمعاني المتعارف عليها في اللفظ، مما يجعله أقرب من مجال وضع المعاجم اللغوية[3]، سواء كانت معاجم عامة أو خاصة.

يتفرع التعريف إلى قسمين، أحدهما "اصطلاحي" (Conventionnelle)، والثاني "طبيعي" (Naturelle). يطلق على الأول أيضا "التعريف الاشتراطي"، والمراد به كل عملية تروم وضع دلالات محددة لألفاظ، سواء كان ذلك بكيفية قبلية أو بعدية. في الحالة الأولى يضع الشخص لحظة تسمية الشيء زمرة من الخصائص المسندة إليه؛ أي يبدع موضوعه، وتندرج تعاريف الرياضي والمنطقي في هذا الإطار. « أما التعريف الاصطلاحي البعدي فيقيد معاني الألفاظ المستمدة من اللغة العادية »[4]؛ أي ينمذج نطاقا دلاليا سابقا في الوجود، ولكنه يتميز بعموميته، ويمثل لهذا المستوى بالتعاريف القانونية. وكلاهما لا يقبل

الاعتراض عليه بالبطلان أو بعدم الصحة، وإنما يرد الاعتراض في حالة ثبوت أن مستعمله لم يلتزم بما اشترطه على نفسه.

علاوة على ذلك، فإنه لا يخضع للتطور الزمني. خلافا للتعريف "الطبيعي" الذي يستهدف المحتويات العامة التي يسندها الأشخاص إلى الألفاظ، وهي تتطور تبعا لتطور استعمال اللفظ، وينزع التعريف إلى "الوضعية" خلافا للأول الذي يتسم "بالاشتراطية".

و يمكن النظر إلى التعريف المصطلحي أيضا من زاويتين : الأولى عامة، تتمثل في تعريف ألفاظ اللغة الطبيعية وما وضع لها من معان، والثانية خاصة تتمثل في كونه ليس فقط تعريفا لموضوعات طبيعية، وإنما تعريف من وضع المتكلم نفسه وليس المختص؛ أي صانع القاموس[5] (Lexicographe).

إن ما يميز الزاوية الثانية، كون المتكلم يستخدم التعريف، ليس بغرض الإحاطة بمفهوم أو ضبط دلالته أو إزالة غموض، وإنما لبلوغ مقاصد حجاجية. لهذا عادة ما نعثر، داخل الخطاب السياسي، على مؤشرات تلفظية تجاور التعريف أو تتصدره مباشرة: فقد يستهل التعريف بذكر أفعال من قبيل (أقصد، أريد القول...)، وهذا النمط من التعريف هو مدار اهتمامنا. غير أن نظرتنا إليه تقتصر على بعده الاستراتيجي؛ أي باعتباره آلية خطابية تسمح للمتكلم بالوصول إلى مقاصده الحجاجية، وهو ما يسهل إدراكه من المقطع الخطابي التالي، المأخوذ من حوار صحفي:

(3) « وأظن بأن المناضل ... هو الرجل الذي يقوم بالتعبئة في إطار خطاب مسؤول وديمقراطي، ويتوفر على الكفاءات الضرورية لذلك، لهذا فالأشخاص الذين يوجدون وراء كل ما عرفته الحركة لا يتوفرون على أي معيار من هذه المعايير » (المستقل،17 ماي 2001).

ما يلفت الانتباه في هذا المقطع الخطابي، هو أن بنية التعريف تصدرها فعل (أظن). وهو من الأفعال الوجهية الإبستيمية (Modalité épistémique)؛ أي صيغة نمطية تعبر عن الاعتبارات الذاتية في الحديث[6]، وتحدد موقفه من صدق القضية التي تلي الفعل الوجهي مباشرة. ويعد هذا الأخير من الأفعال "الإنجازية"، لأن زمنه مصرف في الحاضر وفاعله ضمير متكلم، خلافا إذا كان مصرفا في زمن الماضي، أو أن فاعله مسند إلى غير المتكلم، ففي هذه الحالة يغدو فعلا "وصفيا"[7].

ذا فإن الفعل (أظن) يعبر عن وجه قضوي وهو الظن، ويمكن تعويضه (بلاحق في معناه)، مثل (في رأيي أو في نظري...). وهي صيغ نمطية تفصح عن البعد الذاتي حيال القضية التي تعقب هذا الفعل. بمعنى آخر، إن المتكلم يحرص قبل كل شيء على طرح موقفه الخاص من المعرف (المناضل)، ويقيم تمفصلا بين تعريفه والتعريف القاموسي. وورود الأفعال الوجهية الدالة على الاعتقاد ينسجم مع خصوصية التواصل السياسي، حيث تغدو الحقائق في ضوء ذلك نسبية، لأ ا مسكونة بالاعتبارات الذاتية، بخلاف الخطاب العلمي الذي تنزل نتائجه منزلة الحقائق القطعية، مما يجعله يميل إلى استخدام صيغ قطعية (Prescriptives)، تسهم في جعل الخطاب مستعصيا على الاعتراض ومنغلقا على ذاته.

تعد العمليات الجهية من بين المعايير المعتمدة لتحديد مقومات الخطاب الحجاجي. فإذا كان هذا الأخير يستحضر وجهة نظر المتلفظ الذي يتفاعل مع رأي مخاطب محتمل، فإن العمليات الجهية تعكس علاقة

المتلفظ مع خطابه، أو بالأحرى مع تعريفه.ولهذا تحظـر بكثرة المشيرات الدالة على الموقف القضـوي (attitude propositionnelle) والتي قد تعكس موقفا مضمرا مـن التعريف المحدد سلفا في القاموس أو المعجم المختص، فيسعى الفاعل السياسي جاهدا إلى إعادة تعريف المفهوم، أو يروم تعديل دلالته بما يتناسب مع مقصديته.

في ضوء هذا المنظور، يصبح القصد مـن إعـادة تعريف كلمة (مناضل) ليس هو إزالة التبـاس أو الظفـر بدلالة غير حاصلة في ذهن المخاطب، وإنما بلوغ مقصدية حجاجية، تتحدد معالمها بالإجابة عن السؤال التالي: مـا هي النتيجة التي يستهدفها المتكلم من خلال تقديم تعريف لمفهوم معين؟

عندها ندرك أن النتيجة جاءت مضمرة، دف إلى تجريد صفة المناضل من أشخاص محسوبين على الحزب.

ذا نستنتج أن التواصل السياسي قد يعـول علـى استراتيجية التعريف للوصول إلى أهداف الفاعل السياسي، من دون أن يتقيد بالضوابط الصارمة التي يلتزم ا واضع القاموس. وعليه يتميز تعريفه بطغيان النـزعة الذاتية، بما أنه أداة للتعبير عن موقفه الخاص، فيوظف لهذا الغـرض صيغا تعبر عن المواقف القضـوية، بخـلاف التعريـف المعياري، أو الوصفي، الذي ينهض على مبـدإ حصـول تطابق قابل للمراقبة بين المعرف (بكسر الراء)، والمعـرف (بفتح الراء).

التعريف القاموسي والتعريف الحجاجي

إن حضور التعريف المعجمي، أو المصـطلحي، في الخطابات المسخرة لغايات تواصلية، يتغير بالنظر إلى نوعية كل خطاب وطبيعة العلاقة القائمة بين أطراف العمليـة التواصلية: فالتعريف في المعاجم، وكما يمارسـه صـانع القاموس، ملزم بالتقيد بجملة من الضوابط، كالدراية باللغة وبوجوه استعمالا ا، لتلبية الحاجات المختلفة لمتصـفحي المعاجم، والالتزام بالدقة وتجنب الغموض، ليسهل ضـبط محتوى المفهوم وتمييزه عن غـيره. بيـد أن التعريـف في ا الات التطبيقية (أو الاستعمالات الخطابية) يتردد بـين الوفاء للاستعمال القاموسي أو الخروج عـن مضـمونه، لاعتبارات مبينة: فالتعريف، في الخطابات القانونية، يتجه إلى مطابقة مدلوله مع التحديد القاموسي، ولهذا فإن لجوء المحامي إليه، كما يوضـح علـي القـاسمي[8] (1998)، تستدعيه ثغرات قانونية، يلخصها فيما يلي:

1. غموض القانون (Obscurité de la loi)؛ مما يجعلنا في حاجة إلى قرائن أخرى تبدد كل التباس محتمل في المعنى الذي قصده المشرع.
2. قصور القانون (Insuffisance de la loi)؛ أي أن النص القانوني في غفلة عن أحكام جزئية؛ أو تفصيلية.
3. سكوت القانون (Silence de la loi)، بحيث تغيب الأحكام القانونية التي تناسب كل حالة أو نازلة.

بناء على هذه التفريعات، يحتاج رجل القـانون إلى ضبط ماهية الأفعال، للكشف عـن مـدى مطابقتـها "للنموذج القانوني للجريمة المنصوص عليها، ببعديها المادي والمعنوي" [9].

إلا أننا نضيف إلى ما قاله القـاسمي، أن التعريـف المعجمي (بمعناه العام أو الخاص)، في الخطاب القـانوني، محكوم بمقاصد حجاجية، ولا ينحصر دوره فقط في إزالة غموض، لتوضيح مقاصد تشريعية، ولا في سد نقائص في أحكام قانونية. فمثلا عندما يقوم شخص مـا بـاختراق مواقع حساسة لأجهزة الدولة عبر شـبكة (الإنترنـت)

معرضا إياها للإتلاف. فأمام فراغ قانوني، هل نعتبر ما قام به هذا الشخص جريمة تستوجب العقاب؟ وهل ينـزل صنيعه منـزلة عمل تخريبي لممتلكات الدولة، كما هو متداول في قانون العقوبات؟

هنا نلجأ إلى التعريف كأداة استراتيجية حاسمة، تمكننا من معاضدة حكم معين، أو تقويض مرتكزات حكم مضاد.

إن قصور التشريعات، أو غموضها، يشكل مجالا خصبا لتعارض الأحكام، وكل طرف من الأطراف المعنية بالحكم يوظفه كسلاح استراتيجي لبلوغ مقاصده، وهو ما يذهب إليه بيرلمان وتيتيكا (1970)، عندما يربطان بين ظاهرة الغموض، في الخطاب الطبيعي، وبين الاشتغال الحجاجي[10].

من هذا المنظور، يصبح انشغالنا منصبا على قضية التعريف على نحو مخالف لاهتمامات المعجميين، بحكم أن هاجسنا الأول هو تتبع التعريف المعجمي، داخل التواصل السياسي، والكشف عن ميزاته. بمعنى آخر: هل يحتفظ التعريف المعجمي والمصطلحي بمدلوله الأصلي، أم يخضع للتغيير؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، نشير إلى أن التعريف في الخطاب القانوني، أو السياسي، يرتبط بالحجاج من زاويتين:

الأولى، أن الحجاج لا يقوم من دون إزالة كل التباس ممكن الحصول، فالمفاهيم قد تند عن أفهام المخاطبين، فتصبح الحاجة ماسة إلى تعريف، يعصمنا من سوء فهم مقاصد المتكلم، وهي آلة تكاد تعم جميع الخطابات الطبيعية، ولأهميتها خصصت لها الكثير من المباحث العربية الإسلامية حيزا كالبلاغة وأصول الفقه، فتم التنبيه إلى أن جريان التواصل بين المتكلم والمخاطب مقيد بمبدإ مراعاة أمن اللبس، إذ ينص ابن وهب، مثلا، في كتابه (نقد النثر) على ضرورة استيعاب المخاطب لمحتويات المفاهيم، وتجنب المتكلم الألفاظ التي "تحمل عدة معان من غير ترجيح أحدهما الذي هو المراد" [11] ويدعو ابن وهب، في هذا السياق، إلى التوسل بمفاهيم يفقه المخاطب مدلولها. أما إذا استوجب الأمر استخدام ما يستعصي فهمه، فلا يدرك المخاطب مدلوله، كاستخدام مصطلحات فلسفية، « عبرنا لهم عن معانيها بألفاظ قد عهدوها، فقلنا في مكان السولوجسموس القرينة... وكذلك ما أشبهه من ألفاظ الفلاسفة» [12].

لذا يدعو ابن وهب إلى استخدام التعريف بالمرادف، إن كان طريقا ضامنا للفهم والإفهام.

لاشك أن هذه الغاية الأخيرة هي قطب رحى البلاغة، لأن اللغة التي يعتريها الالتباس، لا ينجح مستعملها في إبلاغ مقاصده، ولهذا يقول الجاحظ « يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ... ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع »[13].

وإذا كان الحجاج يرتبط بالتعريف، من حيث كون هذا الأخير، يبدد أي لبس ممكن الحصول، ويضمن تبرئة رسالة المتكلم من تبعة المؤاخذة، فإن جريان التعريف داخل التواصل السياسي محكوم باستراتيجية حجاجية، لأنه يقوم مقام أداة بلاغية تسمح للمتكلم الوصول إلى النتيجة المستهدفة، أو الأطروحة المدافع عنها، أو الاعتراض على خطاب نقيض.

يتخذ التعريف، في هذه الحالة، الصورة التالية: يقوم

الفاعل السياسي بإسناد مجموعة من الخصائص إلى مفهوم معين (م)، لينتقل بعد ذلك إلى مرحلة التساؤل عما إذا كان (ص) يضم نفس مقومات (م)، مما يقوده إلى عقد مقارنة بين الشروط الضرورية للتعريف، والخصائص الملازمة ل(ص). ليتم الحكم في النهاية على هذا الأخير بمدى تطابقه مع مقتضيات التعريف.

ومسوق للتنبيه أن المتكلم لا يتبع دائما هذه الخطوات بشكل صارم ودقيق، لأن مجال التخاطب داخل التواصل السياسي يتسم بالمرونة في استخدام المفاهيم والاستراتيجيات، تبعا لمستلزمات المقام.

على هذا الأساس يتبين أن التعريف إجراء خطابي، يتم التعويل عليه كثيرا للدفاع عن مواقف المتكلم، أو تقويض مرتكزات الخطاب المضاد. بمعنى آخر، فإن توظيف التعريف توظيفا حجاجيا يتحدد باستحضار العلاقة القائمة بين طرفي العملية التواصلية (متكلم/مخاطب) والنتيجة التي يستهدفها الخطاب. بيد أن التعريف داخل التواصل السياسي لا يطابق بالضرورة الوصف المسند إلى اللفظ أو المصطلح، بحيث يعدل المتكلم في المعاني الموضوعة له، فتنشأ مفارقة بين لغة واصفة روعي في وضعها المعاني المتعارف عليها في الاستعمال، سواء في معناها العام أو الخاص، ولغة واصفة مسكونة بمقاصد متكلمية، تعكس خلافا في مسألة سياسية.

التعريف والعلاقة الحجاجية والموضع

يعكس الحجاج تعالق قولين أو أكثر، حيث يتوسل المتكلم بالقول الأول(ق1) قصد تسويغ ورود القول الثاني(ق2) لدى المخاطب، ينزل الأول منزلة حجة (أو حجج)، أما الثاني فيقوم مقام نتيجة، ولكي يقبل هذا التعالق، يشترط استيفاء جملة من القيود اللغوية، تجعل الحجاج نشاطا لسانيا يختلف عن النشاط البلاغي، الذي يركز على ما هو خارج لغوي (Extra-linguistique).

للتمثيل لذلك نأخذ الحوار التالي:

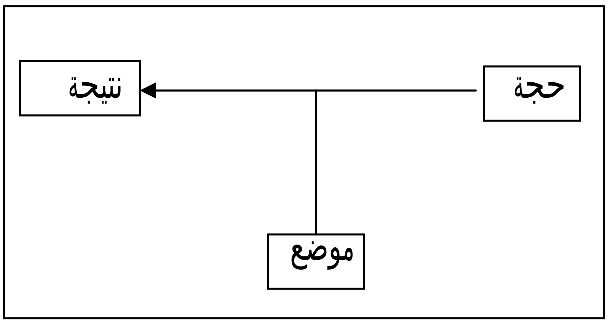
(4)أ- كيف كانت الندوة السياسية؟

ب- شارك جميع الفاعلين السياسيين.

يتبين من هذا الحوار، أن النتيجة المستهدفة مضمرة، وهي إما ذات محتوى إيجابي (نجحت الندوة السياسية)، أو ذات محتوى سلبي (لم تنجح الندوة السياسية). والمرور من الحجة (شارك جميع الفاعلين السياسيين) إلى النتيجة المستهدفة يتم عبر "موضع"، يخول قبول المتوالية الخطابية. فإذا استحضرنا النتيجة الأولى في علاقتها بالحجة المذكورة، ندرك أن مقبولية هذه العلاقة مبنية على استحضار الموضع (5)، الذي أتاح تسويغ ورود العلاقة القائمة بين الحجة والنتيجة:

(5) كلما شارك الفاعلون السياسيون في الندوات، كلما كتب لها النجاح.

وعليه، يمكن التمثيل لهذه العلاقة الحجاجية على النحو التالي:



الشكل رقم(6):

يتميز الموضع بالخصائص التالية:

- إنه عبارة عن اعتقادات "مشتركة" (Communes)، يتم التسليم بها داخل مجموعة بشرية.
- إنه مبدأ موغل في العمومية، ويمثل أساسا للاستدلال.
- إنه ذو طبيعة لسانية داخلية (Intra-linguistique)، خلافا لما يذهب إليه (بيرلمان)، حينما يعتبر المبادئ القانونية خارجة عن الخطاب القضائي نفسه.

يتميز الموضع بالطابع الرتبي (Graduel)، ذلك أن الحجج متفاوتة من جهة رتبها، فقد تكون قوتها الإقناعية مرتفعة، وقد تنخفض بالنظر إلى النتيجة المستهدفة، الأمر الذي يجعل "المواضع" هي الأخرى تخضع لهذا القانون[14].

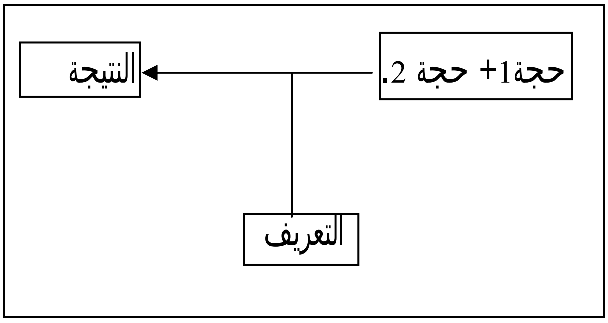
يتماثل التعريف، في اعتقادنا، مع الموضع في بعض الوجوه، أهمها أنهما يمثلان أس عملية الاستدلال، فكلاهما يضمن المرور من الحجة إلى النتيجة. وهو ما يمكن بيانه من خلال المقطع الخطابي المذكور:

التعريف: المناضل هو من يقوم بالتعبئة، في إطار خطاب مسؤول وديمقراطي، ويتوفر على الكفاءات الضرورية لذلك.

الحجة1: الأشخاص الذين يوجدون وراء كل ما عرفته الحركة، لا يقومون بالتعبئة، في إطار خطاب مسؤول وديمقراطي.

الحجة2: الأشخاص الذين يوجدون وراء كل ما عرفته الحركة، لا يتوفرون على الكفاءات الضرورية للتعبئة.

النتيجة: هؤلاء الأشخاص ليسوا مناضلين.



الشكل رقم(7):

إلى جانب ذلك، يشترك التعريف مع "الموضع" في كونهما ذا طبيعة معجمية، فالأول يتصل بالمدخل المعجمي المخصص للكلمة أو المصطلح. أما الثاني فلم يعد في السنوات الأخيرة، وبحسب بعض المقاربات، مقصورا على ربط متواليات خطابية، قد تنزل بعضها منزلة حجة، أو حجج، والثانية منزلة نتيجة[15]، بل أضحى الموضع يمثل له في المستوى المعجمي، لأنه يشتغل على نحو شبيه بالشاهد الأمثل (Stéréotype). فإذا كان هذا الأخير يحدد دلالة المفردات، فإن الموضع يضطلع بالوظيفة نفسها. للتمثيل لذلك نأخذ المتوالية الجملية التالية(8):

(8) بحث زيد عن حل لمشكلته، لكنه لم يجده.

فالفعل(بحث) يقترن ب(وجد)، لأن القول إن شخصا ما يبحث عن شيء معين، معناه أن مقصدية المتكلم ونشاطه، موجهان صوب (وجد). وعليه، فإن الفعل (بحث) يتحدد بناء على "موضع" طراز، هو (9):

(9) كلما بحثنا عن شيء، كلما كان النشاط موجها نحو (الإيجاد).

كما يتقاسم التعريف مع الموضع خاصية أساسية، وهي أن كليهما قد يضمر ثقة بفطنة المخاطب. لكن ما يميز التواصل السياسي هو أن اللجوء إلى تقنية الإضمار مشروط بمدى حصول اتفاق بين الفاعلين السياسيين حول دلالة المفهوم، فقد يحيل مصطلح "ديمقراطية" على المدلول نفسه، على الرغم من جريان استعماله في خطابات سياسية متباينة. وقد يحصل أن يعكس المفهوم مقدار الشقاق بين الفاعلين السياسيين، وهو أمر طبيعي، لأن التواصل السياسي، فضاء لصراع الخطابات السياسية. ومن مظاهر هذا الصراع سعي كل فاعل سياسي إلى التدليل على أن تعريفه يصيب الحقيقة، وأن تعريف غيره ينأى عن المقصود. فضلا عن ذلك، يجب ألا يعزب عن البال أن جوهر الصراع، ليس حول اللغة الواصفة للمفهوم، فذلك مجرد قناع يحجب خلافات حول ورود تأويل سياسي لوضعية معينة، وقد يضمر صراعا في المواقف السياسية.

التعريف والروابط الحجاجية

أضحى التواصل السياسي حقلا يعكس صراعا بين الفاعلين السياسيين، سواء على مستوى الأفكار والإيديولوجيات (الحجاج الإيديولوجي) أو على مستوى المنازعات الشخصية، عندما ينجر الخطاب إلى نصب حجج مدارها حول المخاطب لا الخطاب (الحجاج الخارجي). وفي كلتا الحالتين، تكشف بنية الخطاب اللغوية عن مقدار الخلاف بين الأطراف المتصارعة. فإذا كنا قد أشرنا إلى أن الحجاج يوظف صيغا تعبيرية (أفعال جهية) تترجم علاقة المتكلم بالتعريف، فإنه يتوسل كذلك ببعض الموسومات اللغوية (Markers) التي تعكس نوعية العلاقة التي تنتظم الأطراف المتفاعلة، ونخص بالذكر هنا "الروابط الخطابية".

لتوضيح الأمر ننطلق من المقطع الخطابي (10):

(10)" والتحديث ليس هو الأخذ بأسباب الغير، وليس هو استيراد آخر الطرائق وموضات التدبير، ولكن هو القدرة على تعبئة كل طاقات هذا البلد، من غير إقصاء أو ميش. هو ذا التحدي الكبير الذي يقع على كاهل أمة بكاملها..."(حسن أوريد، الحياة، 6-غشت-1999)

نلاحظ أن المسار الحجاجي للتعريف، تحدد بالاعتماد على الرابط الحجاجي (لكن)، الذي لم تقتصر وظيفته على ربط أجزاء خطابية، وإنما تعدت هذا النطاق لتضطلع بدور الموجه الحجاجي (Instructionnel).

أصبحت هذه الحقيقة في حكم المؤكدة من قبل بعض الدارسين الذين ذهبوا إلى أن الوظيفة الحجاجية لا يمكن فصلها عن البنية اللغوية. بمعنى آخر فإن المعلومات التداولية لا تتحدد بالضرورة بناء على وسائط مقامية واعتبارات خارج لغوية، لأن "السنن اللغوي" يفصح عن الوجهة الحجاجية للأقوال. يقول ديكرو (Ducrot.O 1980) في هذا السياق:

"لا تتحدد القيمة الحجاجية لقول معين بناء على المعلومات التي يتوسل ا المخاطب، بل يمكن أن تتضمن الجملة (مورفيمات)، أو تعابير، أو صيغا لغوية...تمنح للقول وجهته الحجاجية"[16].

لا شك أن ورود الرابط المذكور بعد مخصص النفي (ليس) يشي بأن ثمة خلافا حول تعريف مفهوم "التحديث"، حيث يسعى المتكلم إلى نفي ما يحتمله المفهوم المذكور من معان، فيرد الرابط (لكن) ليدل على الطابع الرتبي لهذه التعاريف، فالذي يرد بعد (لكن) هو

أكثر ورودا، فضلا عن ذلك، فإنه يكشف عن التوجه الحجاجي المضاد، حيث يتميز التعريف الثالث بقوة حجاجية (Force argumentative) مقارنة بالسابقين.

إن جوهر الاعتراض ليس على مضمون التعريفين، وإنما ما يستلزمان من نتائج مضمرة، فالتعريف الأول قد يلزم عنه الدعوة إلى الأخذ بالأسباب التي كانت وراء تقدم الآخر، أما التعريف الموالي فقد يكون بمثابة مبرر لاستيراد أحدث التقانات (التكنولوجيات) الحديثة، كطريق موصل إلى المبتغى المطلوب. ولما كانت أطروحة المتكلم تخالف ما يستلزمه التعريفان من معنى، اضطر المتكلم إلى استخدام الرابط (لكن)، الذي يفيد، حسب النحاة، مخالفة ما بعده لما قبله.

على هذا الأساس، نستنتج أن ورود الموسومات اللغوية، في استراتيجية التعريف، يمكن أن تعكس مقدار الاختلاف بين الفاعلين السياسيين، وتكشف عن البعد التلفظي في التواصل، من خلال ظاهرة تعدد الأصوات (Polyphonie)، التي تقضي بعدم تجانس الأصوات الخطابية داخل النص الواحد.

يتبين، من خلال ما تقدم، أننا بسطنا عددا من القضايا المتعلقة بالتواصل السياسي، محاولين التركيز على استراتيجية التعريف، باعتبارها من الآليات الحجاجية التي يمكن أن يعول عليها الفاعل السياسي للوصول إلى أهدافه الخطابية.

كما بينا أن هناك اختلافا بين التعريف المعجمي، كما يمارسه صانع القاموس، وجريان استخدامه في الحقل السياسي: فالأول يحدد مداخل الألفاظ العامة، أو الخاصة، بناء على معايير موضوعية وصارمة، أما الثاني فيعرف المصطلح، أو اللفظة العامة، انطلاقا من اعتبارات ذاتية تجعل التعريف يتسم بالمرونة الدلالية، بحسب مقاصد المتكلم، ومقام التخاطب، فقد يعدل الفاعل السياسي في مدلول التعريف، أو يسقط بعض أجزائه. ولهذا، كثيرا ما نجد التعريف داخل التواصل السياسي تتصدره أفعال وجهية دالة على مواقف المتكلم من المعرف، أو يستخدم روابط حجاجية تعكس الصراع القائم بين الفاعلين السياسيين.

لذا، يتبين أن التعريف في التواصل السياسي سلاح بلاغي، يوظفه المتكلم، بطريقة ذاتية، ويتمكن بواسطته من تبرير مواقفه، وإقناع المخاطبين، والاعتراض على خطاب الخصم.

الهوامش

1 -Moeschler, J (1989) Modélisation du dialogue. Représentation de l'inférence argumentative. Hermés. Paris, P :1 .

2 - Lucien Collignon-Michel Glatigny (1978) Les dictionnaires : Initiations à lexicographie. Cedic. Paris. P :124.

3- الودغيري عبد العلي (1989)، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ . الرباط، ص:8.

4 -Martin. R (1990) La définition . Langue et langage. Centre d'étude du lexique. Ed. Larousse. P :86

5- Bassano, D (1990) « Développement et organisation du langage : le traitement dénoncés modaux chez l'enfant », dans Charolles M, Fischer S , Jayez J (1990) Le discours : Représentation et interprétation . Presses universitaires de Nancy. P :201 .

6 - أحمد المتوكل (1996)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي، دار الأمان، الرباط، ص:39

7 - علي القاسمي (1998)، "النظريـة الخاصـة في علـم المصـطلح وتطبيقا ا في مهنة المحاماة"، مجلة اللسان العربي، العدد:45.

8 - المصدر نفسه، ص:111.

9- Perelman ,C et Olbrechte-tyteca,L (1970) Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique Edition de l'université de Bruxelles .4eme édition.

10 - اعتمدنا على النسخة المنسوبة إلى قدامة بـن جعفـر (1980)، ص:119.

11- المصدر نفسه، ص:134-135.

12 -الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين، الجزء الأول، تحقيـق عبـد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،.الطبعة الخامسة،ص:87.

13 - يعد "الموضع" من أشيع المفاهيم استخداما منذ أرسطو، وإن اتخذ لاحقا اصطلاحات مغايرة لا تخرج عن المضمون الأرسطي:فبيرلمـان (Perelman)،مثلا، لا يتصور الحجاج القضائي بدون وجود "قواعـد للعدالة" (Régles de justice)، تشكل إطارا مقعدا لـه، كمـا يوظف تولمين (Toulmin) مصـطلح "قـانون المـرور" (Loi de passage) للكشف عن المسوغ الذي يضمن المرور مـن الحجـة إلى النتيجة .

14- Anscombre .J.C (1995) « La nature des topoï »، dans Anscombre، Ducrot et Garcia (1995) Théorie des topoï. Edition Kimé. P :191 .

15- أنسكمبر (1995)، ص:40.

16- Ducrot.O (1980) « Analyse de textes et linguistique de l'enonciation »,dans, Ducrot et al (1980) Les mots du discours. Ed. Minuit. Paris. P:15.

المُعجم الفَلكي الشامـــل
والتطلع إلى مصطلحٍ فَلكي عربي مستقر

أ. عبد الأمير المرتضى المؤمن(*)

في هذا العصر العلمي والتكنولوجي، الذي اقترب فيه الفضاء من الأرض، وتلاحقت الاستكشافات الفلكية والفضائية، وتناثرت في كل مكان من خلال المصادر السهلة والمُيسرة، كالصحف والمجلات والنشرات والحواسيب والإنترنت والأقراص المدمجة، وغيرها.

في هذا العصر العلمي والمعلوماتي، يصبح إنجاز معجم فلكي محكم، يصون المواد والمفردات الفلكية من التسيب والانحدار والبعد عن المصطلحات الأصيلة والدقيقة، ضرورة عصرية على من يستطيع القيام بذلك.

لقد تمنيت أن أجد معجماً فلكياً متقناً إلى جانب الكثير من الإصدارات العربية المستمرة، معجماً يجمع المواد الفلكية ومصطلحاتها وأعلامها ومراكزها وكل ما يحتاجه العربي والمسلم من هذه المادة الشيقة، يسعف القارئ والمثقف والمتخصص، ويلبي طلبه عند الحاجة.

ولكن لم أعثر على هذا المعجم، ولا يبدو أنه متوافر في مكتبتنا العربية والإسلامية. هناك عدد قليل من المعاجم أو القواميس أو الموسوعات والقوائم والمسارد والمشاريع والأفكار الفلكية المعجمية، ولكنها دون المطلوب، ودون الطموح.

و من هذا الواقع جاءت فكرة أو مشروع " المُعجم الفَلَكي الشامل... التراث، والفلك الحديث"، الصادر سنة 2005، عن دار العلم للملايين في بيروت.

تجارب لا تملأ الفراغ

ولكي لا نغمط حق الآخرين، العاملين في هذا الحقل العلمي، يتحتم علينا ذكر التجارب المعجمية الفلكية السابقة في عالمنا العربي والإسلامي.

وللحق نقول: لم تخلُ المكتبة العربية والإسلامية من تجارب معجمية فلكية؛ فعلى امتداد القرن الماضي (القرن العشرين) وجدنا بعض المعاجم أو القواميس أو الموسوعات الفلكية، إضافة إلى عدد من القوائم الفلكية مستقلة أو ملحقة ببعض الكتب الفلكية، خاصة المترجمة، أذكر منها:

1- **"المعجم الفلكي"** لأمين المعلوف، الصادر في مصر سنة 1935، ويحتوي على150 صفحة.

2- **"القاموس الفلكي والأبراج وصور النجوم وأسماؤها العربية"** للدكتور منصور حنا جرداق، الصادر سنة 1950 في بيروت، ويتضمن 326 صفحة.

(*) باحث في علم الفلك وتاريخه - إيران - قم

3- **"الموسوعة الفلكية"** لمؤلفيها ا. مايجرت، وهـ. ا. تسومومان، وترجمة الدكتور عبد القوي عياد (من مصر)، وتتضمن نحو 2000 مادة، في 822 صفحة، صدرت في مصر سنة 1990.

4- **"المعجم الفلكي الحديث"** للدكتور علي حسن موسى (من سورية)، ويتضمن 1522 مادة، في 432 صفحة، صدر في دمشق سنة 1995.

وكل هذه المعاجم لا تناسب العصر العلمي والمعلوماتي الذي نعيش فيه. إما لكتابتها قبل عصرنا، عصر الفضاء والتطور العلمي والمعلوماتي المتسارع، وبذلك فاتها عدد كبير من المواد والمصطلحات الفلكية الحديثة، أو لكونها صغيرة مختصرة محدودة، اقتصرت على المهم من المواد والمصطلحات الفلكية، أو اختصرتها في أسطر محدودة قليلة، أو أغفلت عدداً من المواد والمصطلحات الفلكية التراثية. وبذلك لم نعثر على معجم فلكي - فضائي شامل، اهتم بالتراث الماضي والفلك الحديث والمعاصر.

معجم فلكي جديد

ولسد الفراغ الفَلَكي المُعجمي في عالمنا العربي والإسلامي، وفي سبيل توفير معجم فلكي فضائي شامل، يضم ما يحتاجه العربي والمسلم وقارئ العربية من مادة فلكية وفضائية محكمة واضحة قريبة من قلبه وعقله، ودقيقة في مصطلحاتها، بدأت بمشروع: **"المعجم الفلكي الشامل.. التراث والفلك الحديث"** وهو مشروع علمي حاولت أنْ أجمع فيه كل ما يتعلق بعلم الفلك (astronomy) قديماً وحديثاً، وقد استغرق مني – بعد الإعداد اللازم له – أربع سنوات من التفرغ التام والعمل المتواصل.

وهو معجم فلكي-فضائي ألفبائي، (عربي-إنجليزي)، يضم 3558 مدخلاً، مع عدد من الجداول (التراثية والحديثة)، والصور الملونة، والمسارد (عربي- إنجليزي وإنجليزي- عربي).

وقد جمعت فيه:

- مواد فلكية أساسية: سماء، مجرة، شمس، قمر، كواكب سيارة، نجوم، ثقوب سوداء، شهب، كُوكَبات...
- مصطلحات فلكية وفضائية: أوج، حضيض، اختلاف المنظر، قدر، عقدة، فلك حامل، فَلَك التدوير، أفق الحدث، نِقاط لاغرانج،...
- أعلام فلكيةٌ وفضائية: هيبارخوس، بطْليموس، البتاني، البيروني، كوبرنيكوس، غاليليو، هابل، آينشتاين، كارل ساغان، فاروق الباز...
- كتب فلكية: القانون المسعودي، التذكرة، الزيج الصابي، حوار حول نظامي الكون الرئيسيين، الكون ، لكارل ساغان، موجز تاريخ الزمن...
- مراصد: مرصد الإسكندرية، مرصد الشماسية، مرصد مراغة، مرصد حلوان...
- كوكبات وبروج: كوكبة الدب الأكبر، كوكبة التنين، برج الحَمل، برج الثَور...
- نجوم: الشعرى اليمانية، سهيل، رِجل الجبار، الدبران، قَلب العقْرب...

هذه نماذج متنوعة من المعجم، وهناك أخرى غيرها لا مجال لذكرها.

وهذه المداخل أو المواد وآلاف غيرها، لم أكتبها لفئة محددة من القراءِ دون غيرها، وإنما هي للجميع، للقارئ العادي والمثقف والمتخصص والباحث، وقد صغتها بأسلوب عصري واضح وقريب من الجميع.

وفي سبيل مصطلح فلكي عربي دقيق، رجعت إلى ما وفرته مجامع اللغة العربية والمراكز العلمية وبعض المعاجم الحديثة التي تميز مؤلفوها بالدقة والكفاءة في مجال المصطلح العلمي، إضافة إلى الرجوع إلى مصادر اللغة الأم على أنواعها، وكنت أقارن وأختار وأجتهد عند الضرورة.

معجم تراثي حديثٌ

والمعجم الفلكي الشامل، هو معجم تراثي وحديث - في آن واحد- يجمع بين المادة الفلكية التراثية والمادة الفلكية الفضائية الحديثة والمعاصرة؛ استقصيت فيه ما استطعت أنْ استقصي من المواد الفلكية التراثية القديمة والمصطلحات والأعلام والكتب وأسماء النجوم والآلات الفلكية والمراصد والمادة الفلكية القرآنية، وغيرها مما وفرته المصادر الفلكية القديمة.

واستقصيت ما استطعت أن أستقصي من مواد فلكية وفضائية حديثة ومصطلحات وأعلام وكتب ومراكز فلكية ومراصد وبرامج فضاء وأقمار صناعية ومركبات فضائية، وغيرها، مما وفرته المصادر والقنوات العلمية الحديثة، رابطاً ما أمكن ربطه بين المواد التراثية القديمة والحديثة، ذاكراً المادة الفلكية الحديثة وما يناسبها من مادة فلكية قديمة، اقتطفتها من مصادر قديمة. فمثلاً، كتبت في مدخل (الكُسوف القَمري)= Lunar eclipse هكذا: "الخسوف القَمري هو دخولُ القَمر في ظل الكرة الأرضية، ويحدث الخسوف حينما يكون القمر بدراً، ويشاهد في جميع الأماكن التي يكون فيها القمر فوق الأفق...

عرفت الحضارة الإسلامية هذه الظاهرة علمياً، وسجل الفلكي المصري ابن يونس أرصاداً مهمة عن خسوف القمر في زيجه الكبير الحاكمي المعروف.

وتحدث عالم الطبيعة زكريا القزويني (المتوفى سنة 682 هجرية) عن الخسوف القمري بقوله: " وسببه توسط الأرض بينه (أي القمر) وبين الشمس، فإذا كان القمر في إحدى نقطتي الرأس والذنب..." عجائب ص 15.

ومثل هذا المدخل المداخل الأخرى، (إذا كان لها ما يناسبها من تراثنا الفلكي) وحين أذكر المصطلح الحديث كمدخل، أذكر له ما يناسبه من المصطلحات التراثية القديمة، لكي يرتبط الحاضر بالماضي.

فمثلاً: علم الفَلَك (astronomy) أذكر معه (علْم الهَيئَة).

والكسوف الحَلَقي (annular éclipse) أذكر معه (حلْقةُ النور).

ودائرة الكُسوف أذكر معها (فَلَك البروج) و(دائرة البروج).

والمَرصد (observatory) أذكر معه (بيت الرصد) و(دار الرصد) و(الرصد).

والمُذَنب (comet) أذكر معه ذو الذّنب، كوكب الذنب، كوكب الذؤابة، ذو الضفيرة، وغيرها.

والشهاب (meteor) أذكر معه الكوكب المنقض، والنجم المنقض، والنجم الهاوي.

والكواكب السيارة (planet) أذكر معها (السيارات) أو (الكواكب المتحيرة).. إضافة إلى ذلك، كثيراً ما يأخذ المصطلح التراثي مدخلاً مستقلا يحيل إلى المدخل الأساسي؛ وذلك لكي تتوافر للقارئ المصطلحات التراثية والحديثة في المعجم، ومن الأمثلة على ذلك:

حلْقَة النور، انظر: كُسوف حلَقي.

دائرةُ معدل النهار، انظر: خط الاستواءِ السماوي

بيت الرصد، انظر: المَرصد.

فَلَك البروج، انظر: دائرة الكُسوف.

ميل طَبيعي، انظر: جاذبية.

وعلى مستوى أسماء النجوم التراثية، وهي أسماء عربية قديمة في غالبها، جمعت بين الاسم الغربي الرمزي والاسم التراثي العربي، وذلك من خلا ل الإحالات.

ومن الأمثلة على ذلك:

ألفا الجَوزاء، انظر: منكب الجَوزاء.

بيتا الحَمل، انظر: الشرطان.

غاما الدب الأصغر، انظر: الفَرقَد.

دلتا الفرس، انظر: سرة الفرس.

إبسلون الدجاجة، انظر: الجناح.

وإضافة إلى الأسماء الأجنبية الكثيرة للفُوهات والمعالم الفضائية على سطح القَمر وعطارِد والزهرة والمريخ، كتبت مداخل لما تيسر لي من أسماء ومعالم وفُوهات عربية إسلامية فضائية، أذكر منها:

فُوهة البيرونـي، فُوهة ابن يونس، فُوهة الهازن (ابن الهَيثَم)، فُوهة البتانـي، فُوهة البطروجي، سهل سوريا، سهل سينا، وادي القاهرة، مرتفعات ليبيا، مذنب توفيق، مع الشرح اللازم لكل مدخل.

وعلى هذا الأساس تتوافر المصطلحات التراثيـ ـة والحديثة في المعجم، ويستطيع القارئ العربي والمسلم الحصول على المفردات والمصطلحات العربية القديمة والحديثة بيسر وسهولة.

وهذه الحالة نادراً ما نجدها في المعاجم والقوائم العربية للمصطلحات الفلكية، فالأغلب مترجم ويستخدم المداخل الأجنبية، التي كثيراً ما تفَوت على القارئ فرصة الحصول على المصطلح أو المادة التراثية الأصيلة، حتى لو كانت ضمن المادة المكتوبة.

إن المعاجم الفلكية العربية، وما قار ا من الكتب الفلكية، غالباً ما تركز على المادة الفلكية الحديثة المترجمة، دون إدراج مفردات أو مصطلحات فلكية تراثية، أو البحث عن مقابلات تراثية قديمة للمادة المترجمة، وهذا ما يفقدها الروح العربية والإسلامية الأصيلة.

لقد أردت (للمعجم الفلكي الشامل) أن يكون ذا طابع عربي – إسلامي، وقد ذكرت ذلك في مقدمة المعجم. أذكر نص ما ذكرت: "لقد أردت أن يكون ذا طابع عربي إسلامي، يقع في متناول أيدي العرب والمسلمين، في الدرجة الأولى، وخاصة أن كثيراً من مداخله عربية أصلاً تناولها الفلك الإسلامي" عن مقدمة المعجم الفلكي الشامل.

إضافات جديدة

لم يقتصر المعجم الفلكي الشاملُ على المادة الفلكية التراثية والحديثة المعروفة، وإنّما حاولت أن أُدخلَ مواد فلكية يمكن اعتبارها جديدةً لم تتوافر في المعاجم الفلكية التقليدية.

وفي مقدمة هذه المواد الجديدة استخراج مصطلحات فلكية قرآنية من خلال الآيات الكونية والفلكية القرآنية، من تلك التي لها دلالات فلكيةٌ صريحةٌ وواضحة، ومن هذه المصطلحات:

- آيات فَلَكيةٌ قرآنية
- انشقاق القمر
- مواقع النجوم
- السماءُ الدنيا

- السماوات السبع

- السماءُ والأرض، وغيرها.

ولكي أربط الكونَ بخالقه تعالى، وضعت مصطلحاً فلكياً جديداً باسم: (خالق الكَون) أو (الخالق) (The Creator of Universe) وقد كتبت هذه المادة من خلال العلاقة بين الخالق والكَون، دون الحديث عن جوانب أخرى عن الخالق عز وجل، وهذه المادة تتكون من 380 كلمة، أذكر منها: "... فالأوليات الأساسية التي تكون منها هذا الكونُ، والتي حددها علماء الفلك بأربع: المادة، والطاقة، والزمان، والمَكان، لا تكفي وحدها لتشكيل كون منظم ومتقن وحيوي كالذي نعيش فيه. إن وجود هذه الأوليات وحدها يعنِي وجود (فَوضى) أو كون غير منظم عشوائي؛ لأ ا تفتقر إلى قوة واعية..."

إضافة إلى ذلك، أدخلت مداخلَ جديدةً أخرى من قبيل:

(هواة الفَلَك) (مدرسة بغداد الفلكية) (مدرسة مراغة الفلكية) (بيت الحكمة) (مراصد المأمون) (تراثٌ فلكي) (كارثة تشالنجر) (كارثة كولمبيا) (دراري) (اهتداء بالنجوم) (كونٌ مضاد) (توقيت عربي) (أرض مقابلة) وهكذا...

ولم أترك القارئ على قراءة (المدخل الواحد) أو (المادة) وحسب، وإنما وفرت له، في اية المادة، إحالات تدفعه إلى مداخل أخرى لها علاقةٌ بمادة المَدخل الأساسي: (انظر أيضاً) وهذه المداخل الأخرى تحيل إلى مداخل جديدة، وهكذا. وذلك للحصول على تفاصيل أكثر عن الموضوع المقروء. وبذلك يصبح المعجم أشبه بالحاسوب المكتوب.

إضافة إلى ذلك، صممت عدداً من الجَداول الفَلَكية السهلة: جداول بأشهر علماء الفلك، العرب والمسلمين، وأخرى بأشهر علماء الفلك، الغربيين، وثالثة بأشهر المراصد الفلكية، ورابعة بأشهر المصادر الفلكية، وخامسة بأشهر الآلات الفلكية، وهكذا...

محاولة لتلافي الأخطاءِ والإشكالات

ليس هناك عمل كاملٌ، خالٍ من النقص، فالنقص حالة بشريةٌ لا ينجو منها أحد مهما كان، والكَمالُ لله تعالى وحده.

وضمن هذه الحالة البشرية العامة تتفاوت الأعمال في الدرجات بين رديء وجيد وجيد جداً وممتاز وأكثر. وهذا أمر بديهي ومتوقع في أي عمل يقوم به إنسان، ولذا سوف لا نعثر على معجم فلكي كامل خالٍ من النقص، أو أي عمل آخر، ولا أستثني (المُعجم الفَلَكي الشاملَ) ولاَ أي معجمٍ فَلَكي مستقبلي، لاحق. لكن لا بد من الاستفادة من الأخطاء السابقة.

لقد تابعت ما توافر من مواد ومفردات ومصطلحات فلكية في المراجع العربية، ووجدت الخير الكثير المتمثل في جهود ا امع والمؤسسات العربية والباحثين المتخصصين في اللغة العربية والعلوم.

وإلى جانب ذلك، هناك النقص الواضح المتمثل في الاستعمالات غير الصحيحة، أو غير الدقيقة، للمفردات الفلكية.

فعلى مستوى الفَلَك الحديث، نجد، في كثير من الأحيان، ترجمات إلى العربية، غير دقيقة أو غير صحيحة أو مضطربة. فكثيراً ما تترجم المُصطلحات الفَلَكيةُ إلى معان عادية غَير فَنية، بعيدة عن الطبيعة المصطلحية لهَا.

ومن الأمثلة على ذلك:

(Fireball) ترجِمت إلى (نيـزك براق جداً)، والأدق (شهاب وهاج).

(Flare star) ترجِمت إلى (نجم مشتعل)، والأدق (نجم اندلاعي).

(airglow) ترجِمت إلى (ضوء السماء)، والأدق (وهج هوائي) أو (توهج هوائي)، أو يبقيها المترجم نفسها ولكن باللغة العربية، ومن الأمثلة على ذلك:

(Trojans) ترجمت إلى (تروجان)، والأدق (الكويكبات الطروادية، أو اللاطروادية).

(cepheid) ترجمت إلى (نجم سيفيد، والأدق (نجم قيفاوي) تابع إلى كوكبة قيفاوس (cepheus) المعروفة.

وهناك مفردات أجنبية لها مقابلات عربية أصيلة، منها مثلاً:

(Andromeda galaxy) ترجمت إلى (مجرة اندروميدا)، في حين يقابلها في تراثنا الفلكي (المرأة المُسلْسلة).

(Parallax) ترجِمت إلى (الانزياح الظاهري)، في حين لها مصطلح تراثي هو: (اختلاف المَنظَر)

(aphelion) نقلها بعضهم إلى (ا يليون) أي نفسها، في حين لها مقابل تراثي هو: (نقطة الرأس).

(deferet)نقلها بعضهم إلى نفسها (ديفريت) في حين تقابلها مادة تراثية هي: (فَلَك حامل)، ومثلها: (epicycle) نقلها بعضهم نفسها (ابيسيكل)، في حين يقابلها مصطلح: (فلك التدوير).

وهناك أسماء أو مصطلحات عربيةٌ أصيلة انتقلت إلى الغرب صحيحة أو محرفةً، ثم ترجمت إلى اللغة العربية، ودخلت قاموس الفَلَك مشوهةً وكأ ا مصلحات غير عربية أصلاً، منها مثلاً:

(الكوكب) (Kochab) (وهو (نجم) أنور الفرقدين التابع لكوكبة الدب الأكبر (Ursa major)، ترجمت بعد رحلتها ورجوعها إلى (خوشاب)، ومن المفروض أن ترجع إلى (كوكب). وهذا ما نص عليه أحد القرارات الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إذ يقول: "الكلمات العربية التي نقلت إلى اللغات الأجنبية وحرفت، تعود إلى أصلها العربي، إذا ما نقلت إلى العربية مرة أخرى..."

ومن الأمثلة على ذلك: الدبة أو الدب (Dubhe) ترجمت إلى الد ي، والمفروض أن ترجع إلى أصلها (دبة).

المأمون (Almanon) هكذا كتبت وترجمت: (المانون)، والمفروض أن ترجع إلى أصلها (المأمون)، وهي كلمة واضحة جداً.

العرضي (ardi) ترجمت (الاردي) والمفروض أنْ ترجع إلى أصلها (العرضي) (نسبة إلى عرض في سورية).

أسطُرلاب (astrolabe) ترجمت إلى (استرولاب)، والمفروض أن ترجع إلى استخدامها العربي (أسطُرلاب).

بطْلَيموس (Ptolemy) ترجِمت إلى (بتوليمي)، والمفروض أن ترجع إلى استخدامها العربي (بطْلَيموس)

وهكذا كلمات كثيرة جداً لا مجال لذكرها.

وفي المُعجم الفَلَكي الشامل، حاولت-ما أمكنني- انتقاء المقابل الدقيق للمفردة المترجمة، استناداً إلى المتوافر أو الممكن في اللغة العربية، أو أبقي المصطلح الأجنبي على حاله، إذا لم يكن له مقابل مناسب أو قوي بقوته وشهرته.

مثال ذلك:

التلسكوب (telescope) وهي كلمة أو مصطلح مشهور، لم ينافسه مصطلح عربي في القوة والشهرة، فوضعته مادة أساسية، ولم أغفل المقابلات (المرقب) و(المقراب)، فوضعتها إلى جانبها، ثم أفردت لها مداخل مستقلة تحيل إلى المادة الأساسية: المرقب، انظر: تلسكوب. ليستطيع القارئ الحصول على المادة من المَدخلين.

إشكالات ومعوقات

وككلِّ عملٍ علمي يراد أن يكونَ متقناً وناجحاً، لم يخلُ من المعوقات والصعوبات والإشكالات، ولو كان ترجمة لهان الأمر، لأن الخطة والفكرة والموضوع جاهزةٌ على الأقل.

لكن في حالة إعداد أو إنشاء أو تصميم معجم فلكي عربي شامل، لا بد من خطوات إضافية: كالجمع والاختيار وتقدير المساحات المناسبة لكل مادة وكتابة المادة المهمة أو الشهيرة أو المتوافرة دون غيرها، وأمور أخرى يكون المعجم المترجم في غنى عنها.

ومن المشاكل الأساسية التي واجهتني في العمل مسألة (المداخل)، فهل الأفضل أن تكون (المادة) عربيةً أو أجنبية؟ وبالطبع فإن المدخل الأجنبي أسهل لمعجم فلكي حديث، وذلك لاستقرار المصطلح الفلكي الأجنبي (الإنجليزي) وعدم استقرار المصطلح العربي.

لكن (المعجم الفلكي الشاملَ) ذو طابع عربي تراثي إسلامي، وعلى هذا الأساس كان لزاماً عليّ أن أجعل المدخل مادة عربية، ومن هنا تأتي المشكلة والصعوبة، فهناك الكثير من المصطلحات الفلكية العربية غير مستقرة، فالمصطلح الأجنبي الواحد قد تتعدد أمامه المصطلحات العربية المناسبة.

ومثاله: (supernova) فمقابل هذا المصطلح الشهير مصطلحات عربية شهيرة أيضاً، أذكر منها: المُستعر الأعظم، المُتفَجر الأعظم، المتجدد الأعظم، الفائق التجدد، النجوم الموقتة فوق الجديدة وأسماء أخرى، فأي هذه المصطلحات أقرب إلى القارئ؟ ومن المشاكل الأخرى تعدد اسم النجم الواحد في تراثنا الفلكي.

فمثلاً يذكر الصوفي عدة أسماء لنجم (الدبران) (Aldebaran)، وهي:عين الثور، تابع النجم، تالي النجم، حادي النجم، المجدح، الفنيق، وفي الفلك الحديث ألفا الثور(Alpha Tauri).

وأحياناً يدل (اسم معين) على نجم معين، وفي الوقت نفسه يدلّ هذا الاسم على (كوكبته). ومثاله:(الحَمل) (Hamal) وهو أحد نجوم برج الحَمل،و الحَمل (Aries) برج أو كوكبةٌ من كوكبات السماء المعروفة.

وأحياناً أخرى اسم معين يدل على نجم يقع في كوكبة معينة، والاسم نفسه يدل على نجم آخر يقع في كوكبة أخرى، ومثاله: نجم (الطرف) الواقع في كوكبة السرطان، وهناك نجم آخر اسمه (الطرف) أيضاً يقع في كوكبة الأسد.

وأحياناً أخرى، اسم لنجم أقرب إلى الوصف منه إلى الاسم المحدد أو المصطلح، ومثاله: (المُقَدم في يد الحواء اليسرى)، وفي المصطلح العربي يختصر بـ (دلتا الحواء)، ومثله (المُؤخر في يد الحواء اليسرى)، وفي المصطلح الغربي يختصر بـ (إبسلون الحواء). وفي مقابل بعض المصطلحات الفلكية الحديثة، لا تجد مصطلحاً أو اسماً محدداً، وإنما هناك جملة أو شرح لمدلول المادة أو الظاهرة، ومثاله: تقَدم الاعتدالَين: (Precession of equinoxes) ويقابله

في التراث الفَلَكي الإسلامي: "حركة الكواكب الثابتة لزيادة أطوال هذه الكواكب بسببها".

وهناك صعوبات ومشاكل أخرى لا مجال لذكرها.

يبقى أن أقول: إن مثل هذا العمل بحاجة إلى مؤسسة تقوم به أو تساهم في إنجازه، مؤسسة تقوم بمستلزمات العمل الأساسية، سواء باستحصال المعلومات النادرة والصعبة، كتوفير المعلومات المُتعلقَة ببعض المؤسسات والمراصد في البلاد العربية التي يصعب على الفرد الحصول عليها، وتوفير أسماء أعلام الفَلَك العرب المعاصرين، أو توفير نفَقَات العمل واستمراره.

لقد قمت ـذا العمل وحدي، دون أن يشاركَني أحد في دعمه ودفعه إلى الظهور؛ ولذلك استغرق مني (أربع سنوات) من العمل المتواصل، متفرغاً تاركاً أي عمل سواه. وأظنه (نواةً مخصبة) لعملٍ أكبر وأكثر تطوراً إذا ما وقفت وراءه مؤسسة علمية وثقافية.

وأخيراً، فهي محاولةٌ جادة لتوفير مادة فلكية معجمية دقيقة، جاهزة، ومصطلح فلكي عربي (محرك بالشكل) استناداً إلى مصادر الفلك الأم.

وبالتالي هو معجم فلكي عربي شاملٌ بِنفَسٍ عربي إسلامي، لا غربي، يذَكر القارئ بالإنجازات الفَلَكية الكُبرى التي قدمتها حضارتنا العربية الإسلامية إلى العالم أجمع.

ويسعدنِي جداً أنْ أتلقّى ملاحظات السادة العلماء والباحثين والقراء، على هذا العمل، لِأُصحّح ما وقع فيه من أخطاء أو إشكالات أو اقتراحات، في سبيل عمل أكثر تطوراً وأكثر شمولاً.

الحركة النقدية في المعاجم اللغوية العربية القديمة، وقضية التقريب والاستعمال*.

أ. عبد الإله الربون (*)

فن صناعة المعاجم، علم توارثه العرب منذ مئات السنين، أنشأه علماؤهم تحت وقع تحول عظيم حدث في اللغة العربية بفعل نزول القرآن الكريم، المعجزة التي تحدت شعراء العرب وخطباءهم، ببلاغة أسلوبه وقوة إقناع خطابه. فانبرى علماء التفسير لشرح هذا الخطاب السماوي، فشكّلوا بذلك الطلائع الأولى للدرس اللغوي العربي، والنواة لإنشاء فرع من فروع علم اللغة، وهو علم المعجم بشقّيه النظري والتطبيقي، وذلك من خلال شرحهم لغريب القرآن ولغريب الحديث.[1]

فكانت الرسائل اللغوية[2] بما تضمنته من قوائم طويلة من الكلمات بشروحها وتعاليقها، أحد الروافد الأساسية للتهيئ لبناء أول معجم في تاريخ العربية، وهو كتاب "العين"[3] للخليل بن أحمد الفراهيدي[4] (ت175هـ)، ليتم بذلك الانتقال من مرحلة الجمع والتدوين إلى مرحلة البناء والتأليف الممنهج، وفق مقاييس ومعايير محددة ودقيقة.

والمتتبع لتاريخ التأليف المعجمي عند العرب، لابد وأن يقر بأن هذا العلم قد بني على قواعد وأسس متينة قامت عليها مدارس معجمية،[5] تنوعت بتنوع النظريات في صناعة المعاجم، انطلاقا من القرن الثاني وإلى حدود القرن الثالث عشر الهجري، مما يدل على المستوى المرموق الذى بلغه هذا العلم عند العرب .

وكأي علم بلغ درجة من النضج، لابد وأن يعرف حركة نقدية نشيطة تليق بهذا المستوى. وهذا ما تشهد عليه مقدمات المعاجم اللغوية العربية القديمة، إذ إنه بتصفحنا لعدد منها، نلمس جوانب هامة من القضايا التي شغلت الفكر النقدي عند المعجميين القدامى. لقد بدأت حركة النقد المعجمي مبكرا لأول عمل معجمي، بمفهومه الكامل والشامل، وهو كتاب "العين" للخليل بن أحمد، وذلك من خلال ما جاء به أبو بكر بن دريد[6] (ت 321هـ)، صاحب كتاب "جمهرة اللغة"[7]، في مقدمة حديثه عن قيمة عمل الخليل وأثره في التأليف المعجمي. والظاهر أن ابن دريد قد أعجب بكتاب "العين" إعجابا شديدا، إلى درجة أنه منح صاحبه التفوق المطلق على غيره في هذا المجال: "والمُنصف له بِالغلَبِ معترف والمُعانِد متكلف، وكُل من بعده له تبع، أقَرّ بِذَلك أم جحد"[8]. وابن دريد، وإن كان يقر بالكفاءة العلمية، وبالقدرة الهائلة على التأليف المحكم للخليل، وأن له قصب السبق في هذا المجال، إلا أنه يشير إلى بعض جوانب التعقيد في منهجه، وإلى صعوبة الكشف عن

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الأول - وجدة

الكلمات في كتاب "العين". يقول ابن دريد: "وألف أبو عبد الرحمان الخَليلُ بن أحمد الفراهيدي رضوانُ الله عليه كتاب "العين"، فَأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى نِهايته ...ولكنه رحمه اللّه ألّف كتابه مشاكلاً لثُقُوبِ فَهمه، وذَكَاءِ فِطْنته، وحدة أَذْهان أَهلِ عصره"[9].

وإذا كان الخليل قد وضع اللبنة الأولى في هذه الصناعة بتأليفه لكتاب "العين"، فإن ابن دريد، من خلال حديثه عن صعوبة منهج الخليل في ترتيب وتبويب المعجم، قد سعى إلى تقديم تصور جديد في المنهج، يستبدل به نظام الترتيب الصوتي المبني على مخارج الحروف، الذي يتطلب خبرة ومعرفة واسعتين بعلم الأصوات العربية، خاصة في مسألة التقاليب، بنظام أسهل وأيسر والمتمثل في نظام الترتيب الهجائي الألفبائي، الذي لا يستدعي جهدا كبيرا في استيعابه، ويعرفه العامة والخاصة. يقول ابن دريد: "فَسهلْنا وعره ووطّأنا شأزه، وأجريناه علَى تعريف الحروف المُعجمة، إذْ كَانت بالقُلُوبِ أعبق، وفي السماعِ أَنفَذَ، وكَانَ علْم العامة بِها كَعلْمِ الخَاصة، وطَالبها مِن هذه الجهة بعيداً من الحَيرة مشفياً علَى المُراد". [10]

لقد أراد ابن دريد، باختياره للترتيب الهجائي الألفبائي، أن يكون معجمه سهل المنال لجميع من يرغب في تصفحه، وكأن الرجل أحس بضرورة هذا النوع من التأليف، وأهميته في تعلم العربية، وفي تثقيف المجتمع، وأن معجم "الجمهرة" لم يوضع لفئة معينة، وهم العلماء، بل للناس كافة. وهذا تطور مهم في التفكير المنهجي، وفي طريقة صناعة المعجم.

إن فكرة تيسير المعجم لا تقتصر على ترتيب المداخل فحسب، بل تتعداه إلى إعادة النظر في مادة المعجم نفسها، وهي المسألة الثانية في نقد ابن دريد لكتاب "العين". ذلك أن الخليل أراد أن يستقصي في معجمه كلام العرب كله، المعروف منه والغريب النادر، شريطة أن تكون العرب قد نطقت به أو ثبت لديها: "وبدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب." [11] وبالتالي فالألفاظ المعروفة والغريبة عنده سواء، من حيث الأهمية، ولم يفصل بينها في الأبواب؛ في حين أن ابن دريد لم يعر اهتماما للغريب والوحشي المستنكر، وفضل عليها الواضح والمعروف من الألفاظ. فكان مصير الكلام الغريب والنادر أن ضمنه بابا في آخر كتاب "الجمهرة": "وجمعنا النوادر في بابٍ اشتملَ عليها وسميناه النوادر لقلة ما جاء على وزن ألْفاظها...على أنا ألْغينا المستنكر واستعملنا المعروف"[12].

لقد هدف ابن دريد من خلال اختياره للكلام الشائع والمشهور، وإهمال النادر من الألفاظ، إلى تقريب المعجم من الناس، وجعله وسيلة وأداة طيعة بين أيديهم. وهذه نظرة جديدة لدور المعجم وأهميته في توعية المجتمع. يقول ابن دريد: "هذا كتاب جمهرة الكلام واللغة ومعرفة جملٍ منها تؤدي بالناظرِ فيها إلى معظَمها إن شاء اللّه تعالى...وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجُمهور من كَلامِ العربِ وأرجأنا الوحشي المستنكر..."[13].

إنّ فكرة تيسير المعجم وتقريبه من مستعمليه، فكرة سوف تتبلور بشكل أكثر وضوحا مع علَم آخر من أعلام فن الصناعة المعجمية العربية القديمة، وهو أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا[14] (ت

395هـ)، صاحب معجم " مجمل اللغة"[15]، وذلك في النقد المباشر الذي سيوجهه إلى عمل الخليل، مبرزا بعض الجوانب السلبية في منهجه من حيث اختيار وجمع مادة "العين"، والطريقة التي تمّ ا توزيع المداخل على الأبواب. يقول ابن فارس في مقدمة "ا مل": "إني لمّا شاهدت كتاب "العين" الذّي صنفه الخليلُ بن أحمد، ووعورة ألفاظه وشدة الوصول إلى استخراج أبوابه، وقصده إلى ما كان يطّلع عليه أهلُ زمانه الذين جبِلُوا على المعرفة ولم يتصعب عليهم وعورة الألفاظ ..."[16]. إنّ المتمعن في هذا النص، يلاحظ للوهلة الأولى الفرق بين ابن دريد وابن فارس في كيفية تناول قضيتي جمع مادة المعجم ووضعها في كتاب "العين".

فإذا كان ابن دريد يتحدث إجمالا عن "العـين"، مكتفيا بالتلميح إلى هفوات الخليل في الجمع والبناء، فإنّ ما جاء به ابن فارس يدل على أننا أمام رجل متمـرس في دراسة وتحليل العمل المعجمي، له نظرة متبصرة، متفحصة في تناول الجوانب الهامة في عمل الخليل. لقد قصد قصداً إلى عمودي البناء المعجمي، وهمـا: الجمـع والوضـع، فتحدث عن وعورة اللفظ، وهو تعبير واضح وصريح عن الإشكالية التي تمثلها نوعية المادة المعجمية الواجب تداولها في معجم القرن الرابع الهجري، ومدى استيعاب النـاس لهذه المادة وتجاو م معها، خاصة وأن علماء ذلك العصر -مع كثر م-[17] وهم أصحاب الحلّ والعقد في شـأن اللغة، قد تجاوزوا مسألة تدوين اللغة وتقـنين القواعـد واستنباطها، كمرحلة حتمية لحفظهـا وحمايتـها مـن الاندثار، إلى مرحلة التفكير في كيفية جعل اللغة العربيـة في خدمة مستعمليها، في عصر رقّـت فيـه الحضـارة وانفتحت العربية على علوم وثقافات شـعوب أخـرى. فكان لزاما على هؤلاء العلماء ج مسلك "التقريـب والإبانة".

يقول ابن فارس في هذا الصدد في كتاب الجيم وهو قسم من أقسام "ا مل": "هذّا كتاب الجيم مـن مجمل اللغة، قد ذَكَرنا فيه الواضح من كَلامِ العـربِ والصحيح دونَ الوحشي المستنكَر، ولم نألُ في اجتباءِ المشهورِ الدالِ على غَريبِ آية أو تفْسِير حـديث أو شعر. والمتوخى في كتابِنا هذا من أولـه إلى آخـره، التقْريب والإبانةُ عما ائْتلف من حروف اللغة فَكَـانَ كَلاماً، وذكْر ما صح من ذَلك سماعاً وعن كتابٍ لا يشك في صحة نسبه".[18]

إنها نظرة جديدة إلى العمل المعجمي، عمـل ينتفي فيه الغموض ويسوده الوضوح القـائم علـى اختيار اللفظ الصحيح والمشهور، خدمة لتطور العربية وتيسيراً على طالب المعجم. فيكون بذلك ابن فارس قد حقّق قفزة نوعية في تقدم فن صناعة المعجم علـى الطريق الصحيح.

ويتحدث ابن فارس في نقده لمنهج الخليل في "العين" عن "شدة الوصول إلى استخراج أبوابه". وفي هذا انتقال من الحديث عن طبيعة مادة المعجم وسبل جمعها إلى الحديث عن مسألة الوضع وطريقة توزيـع هذه المادة داخل المعجم. لقد مثّل معجم "مجمل اللغة" إلى جانب "المقاييس"، و"الجمهرة" لابن دريد، مرحلة التجديد الهادف في المعجم العربي القديم بعد ما أبدعه الخليل في كتاب "العين". إلا أن نظرية الخليل في بناء المعجم، قد تجوزت نظرا لما أفرزته مـن صـعوبات وعقبات في وجه مستعملي هذا النوع من التأليف.

لقد كان اختيار ابن دريد للترتيب الألفبائي، الذي اعتبره الخليل تعليميا ولا يستند إلى التجربة العلمية، تحولا مهما في بناء المعجم وفي طريقة التعامل معه. إذ لم يعد متداولو المعجم مضطرين إلى اكتساب المعرفة الكافية بأصوات العربية ومخارج حروفها والوقوف على مكانها في الترتيب الصوتي الخليلي، ولا أن يكونوا على علم بالرياضيات حتى لا يخطئوا في تقاليب حروف الكلمة الواحدة ومعرفة أي هذه الحروف أسبق على الأخرى وأعمق منها مخرجا. ناهيك على توفر الدراية التامة بأبنية الكلم العربي حتى يمكن تحديد الأبواب التي تنتمي إليها تلك الأبنية. إنّ هذا الطريق الطويل والمسلك الصعب في الكشف عن الكلمة في "العين"، نفّر الناس من تداوله ومالوا إلى ما أبدعته المدرسة الألفبائية التي حدد معالمها الكبرى ابن دريد في "الجمهرة"، وبلورها وفصل فيها ابن فارس من خلال تأليفه "المجمل".

يقول ابن فارس عارضا لمنهجه في ترتيب مداخل معجمه: "...ومنها حسن ترتيبه، وفي ذلك توطئة سبيل مذاكرة اللغة، ومنها أمنة قارئه المتدبر له من التصحيف، وذلك أني خرجته على حروف المعجم، فجعلت كل كلمة أولها ألف في كتاب الألف، وكل كلمة أولها باء في كتاب الباء، حتى أتيت على الحروف كلّها، فإذا احتجت إلى الكلمة نظرت إلى أول حروفها فالتمستها في الكتاب الموسوم بذلك الحرف، فإنك تجدها مصورة في الحاشية، ومفسرة من بعد".[19]

إن ابن فارس من خلال هذا النص، يقدم لنا صورة كاملة عن طبيعة ترتيب المعجم الذي يريده لقراء القرن الرابع الهجري، عماده الترتيب الألفبائي وغايته تسهيل أمر تناوله وترغيب الناس فيه وإقبالهم عليه. لقد جدد في منهج ابن دريد، الذي رغم تحوله عن الترتيب الصوتي، لم يستطع تجاوز فكرة الاستيعاب عند الخليل، وذلك بإبقائه على فكرة التقاليب لحصر الكلم العربي. فجاءت مادة معجمه وافرة غزيرة، مما دفع ابن فارس إلى انتقاده في هذه المسألة: "ورأيت كتاب الجمهرة الذي صنفه أبو بكر بن دريد، وقد وفّى بما جمعه الخليلُ وزاد عليه، لأنه قَصد إلى تكْثيرِ الألفاظ، وأراد إظهار قُدرته، وأنْ يعلم الناظرين في كتابِه أنه قَد ظَفر بما سقَطَ عن المتقدمين وإنْ كَانَ قَصب السبقِ مسلماً لَهم، لأن بِناءَ المتأخرِ علَى ما قَدموه".[20]

إن نقد ابن فارس لطريقة ابن دريد في جمع مادة كتابه، يستند على رفضه لفكرة الاستيعاب التي يرى أنها لا تفيد المعجم كثيرا، وتثقل على متداوله، وتجعله يتيه بين الكلمات الغزيرة والشروح المملّة والشواهد الطويلة. خاصة وأن سبب التكثير من الألفاظ -كما يوضحه ابن فارس- سبب غير مقنع إذ الأمر لا يعدو أن يكون رغبة من ابن دريد في إظهار تفوقه على أستاذه في استيعاب كلام العرب.

إن نظرة ابن فارس المجددة لشكل المعجم ومضمونه، تختلف عن تلك النظرة التي رسمها سلفه في "الجمهرة". لقد سعى إلى إخراج معجم يقوم أساسا على السهولة والإيجاز في بسط مادته : "...وسألتني جمع كتاب في ذلك، يذَلّلُ لك صعبه ، ويسهلُ عليك وعره، أنشأت كتابي هذا بمختصرٍ من الكلامِ قريب، يقل لفظُه، وتكثُر فوائده، ويبلغ بك طرفاً مما أنت ملتمسه، وسميته مجمل اللغة، لأني أجملْت الكلام فيه

إجمالا، ولم أُكثره بالشواهد والتصاريف، إرادة الإيجـاز. فمن مرافقه قُرب ما بين طَرفَيه، وصغر حجمه..."[21]

هذا هو إذن الشكل الجديد للمعجم الذي يقدمـه ابن فارس لرواده. معجم يختصر كلام العرب المختار من السهل القريب من الأفهام، القليل الألفـاظ والشـواهد والتصحيف، الكثير الفوائد، يجد فيه طالبه مبتغاه. وهو إلى هذا كله صغير الحجم، قد أجمل فيه الكلام إجمالا.

إن ابن فارس بهذه المعايير المحددة التي وضعها لبنـاء معجمه، قد انتقل من فكرة الاستيعاب التي تسعى إلى جمع أكبر قدر ممكن من اللغة، إلى فكرة الاستخدام التي تأخذ بعين الاعتبار أولا وآخرا مستعملي المعجم: "ومعنى ذلك أن فكرة الاستيعاب والشمول والحفظ للغة قد تراجعـت وحل محلّها فكرة الاستخدام؛ أي أننا أمام معجم يؤلـف لأول مرة في تاريخ المعاجم العربية للاستعمال لا لحفـظ اللغة، كما أنه أيضا، ولأول مرة يأخذ في الحسبان رغبـة المستعمل لهذا المعجم، أي أننا أمام معجم مختصر سـهل الاستعمال".[22]

إن فكرة الاستعمال - بمفهومها الشـامل- لم تكن قطعا، واردة لدى الخليل عند تأليفه لمعجم "العين"، إذ كان حرصه على جمع اللغة وتقنينها أكبر بكثير مـن حرصه على إيصالها إلى مستعملي معجمه. لقد حاول كل من ابن دريد وابن فارس تحديد نوعية الشريحة البشرية التي استعملت كتاب "العين"، وهم فصحاء العرب وعلمـاء اللغة ورواتها والمشتغلون بها، الذين تميزوا بحدة الأفهام على حد تعبير ابن دريد[23]. ولقد فصل ابن فـارس في الحديث عن قراء معجم العين بقوله: "وقَصده إلى ما كان يطلع عليه أهل زمانه، الذين جبلوا علـى المعرفـة ولم يتصعب عليهم وعورة الألفـاظ".[24] وإذن فقـراء الخليل أناس ألفوا العربية البدوية، وتَمرسوا بها وعرفوها حق المعرفة، بحيث لم يتحرزوا من تداولها ولم يجـدوا مشقةً في فهم غريب ألفاظها، كما وجدها مستعملو المعجم في القرن الرابع الهجري.

إنّ ابن دريد عندما يستعمل عبـارة "أهـل عصره"، ويستعمل ابن فارس عبارة "أهـل زمانـه"، فإنهما يشيران إلى قضية هامة في المعجم وهي قضـية زمن استعمال المعجم ومدى صلاحيته لبيئته . لقـد مضى أكثر من قرنين على ظهور معجـم "العـين"، تغيرت فيه الأذواق وتبـدلت الطبـائع وتفاوتـت مستويات الثقافة واختلفت عما كانت عليه في القرن الثاني الهجري، فلم يعد الناس يستأنسـون بالألفـاظ الوعرة أو يتبارون في صياغة الأساليب القديمة، بـل مالوا إلى استعمال لغة عربية تتمتـع بمرونـة كافيـة لتواكب تطور الفنون والآداب، خاصة فن الترجمة التي ازدهرت واستدعت مخزونا مهما مـن المصـطلحات والتعابير الجديدة لنقل علوم الدنيا وآدابها آنذاك. لقد وعى كل من ابن دريد وابن فارس أهمية عنصر ملاءمة المعجم لبيئته في تطوير اللغة وتقويمهـا، خدمـة لهـا ولمستعملي هذا النوع من التأليف.

لقد تبلور هذا الوعي وترسـخ في أذهـان معجميينا بشكل واضح، في القرن الثامن الهجري، من خلال أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكـرم بـن منظور[25] (ت 711 هـ)، وهو العلامـة اللّغـوي الموسوعة، في مقدمة معجمه "لسـان العـرب"[26]؛ عندما أشار إلى ابتعاد الناس عن المعاجم الـتي تبنـى أصحابها نظام الخليل وإهمالهم لها بسبب التعقيد وسوء

الترتيب الذي اعتراها عند وضع موادها اللغوية.

لقد وجه ابن منظور نقدا شديدا لعلَمين من أعلام مدرسة الخليل هما: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري [27] (ت 370هـ)، صاحب معجم " ذيب اللغة"[28]، وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده[29] (ت 458 هـ)، صاحب معجم "المحكم والمحيط الأعظم"[30]. لقد عاب عليهما المسلك الذي اتبعاه في ترتيب المداخل وتقسيم أبواب المعجم. يقول ابن منظور قاصداً "التهذيب" و "المحكم": "غير أنّ كلا منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذباً وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعاً ومنعهم منه؛ قد أخر وقدم، وقصد أن يعرب فأعجم. فرق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب، فأهمل الناس أمرهما، وانصرفوا عنهما، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما. وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب." [31]

لقد ميز ابن منظور، وهو يحاول وضـع مبـادئ وأسس المعجم العربي، بين صنفين من مؤلّفي المعـاجم، صنف أحسن جمع مادة المعجـم ولم يحسـن وضـعها، وصنف أحسن وضـع المـادة في المعجـم ولم يحسـن جمعها[32].

والظاهر أنّ كلا من الأزهري وابن سيده ينتميان إلى الصنف الأول من مؤلّفي المعاجم الذين أحسنوا الجمع ولم يحسنوا الوضع، بدليل أنّ ابن منظور، في أسطر سبقت، قد أثنى الثناء الجميل على ا هود الذي بذله الرجلان في جمع مادتي معجميهما "التهذيب والمحكم"، وأدرجهما ضمن أمهات الكتب في اللّغة: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من " ذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من "المحكم" لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق." [33] ثم إنّ وصف ابن منظور لمادتي "التهذيب والمحكم" بالمورد العذب والمرعى المربع هو بمثابة شهادة تقدير وإعجاب منه، لا ينالها إلا من ثبتت لديه الاستطاعة على انتقاء العربية درايةً. ولعلّ هذا التقدير والإعجاب، كانا سببا كافيا دفع ابن منظور إلى انتقاد طريقة الوضع هذه بشدة، لحجبها تلك الثروة اللّغوية المُتضمنة في المعجمين عن الناس ومنعهم من الاستفادة منها. إنه كذلك تعبير عن القطيعة التامة التي أقّر ا مدرسة القافية، وابن منظور أحد أقطا ا، مع النظام الصوتي ونظام الأبنية والتقاليب الذي أسس له الخليل في القرن الثاني الهجري، وسار على دربه الأزهري وابن سيده في القرنين الرابع والخامس الهجريين. وهي الفترة التي عرفت ظهور ثلاث مدارس معجمية إلى جانب مدرسة الخليل، وهي: مدرسة الألف بائية مع الأبنية والتقاليب لابن دريد وابن فارس، ومدرسة القافية لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي[34] (ت 350 هـ)، صاحب كتاب "ديوان الأدب" وأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري[35] (ت 400 هـ)، صاحب معجم "تاج اللغة وصحاح العربية"[36]، ومدرسة الألف بائية العادية لأبي المعالي محمد بن تميم البرمكي[37] (ت 433 هـ)، صاحب "المنتهى في اللغة"؛ وإن كان هذا النظام قد عرف منذ القرن الثالث مع أبي عمرو

الشيباني[38] (ت 206هـ)، في كتابه "الجيم".

هذه المدارس كلّها، ساهمت، بشكل أو بآخر، في تطوير العمل المعجمي من حيث الوضع. ويبدو أن الأزهري وابن سيده لم يأخذا بهذه التجارب في ترتيب المادة داخل معجميهما، ووقفا عند أول تجربة تعرفها العربية في هذا النوع من التآليف. وقد كانت لها ظروفها وأسبابها الموضوعية التي أفرزتها آنذاك، والتي لم يكن ليستمر أثرها باستمرار تطور اللغة وتغير أذواق الناس وثقافاتهم. إنّ غلبة صنعة النحو والتصريف عليهما جعلتهما يغفلان حاجة الناس إلى ما خلّفاه في مجال اللغة، وإلى جني ثمار المجهود الذي أنفقاه في جمع الكلم العربي وشرحه وتقصي الصحيح منه، درءاً للشوائب والتصحيف وحماية له من الاندثار.

إنه القصد الذي سعى إلى تحقيقه الأزهري في التهذيب، مثلا، حين يقول: "وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أُدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالتها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغتم عن سننِها، فهذّبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطإ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب".[39] إنّ الأزهري بهذا العمل قد خدم العربية، إلا أنه لم يخدم مستعملي المعاجم، ولم يفدهم كثيرا.

وهذا ما دفع ابن منظور إلى أن يصرح بفساد منهج الخليل، وبعدم صلاحيته في القرن الثامن الهجري الذي هو عصره، لما يسببه نظام الأبنية والتقاليب من التباس وغموض (العجمة)، ومن تشتت الذهن وتبدد الفكر. وبين هذا وذاك يضيع المطلوب الذي هو الوصول إلى الكلمة وإلى شرح معانيها. إنّ المطلوب هنا كذلك هو تحقيق الغاية المرجوة من تأليف المعجم وهي التقريب أولا، والاستعمال ثانية. وهذا ما لم يحقّقه أتباع الخليل. وعليه فإنّ الفساد الذي يقصده ابن منظور ليس هو فساد المنهج في حد ذاته، ولكن الفساد يكمن في الاختيار ومحاولة تطبيق هذا الاختيار في عصر اشتد فيه الصراع بين غرب صليبي طامع متجبر، وبين شرق غني بحضارته وقيمه وثقافته، ضعيف بساسته وحكّامه. فكان لزاما على علماء العربية، وهم من الطبقة المثقفة الواعية، أن يلملموا شتات هذه اللغة، وأن يشدوا من عضدها، بعد أن دخلها اللحن، وزاحمتها لغات أجنبية كطلائع للغزو الاستعماري.

يقول ابن منظور واصفا واقع حال العربية في عصره: "وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً...، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير العربية يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك، وقومه منه يسخرون".[40] أمام وضع ثقافي كهذا الذي يصفه ابن منظور، وجب على علماء العربية، ومنهم المعجميون خاصة، أن ينهجوا منهج التيسير ليرغّبوا الناس في تعلّم العربية والإقبال عليها؛ وكان اختيار نظام القافية، أحد تلك السبل الموصلة إلى تحقيق الغاية المرجوة.

إنّ ابن منظور لم يكن مبالغا حين شبه معجمه لسان العرب بفلك نوح، ذلك أنه لم يكتف بشرح

مفردات اللغة والوقوف ا عند حدود التعاريف، بل تخطّاها إلى علوم ومعارف أخرى، جعلت من معجمه موسوعة لغوية، حافظت على حضارة لغة العرب والمسلمين. ولم يكن لِفُلْك ابن منظور هذا، أن يبقى صامدا في وجه رياح الغزو الاستعماري، ونوائب الدهر العاتية، لو أنه اتبع منهج التعقيد والغموض في وضع مادته؛ لأن مصيره سيكون الموت لا محالة، ذلك أنّ المعجم لا يحيى إلا بقرائه وبدو م يموت، وينقطع ذكره. ويبدو أنه الهدف الذي سعت إلى تحقيقه مدرسة القافية منذ بداية تأسيسها مع رائدها الجوهري. وذلك لتقريب المعجم من مستعمليه، فجعلته في خدمة الساجع والشاعر ودارس الشعر وقوافيه، ناهيك عن طلاب اللغة ودارسيها.

يقول ابن منظور شارحا هذه الفكرة من خلال استقرائه لمنهج الجوهري في الصحاح: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره بسهولة وضعه، شهرة أبي دلف بين باديه ومحتضره، فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه"[41]. إنه النموذج الصالح للمعجم العربي الذي يقدمه ابن منظور في مقابل النموذج الخليلي، بمعايير لا تختلف في شيء عن تلك المعايير المطلوبة في معجمنا المعاصر، من سهولة الوضع وقرب المأخذ وحسن الاختصار. إنّ معجما ذه المقاييس لا بد وأن يقبل عليه الناس. وينشروه بينهم (النقل والتداول).

ولقد حقّق معجم الصحاح هذا الهدف، إذ تداوله الناس فيما بينهم لقرون تلته، وهذا بشهادة أحد أعلام التراجم في القرن السابع الهجري، وهو شهاب الدين أبو عبد الله ابن عبيد الله يعقوب الحموي (ت 626 هـ)، صاحب معجم الأدباء الذي أثنى على الصحاح وعلى صاحبه بقوله: "وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم. أحسن تصنيفه وجود تأليفه، وقرب متداوله، وآثر من ترتيبه على من تقَدمه، يدلّ وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة. هو أحسن من الجمهرة، وأوقع من ذيب اللغة، وأقرب تداولا من مجمل اللغة".[42]

وعليه، وإجمالا لما قد سبق، يمكن القول بأن حركة التأليف المعجمي عند العرب، عرفت نشاطا نقديا متميزا، الهدف منه هو التقويم والإصلاح، منذ نشأة هذا العلم وإلى أن ترعرع ونضج، من خلال تلك الآراء النقدية التي عبر عنها المعجميون في مقدما م. وقد ساهمت تلك الآراء، إلى حد كبير، في تطوير العمل المعجمي سواء أكان ذلك على مستوى جمع المادة المعجمية أم على مستوى وضعها في المعجم. إنّ المعجم العربي لم يتوقّف، في أي مرحلة من مراحل حياته الطّويلة، عن التطور والتجديد والابتكار. وقد أخذ أصحاب المعاجم في الحسبان، عنصري اللغة وا تمع كدعامتين أساسيتين استندوا عليهما في بناء معاجمهم.

إنّ الأمر لم يكن مجرد نزوة عالم لغة، عندما أراد الخليل تأليف "العين"، بل كان البداية الموفّقة لتخطيط لغوي محكم يحفظ اللغة ويخدم مستعمليها. وسيأخذ الخلف عن السلف هذا المشروع العظيم ويطوره ويسير به في تدرج متصاعد، من مرحلة الاستيعاب والاستقصاء مع الخليل، إلى مرحلة انتقاء المادة وتيسير المنهج مع ابن دريد، إلى الضبط والتدقيق وحسن الوضع مع الاختصار مع ابن فارس، إلى مرحلة العمل الممنهج المبني على استقصاء الصحيح الفصيح

واليسر في الترتيب مع كلّ من الجوهري وابن منظـور، لتنتهي هذه المرحلة الطويلة مع الفيروزآبادي الذي فـتح معجمه على مصراعيه لكلّ الكلمات العربيـة المتداولـة، مبشرا بميلاد المعجم العربي الحديث.

لقد سعى الجميع إلى تقريب المعجم من مستعمليه، رغبة في أن يميل الناس إلى استعمال المعجم، كوسيلة مـن وسائل تعلّم اللغة وضبط قواعدها؛ وفي هذا حفظ للغـة القرآن ونشر للغة الضاد. لقد حاولوا جهـد المسـتطاع تنقيح العربية من الكلمات التي ينفر منها الذوق، آخذين بعين الاعتبار عاملي الزمن وتغير الطّبائع والثقافـات، ومالوا إلى الترتيب الخالي من التعقيد حتى سـاروا في ركاب الشاعر والناثر ودارس القوافي، ليكون المعجم آلية من آليات العمل اليومي لمختلف شرائح المجتمـع، في مختلف الميادين.

لقد قامت حركة النقد المعجمي أساسا علـى إبداء الرأي الهادف إلى التقويم والتصحيح، فـأثمرت نقدا موضوعيا واعيا بحاجات مستعملي العربية، داعيا إلى ما فيه خير ونماء لغة الضاد.

الهوامش

* - مادة هذا البحث مستمدة أساساً مما احتوته مقدمات المعاجم اللغوية العربية القديمة.

1. هي أولى الرسائل اللغوية التي ظهرت على يد مفسري القرآن والحديث الشريف. وأول عمل في شرح غريب القرآن، ينسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت سنة 68 هـ) وقد كان يضم أقوالاً أدلى ا في تفسير غريب القرآن، ثم كتاب في شرح غريب القرآن، وينسب إلى زيد بن علي (ت سنة 120هـ)، ثم أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت سنة 141 هـ)، وقد دونه بنفسه، ثم أبو فيد مؤرج السدوسي (ت سنة 174هـ)، ثم أبو حمزة الكسائي (ت سنة 189هـ). ومن اللغويين الذين فسروا غريب القرآن، نذكر: النضر بن شميل (ت سنة 203 هـ)، وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت سنة 208هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت سنة 210هـ) والأصمعي (ت سنة 213 هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت سنة 224 هـ)...
ومعظم هؤلاء اهتموا بغريب الحديث كذلك، كأبي عبيدة معمر بن المثنى، والنضر بن شميل، والأصمعي، ونذكر كذلك أبا عمرو الشيباني (ت سنة 206هـ)، وقطرب (ت سنة 206هـ)، وأبا زيد الأنصاري (ت سنة 215هـ). ويعزى أول مؤلَّف في غريب الحديث إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى.

2. هي عبارة عن مدونات أو كتب أو معاجم صغيرة، كانت تدون فيها اللغة في عصر الجمع والتدوين. وكانت هذه الرسائل في مرحلتها الأولى تسمى بالرسائل الخاصة، إذ كان العالم اللغوي يقيد فيها ما سمعه عن الأعراب من ألفاظ دون ترتيب إلا ترتيب السماع. فكان يكتب كلمة في الإبل وأخرى في خلق الإنسان وثالثة في المطر... إلى غير ذلك من الكلمات التي لها علاقة بالمحيط البدوي في قوائم أعدها بنفسه، ليستعين ا في معرفة الدخيل من العربي الفصيح. وأطلق على المرحلة الثانية من هذه الرسائل، الرسائل المعنوية أو الموضوعية، لأ ا تجمع الكلمات التي ترد في موضوع بعينه ثم ترتب بحسب الموضوعات، إلى جانب اشتمالها على الموضوعات التي وردت فيها، مصحوبة بالشروح والتعاليق. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: رسالة "النخل والكرم، والإبل وخلق الإنسان، والعسل، والنبات، والشجر، والخيل" للأصمعي، و "الحشرات" لأبي خيرة الأعرابي. و "السلاح" للنضر بن شميل. و "المطر والمياه" لأبي زيد الأنصاري...
وإلى جانب الرسائل المعنوية، هناك كتب النوادر، وهي عبارة عن رسائل لغوية تجمع فيها الألفاظ الغير الشائعة وتلك التي تصعب على الفهم. ولم يكن لهذا النوع من الرسائل نظام معين، وأول من ألف فيها أبو عمرو بن العلاء (ت سنة 158هـ). إلاأن أشهر من ألف في هذا النوع هو أبو عبيد القاسم بن سلام.
وهناك نوع آخر من الرسائل اللغوية جمعت فيها الألفاظ تبعا لأحد حروف الهجاء، وتجعل عادة اسم هذا الحرف عنوانا لها، ككتاب "الجيم" لأبي عمرو الشيباني (ت سنة 206هـ).
وهناك الرسائل اللغوية المعروفة بالمثلثات التي جمعت فيها الألفاظ التي رويت على ثلاث حركات، بمعان مختلفة ومنها، "مثلثات قطرب" مثلا. (انظر في هذا الشأن بتفصيل: حسين نصار، 1988، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ص: 31-170؛ وأحمد فرج الربيعي، 2001، "مناهج معجمات المعاني إلى اية القرن السادس الهجري"، ص :29-141؛ وديزيريه سقّال، 1997، "نشأة المعاجم العربية وتطورها، معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ"؛ وحلمي خليل، 1997، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، ص :103-111).

3. هو أول معجم عربي بمعناه الكامل. جمعت فيه اللغة العربية وصنفَت فيه مداخل الكلمات ورتبت ترتيبا معينا. وهذا إبداع في مجال التأليف اللغوي، لم يسبق له مثيل عند العرب (أنظر :أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص 50). وقد تصدرت كتاب "العين" مقدمة شرح فيها الخليل نظريته المعجمية، وتحدث عن الحروف ومخارج أصوا ا، وعن أبنية الكلم العربي وطريقة حصرها وضبطها، وعن التقاليب وبيان أهمّيتها في استقصاء الكلام ومعرفة المهمل والمستعمل منه. كما تحدث عن طريقة الكشف عن الكلمات في معجم "العين". ومقدمة "العين" ذات أهمية كبيرة من حيث محتواها العلمي في ميدان الدرس اللغوي.
خالف الخليل باقي مؤلّفي المعاجم في طريقة جمع مادة "العين"، ذلك أنّ هدفه لم يكن حفظ كلام العرب بقدر ما كان الاستيعاب والاستقصاء، لذا انطلقت عملية جمع مادة المعجم من صميم دراسته للأصوات أولا، ثم للبناء الصوتي للكلمة ثانية، وأخيرا معرفة مستعمل الكلام من مهمله عبر عملية التقاليب ذات الأساس الرياضي البحت. أما خطّة وضع المعجم، فقد ارتبطت عند الخليل، ارتباطا وثيقا بطريقة جمع مادة "العين". فهي تقوم على دعائم ثلاث هي: دعامة الأصوات ودعامة الأبنية ودعامة التقاليب. فأما دعامة الأصوات، فتتمثّل في ترتيب حروف المعجم بحسب مخارج أصوا ا، انطلاقا من أدخل حرف في الحلق وهو "ع"، ثم الأقرب منها، الأرفع فالأرفع، إلى أن نصل إلى آخر حرف وهو "م" الشفوية. وقد جاءت هذه الحروف على الترتيب التالي: ع- ح- هـ - خ- غ- ق- ك- ج- ش- ض- ص- س- ز- ط- د- ت- ظ- ذ- ث- ر- ل- ن- ف- ب- م- و- ا- ي- ء . وهو النظام الذي اعتمده في ترتيب مداخل الكلمات في معجم "العين" مستعيضا بذلك عن الترتيب الألفبائي، الذي رأى أنه نظام تعليمي يعتمد على تشابه أشكال الحروف في الترتيب لا غير.
وأراد الخليل أن يحصر كمية الحروف الأصول في الكلمة، فقسم الكلم العربي إلى أربعة أبنية هي: البناء الثنائي المكون من حرفين، والبناء الثلاثي المكون من ثلاثة أحرف، والبناء الرباعي المكون من أربعة أحرف، والبناء

الخماسي المكون من خمسة أحرف، ولم يزد عليها شيئا لعدم وجود البناء السداسي في اللغة العربية.

وعندما أراد أن يستقصي كلام العرب كلّه، عمد إلى الدعامة الثالثة وهي التقاليب، فشرع يقلّب حروف البناء الواحد آخذا بالاعتبار الترتيب الصوتي لكل حرف. وهداه عقله الرياضي إلى أن يوجد للثنائي صورتين، وللثلاثي ست صور، وللرباعي أربعا وعشرين صورة، وللبناء الخماسي مائة وعشرين صورة. وهذه الطريقة الرياضية مكّنته من أن يعرف مستعمل الكلام من مهمله.

قسم الخليل معجم "العين" بحسب عدد الحروف الصحاح الخمسة والعشرين التي يضمها ترتيبه الصوتي، وجعل لكلّ حرف صحيح بابا خاصا به يتفرع بدوره إلى ستة أبواب، هي: باب الثّنائي، وباب الثلاثي الصحيح، وباب الثلاثي المعتل، وباب اللفيف، وباب الرباعي، وباب الخماسي. (انظر بتفصيل :د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مقدمة تحقيق كتاب "العين"، ص:5-44، ومقدمة الخليل لكتاب "العين"، ص:47-60؛ حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ج 1، ص: 174-244؛ حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، ص: 124-160؛ محمد يوسف حبلص، "نظرية الخليل المعجمية"، دار الثقافة العربية، القاهرة 1992).

4. هو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفراهيد بطن من بطون قبيلة أزد شلوءة. ولد بعمان سنة 100هـ. نشأ بالبصرة وفيها تلقى العلم. ومن شيوخه نذكر: أبا عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر النحوي، وعاصم الأحول. توفي رحمه الله سنة 175هـ. له مؤلفات عديدة في مختلف فنون المعرفة، نذكر منها: كتاب "معاني الحروف"، وكتاب "النقط والتشكيل"، وكتاب "العروض"، وكتاب "الإيقاع والنغم" إلا أن أشهر مؤلفاته هو كتاب "العين"، وهو أول معجم عربي بمفهومه الشامل.

كان رجلا زاهدا في الدنيا، كثير الورع، لا يتكسب بعلمه. وكان شديد الذكاء والفطنة، مما أهله لأن يبدع في العروض والموسيقى وعلم الأصوات (انظر حياته وعلمه وإبداعه في :الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب "العين"، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ج 1، ص 305؛ وحسين نصار، "المعجم العربي نشأته وتطوره"، ص 174؛ وأبوسعيد السيرافي، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، "أخبار النحويين البصريين"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر؛ وأحمد الشرقاوي إقبال، 1987، "معجم المعاجم"، دار الغرب الإسلامي، ص 190).

5. ظهرت أربع مدارس معجمية في تاريخ التأليف المعجمي العربي. كانت أولاها مدرسة الترتيب الصوتي ونظام الأبنية والتقاليب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت سنة 175هـ)، صاحب معجم "العين"، وفيها ترتب الكلمات حسب مخارج حروفها، ابتداء من أعمق مخرج حرف وأنصعه وهو حرف"ع" الحلقي، وانتهاء بآخر حرف من حروف الشفة، وهو حرف"م". ثم توزيع الكلمات على أبنية الكلم العربي في أربعة أبنية (الثنائي، الثلاثي، الرباعي، الخماسي). ثم تقليب حروف البناء الواحد تلو الآخر حسب الترتيب الصوتي. ولا بد لمستعمل هذا المعجم من أن يتتبع هذه المراحل لكي يصل إلى الكلمة المرجوة. ومن الذين ألفوا على منوال الخليل، نذكر أبا علي إسماعيل بن القاسم القالي (286-365هـ)، صاحب معجم "البارع في اللغة". وأبا منصور الأزهري (282-370هـ)، صاحب معجم "تهذيب اللغة". والصاحب إسماعيل بن عباد (326-385هـ)، مؤلف معجم "المحيط في اللغة". وعلي بن إسماعيل بن سيده(398-458هـ)، صاحب "المحكم والمحيط الأعظم".

والمدرسة الثانية هي مدرسة الترتيب الألفبائي مع الأبنية، ورائدها هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (231- 321هـ)، صاحب معجم "جمهرة اللغة". وقد اختارت هذه المدرسة النظام الألفبائي في ترتيب الكلمات داخل المعجم، بدل نظام أصوات مخارج الحروف الخليلي. إلا أنها احتفظت بنظام الأبنية والتقاليب. وقد سار أحمد بن فارس (318- 395 هـ)، في معجميه "مجمل اللغة"، و "مقاييس اللغة" على نهج ابن دريد في تأليفه المعجمي، إلا أنه لم يعتمد مبدأ التقاليب.

والمدرسة الثالثة، وهي مدرسة القافية أو التقفية، وهي من أشهر المدارس المعجمية لما تميزت به من السهولة وجودة الترتيب والتبويب. ورائد هذه المدرسة هو أبو منصور إسماعيل بن حماد الجوهري (332- 400 هـ)، صاحب معجم "تاج اللغة وصحاح العربية". وتقوم هذه المدرسة بترتيب الكلمات في المعجم حسب الحرف الأخير من الكلمة، باعتبار أن لام الكلمة ثابت في كل الأحوال، لا يتغير. وتقسم هذه المدرسة المعاجم إلى ثمانية وعشرين بابا بحسب حروف الألفباء، وكل باب يضم بدوره ثمانية وعشرين فصلا. وترتب الكلمات في الأبواب حسب الحرف الأخير للكلمة بينما ترتب الكلمات في الفصول حسب الحرف الأول من الكلمة، ثم الثاني، ثم الثالث إذا كانت الكلمة رباعية. ومن الذين نظموا على منهج الجوهري نذكر محمد بن مكرم بن منظور (630- 711 هـ)، صاحب المؤلف المشهور: "لسان العرب"، ومجد الدين الفيروزآبادي (729- 817 هـ)، صاحب معجم "القاموس المحيط"، ومحمد مرتضى الزبيدي (1145- 1205 هـ)، صاحب معجم "تاج العروس".

والمدرسة الرابعة، وهي المدرسة الألفبائية العادية. تختلف عن مدرسة ابن دريد في كونها تكتفي بالألفباء دون الأبنية، ورائد هذه المدرسة هو: أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري (467- 538 هـ)، صاحب معجم "أساس البلاغة". وتقوم هذه المدرسة بترتيب الكلمات في المعجم حسب النظام الألفبائي المألوف. فترتب الكلمات حسب حرفها الأول، فالثاني، فالثالث. ومن الذين ألّفوا على منوال الزمخشري قديما أحمد بن محمد الفيومي (676-770هـ)، صاحب معجم "المصباح المنير". ونظام الألفبائية العادية هذا هو النظام الذي سوف تتبعه المدرسة المعجمية الحديثة، وذلك ابتداء من بطرس البستاني (1819-1883 م)، صاحب معجم "محيط المحيط"، وإلى يومنا الحاضر.

6. هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ولد بالبصرة سنة 323هـ، وتنقل بين البصرة وفارس. سعى وراء العلم ينهل من معينه إلى أن أصبح من أئمة اللغة ببغداد. وكان واسع الرواية، قوي الحفظ، فروى اللغة عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، وعن أبي حاتم السجستاني، وعن أبي الفضل الرياشي وعن غيرهم... ومن تلامذته نذكر

أبا سعيد السيرافي، وأبا علي الفارسي، وأبا الفرج الأصبهاني، والرماني والزجاجي...

من مؤلفاته كتاب "الخيل والسرج"، وكتاب "الملاحن"، وكتاب "الاشتقاق"، الذي هو معجم في اشتقاق أسماء العرب وقبائلها، وكتاب "جمهرة اللغة"، الذي هو من معاجم الألفاظ. اتبع في ترتيبه نظاما اختلف عن نظام الخليل وهو الترتيب الألفبائي، واتفق معه في الأبنية والتقاليب. ويعتبر ابن دريد رائد المدرسة الألفبائية مع الأبنية، توفي رحمه الله سنة 321هـ. (انظر:ابن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، 1987. ويقدم بعلبكي قائمة بأهم المصادر التي ترجمت لابن دريد، من ص: 9 إلى 13. وانظر :حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ص: 316- 339؛ وحلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، ص: 163- 179...).

7. هو أول معاجم المدرسة الألفبائية مع الأبنية إلى جانب معجمي "مجمل اللغة" و"مقاييس اللغة" لابن فارس. وهو ثاني معجم شامل تعرفه العربية بعد "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي. أشار ابن دريد إلى مصادر مادته اللغوية بطريقة غير مباشرة، عندما تحدث عن الخليل وعن منهجه في معجم "العين"، وعندما أثنى على من سبقه من العلماء الذين ألّفوا في اللغة.

ومادة معجم "جمهرة اللغة" مستقاة من جمهور كلام العرب، كما أشار إلى ذلك ابن دريد في المقدمة. ومن هنا جاءت تسميته لمعجمه بـ "جمهرة اللغة". و ذا يخالف ابن دريد أستاذه الخليل الذي لم يستثن شيئا من اللغة في معجمه "العين".

اتبع ابن دريد منهج الخليل في وضع "الجمهرة"، فحافظ على نظامي الأبنية والتقاليب، إلا أنه لم يوافقه في طريقة ترتيب المداخل، فجعل ترتيبها ترتيبا ألفبائيا بحسب الحرف الأول للكلمة بدل الترتيب الصوتي الخليلي، لما يتميز به النظام الألفبائي من السهولة واليسر على الناس، العامة منهم والخاصة. وقد قسم الكلم العربي إلى أربعة أبنية: الثنائي، الثلاثي، الرباعي، الخماسي. وقد وزع هذه الأبنية طبقا للترتيب الألفبائي، وأولها باب الهمزة. إلا أنه لم يحترم هذا الترتيب دائما، كأن يبدأ الثلاثي الصحيح مثلا بباب الباء، ويؤخر باب الهمزة إلى "باب النوادر في الهمز". واعتمد نفس طريقة الخليل في التقاليب، إذ يأتي في كلّ جذر بتقاليبه، ولكن بحسب أسبقية الحرف في الترتيب الألفبائي. وكان ينص على المهمل ويثبت المستعمل.

وعلى العموم فإنّ الجديد في منهج ابن دريد يكمن في أنه استعمل الترتيب الألفبائي بدل الترتيب الصوتي، ورتب الأبنية ترتيبا ألفبائيا وقلّب الحروف الأصول لمعرفة المستعمل من المهمل. (انظر :ابن دريد، "جمهرة اللغة"، دراسة المحقق د. رمزي منير بعلبكي، ص: 15-27؛ ومقدمة ابن دريد، ص: 39-51؛ د. حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ج 1، ص :316-339؛ د. حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، ص: 163-179؛ د. شرف الدين علي الراجحي، "محمد بن دريد وكتابة الجمهرة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985).

8. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ج 1، ص 40.

9. المصدر السابق، الصفحة نفسها.

10. المصدر السابق، الصفحة نفسها.

11. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب "العين"، تحقيق د. مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 1، ص 60.

12. المصدر السابق، ص 41، وفي آخر جزء من معجم "جمهرة اللغة"، خصص ابن دريد قسما تحت عنوان: أبواب النوادر، ذكر فيه عددا مهما منها.

وقد قدم لهذا القسم من معجمه بمقدمة في ست صفحات (من ص 1274 إلى ص 1279)، تحدث فيها عن النوادر ودعم حديثه بالتعاليق والشواهد والشروح. وقد توزعت هذه الأبواب بين أقوال لعلماء اللغة في هذا النوع من الألفاظ كأبي عبيدة (ص 1279)، وهو أول باب بدأ به وسماه :باب قال أبو عبيدة:... ، (انظر كذلك: ص 1282)، وباب آخر سماه :باب من المصادر وغيرها من النوادر عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه (ص :1290- 1294)، وباب في الصفات عن أبي زيد (ص :1294- 1306).

وهناك أبواب خص ا الألفاظ النادرة التي استعملت في وصف الأشياء، كما هو الحال في أبواب نوادر ما جاء في القوس وصفا ا (ص :1280- 1282)، وباب ما جاء في النوادر في صفة النصال (ص 1282)، وباب النوادر في صفة النعل (ص 1282)... وقد لا يعمد إلى استعمال كلمة (باب أو أبواب) في سرد بعض الكلمات النادرة المتعلقة بمواضيع مختلفة، ويكتفي بعناوين المواضيع مثلا أسماء المحلات، أسماء الأيام في الجاهلية، أسماء الشهور في الجاهلية (ص : 1311-1312). وهناك أبواب خصها لفقه اللغة ومعرفة كلام العرب، كما هو الحال في باب ما يستعار به فيتكلم به في غير موضعه (ص 1312)، وباب الحروف التي يقوم بعضها مقام بعض (ص : 1313- 1314). ثم هناك أبواب تعالج ظواهر لغوية كالدخيل والاقتراض عموما كما هو الحال في باب ما تكلّمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة (ص 1322)، وفيه يعرض لكلمات أخذت من الفارسية والنبطية ومن السريانية، ومما عربوه كذلك (ص :1322- 1327). وأخيرا يختم هذا القسم بأبواب الصيغ والأوزان كباب فَعيل وفُعول وفعال، وباب فَعلة (ص 1333)، وباب فَعل وفَعل (ص 1335)...

13. ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ج 1 ،ص 41. ويشرح ابن دريد كلمة جمهور بقوله: "جمهور الشيء معظمه، جمهرت الشيء، أخذت جمهوره، وهو معظمه"،ج 2، ص1138. ويشرح مادة (نكر)، بقوله: "وتنكّر الأمر إذا تغير، وكلّ شيء استبهم عليك فقد تنكّر لك، ونكرت فلانا وأنكرته، إذا جهلته"،ج1، ص 799.

14. هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرازي. أحد أئمة اللغة والأدب في القرن الرابع الهجري. ولد حوالي 320هـ. ويعود أصله إلى قزوين. استقر مذان زمنا، ثم رحل إلى الري و ا توفيّ عام 395 هـ. أخذ العلم في مراحل حياته الأولى عن أبيه فارس بن

زكريا، ثم عن أبي بكر الخطيب راوية ثعلب، وعن أبي الحسن سلمة بن القطّان، وعن أبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم. ومن تلامذته: بديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، وعلي بن القاسم المقرئ.

ترك ابن فارس عدة مؤلّفات نذكر منها على سبيل المثال: "الاتباع والمزاوجة"، و"الصاحبي" في فقه اللغة، و"مجمل اللغة"، و"مقاييس اللغة". (انظر ترجمته، ودراسات عن نتاجه العلمي في :القفطي، "انباه الرواة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية 1950 ، ج 1، ص :127-130؛ وخير الدين الزركلي، "الأعلام"، 1980؛ وأحمد بن فارس، "مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، ج 1، ص :3-39؛ وأحمد بن فارس، "مجمل اللغة"، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ج 1، ص: 11-31).

15. يعتبر معجم "مجمل اللغة" لابن فارس، أحد المعاجم الثلاثة التي أُلّفت على طريقة الألفباء مع الأبنية، وهذه المعاجم هي: "جمهرة اللغة" لابن دريد، و"مجمل اللغة"، و"مقاييس اللغة" لابن فارس. وتتميز المادة اللغوية في "ا مل" بابتعادها عن اللفظ الوحشي والمستنكر، واشتمالها أساسا على الواضح والمشهور من كلام العرب، مما جعلها تتميز بالاختزال. أما مصادر المادة فلم يشر إليها ابن فارس في المقدمة، إلا أنّ استشهاداته على الشروح تدل على أنّ الرجل قد استفاد من آراء علماء اللغة السابقين عليه والمعاصرين له.
وقد اتبع ابن فارس في ترتيب مداخل معجمه، الترتيب الألفبائي حسب أوائل الحروف. وقسم المعجم إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد حروف المعجم، وكل كتاب مقسم إلى ثلاثة أبنية: الثنائي، والثلاثي، وما زاد على الثلاثي. فأما الثنائي، فيتفرع إلى المضاعف والمطابق، وأما الثلاثي، فقسمه إلى أبواب كلّ باب يبدأ بالحرف المعقود له الباب مع الذي يليه في الترتيب الألفبائي. وأما ما زاد على الثلاثي، فكان يختم به كلّ باب. وقد رتب المداخل في الثنائي والثلاثي حسب الحرف الثاني لاتفاق الحرف الأول منها دائما، ولم يستهلّ المداخل إلا بالحرف المعقود له الباب مع ما يليه. وقد رتب الاشتقاقات كذلك، فكان يبدأ غالبا بالمصادر ثم يتبعها بالأفعال، فيبدأ با ـرد فالمزيد، ثم تأتي بعد ذلك الأسماء وصيغها. وتميز بذكر صيغة جمع التكسير. إلا أنه لم يحترم دائما هذا الترتيب في الاشتقاقات، فكان يبدأ أحيانا بالأفعال قبل المصادر (انظر بتفصيل: مقدمة محقّق "مجمل اللغة"، زهير عبد المحسن سلطان، ص :1-74؛ حسين نصار، "المعجم العربي"، ص: 365-374؛ حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي"، ص :180-199؛ عبد القادر عبد الجليل، "المدارس المعجمية"، ص :218-231).

16. "مجمل اللغة"، ج 1، ص 75.

17. من بين علماء العربية الذين تميزوا بإسهاما ـم الجيدة في مجال اللغة في القرن الرابع الهجري، نذكر على سبيل المثال: الزجاج (ت 311هـ)، وابن السراج (ت 316هـ)، وابن درستويه (ت 333هـ)، وأبو سعيد السيرافي(ت 368هـ)، وابن خالويه (ت 370هـ)، وأبو علي الفارسي (ت 371هـ).

18. ابن فارس، المصدر السابق، ج 1، ص 168.

19. ابن فارس، مجمل اللغة، ج 1، ص :75-76.

20. المصدر السابق، ج 1، ص 75.

21. مجمل اللغة، ج 1، ص 75.

22. حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، دار النهضة العربية، 1997، ص 184.

23. "الجمهرة"، ج 1، ص 40.

24. ابن فارس، "ا مل"، ج 1، ص 75.

25. هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، جمال الدين أبو الفضل. ولد في محرم سنة 630 هجرية. سمع من المقير ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم بن الطّفيل وغيرهم كثير. كان مولعا باختصار كتب الأدب المطولة: اختصر الأغاني والعقد الفريد والذخيرة ومفردات ابن البيطار والتواريخ الكبار.وقد أخبر قطب الدين الصفدي أنه ترك بخطّه 500 مجلّدة.
ويبقى معجم لسان العرب أشهر مؤلّفاته على الإطلاق. ذكر ابن فضل الله أنه عمي في آخر عمره، وكان صاحب نكت ونوادر، وعنده تشيع لا يرفض. توفي رحمه الله في شعبان سنة 711 هجرية (انظر ترجمته في :ابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"،حرف الميم؛ جلال الدين السيوطي،"بغية الوعاة"، ج 1، ص 348؛ مقدمة "لسان العرب"، دار صادر، ج 1، ص 4).

26. ينتمي إلى معجمات مدرسة القافية. تميز بغزارة المادة اللغوية وجودة الترتيب. وقد هدف فيه ابن منظور إلى تحقيق أمرين: أولهما استقصاء اللغة العربية، وثانيهما إحكام ترتيب المداخل من خلال نظام القافية.
وكان الدافع إلى تأليف لسان العرب ضرورة تنبيه الناس إلى تعلّم لغتهم، باعتبار المعجم أحد الوسائل الناجعة لمحاربة الجهل. اعتمد في جمع مادته على خمسة مصادر، هي: " ـذيب اللغة" للأزهري، "المحكم" لابن سيده، و"الصحاح" للجوهري، وعلى حواشي ابن بري، و"النهاية" لابن الأثير. كما أنه استقى مادته العلمية التي اعتمدها في دراسة الحروف المقطّعة وفي ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها من أعمال علماء كالخليل وسيبويه والأزهري وغيرهم...
أما فيما يختص بوضع المادة فقد اتبع نظام القافية الذي يقوم على ترتيب المداخل حسب أواخر حروفها في الباب، ثمّ ترتيبها حسب أوائل حروفها في الفصول. وعليه فالمعجم مقسم عنده إلى أبواب وفصول، وعدد الأبواب فيه بحسب عدد حروف المعجم (28 بابا)، على أنّ كلّ باب يضم بدوره العدد نفسه من الفصول. وقد صدر ابن منظور معجمه ببابين عنون أولهما ب "باب الحروف المقطّعة"، درس فيه معاني هذه الحروف ودلالتها وإعرا ا وتذكيرها وتأنيثها، مدعما كلّ مسألة بآراء العلماء. وخص الباب الثاني بـ "ألقاب الحروف"، درس فيه الأصوات العربية من حيث المخارج والصفات (الهمس والجهر إلى غير ذلك...)، (انظر :حسين نصار، "المعجم العربي نشأته وتطوره"، ص :429-454؛ حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي"، ص :254-280).

27. هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري الهروي الشافعي أبو منصور، ولد سنة 282 هجرية. أخذ العلوم عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري فأكثر، وعن أبي محمد المزني، وعن الربيع بن سليمان. ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه وأخذ عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه، وعن ابن السراج...وقع في أسر القرامطة دهرا طويلا فاستفاد من محادثا م في تعلّم العربية البدوية الفصيحة (مقدمة "المحكم"، ج 1، ص 4). له من المؤلّفات "تفسير ألفاظ مختصر المزني"، و"التقريب في التفسير"، و"شرح شعر أبي تمّام"، و"كتاب الأدوات"، وغيرها كثير...ويبقى أهم مؤلّفاته، معجمه "التهذيب في اللغة". وقد ذكر ياقوت الحموي عددا مهما من مؤلّفاته في "معجم الأدباء". مات رحمه الله سنة 370 هجرية (انظر ترجمته في :مقدمة " ذيب اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، ج 1، ص :1-22؛ جلال الدين السيوطي، "بغية الوعاة"، ج 1، ص :19-31؛ ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، ج 17، ص :164-167).
28. ينتمي إلى معجمات مدرسة الخليل. وكان غرض الأزهري من تأليفه هو تنقية العربية وتصحيحها. وقد دعاه إلى تأليف معجمه أسباب شرحها في مقدمته نذكر منها تقييد ما حفظه من الكتب، وسمعه من أفواه الأعراب الذين أقام بينهم زمنا، والنصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفاد م بما لعلّهم يحتاجون إليه؛ ثمّ التصدي للكتب المصحفة والتنبيه إلى خطرها على الناشئة.

    وقد اعتمد في جمع مادته على كتب أئمة اللغة والسماع عن الأعراب ومشافهتهم. أما منهجه فقد اتبع طريقة الخليل، وذلك بترتيب المداخل بحسب أوائل حروفها ترتيبا صوتيا. وقسم المعجم إلى كتب فضم كلّ كتاب ستة أبواب: الثنائي المضاعف، والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتل، واللفيف، والرباعي، والخماسي. وراعى التقاليب ونبه على المستعمل منها والمهمل. ويكمن وجه الاختلاف بينه وبين الخليل، أنّ صاحب "التهذيب" أكثر من الشواهد والشروح (انظر بتفصيل: حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ص:259-279؛ "المعجمات العربية، دراسة منهجية"، للدكتور محمد علي عبد الكريم الرديني، ص :61-63).
29. ولد أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده بمرسية بالأندلس، وكان ضريرا ابن ضرير. تلقّى علومه الأولى على يد والده إسماعيل بن سيده النحوي، كما روى عن أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي وعن صاعد بن الحسن البغدادي.

    وكان إماما في اللغة والعربية، وكان نادرة وقته، حافظا، لم يتبين في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة وأشعار العرب، وما يتعلّق ا. متوفرا على علوم الحكمة، جيد الشعر. من تأليفه "المحكم والمحيط الأعظم في اللغة"، و"شرح إصلاح المنطق"، و"شرح الحماسة"، و"شرح كتاب الأخفش"، وغير ذلك.

    توفي رحمه الله سنة 458 هجرية، بالأندلس. (انظر ترجمته في: مقدمة "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق مصطفى السقا، والدكتور حسين نصار؛ القفطي، "انباه الرواة"، ج 2، ص :225-227؛ السيوطي، "بغية الوعاة"، ج 2، ص 143؛ ياقوت الحموي ، "معجم الأدباء"، ج 12، ص :231-235).
30. ينتمي "المحكم والمحيط الأعظم في اللغة" إلى مدرسة الخليل المعجمية. وهو ثاني معجم يؤلّفه ابن سيده بعد "المخصص"، هدف فيه إلى جمع شتات اللغة المتناثر في الكتب والرسائل اللغوية في مؤلّف واحد، وإلى تصحيح ما فيها من آراء نحوية مغلوطة. وقد ربط اللغة العربية بالقرآن والحديث. اتبع ابن سيده منهج الخليل، فقسم معجمه إلى كتب بحسب عدد حروف المعجم مرتبة ترتيبا صوتيا بحسب مخارجها، وكلّ حرف ينقسم إلى الأبواب التالية: الثنائي المضاعف الصحيح، ثم الثلاثي الصحيح، ثم الثنائي المضاعف المعتل، ثم الثلاثي المعتل، ثم الثلاثي اللفيف، ثم الرباعي، ثم الخماسي. وقد زاد ابن سيده على كتاب "مختصر العين" للزبيدي (ت 379هـ) البناء السداسي، ذكره في حروف: هـ، ح، ج. وقد رتب المواد داخل الأبواب وفقا لما تتألف منه من حروف، ووفقا لما تنقلب إليه وتتصرف فيه من وجوه وتقاليب. (انظر منهجه بتفصيل في: حسين نصار، "المعجم العربي نشأته وتطوره"، ص :287-303؛ محمد علي عبد الكريم الرديني، "المعجمات العربية، دراسة منهجية"، ص :64-68).
31. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة 1994، ج 1، ص 7.
32. المصدر السابق، الصفحة نفسها.
33. المصدر السابق، ج 1، ص 7.
34. هو إسحاق بن إبراهيم الفارابي، أبو إبراهيم، خال إسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب كتاب "الصحاح في اللغة". وأبو إبراهيم هذا هو مؤلّف كتاب "ديوان الأدب"، وقد ألّفه وهو في زبيد باليمن. وقد وصف ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" عمل الفارابي في "ديوان الأدب" بقوله: "ووضع كتابه على ستة كتب: الأول السالم، الثاني المضاعف، الثالث المثال وهو ما كان في أوله واو أو ياء، والرابع كتاب ذوات الثلاثة، وهو ما كان في وسطه حرف من حروف العلّة، والخامس كتاب ذوات الأربعة، وهو ما كان آخره حرف علّة، والسادس كتاب الهمزة، وكلّ كتاب من هذه الستة أسماء وأفعال، يورد الأسماء أولا ثم الأفعال بعده" (ج 6، ص 61-65). والكلمات في ديوان الأدب مرتبة بحسب أواخر حروفها؛ أي أنها مرتبة ترتيب القافية. توفي رحمه الله سنة 350 هجرية. (انظر ترجمته في: مقدمة "ديوان الأدب"، تحقيق أحمد مختار عمر؛ السيوطي، "بغية الوعاة"، ج 1، ص: 437-438؛ ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، ج 6، ص :61-65).
35. هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي؛ وفاراب بلدة من بلاد الترك، ولد سنة 332 هجرية. أخذ اللغة والنحو عن خاله أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب "ديوان الأدب"، وعن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. كان كثير التجوال، فسافر إلى الحجاز وشافه العرب العاربة ومنهم ربيعة ومضر، وزار العراق والشام وخراسان. استقر بنيسابور حيث تفرغ للتدريس والتأليف. مات سنة 400 هجرية. ذكر صاحب معجم الأدباء أنه: "كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما" (ج 6، ص :155-156).
36. له من التصانيف: كتاب في العروض سماه "عروض الورقة"، وكتاب "المقدمة في النحو" وكتاب "تاج اللغة وصحاح العربية". وهو المؤلف

الذي اشتهر به. (انظر ترجمته في: ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، ج 6، ص :151-165؛ القفطي، "انباه الرواة"، ج 1، ص:229-233؛ السيوطي، "بغية الوعاة"، ج 6، ص :446-448؛ أحمد عبد الغفور عطّار، مقدمة "الصحاح").

يعتبر معجم "الصحاح"، النموذج الكامل الذي ستسير على جه كلّ المعجمات التي اتبعت نظام القافية. وهو النظام الذي يقوم على ترتيب الكلمات حسب أواخر حروفها، مقسما المعجم إلى أبواب وفصول. لم يذكر الجوهري المصادر التي استقى منها مادة معجمه، واكتفى في مقدمته القصيرة بالإشارة إلى أنه حصلها بالعراق رواية وأنه أتقنها دراية مع مشافهته ا العرب العاربة بديارهم (المقدمة، ص118). مع أنه في شرحه للكلمات وفي تعاليقه، يبدو واضحا اعتماده على المعاجم السابقة عليه، كـ"العين" للخليل و"الجمهرة" لابن دريد و"التهذيب" للأزهري. أما نوعية المادة التي أودعها معجمه فإنها من الصحيح من كلام العرب، وقد جعل علمه الواسع بالعربية معيارا لمعرفة الكلام الصحيح من غيره. أما نظام الوضع في "الصحاح"، فيقوم على اعتبار جذر الكلمة مدخلا، حيث ترتب المداخل في المعجم حسب الحرف الأخير طبقا للنظام الألفبائي. ثم قسم المعجم إلى ثمانية وعشرين بابا، كلّ باب منها يتناول المداخل المتحدة في الحرف الأخير منها، على أنّ كل باب يضم بدوره ثمانية وعشرين فصلا، ترتب المداخل في كلّ فصل حسب أوائل حروفها، مع مراعاة ترتيب الحرف الثاني والثالث ترتيبا ألفبائيا. وقد أحدث هذا النظام ثورة في الصناعة المعجمية، فوجد الناس فيه السهولة واليسر. (انظر بتفصيل: أحمد عبد الغفور عطّار، مقدمة "الصحاح"، ص 1-118؛ حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ص380-416؛ حلمي خليل، "مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي"، ص227-253).

37. هو محمد بن تميم أبو المعالي البرمكي اللغوي. عاش في القرن الرابع وعاصر الجوهري صاحب "الصحاح". اشتهر البرمكي بتأليفه لكتاب "المنتهى في اللغة"، وقد أشار في مقدمته إلى تاريخ تأليفه للمنتهى، وكان ذلك سنة 397 هجرية. وأصل مادة هذا الكتاب مستقاة من كتاب "الصحاح في اللغة" للجوهري. يقول ياقوت الحموي، صاحب "معجم الأدباء": "وله كتاب كبير في اللغة سماه "المنتهى في اللغة"، منقول من كتاب "الصحاح" للجوهري، وزاد فيه أشياء قليلة وأغرب في ترتيبه".(ج 18، ص 34-35). عده الدكتور أحمد عبد الغفور عطّار من الرواد الذين ابتكروا منهج التأليف بحسب أوائل الحروف. توفي سنة 433 هجرية.(انظر ترجمته في: ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، ج 18، ص 34-35؛ السيوطي، "بغية الوعاة"، ج 1، ص 68؛ أحمد عبد الغفور عطّار، مقدمة "الصحاح"، ص 89).
38. هو أبو عمرو الشيباني، واسمه إسحاق بن مرار الشيباني. ولد سنة 94 هجرية، أدب أولاداً من شيبان فنسب إليهم. وهو كوفيّ نزل بغداد. عرف بصاحب "ديوان اللغة والأدب"، وكان كثير الرواية. أخذ عنه جماعة كبار، منهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت صاحب "إصلاح المنطق"، وقال في حقّه :"عاش مائة وثماني عشرة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات سنة 212، وقيل 213 هجرية".
يعتبر أبو عمرو الشيباني بتأليفه لكتاب "الجيم" رائد المدرسة الألفبائية العادية، التي اتخذت من الترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم (ت 98 هـ)، أساسا لترتيب الكلمات في المعجم. قسم كتابه إلى عشرة أبواب، فرق عليها المواد مرتبة على حروف الألفباء؛ بعضها يضم عددا من الحروف، وبعضها الآخر حرفا واحدا، كما هو الحال في حرف الحاء والراء. وكلّ باب يضم الكلمات التي تبدأ بالحرف الذي عقد له الباب. إلا أنه لم يلتزم بترتيب الحرف الثاني والثالث والرابع كما هو الشأن عند البرمكي والزمخشري. من مؤلفاته الأخرى: "غريب الحديث"، و"النوادر الكبير" و"النخلة" و"خلق الإنسان"، وغيرها كثير. (انظر ترجمته في :ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، ج 6، ص 77-84؛ ابن خلّكان، "وفيات الأعيان"، ج 1، ص 201-202؛ وحول المنهج، انظر :أحمد عبد الغفور عطّار، مقدمة "الصحاح"، ص 74-76؛ محمد علي عبد الكريم الرديني، "المعجمات العربية، دراسة منهجية"، ص 115-118).
39. انظر:د. حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ص 259.
40. ابن منظور، "لسان العرب"، ج 1، ص 8.
41. المصدر السابق، الصفحة نفسها.
42. ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، دار إحياء التراث العربي، ج 6، ص :155-156.

المصـادر والمـراجـع.

المصادر:

1. الأزهري، أبو منصور أحمد بن محمد،
تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون،
القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.
2. ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس،
بيروت، دار الثقافة، (بدون تاريخ).
3. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي،
جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،
بيروت، دار **العلم** للملايين، 1987.
4. الزركلي، خير الدين، الأعلام،
بيروت، دار العلم للملايين، 1980.
5. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله،
أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم **خفاجي،** مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
6. ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظـم،** تحقيـق: مصطفى السقا وحسين نصار، مصر، شركة مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1958.
7. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، **بغية الوعـاة** في **طبقـات اللغويين والنحاة،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1979.
8. الفارابي، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم،
ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، القاهرة، الهيئة العامـة للشؤون الأميرية، 1974.
9. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن زكريا،
مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،
بيروت، مؤسسة الرسالة. **مقاييس اللغة،** تحقيق: د. عبد السلام هارون، القاهرة، 1366هـ.
10. الفراهيدي، الخليل أبو عبد الرحمان بن عمرو،
كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، الطبعة الثانية، 1986.
11. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط،** تحقيـق: مكتب تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعـيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1996.
12. القفطي، جمال الدين أبو الحسن بن يوسف، **إنباه الرواة علـى أنباه النحاة،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.
13. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،
لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1994.
14. ياقوت الحموي، **معجـم الأدبـاء،** راجعتـه وزارة المعـارف العمومية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

المراجع:

1. إقبال، أحمد شرقاوي، **معجم المعاجم**،
بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987.
2. الدكتور عبد الجليل عبد القادر،
المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية،
عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999.
3. حبلص، أحمد يوسف، **نظرية الخليل المعجمية**،
القاهرة، دار الثقافة العربية، 1992.
4. خليل، حلمي، **مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي**،
بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى 1997.
5. الراجحي، شرف الدين علي،
محمد بن دريد، وكتابة الجمهرة،
الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1985.
6. الربيعي، أحمد فرج، **مناهج معجمات المعاني إلى غاية القرن السادس الهجري**، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001.
7. الرديني، محمد علي عبد الكريم، **المعجمات العربية، دراسة منهجية**،
الخمس، ليبيا، منشورات جامعة ناصر، الطبعة الأولى 2001.
8. سقّال ديزيري، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، (معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ)،
بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1997.
9. عطار، أحمد عبد الغفور، **مقدمة الصحاح**،
بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1979.
10. الدكتور نصار، حسين، **المعجم العربي، نشأته وتطوره**،
القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة الرابعة، 1988.

الترجمة في الفكر النهضوي العربي

د. عبد اللطيف عبيد [*]

ليست الترجمة تقنية لغوية فحسب، وإنما هي أيضاً " فعل إبداعي، ونشاط لغوي، وضرورة حضارية، وموقف إيديولوجي [1] ، تؤطرها كلّها طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النص المترجم منه والمترجم إليه في لحظة تاريخية معينة، ومن هنا يستمد الحديث عن موضوع الترجمة في الفكر النهضوي مشروعيته. على أن تناول هذا الموضوع يقتضي، بداية، توضيح المقصود بالفكر النهضوي العربي، وتحديد مجاله الزمني، قبل الانتقال إلى دراسة علاقة الترجمة بالاقتباس من الغرب، وموقف الفكر النهضوي منهما، والتعريف بالإنتاج الترجمي من حيث عدد المترجمات ولغا ا ومواضيعها والفئات التي استهدفتها، وعلاقة كلّ ذلك بالتوجهات النهضوية، وأخيرا محاولة الكشف عن حقيقة الدور الفعلي الذي قامت به الترجمة في المشروع النهضوي.

1- النهضة مفهوماً ومجالاً زمنياً:

تتنوع الرؤى والمقاربات المتعلّقة بـ "النهضة العربية" تنوعاً بينا، وهو ما يجعل تعريف هذا المصطلح وتحديد مفهومه أمراً لا يخلو من الصعوبة. وإذا كانت المعاجم اللغوية تعرف "النهضة" بأنها "الطاقة والقوة" و"الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره" [2]، وتعرف "عصر النهضة "بأنه" عصر تقدم اجتماعي وفكري وأدبي في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر" [3]، و"عصر النهضة العربية "بأنه" وثبة في سبيل التقدم الفكري والأدبي والاجتماعي شهدها العرب في القرن التاسع عشر" [4]، فإننا لا نكاد نعثر – فيما اطّلعنا عليه من مقالات وكتب، بما فيها المخصصة للنهضة مثل كتاب سلامة موسى: " ما هي النهضة"- [5] على تعريف يحدد مفهوم النهضة تحديداً جامعا دقيقا. وقد سعى جرجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية" إلى بيان ما سماه "مميزات هذه النهضة" بدل تحديد مفهومها، مؤكداً أن الدولة العربية في عهد النهضة الأخيرة" تأثّرت بتيار المدنية الأوروبية.وهي تختلف عن مدنيتها الإسلامية شكلاً وأسلوباً، فجار ا وإن لم تخرج عن دائر ا الخاصة" [6]. وفي رأي جرجي زيدان، تتمثّل أهم مميزات هذه النهضة المتأثرة بـ "مدنية أوروبا " – ويسميها مرة "النهضة"، وأخرى " النهضة الأدبية"-في إنشاء المدارس الحديثة، والطباعة، والصحافة، وروح الحرية الشخصية، والجمعيات الأدبية والعلمية، والمكتبات العامة، والمتاحف، والتمثيل، واشتغال الإفرنج بآداب اللغة العربية [7]. وشبيه ذا ما ذهبت إليه المستعربة نادا توميش (N. Tomiche)، في فصل " ضة" بدائرة المعارف الإسلامية، عندما سعت إلى تتبع "تجليات" هذه الحركة" - أي النهضة- بدل تعريفها، محاولة التفريق بينها وبين

(*) أستاذ بالمعهد العالي للغات – جامعة تونس.

"حركة الإصلاح" القائمة أساساً على التجديد الديني، تجديداً ذاتياً أو داخلياً. وفي رأيها أنّ النهضة وليدة عامل خارجي هو الاتصال بين الشرق والغرب، وهي تحرر من قيود الماضي ورفض لها، وانطلاقة نحو المعاصرة المتمثلة في نماذج أجنبية، وثقة بالمستقبل، وإيمان قاطع بحتمية تقدم المجتمعات؛ لذا فإنّ التجليات التي ميزت النهضة تتمثل في الحوار الذي أقامته مع الغرب، وفي اعتمادها الترجمة العلمية ثم الأدبية، أداة من أدوات ذلك الحوار، وظهور جيل من الرواد في مجال المسرح، والقصة، والرواية، مما طور الأدب وأدخل فيه أجناساً جديدة، مثلما طور اللغة العربية نفسها، وظهور الصحافة وما كان له من تأثير لغوي وفكري عظيم... إلخ [8].

وإذا كانت النهضة توجها نحو المعاصرة، وحالة تغير وتجدد عامة، شملت أجزاء كبيرة من الوطن العربي ومست معظم جوانب الحياة فيه، الرسمية منها والشعبية، فإنّ المقصود بـ "الفكر النهضوي" هو تلك التيارات الفكرية التي شكلت ما يعرف بـ "التنوير العربي" وهي، عموماً، تيار الإصلاح الديني، والسياسي الليبيرالي، والعلمي العلماني [9]. وهذا التنوير العربي لا يزال، في رأي بعض الدارسين، متواصلاً؛ فـ "منذ فجر النهضة العربية، والعرب يعيشون عصر تنوير عربي، ويحنون بعد انتكاسة التنوير الأول إلى تنوير عربي جديد" [10].

أما بالنسبة إلى المجال الزمني للنهضة، فإنه إذا كان بعض الباحثين يؤكدون أنه "ليس للنهضة العربية حدود واضحة متفّق عليها، بل هي تيار متصل، بعيد الجذور، كثير الروافد، يختلف، اتساعاً وتأثيراً وأهمية، في البلدان التي ورثت حضارة العرب، وانتظمتها لغة الضاد، وشكلت العالم العربي الحديث"[11]، وأنها لا تبدأ "بحملة بونابرت على مصر (1798-1801)، وإن تكن هذه الحملة بمنـزلة باعث قوي متشعب الجوانب المشعة الرائدة، خصوصاً في ما يختص بالصلة والتعامل بين الغرب والمشرق العربي"[12]، و"إنّ الرأي المتناقل، يردده الخلف عن السلف، بأنّ عصر الانبعاث، أو اليقظة العربية، أو النهضة الحديثة، قامت مع حملة بونابرت على مصر (1798) هو رأي يشوبه الكثير من التسرع والإجحاف بحق القرون والمراحل السابقة لهذه الحملة، خصوصاً لبنان"[13] الذي عرف، في الجبل والسواحل والمدن، حركة أدبية واتصالا بالغرب منذ القرن السادس عشر، وخاصة عبر المدرسة المارونية وما أنجزته من ترجمات إلى العربية، وإن غلب عليها الطابع الديني التبشيري[14]، فإنّ أغلب الدارسين يجعلون من حملة بونابرت على مصر، أو خروجها منها، البداية الأولى لهذه النهضة التي بدأت بمصر، وأشعت منها على الشام وتونس وسائر المناطق العربية. فجرجي زيدان يرى أنّ هذه النهضة تبدأ "بخروج الفرنسيين من مصر سنة 1801 ولا تزال" [15]. والبرت حوراني يجعل المجال الزمني للفكر العربي، في عصر النهضة، في الفترة الواقعة بين حملة بونابرت على مصر ونهاية الحرب العالمية الثانية (1798-1939) [16].

وتعتبر دائرة المعارف الإسلامية أنه إذا كان من الجائز أن نجعل بداية النهضة في القرن التاسع عشر مع الطلاّب المبعوثين إلى أوروبا، والمحاولات التحديثية الأخرى لمحمد علي (1805-1848)، ثمّ الخديوي إسماعيل (1863-1879)، فإنه يمكن أن نعتبر أنّ نهايتها تقع غداة الحرب العالمية الأولى عندما قضى الاحتلال الأجنبي، الذي تواصل في العديد من البلدان العربية، أو فرض عليها حديثاً، على الأمل في التحرر الذي اتسم به الحوار

بين الوطن العربي والغرب، وحلّت محلّه الآن مشاعر الإحباط والرفض [17]. أما طيب تيزيني ففي عرضه لـ "مشروع النهوض العربي التنويري" [18] يتحدث عن "النهضة الثانية" التي حدثت، في رأيه، منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل القرن العشرين، قياساً بـ "النهضة الأولى"التي حدثت في العصور الممتدة من القرن العشرين، قياساً بـ "النهضة الأولى" التي حدثت في العصور الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وبـ "النهضة الثالثة" التي برزت صيغ أولى لها "منذ خمسينيات القرن العشرين حتى بداية تسعينياته"، وهي فترة عرف فيها الفكر السياسي العربي الراهن تداخلاً بين ثلاثة مفاهيم مركزية، هي: النهضة، والثورة، وحركة التحرر الوطني العربي [19].

والحقيقة أنّ المقام لا يسمح بمزيد من الخوض في مناقشة مفهوم النهضة، وخاصة حدودها الزمنية؛ لذلك فإننا، لأغراض هذه الدراسة عن الترجمة في الفكر النهضوي، نتبنى الموقف الشائع لدى أغلبية الدارسين، والذي يجعل من حملة بونابرت، وما تلاها من تولّي محمد علي حكم مصر، بداية لها. أما نهايتها فإننا نجعلها في نهاية القرن التاسع عشر، بعيد احتلال فرنسا لتونس (1881)، وإنجلترا لمصر (1882)، وما ترتب على هذا الاحتلال من نكسة واضحة لحركة الترجمة، كما سنبينه لاحقا، بسبب هيمنة اللغة الأجنبية وتحول تعليم العلوم والمعاملات الإدارية والاقتصادية من العربية إلى الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية)، بعد أن كانت الترجمة إلى العربية، أساساً، إحدى الأدوات الرئيسية للنهضة في مختلف المجالات: التعليمية، والصناعية، والعسكرية، والصحية، والزراعية، والإدارية... إلخ. فقد أدى الاحتلال الأجنبي إلى انقلاب موازين القوى لصالح الغرب الاستعماري، وأحدث تغيرات عميقة في علاقة الوطن العربي به، وفي الموقف من لغته وثقافته، لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا في حياتنا الفكرية، وأوضاعنا اللغوية، بما فيها الترجمة إلى العربية، حجماً ونوعاً وكيفاً.

2- موقف الفكر النهضوي من الترجمة خاصة والاقتباس عن الغرب عامة:

أشرنا من قبل إلى أنّ الترجمة قد عدت أداة رئيسية من أدوات تحقيق النهضة التي كانت تتطلّع إليها النخبة السياسية والفكرية منذ بدايات القرن التاسع عشر. بل إنّ "النهضة، هي، في تيارها العريض، حركة ترجمة، سواء اتخذت الترجمة الشكل المباشر، من خلال نقل المؤلفات، أو الشكل غير المباشر، من خلال نقل الأفكار" [20]. ونجد خلال كل فترات عصر النهضة، أنّ الحواجز بين الترجمة والتأليف تكاد تضيع، وهو ما يدعونا إلى عدم التهوين من شأن الكتب المترجمة بسبب انخفاض عددها، في أغلب الفترات، عن عدد الكتب المؤلفة، مثلما سيأتي بيانه؛ كما يدعونا إلى اعتبار حركة الترجمة عنصراً من عناصر حركة أشمل، هي ما سمي بـ "اقتباس التمدن الغربي".

ويعد الاقتباس من الحضارة الغربية، أملاً في التخلّص من التأخر وتحقيق التقدم، من أهم أسس السياسة التحديثية لدى محمد علي، الذي تنسب إلى عهده أهم حركة ترجمة عرفها عصر النهضة العربية الحديثة. فـ "قد كان محمد علي، يؤمن، إيمانا راسخاً، بضرورة الإصلاح الجذري للسلطنة العثمانية وولاياتها، خشية وقوعهما معاً في قبضة الاستعمار الأوروبي. وقد أدرك، منذ البداية، أنّ حركة التحديث هذه لن تتم دون الاقتباس من النماذج الغربية المتطورة. فتحديث الجيش وتأهيله لحماية

الأرض، والشعب، والمؤسسات، يحتاج إلى فكر عسكري جديد، وإلى صناعة قوية تدعمه، وإلى مدارس وطنية ترفده بالشباب المتعلّم تعليماً عصرياً، وإلى موارد اقتصادية كبيرة تجبيها الدولة المركزية من القوى المنتجة؛ أي المزارعين والحرفيين، وإلى بعثات علمية للتخصص العلمي والتقني في أوروبا، وإلى رقابة صارمة للدولة المركزية على التجارة المحلية والسلع المعدة للتصدير الخارجي، وإلى مجالس إدارية تعمل بإشراف السلطة المركزية، وإلى مجالس تمثيلية تضم أعضاء يمثلون مختلف الطوائف والمهن، وإلى الحد من نفوذ السفراء والقناصل الأجانب الذين يستغلون نظام الامتيازات الأجنبية، ليمارسوا ضغوطاً مباشرة في الإدارة العثمانية على جميع المستويات (21).

ونجد في مواضع عديدة من مؤلفات الطهطاوي (1801-1873) ومترجماته-وهو زعيم حركة الترجمة في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر، ومنفّذ سياسة محمد علي التعليمية والترجمية- إشارات صريحة إلى ضرورة الأخذ عن الغرب واقتباس عناصر التمدن الأوروبي، ما لم تخالف الشريعة الإسلامية. ففي مقدمة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز " يشير الطهطاوي إلى أنه انطلق رحلته " بحثّ ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع، فإنّ كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع، والحق أحق أن يتبع. ولعمر الله إنني مدة إقامتي بهذه البلاد، في حسرة على تمتعها بذلك، وخلو ممالك الإسلام منه (...). ومن المعلوم أني لا أستحسن إلاّ ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية (...) وأسأل الله سبحانه وتعالى (...) أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم" (22).

وفي تونس تزعم المشير أحمد باي (1837-1855) المحاولة الإصلاحية الأولى في عصر النهضة، وهي محاولة سيطر عليها الطابع العسكري وتشبه، في وجوه عديدة، محاولة محمد علي في مصر، بل إن "أحمد باي كان ينظر بعين الغيرة إلى انتصارات وقوة باشا مصر محمد علي" (23). وقد زار هذا الباي فرنسا سنة 1846، وأعجب هو ومرافقوه، وخاصة مؤرخه أحمد بن أبي الضياف (1802-1874)، الذي كان مطلعاً على كتاب الطهطاوي "تخليص الإبريز" ومعجبا به مثلما عبر به عن ذلك في كتابه المشهور " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" (24)، بتقدم فرنسا وسائر أقطار أوروبا مادياً ومعنوياً، أو حسا ومعنى، حسب المصطلح المتداول في القرن التاسع عشر.

وفي "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" للمصلح التونسي الشهير، الوزير خير الدين (1822-1889)، الذي تزعم الحركة الإصلاحية الثانية في تونس قبل الحماية، نجد المؤلّف حريصاً على الدعوة إلى الاقتباس من أوروبا، وخاصة " مستحدثاتهم المتعلّقة بسياستي الاقتصاد والتنظيم (25). و"الغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأورباوية، إلى ما هي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية، أن نتخير منها ما يكون بحالنا لائقاً، ولنصوص شريعتنا مساعداً أو موافقاً، عسى أن نسترجع منه ما أخذ من أيدينا، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجودة فينا ..." (26).

في هذا الإطار التحديثي، القائم على الاتصال بأوروبا والاقتباس منها، يتنـزل، إذا، الاهتمام بالترجمة، كما يتنـزل الاهتمام باللغات الأوروبية التي تتكلّمها أمم عدت متفوقة في التمدن المادي والمعنوي. فمعرفة

اللغات- حسب عبارة الشيخ محمد السنوسي (1950-1900) أحد رواد حركة النهضة بتونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر – من أعظم أسباب تواصل الأمم . ولا شك أن تعلّم الألسن في الشريعة الإسلامية لمنفعة المسلمين بالتعلّم لترجمة ما يحتاج إليه الإمام والقاضي للفصل بين الخصوم، وإثبات الحقوق، أو غير ذلك مما تدعو إليه الضرورة والحاجة غير محذور، وربما وجب وجوباً كفائيا على ما هو موضح في جملة كتب الشريعة، حتى أجاز علماؤها ترجمة غير المسلم إذا لم يوجد المسلم ..." [27]. وقد أولى محمد علي تعليم اللغات الأجنبية- وفي مقدمتها الفرنسية- عناية كبيرة لا تقلّ عن عنايته بنشاط الترجمة الذي خطط له وأشرف عليه بنفسه وتابعه عن قرب، مستخدماً "مدرسة الألسن" و" قلم الترجمة"، بإدارة شيخ المترجمين رفاعة رافع الطهطاوي، جهازه التنفيذي الرسمي. وقد كان محمد علي، الذي أرسل البعثات الطلابية إلى أوروبا، وأنشأ المعاهد العسكرية والهندسية والطبية والزراعية، كما أنشأ سنة 1835 " مدرسة الألسن"، بناء على اقتراح من الطهطاوي-على الرغم من أنّ الباشا لم يتعلّم القراءة إلاّ وهو في الخامسة والأربعين من عمره-في حاجة ملحة إلى الترجمة لمعرفة أوروبا، والأساليب الحديثة في الإدارة والحرب، وتصريف أعمال المملكة مع الخارج والتفاهم مع الأهالي، وقضاء الأمور في الداخل [28].

ويورد جاك تاجر في كتابه المشهور "حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر" نقلا عن "الكونت ديستورميل" قصة طريفة فحواها " أنّ أحد الملوك أهدى إلى والي مصر كتاباً في علم الجغرافية مجلّداً تجليداً فاخراً، فاستدعى الباشا كبير مترجميه وسأله "كم تحتاج من الوقت لترجمة هذا المؤلف" فأجابه المترجم" ثلاثة أشهر تقريباً"، فأحضر محمد علي باشا سيفه وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام وزعها على ثلاثة مترجمين، وذلك لإنجاز العمل في شهر واحد [29]. كما يذكر جاك تاجر أنّ محمد علي كان " إذا اطلع على كتاب وأعجبه، أمر في الحال بطبعه وتوزيعه على الأعيان والمكاتب. وكان على عكس ذلك يحول دون نشر الكتاب إذا لم ينل استحسانه. وقد كتب الجناب العالي مرة إلى مختار بك، في شأن ترجمة الكتاب الذي وضعه الافرنسيس في أثناء الحملة، يطلب منه أن يرسل إليه إحدى النسخ المترجمة قبل طبعها، وبعد فترة وجيزة تسلّم مختار بك كتاباً آخر ، فحواه أنّ الجناب العالي لا يوافق على طبع الكتاب الخاص بأخلاق المصريين الذي ألّفه الفرنسيون"[30].وكان محمد علي، كما يقول جاك تاجر أيضاً، "يهتم بكلّ كتاب يقع تحت بصره، أو يسمع به، يكون محتوياً على آراء يعود تنفيذها بفائدة مادية وأدبية. فقد أرسل إلى سلحدار إبراهيم باشا، المقيم في لندن، كتاباً، جاء فيه: قد بلغنا أنه يوجد كتاب مطبوع باللغة الإنجليزية يبين مبلغ مصروفات كل سفينة حكومية أنشأ ا الدولة الإنجليزية، وكذلك توجد كتب مطبوعة مؤلفة على طراز سهل يشتاق صغار الأطفال إلى قراء ا، فعلى ذلك قد اقتضت إرادتنا جلب هذا الكتاب المطبوع ليحصل الاطلاع على مقدار المبالغ المصروفة على إنشاء السفن ومشترى الكتب، وإرسالها إلى طرفنا فيلزم شراؤها بمعرفتكم وترجمتها إلى اللغة التركية، ثم إرسالها مع الأصول المطبوعة" [31].

وعندما شرع محمد علي في توجيه البعثات الطلابية، لم ينتظر عود م إلى مصر ليكلفهم بأعمال

الترجمة، بل أمرهم بالشروع فيها وهم يتلقون العلم في أوروبا. ففي رسالة إلى أحد الطلاّب يذكر الوالي " بما سبق أن أمره به من أن يرسل كتب الجغرافية الجاري ترجمتها بمعرفة البعثة جزءا جزءا، فيلومه على الاكتفاء بذكر أنّ مختار أفندي لا يزال يشتغل بالترجمة، كما يلومه على أنه لم يقدم المعلومات الدالة على مبلغ تحصيلهم، مؤكداً عليه المطالبة بتفصيل ما ترجموه من الكتب، وما أفادوه من العلوم منذ حلولهم بباريس، وموصياً بأن يكون البيان المقدم، في هذا الصدد، معززاً بشهادات الأساتذة المدرسين، وبأن يكتب إليه بعد ذلك آخر كلّ شهر تقريراً، مبينا للقدر الذي ترجموه وحصلوه في أثناء ذلك الشهر... (32).

ويتضح مما تقدم، أن الترجمة كانت، لدى محمد علي، "قضية شخصية" استدعت كامل عنايته واهتمامه، لارتباطها بتحقيق مشروعه السياسي الهادف إلى بناء دولة حديثة تتمكّن من الاستقلال النهائي عن الباب العالي، وتقف في وجه الأطماع الأوروبية. وهذا الموقف من الترجمة نجد، في تونس، ما يماثله عند أحمد باي، ولو إلى حد. فقد كان لأحمد باي- كما يقول ابن أبي الضياف- استحسان لأفعال نابليون الأول، حتى إنه أمر بترجمة حروبه ووقائعه باللغة العربية، وقرأ ا عليه غير ما مرة بالمحمدية. ويرى أنه من عظماء الدنيا كالإسكندر وأمثاله" (33). وهذا الباي هو الذي أسس "المدرسة الحربية" أو "المكتب الحربي " بباردو، من ضواحي تونس، سنة 1840 "لتعليم ما يلزم العسكر النظامي من العلوم كالحساب، والهندسة، والمساحة، وغيرها، ولتعليم اللغة الفرنساوية، لأنّ أكثر كتبها مدونة ذه اللغة "(34). ولئن كانت هذه المدرسة من آثار اهتمام أحمد باي بالناحية العسكرية – على غرار ما رأينـ اه من اهتمام محمد علي ذه الناحية أيضاً – وتفكيره في تخريج ضباط جيشه النظامي على أيدي أساتذة أوروبيين، فإ ا لم تكن مدرسة عسكرية بحتاً، وإنما كانت أول مؤسسة تعليمية احتوى برنامجها على مواد العلوم العصرية، كما كانت مهد أول حركة ترجمة عرفها تاريخ تونس الحديث (35)، وإن كان أغلب ما ترجم في إطارها هو من الفنون العسكرية، إذ تثبت بعض الدراسات أنّ ما ترجم إلى العربية في تونس، من سنة 1838 إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1881، يعد 46 كتاباً، منها 40 كتاباً- أي بنسبة 87% من مجموع ما عرب – في الفنون العسكرية وحدها (36).

وخلاصة القول، إنّ الترجمة في القرن التاسع عشر، وخاصة في نصفه الأول وإلى أواسطه، مع اية حكم محمد علي في مصر، وأحمد باي في تونس... إلخ، كانت اختياراً سياسياً، ونشاطاً رسمياً، تقرره السلطة السياسية، وتخطّط له، وتشرف عليه، وتراقبه، ليكون في خدمة سياستها ويحقق أهدافها.وقد تبين أن التجربة المصرية في الترجمة، وهي التي توفّرت لدينا عنها معلومات ضافية، وإحصائيات مدققة دالة، مثلما سنورده لاحقاً، تعد التجربة البارزة، وإن كانت التجربة اللبنانية قد سبقتها، لكن في ظروف مغايرة، كما يعد نجاحها – إضافة إلى الاختيار السياسي الذي رسمه محمد علي وحزمه في تطبيقه، فـ "إذا أمر الباشا بشيء، أراد تنفيذه على الوجه الأكمل" كما يقول جاك تاجر (37)- راجعاً إلى تأهيل المترجمين وحيويتهم وتجندهم لخدمة دولة محمد علي، وفي مقدمة هؤلاء المترجمين رفاعة رافع الطهطاوي، الذي آمن إيماناً راسخاً بدور الترجمة والتربية والتعليم في تحقيق عملية التنوير وحركة النهضة.

3- الإنتاج الترجمي، عددياً ولغوياً وموضوعياً وفئوياً، في القرن التاسع عشر، وصلته بالتوجهات النهضوية: حالة مصر.

ما عدد الكتب المترجمة فيما بين اللغات المستخدمة، بصورة أو بأخرى، في مصر خلال القرن التاسع عشر؟ وما نسبتها إلى الكتب المؤلّفة؟ وما اللغات المترجم منها والمترجم إليها؟ وما مواضيع الكتب المترجمة؟ وما الفئات التي استهدفتها هذه المترجمات؟ وما صلة كلّ ذلك بالتوجهات النهضوية التي عرفتها مصر خاصة خلال هذا القرن؟

هذا ما سيسعى هذا القسم من الورقة إلى الإجابة عنه، في ضوء الإحصائيات التي تزودنا ا بعض الدراسات والبحوث البيليومترية الحديثة [38].

3-1 **الكتب المترجمة:**

أحصت عايدة إبراهيم نصير ما نشر من كتب في مصر، من عشرينات القرن التاسع عشر- أي من مرحلة تأسيس المطابع بدءاً بمطبعة بولاق سنة 1822- إلى ايته، فبلغ 10405 من الكتب المؤلّفة والمترجمة. ويبلغ عدد الكتب المترجمة 804؛ أي ما نسبته 7ر73 من مجموع المنشورات، وهو ما يوضحه الجدول التالي [29]:

جدول رقم (1) يبين عدد المترجمات في كلّ فترة ونسبتها إلى المنشور من الكتب في مصر خلال القرن 19

الفترة	عدد الكتب المنشورة (مؤلفة ومترجمة)	عدد الكتب المترجمة	نسبة المترجمات
العشرينات	105	21	%20
الثلاثينات	358	102	%28ر5
الأربعينات	404	138	%34ر2
الخمسينات	443	74	%16ر7
الستينات	1391	73	%5ر2
السبعينات	1597	95	%15ر9
الثمانينات	3021	110	%3ر6
التسعينات	3086	191	%6ر2
ا موع	**10405**	**804**	**%7ر73**

ويتبين من الإحصائيات التي توصلت إليها عائدة إبراهيم نصير، في الجدول السابق، أن الكتب المترجمة قد حقّقت أعلى نسبها في العشريات الثلاث الأولى المشمولة بالدراسة، فبلغت 34٫2 % في الأربعينات، و 28٫5 %في الثلاثينات، و 20% في العشرينات؛ أي خلال عهد محمد علي الذي مثّل" النهضة الثقافية الأولى" في القرن التاسع عشر. وقد ازدهرت حركة الترجمة في هذه الفترة لأسباب عديدة، في مقدمتها: إنشاء المدارس الخصوصية العسكرية والطبية والهندسية والإدارية، التي كان مدرسوها مكلّفين أيضاً بترجمة الكتب الدراسية والمرجعية، وعودة المبعوثين، وتخّرج المترجمين في مدرسة الألسن-وقد تأسست سنة 1835-وإنشاء أقلام الترجمة.

وقد تراجعت نسبة الكتب المترجمة بداية من الخمسينات، بعد تولّي الخديوي عباس (1848- 1854) الحكم، وإلغاء مدرسة الترجمة سنة 1850، ونفي رفاعة رافع الطهطاوي إلى السودان، بعد تولي نظار ا مدة 15 سنة. وعند تولي سعيد (1854-1863) الحكم، ألغى ديوان المدارس الذي كان يزود المترجمين بالكتب المراد ترجمتها لاستخدامها في التعليم؛ فقد كان -كما يقول المؤرخون- ذا كراهية للعلم والمتعلمين، وقد أشيع عنه قوله" إنه من الأيسر حكم أمة جاهلة من حكم أمة أهلها من المتعلمين" [40]. على أنّ الخديوي سعيد قد ساعد، من ناحية أخرى، في تنشيط حركة الترجمة عندما أصدر أوامره باستعمال اللغة العربية في القضايا المعروضة على المحاكم، مانعاً استعمال غير العربية فيها [41].

وتعد فترة حكم الخديوي إسماعيل (1863-1879) بمثابة " ـضة ثقافية ثانية"، عرفتها مصر في القرن التاسع عشر، بعد النكسة التي حصلت في عهدي: الخديوي عباس، والخديوي سعيد. على أنه إذا كانت النهضة الأولى " ـدف إلى تكوين إمبراطورية قوية قوامها الجيش والمدارس، على اختلاف تخصصا ا، وكانت المطبوعات الصادرة تدور في فلك هاتين الدعامتين" [42]، فإنّ النهضة الثانية" كانت تميل إلى نشر الثقافة والتعليم والفنون والآداب بين جميع أفراد الشعب" [43].

وإذا كانت نسبة المترجمات في عهد إسماعيل لم تبلغ ما بلغته في عهد محمد علي- إذ أقصى ما وصلت إليه هو 15٫9 %خلال السبعينات - فلأن النهضة الثانية " قد استمدت جذورها من المؤلفات التراثية والأدبية" [44]، خاصة بعد أن مضى الزمن الذي كانت فيه مدرسة الألسن مسيطرة، نحو الخمسة عشر عاماً (1835-1850)، على الإنتاج الترجمي وشؤون الثقافة العامة في مصر [45]. وقد تأثرت حركة الترجمة في هذه الفترة بمسعى الخديوي إسماعيل إلى تطوير القضاء، إذ أمر بترجمة القوانين الفرنسية للحد من النفوذ الأجنبي، وهو ما تمّ بإشراف رفاعة الطهطاوي، وطبعت هذه الترجمة في مجلدات كثيرة بمطبعة بولاق بين سنتي 1866 و 1868. إلاّ أنّ تنشئة الخديوي إسماعيل، وإتقانه للغات الأجنبية، ومحاولته المستمرة لجعل مصر "قطعة من أوروبا"، قد جعلت تدريس اللغات الأجنبية من أهم أهداف التعليم، فبلغ عدد المدارس الأوروبية التي فتحتها البعثات الدينية في عهده 70 مدرسة [46].وفي هذا العهد أيضاً ترسخ التعريب بمدرسة الطب مما نشط الترجمة الطبية إلى العربية، بل إن إسماعيل قد جعل العربية هي اللغة الرسمية في كافة الدواوين والمصالح، بمقتضى أمر صدر سنة 1869 بعد أن كانت التركية هي اللغة الرسمية، وقد أدى ذلك إلى ترجمة كلّ اللوائح والأوامر، وكلّ ما سبق صدوره من عصر محمد

علي إلى عصر سعيد [47].

على أنّ هذه الانتعاشة النسبية التي عرفتها حركة الترجمة في عهد إسماعيل ستتراجع بداية من الثمانينات، إذ تدنت نسبة الكتب المترجمة إلى 6ر3 %، و2ر6 %خلال الثمانينات والتسعينات على التوالي، وذلك بسبب ضعف خريجي مدرسة الترجمة- وقد فتحت من جديد بين 1878 و 1885- مما دعا إلى الاستعانة بالمترجمين الشوام في آخر القرن، مثلما استعان م محمد علي في بدايته، ونجاح الاستعمار الإنجليزي في تحويل لغــة التدريس إلى الإنجليزية، وتوسع استخدام اللغات الأجنبية... إلخ.

3-2 اللغات المترجم منها والمترجم إليها:

كانت اللغة التركية، إلى سنة 1869، كما رأينا، هي اللغة الرسمية في مصر، وكان للإيطالية مكانة مهمة في التعليم وغيره من ا الات، لكنها تراجعت منذ عصر محمد علي، وتقدمتها اللغة الفرنسية التي لم تتفوق عليها الإنجليزية إلاّ مع اية القرن بسبب الاحتلال الإنجليزي.

ويبين الجدول التالي الكتب المترجمة بمصر في القرن التاسع عشر، موزعة حسب اللغات المترجم منها [48]:

رقم (2) يبين المترجمات في القرن التاسع عشر بمصر موزعة حسب اللغة المترجم منها

الفترة / اللغة	العشرينات	الثلاثينات	الأربعينات	الخمسينات	الستينات	السبعينات	الثمانينات	التسعينات	ا موع	النسبة التقريبية
الفرنسيــة	13	75	93	36	40	57	45	86	445	55 %
الإنجليزيــة	-	1	3	3	11	19	44	86	167	%21
العربيــة	2	9	22	22	4	8	5	8	80	%10
التركيــة	2	8	18	11	6	6	9	6	66	%8
الفارسيــة	-	3	1	1	9	2	5	2	23	%3
الإيطاليــة	3	2	1	1	3	1	-	-	11	%1
الألمانيــة	-	-	-	-	-	2	2	1	5	%6ر0
القبطيــة	-	-	-	-	-	-	-	2	2	%2ر0
الهنديــة	-	2	-	-	-	-	-	-	2	%2ر0
اليونانية	1	1	-	-	-	-	-	-	2	%2ر0
الروسية	1	-	-	-	-	-	-	-	1	%1ر0
ا موع	**21**	**102**	**138**	**74**	**73**	**95**	**110**	**191**	**804**	**%3ر99**

أما الجدول التالي فيبين عدد الكتب المترجمة موزعة حسب اللغة المترجم إليها: [49]

جدول رقم (3) يبين المترجمات في القرن التاسع عشر بمصر

موزعة حسب اللغة المترجم إليها

الفترة / اللغة	العشرينات	الثلاثينات	الأربعينات	الخمسينات	الستينات	السبعينات	الثمانينات	التسعينات	ا موع
العربية	11	78	107	49	66	84	103	179	677
التركية	9	22	29	24	7	11	4	7	113
الفارسية	1	-	2	1	-	-	-	-	4
الفرنسية	-	1	-	-	-	-	2	1	4
الإنجليزية	-	-	-	-	-	-	-	3	3
الألمانية	-	1	-	-	-	-	-	-	1
الجاوية	-	-	-	-	-	-	1	-	1
القبطية	-	-	-	-	-	-	-	1	1
ا موع	**21**	**102**	**138**	**74**	**73**	**95**	**191**	**191**	**804**

ويتبين من الجدول رقم (3) أن اللغة الفرنسية قد تصدرت اللغات التي ترجمت منها الكتب في مصر طيلة القرن التاسع عشر، إذ بلغ ما ترجم منها 445 كتاباً، وهو ما يمثل 55 % من مجموع المترجمات (804 كتب). ويعود ارتفاع هذه النسبة إلى المكانة التي حظي ا الفرنسيون والثقافة الفرنسية في قطاعات عديدة، وإلى أنّ محمد علي قد استعان بمجموعة كبيرة من الأساتذة الفرنسيين -مقابل قلة من غير الفرنسيين- للتعليم في المدارس الخصوصية التي أنشأها، ومن أشهرهم برون (perron)، أستاذ الكيميـاء والفيزياء، الذي "تعلّم العربية وأجادها، واستطاع أن يترجم كتابين أساسيين في الكيمياء والفيزياء إلى اللغة العربية" [50] ، وكلوت بك (Clot) ،أستاذ الطب، الذي وضع خطة للتغلّب على حاجز اللغة العربية في مجال تدريس العلوم الطبية، " إذ كان يعين مترجماً مع كل أستاذ لكي ينقل كلّ ما يشرحه هذا الأستاذ من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، ثم يكلفه بعد ذلك بأن يعيـد

ما ترجمه مرة ثانية إلى الفرنسية حتى يتأكد من صدق الترجمة، بالإضافة إلى تكليف المترجم أيضاً بترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية " [51].

وتعود مكانة الفرنسية إلى أنّ أكثر البعثات الطلابية قد أرسلت إلى فرنسا، وإلى أنّ زعيم حركة الترجمة في مصر محمد علي، بل في القرن التاسع عشر كله -رفاعة رافع الطهطاوي- قد درس بفرنسا، وعن الفرنسية وضع كلّ مترجماته.

أما اللغة الإنجليزية فتأتي في المرتبة الثانية، إذ بلغ ما ترجم منها 167 كتاباً، بنسبة 21%. على أنّ المترجمات من الفرنسية في التسعينات (86 كتاباً لكلا اللغتين) مؤذنة بعصر جديد يمن فيه الإنجليزية، لا على الفرنسية فحسب، وإنما على العربية أيضاً، وتعوق فيه حركة الترجمة إعاقة واضحة.

وأما اللغات المترجم إليها فتتصدرها اللغة العربية بـ 677 كتاباً، وبنسبة 84%من مجموع الكتب المترجمة (804 كتب)، تليها التركية - وكانت اللغة الرسمية إلى حد سنة 1869 كما رأينا، إضافة إلى أ ا لغة الحكام- بـ 113 كتاباً، وبنسبة 14%، في حين أنّ اللغات الست الأخرى (الفارسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والجاوية والقبطية) لا تزيد نسبة الكتب التي ترجمت إليها عن 2%. وأهم ما تكشف عنه هذه، الأرقام، أهمية الجهود التي بذلت لنقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية، تلبية لحاجات التعليم والإدارة والجيش والتثقيف العام، مما ساعد على إحياء اللغة العربية وإثرائها، وتطويعها لمقتضيات النهضة الحضارية.

3-3. مواضيع الكتب المترجمة:

يبلغ عدد الكتب المترجمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر- وهي فترة متأثرة تأثراً تاماً بشخصية محمد علي وببرنامجه السياسي واختياراته التحديثية- 261 كتاباً؛ أي بنسبة 46ر32% من مجموع ما ترجم في كامل القرن (804 كتب). وتأتي في صدارة هذه المترجمات العلوم التطبيقية (91 كتاباً، بنسبة 86ر34 %)، والعلوم البحتة (56 كتاباً بنسبة، 45ر21 %) التي تمثل معاً نسبة 56ر32 % من مجموع ما ترجم، وهو ما يؤكد أن العلوم البحتة والتطبيقية كانت موضع رعاية محمد علي الكاملة، خلافاً للآداب التي لم يكن لها نصيب من اهتمامه الرسمي.

أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد النكسة التي أصابت الحركة التعليمية والثقافية، عامة، والترجمة، خاصة، إبان حكم عباس وسعيد، ومع استئناف النهضة الثانية في عصر إسماعيل، انصرفت الجهود إلى التأليف أكثر من الترجمة، وانتقل الاهتمام إلى الترجمة في مجال الإنسانيات، وأصبحت الصدارة للعلوم الاجتماعية (124 كتاباً من مجموع 543 كتاباً؛ أي بنسبة 8ر22%) والآداب (105 كتب بنسبة 3ر19%)، بينما احتلت العلوم البحتة المرتبة الثالثة (80 كتاباً بنسبة 7ر14 %)، والعلوم التطبيقية المرتبة الخامسة (68 كتاباً بنسبة 5ر12%) بعد الجغرافيا والتاريخ (78 كتاباً، بنسبة 3ر14%). ولا شك أن للاحتلال الإنجليزي عامة، وتحول لغة التدريس من العربية إلى الإنجليزية خاصة، دوراً أساسياً في تناقص الاهتمام بترجمة كتب العلوم البحتة والعلوم التطبيقية إلى اللغة العربية.

ويبين الجدول التالي (رقم 4) عدد الكتب المترجمة في كلّ موضوع، في كلّ من النصف الأول والنصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي القرن بكامله. [52]

جدول رقم (4) يبين عدد الكتب المترجمة في القرن التاسع عشر موزعة حسب المواضيع

الفترة / الموضوع	النصف الأول من القرن 19		النصف الثاني من القرن 19		المجموع	النسبة
	عدد المترجمات	النسبة	عدد المترجمات	النسبة		
معارف عامة	1	0ر4%	4	0ر73 %	5	0ر62%
فلسفة	6	2ر3%	14	2ر6%	20	2ر48%
ديانات	10	3ر8%	32	5ر9%	42	5ر22%
علوم اجتماعية	29	11ر1%	124	22ر8%	153	19.02%
لغات	12	4ر6%	37	6ر8 %	49	6ر09%
علوم بحتة	56	21ر4%	80	14ر7%	136	16ر91%
علوم تطبيقية	91	34ر9%	68	12ر5%	159	19 ر77%
فنون	-	-	1	0ر18%	1	0ر012%
آداب	19	7ر3%	105	19ر4%	124	15ر42%
جغرافيا و تاريخ	37	14ر2%	78	14.3%	115	14ر3%
المجموع	261	100%	543	100%	804	100%

3-4 الفئات التي استهدفتها المترجمات:

صنفت عائدة إبراهيم نصير الفئات التي استهدفتها الكتب المترجمة بمصر في القرن التاسع عشر إلى خمس، هي: الأطفال، والمدارس، والكبار، والإدارة، والجيش [53].

ويبين الجدول التالي (رقم 5) توزيع المترجمات حسب الفئات التي ترجمت لها.

جدول رقم (5) يبين توزيع المترجمات حسب الفئات المستهدفة

الفترة / الفئة	أطفال	مدارس	كبار	إدارة	جيش	المجموع
العشرينات	-	11	3	2	5	21
الثلاثينات	1	77	16	7	1	102
الأربعينات	2	91	25	13	7	138
الخمسينات	1	50	10	4	9	74
الستينات	6	29	16	10	12	73
السبعينات	4	42	28	6	15	95
الثمانينات	3	31	36	29	11	110
التسعينات	4	43	122	21	1	191
المجموع	21	374	256	92	61	804
النسبة	2ر6 %	46ر5 %	31ر8 %	11ر4 %	7ر6 %	100 %

ويتبين من الجدول السابق تفوق المترجمات الموجهة إلى المدارس (374 كتاباً بنسبة 46ر5 %)، تليها كتب الكبار، فالمطبوعات الإدارية، فالجيش، فالأطفال. وفي ضوء ما رأيناه من اهتمام محمد علي بالتعليم عامة، وتعليم العلوم الحديثة البحتة والتطبيقية خاصة، فإنّ تفوق المترجمات المدرسية أمر طبيعي، لتأهيل الإطارات في مختلف المجالات تلبية لحاجات دولته الناهضة. وقد أنشئت مطبعة بولاق سنة 1822 " خصيصاً لخدمة المدارس ولطبع الكتب الدرسية [54].

وقد زاد عدد المترجمات الموجهة إلى فئة الكبار زيادة واضحة، بداية من الستينات، ليصل في التسعينات إلى 122 كتاباً (من 256 كتاباً وهو مجموع ما ترجم في التسعينات لكل الفئات؛ أي بنسبة 63ر87 %) تتصدرها كتب الأدب، فكتب التاريخ والجغرافيا والرحلات،

فالديانات والعلوم الاجتماعية... إلخ، وهو ما يعكس النهضة الثقافية والأدبية النسبية التي عرفها عصر إسماعيل بالخصوص، وتقلّص الاهتمام بترجمة كتب العلوم البحتة والتطبيقية بالخصوص.

وبلغت المطبوعات الإدارية أعلى رقم لها في الثمانينات (29 كتاباً)، وفي التسعينات (21 كتاباً)، مسايرة لتطور حركة تعريب الإدارة والقضاء.

وتناولت المترجمات الموجهة إلى الجيش مجال الفنون الحربية، والقوانين العسكرية، والعلوم الاجتماعية، والعلوم التطبيقية، والجغرافيا، والتاريخ... والمترجمات الموجهة إلى الطفل- وإن كانت محدودة، إذ بلغ عددها، طيلة القرن، 21 كتاباً. بنسبة 6ر2 % من مجموع المترجمات- دليل على أن حركة الترجمة لم تكن، أحياناً، حبيسة الأطر الصارمة التي حاول محمد علي أن يضعها فيها، وتفاعلت مع مختلف أوجه حركة التأليف والترجمة في أوروبا حينئذ، بل إن محمد علي نفسه قد أمر باقتناء كتب للأطفال، سمع أنها مما "يشتاق صغار الأطفال إلى قراءته"، إضافة إلى أنّ الطهطاوي وتلامذته قد أولوا الترجمة والاقتباس والتأليف للأطفال جزءاً من اهتمامام م.

ويتضح مما تقدم أنّ حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر، وخاصة أثناء حكم محمد علي، قد سايرت الاختيارات الرسمية وكانت في خدمتها، لذا كانت الكتب الدراسية الموجهة إلى طلاّب المدارس التي أنشأها الوالي في صدارة المترجمات، واحتلّت العلوم التطبيقية والبحتة صدارة العلوم المترجمة منها، كما كانت العربية أكثر اللغات المترجم إليها...إلخ. وقد خدمت الترجمة تعريب القضاء والإدارة، مثلما خدمت الجيش وعلاقات مصر مع الخارج... إلخ. ولئن أصابت الترجمة نكسة خلال عهدي عباس وسعيد، فإ ا سرعان ما استعادت بعض حيويتها في عصر إسماعيل، لكن المتغيرات الجديدة جعلتها تتجه نحو الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، أكثر من التركيز على العلوم التطبيقية والبحتة، وأصبحت، شيئاً فشيئاً، "ترجمة استهلاكية"، بعد أن كانت "ترجمة إنتاجية" [55] في خدمة النهضة، وعزلت معها اللغة العربية، بعيد الاحتلال الإنجليزي، عن التعبير العلمي والتقني.

4- أثر الترجمة في الفكر النهضوي:

عندما ندرس العوامل التي أثّرت في النهضة، وشكّلت الفكر النهضوي، فإنه من الصعب أن نحدد التأثير الذي اختصت به الترجمة من بين تلك العوامل، وذلك لأنّ الترجمة كانت عنصراً ضمن حركة أعم، هي النقل، أو الاقتباس من الغرب، كما سبق أن أشرنا. وقد تفاعلت ا تمعات العربية، في عصر النهضة، مع الحضارة الغربية، وإن بصور متفاوتة، تفاعلاً تزايد على مر السنين، وأخذ أشكالاً جديدة مع الاحتلال الأجنبي، إلى أن سقطت هذه ا تمعات في التبعية والتغرب والاستلاب، ولم تستطع الخروج من أسر التخلّف، على الرغم مما حققته من بعض التطور المادي. وإذا كان " من الصعب تصور المستوى الحضاري العالي للثقافة الإسلامية العربية القديمة، دون حركة الترجمة لأمهات الأعمال الفلسفية والطبية والعلمية الأخرى، من الإغريقية إلى العربية، وكذلك يصعب تصور الحضارة الأوروبية الحديثة، دون حركة الترجمة من اللغات العربية واللاتينية والإغريقية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ومن قبل ذلك حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية..." [56]، فإنه من الصعب أيضاً تصور النهضة العربية، بإيجابيا ا وسلبيا ا، من دون حركة الترجمة إلى العربية في لبنان ومصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها.

وقد كان رواد النهضة في القرن التاسع عشر واعين ليس فقط بدور الترجمة في نهضة الأمم، وإنما أيضاً بما أحدثته من أثر إيجابي واضح في البلاد العربية، وخاصة في مصر إبان عصر محمد علي وخلفائه. من ذلك أنّ رفاعة الطهطاوي يشير، في سياق تعداده لمآثر محمد علي، إلى عناية هذا الوالي بالترجمة وإنشائه "مدرسة للألسن الأهلية والأجنبية، لمعرفة اللغات واستفادة ترجمة الكتب الأجنبية، ونتج عنها تكثير المعلومات، وأحرزت ديار مصر منها الفوائد الجمة والمعارف المهمة..." (57)، وإلى أنه "أنشأ، كما سبق، مدرسة للألسن، في الأكثر، لقصد ترجمة الكتب الغربية، فكانت للوفاء بجلّ مقصده مجيبة، وترجم فيها كثير من العلوم المتنوعة، ودخل رجالها في الخدمات الميـرية، وعادت منهم على البلاد المنفعة..." (58).

وهذا الربط بين الترجمة وأثرها الإيجابي في تمدن مصر، في عصر محمد علي وخلفائه، نجده أيضاً عند المصلح التونسي محمد بيرم الخامس (1839-1889)، الذي يقول عن محمد علي إنه "شمّر عن ساعد الجد، ووافقه البخت، وفتح لمصر عصراً جديداً ، وترجمت الكتب النافعة في فنون شتى إلى العربية فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد..." (59).

وقد واصل أعلام الفكر والأدب والثقافة، في ما بعد نهضة القرن التاسع عشر، الاهتمام بالترجمة والدعوة إليها، والحث عليها، لدورها المؤكّد في تحقيق التقدم الفكري والمادي الذي تنشده الأمة العربية. فهذا طه الهاشمي يكتب في مذكراته عام 1919 أنه " لو أرادت الأمة العربية الرقي فلا يصعب عليها أن تؤلف لجنة ترجمة، ممن لهم اطلاع ورسوخ في اللغات الأجنبية وفي العربية، فتأخذ بترجمة هذه الآثار، من غير مجاراة ولا تفريق" (60)؛ وهذا ميخائيل نعيمه يرى في غرباله، سنة 1923، أنه ليس عندنا من الأقلام والأدمغة ما يفي بسد حاجاتنا الروحية، " فلنترجم ! ولنجلّ مقال المترجم، لأنه واسطة تعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى، ولأنه بكشفه لنا أسرار عقول كبيرة، وقلوب كبيرة تسترها عنا غوامض اللغة، يرفعنا من محيط صغير محدود، نتمرغ في حمأته، إلى العالم الأوسع، فنعيش بأفكار هذا العالم وآماله وأفراحه وأحزانه (61). وفي سنة 1938 كتب طه حسين، في "مستقبل الثقافة في مصر"، أنه "في حياتنا العقلية تقصير معيب، يصيبنا منه كثير من الخزي، كما يصيبنا كثير من الجهل، وما يستتبعه الجهل من الشر، ولا بد من إصلاحه، إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا ونعيش عيشة الأمم الراقية، وإن كنا نريد أن ننصح للعلم نفسه ونشارك في ترقيته وتنميته، وإن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة، ومن الخمود والجمود إلى النشاط والإنتاج. ومظهر هذا التقصير المخزي إهمالنا الشنيع للترجمة والنقل عن اللغات الأوروبية الحية. فما أكثر الآثار العلمية والفنية والأدبية التي تنعم بها الإنسانية الراقية، وما أشد جهلنا لهذه الآثار وغفلتنا عنها ! وما أقلّ حظّنا من الاستمتاع بلذّاتها النقية الممتازة. وما أكثر حديثنا عن مجد العرب الأولين حين أقبلوا في شره رائع على آثار الأمم المتحضرة فنقلوها إلى لغتهم، ومزجوها بتراثهم، وغذوا بها عقولهم وقلوبهم، وكونوا منها حضارتهم" (62). أما أنور عبد الملك فقد أكد في حديثه عن "أهمية الترجمة في نهضتنا الثقافية" أن "الشعور العام هو أن حركة الترجمة، عندنا، ما زالت محدودة الأفق، محدودة الانتشار؛ أي أنها ليست في مستوى ما نحتاج إليه للإسهام في نهضتنا الثقافية". وهو يرى أنّ "هدف

حركة الترجمة هو تعويض الأجيال المتعاقبة التي فاتنا فيها ركب الحضارة بعد انتقاله من الإسكندرية إلى الغرب في عصر النهضة، ثمّ في عصر الثورة الصناعية. ويكفي أن ننظر إلى كليات الطب والهندسة والعلوم والزراعة لنتبين إلى أي مدى ما زلنا نفتقر إلى مكتبة مصرية عربية تضع المعارف المعاصرة، والعلم الحديث، بين أيدي المعنيين ـا في لغتنا القومية " [63].

وإذا كانت هذه المواقف دالّة على سخط هؤلاء الأعلام الأربعة على حال الترجمة العربية، في أوائل القرن العشرين وأواسطه، فإنه ليس فيها ما يدلّ على رضاهم عن أثر حركة الترجمة أثناء عصر النهضة في ما آل إليه حال الأمة العربية، التي أصبح من المتحتم عليها أن تتخذ من الترجمة، مجدداً، أدا ا التي تعوض ا "ما فا ا من ركب الحضارة "، حسب تعبير أنور عبد الملك، وفي ذلك إقرار بأنّ ما ترجم لم يجسر الفجوة الحضارية والفكرية بين العرب والغرب، ولم " ينقل التراث العالمي الثوري القائم على العلم" كما يقول بسام طيبـي [64].

لقد كانت الترجمة في عصر النهضة أحد عناصر النقل عن الغرب، ووظّفت لخدمة سياسة الحكّام ومرافق الدولة. وقد رأينا في ما سبق (الفقرة 3) أن الكتب المترجمة في مصر، في عهد محمد علي وأحفاده، قد استهدفت المدارس (التعليم)، فالكبار (التثقيف العام) فالإدارة، فالجيش، فالأطفال. وفي عام 1838 بلغ عدد المعاهد العسكرية والهندسية والزراعية والطبية وغيرها ما يزيد على 50 مدرسة تضم ما يزيد على 5500 طالب [65]. وقد تطور التعليم " حتى قيل إنّ نظام التعليم، في ذلك الوقت، لم يكن يختلف كثيراً عنه في غربي أوروبا..."[66]. وإلى جانب العلوم الدينية واللغوية، كان طلاّب هذه المدارس يتلقون العلوم العصرية البحتة والتطبيقية، التي لم يكن لمصر وللأزهر عهد ا، مما حتم ترجمة الكتب الدراسية، وتجنيد المبعوثين- سواء في أثناء دراستهم في أوروبا أو بمجرد عود م منها- والمتخرجين في هذه المدارس نفسها، للقيام ـذه المهمة. وبذلك ساهمت الترجمة، مساهمة كبيرة، في تحقيق ـضة تعليمية ساعدت على تأهيل إطارات عسكرية وهندسية وطبية وزراعية وإدارية، دخلوا "في الخدمات الميـرية، وعادت منهم على البلاد المنفعة"، كما قال الطهطاوي. وقد أدت الترجمة دوراً مهما في تطوير الإدارة والقضاء وتعريبهما وتمصيرهما، خاصة عندما منع الخديوي سعيد استعمال غير العربية في المحاكم، ثم عندما أمر الخديوي إسماعيل، في سنة 1869، باتخاذ العربية لغة رسمية في كافة الدواوين.

وإلى جانب هذا الدور الذي قامت به الترجمة في مجال التعليم والإدارة والقضاء وغيرها من مرافق ا تمع وأجهزة الدولة، نود أن نشير إلى بعض ما قامت به في مجال اللغة والأدب والصحافة والفكر السياسي، مما ساهم في تشكيل الفكر النهضوي.

فبالنسبة إلى اللغة، يجمع كلّ الذين درسوا أثر الترجمة في اللغة العربية المعاصرة – بمن فيهم الذين يعدون الترجمة أحد أسباب ما تعيشه ثقافتنا المعاصرة من تبعية- أنه كان لها "الدور الإيجابي الفعال (...) في أسلوبنا، ولغتنا، وأدبنا، ونمط تفكيرنا" [67]. فلقد خلّصت الترجمة النثر العربي من السجع والجناس والغريب وسائر المحسنات اللفظية وألوان البديع، التي كانت سائدة لدى جل كتاب ما سمي بعصور الانحطاط، وأعادت الحياة إلى اللغة العربية وجعلتها" تتفاعل، وتتشبث بالحياة، وتسعى إلى استكمال ما ينقصها، لتخدم جميع الأغراض" [68].

وفي الأدب، أدخلت الترجمة المباشرة أو غير المباشرة، أهم الأجناس الأدبية التي أصبحت دعائم الأدب العربي في العصر الحديث، أعني القصة والمسرح [69].

وقد كان تأسيس الصحافة العربية من نتائج الاطلاع على الصحف وا لات الأجنبية- " الجرنالات "أو الكازيطات" أو"الورقات اليومية"، كما سماها الطهطاوي في "تخليص الإبريز..." وغيره- وتقليداً لها، إضافة إلى أ ا كانت مجالاً رحباً لنشر ترجمات كثيرة لكتب علمية وأدبية. ولا يخفى ما كان للصحافة من دور في تشكيل الفكر العربي، ومن تطوير عميق للغة العربية.

أما في مجال الفكر السياسي فلعلّ من أنصع الأدلّة على الدور الذي لعبته الترجمة ،بعض ما ترجمه زعيم حركة الترجمة في القرن التاسع، أعني رفاعة رافع الطهطاوي.

إنّ الإجماع حاصل على اختصاص الطهطاوي، المترجم والمؤلف والمربي، بالريادة من بين أعلام عصر النهضة في القرن التاسع عشر عامة وثلثه الثاني خاصة، وهو- في رأي العديد من الدارسين-" المفكّر المعلّم بالترجمة،"و" أهم أعلام الحياة الثقافية في بداية النهضة العربية الحديثة"، و"رائد الفكر العربي الحديث"،و "زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي"، و" المبشر بمجتمع كامل جديد، تغير فيه أساس السلطة من الحق الإلهي إلى العقد الاجتماعي، ومعيار الشرعية من الأوتوقراطية إلى حقوق الإنسان، وشعار الدولة من التيوقراطية إلى الديمقراطية "..إلخ [70].

وبصرف النظر عما في هذه النعوت من تمجيد عاطفي لشخصية الطهطاوي، وإشادة حماسية بأفضاله على النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر، فإنّ ما يهمنا هو الأثر الذي خلّفه، بترجماته المباشرة أو غير المباشرة، في الفكر النهضوي. لقد أقام الطهطاوي في باريس خمس سنوات (1825-1831)، قضاها دارساً للغة الفرنسية، والعلوم العصرية، ومتخصصاً في الترجمة من الفرنسية. وهذه السنوات الخمس كونت شخصيته الفكرية، وشكلت مواقفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثرت في اختياراته الترجمية، محتوى وأسلوبا، وهو ما يتضح من أشهر كتبه: " تخليص الإبريز...". والحقيقة أن هذا الكتاب لم يكن تأليفاً كلّه، ففيه صفحات كثيرة مترجمة، سواء في الجغرافيا، أو الفلك، أو حفظ صحة الأبدان، أو التاريخ، لكن أهم النصوص المترجمة التي تضمنها هو، دون شك، نص الدستور الفرنسي المعلن سنة 1814. وإعجاب الطهطاوي بالدستور الفرنسي- أو كما يسميه: الشرطة (charte)- إعجاب كبير لما يتضمنه من " العدل والإنصاف" كما يقول. ومن خلال ترجمة الطهطاوي للدستور الفرنسي، وتعليقه عليه، وشرحه لبعض فصوله، تعرف القارئ العربي، لأول مرة، على أفكار ومفاهيم سياسية جديدة أنتجها فلاسفة عصر التنوير ومفكروه، منها أن الأمة مصدر السلطات، وأن الحكم عقد بين الحاكم والمحكوم، وأن السلطات ثلاث، وأنّ الحكم المقيد يقتضي الفصل بين السلطات، وأن الشعب – أو الرعية كما يقول- يحكم من خلال مجلس النواب، أو ما يسميه هو "ديوان رسل العمالات"... إلى غير ذلك من المفاهيم الحديثة كالانتخاب، وحرية الرأي، والصحافة...إلخ [71]. وتلتقي مثل هذه الأفكار والمفاهيم الدستورية والسياسية مع ما تضمنته أنواع أخرى من ترجماته أخصها ترجمة رواية" مغامرات تليماك لفنلون (FNLON)، التي جعل الطهطاوي عنوا ا في الترجمة

العربية " مواقع الأفلاك في وقائع تليماك"، وقصد بترجمتها أن تعبر عن معارضته لسياسة الحكم المطلق.

وللطهطاوي مساهمات مهمة في ترجمة الكتب التاريخية والجغرافية والقانونية، مثل القانون المدني، والقانون التجاري الفرنسيين،... إلخ. "ولا شك أن الأجيال التالية للمعلّم الأول، قد جاهدت لكي تكمل طريقه، وكان عليها أيضاً أن تجاهد ضد ذلك المخطط الذي أرادنا أن نتخلّف في طريق المعرفة والحرية. ولعلنا نستطيع في إعادة اكتشاف معنى العمل الذي حقّقه "جدنا الجليل" أن نعود إلى طريقه المستقيم" [72].

الخاتمة:

حاولنا في هذه الورقة أن نعالج العلاقة المتبادلة بين الترجمة والفكر النهضوي، تأثراً وتأثيراً، منـ ـزلـ ـن هذه العلاقة في إطارها الزمني، وسياقها التاريخي، ومستشهدين عليها ببيانات إحصائية تتصل بعدد المترجمات، ولغا ا، ومواضيعها، والفئات التي استهدفتها.

لقد بدأت الترجمة العربية في العصر الحديث في لبنان، منذ القرن السادس عشر، بداية دينية وتبشيرية، وأصبحت في القرن التاسع عشر"علمانية" لمقاومة التتريك بإحياء اللغة العربية واستخدامها لغة تدريس في بعض الكليات العلمية، وازدهرت الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر، استجابة لحاجة محمد علي، وبعض خلفائه، إليها في تعليم العلوم، تأهيلاً لإطارات الجيش والدولة، كما عرفت بعضاً من ذلك الازدهار في تونس في أثناء حكم أحمد باي، ووزارة خير الدين، استجابة لنفس الدواعي والأسباب. ولا شك أن أقطارا عربية أخرى، كسوريا والعراق والمغرب، قد عرفت نشاطاً مماثلاً إبان القرن التاسع عشر، الذي وصف بأنه "عصر النهضة العربية". وقد اتضح، مما سبق، أن النخبة السياسية والفكرية، في القرن التاسع عشر، قد علّقت آمالاً كبيرة على الترجمة خاصة، والاقتباس من الغرب عامة، في إحداث التغيير الذي يبني الدولة، ويحقق المناعة، ويعصم من التسلّط والاحتلال الأجنبيين. كما اتضح أنه كان لجهود النخبة الفكرية، ولتأهيل المترجمين عبر البعثات إلى الخارج، وإنشاء المدارس المتخصصة، والحزم في الإنجاز، دور كبير في تحقيق حركة الترجمة للمهام التي أنيطت ا، والأهداف التي رسمت لها، وهو ما قد يتبين من عدد الكتب المترجمة، ولغا ا ومواضيعها، والجمهور الذي استهدفته، من جهة، وبعض ملامح تأثير الترجمة في مجالات: التعليم، والإدارة، والقضاء، واللغة، والأدب، والفكر السياسي... إلخ، من جهة أخرى.

على أن تقييم أثر الترجمة في الفكر النهضوي لا يمكن أن يتم بمعزل عن تقييم النهضة نفسها، لأنّ الترجمة مكون من مكونات النهضة، وعنصر من عناصر الديناميكية النهضوية، ومقوم من مقوما ا. وقد اختلف الدارسون في تقييمهم لنهضة القرن التاسع، عامة، وللنموذج النهضوي المصري في عصر محمد علي وخلفائه، خاصة، وإن كان هذا التقييم سلبيا في غالبه. فقد وصفت النهضة العربية الحديثة بأ ا" لم تكن حتى الآن ضة بالمعنى الجدي لمفهوم النهضة"، وإنما كانت " ضة سطحية ذات طابع دفاعي أمام الغزو الإمبريالي، وحتى الآن لم تتحرك هذه النهضة من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، وقد أخذت أحياناً أشكالاً لا عقلانية، منها نفض الغبار عن حضارة الأجداد للتباهي أمام الحضارة الإمبريالية الغربية بأن العرب كان لهم أيضاً ماضٍ مجيد" [73]. ومن نتائج هذه

"النهضة السطحية" في مجال الترجمة أنّ الأفكار الجديدة هزت " ركائز المجتمع العربي في عصر النهضة، دون أن تعطي الترجمة ثماراً يانعة، كما تمّ في العصر العباسي" [74]، و" أنّ أمهات الكتب التي أسست حركة الفكر والحداثة العقلية في أوروبا، منذ ثلاثمائة سنة وحتى اليوم، لا تزال تنتظر من يترجمها، أو يلخصها، أو يعرفها، بشكل من الأشكال، في لغتنا" [75]. وفي هذا السياق، يؤخذ على الترجمة في القرن التاسع عشر عامة، وفي مصر خاصة، أنها لم تنطلق من حاجات المجتمع العربي الحقيقية، وأنّ " أغلب البعثات التي أوفدها محمد علي"، ركّزت على أفكار القرن السابع عشر والثامن عشر لأوروبا البرجوازية، ولم تتعرض للتعريف بأوروبا الثورية، في الوقت الذي كانت فيه الرأسمالية تدخل مرحلة الانتقال إلى النظام الاحتكاري، وتتهيأ للصراع على المستعمرات، وهو ما لاحظه عبد الله النديم بدقة، فوصفهم بأنهم عادوا غرباء عن أمتهم" [76].

والحقيقة أن الحكم للترجمة، في عصر النهضة، أو عليها، رهين بموقفنا من النهضة نفسها، وبنوع تقييمنا لعلاقتنا بالغرب، وموقفنا منه، وهي قضية طرحت، منذ نهاية القرن التاسع عشر، لدى زعماء الإصلاح. وإذا كان جمال الدين الأفغاني (1838-1897) قد نعى على المصريين تقليد الغرب، وإنشاء المدارس على الطراز الأوروبـي، وإرسال البعثات إلى أوروبا قائلاً: "شيد العثمانيون المصريون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا ما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف والصنائع والآداب، وكلّ ما يسمونه تمدنا، وهو في الحقيقة تمدن البلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة، وسير الاجتماع المدني "[77]، فإنّ علما آخر من أعلام الإصلاح والنهضة، هو الأمير شكيب أرسلان (1871-1946)، يشيد بدولة محمد علي الذي حمل الأمة على طلب العلوم، قائلاً:" ولم يكن محمد علي، عالما وربما كان أميا، ولكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير، وصيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الأعلى، الذي هو العقل السليم والإرادة، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الأمة عليها" [78].

الهوامش

1. محمد حافظ دياب: " الترجمة وأسئلة النهضة العربية"، الوحدة، س 6، ع 61-62(أكتوبر-نوفمبر 1989)، (ص 36-44)، ص 36.
2. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط 3، القاهرة، 1985، ص 997 (مادة: نهض).
3. صبحي حموي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط 1، دار المشرق، بيروت، 2000، ص 983 (مادة: عصر).
4. الموضع نفسه.
5. سلامة موسى: ما هي النهضة، ط 1، مكتبة المعارف، بيروت، 1962، 144 ص.
6. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، م 2، ج 4، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص363.
7. المرجع نفسه، ص 375.
8. فصل " نهضة (Nahda) في دائرة المعارف الإسلامية (EI)، الطبعة الفرنسية الجديدة، المجلد VII، ص 901-904.
9. حسن حنفي: " نحو تنوير عربي جديد- محاولة للتأسيس"، عالم الفكر،م 29، ع3 (يناير- مارس 2001)، (ص75-94، ص 76.

10. المرجع نفسه، ص 75.
11. وليم الخازن: تباشير النهضة الأدبية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، (192ص)، ص 11.
12. المرجع نفسه، ص 168.
13. المرجع نفسه، ص 12.
14. انظر: أ. لطيف زيتوني: حركة الترجمة في عصر النهضة، دار النهار، بيروت، 1994، (190ص)، ص 13-16.

    ب. وليم الخازن: المرجع المذكور سابقاً، ص 47-54.
15. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ص 365.
16. البرت حوراني (ترجمة كريم عزقول): الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، دار النهار، بيروت، 1977، 472ص.
17. فصل " ضة"، مرجع سابق، ص 904.
18. طيب تيزيني: " بيان في النهضة والتنوير العربي باتجاه مشروع ضوي عربي تنويري جديد"، عالم الفكر، م 29، ع 3(يناير –مارس 2001)، (ص 49-73)، ص 59.
19. الموضع نفسه.
20. جورج طرابيشي: "الترجمة والأيديولوجيا المترجمة"، الوحدة، س 6، ع 61-62 (أكتوبر - نوفمبر 1989)، (ص 30-34)، ص 30.
21. مسعود ضاهر: النهضة العربية والنهضة اليابانية – تشابه المقدمات واختلاف النتائج، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1999، (399ص)، ص 130.
22. رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، في: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، دراسة وتعليق محمود فهمي حجازي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، (522)ص، ص 141-142.
23. الحبيب الجنحاني: " الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، حوليات الجامعة التونسية، 6 (1969)، (ص111-163)، ص 116.
24. أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان(دولة أحمد باي)، تحقيق أحمد عبد السلام، ط 2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1985، (313+45ص)، ص 139.
25. خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق المنصف الشنوفي، بيت الحكمة، تونس 1990، (مجلدان، 1121ص)، ص 122.
26. المرجع نفسه، ص 123.
27. محمد السنوسي: الاستطلاعات الباريسية، تونس، 1891، ص 112-113.
28. انظر: مصطفى ماهر: "مدرسة رفاعة"، مجلة الألسن للترجمة، ع 1، يونيه 2001 (ص65-80)، ص 67-68.
29. جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة 1945، (160ص)، ص16.
30. المرجع نفسه، ص 17.
31. الموضع نفسه.
32. المرجع نفسه، ص 25-26.
33. أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان... مرجع سابق، ص 143.
34. المرجع نفسه، ص 70.
35. الحبيب الجنحاني: " الحركة الإصلاحية في تونس..." مرجع سابق، ص119.
36. العروسي الميزوري: "من نتائج بروز المؤسسات التعليمية الحديثة بالإيالة التونسية"، ج 3، الهداية (تونس)، 22/6 (1998)، (ص 71-74)، ص 72-74.
37. جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر...، مرجع سابق، ص25.
38. أتوجه بجزيل الشكر إلى الزملاء الأفاضل: الأستاذ شوقي جلال والأستاذ الدكتور محمد فتحي عبد الهادي والدكتور محمد فاضل البشراوي على المراجع والإحصائيات العديدة التي لفتوا انتباهي إليها أو زودوني ا، وأنوه هنا بأنّ جلّ البيانات والإحصائيات الواردة في هذا القسم من الورقة مستمد من بحثي الدكتورة عايدة إبراهيم نصير وجيهان محمود السيد المذكورين لاحقاً.
39. عايدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، (653ص)، ص 296.

أما جيهان محمود السيد ففي بحثها عن "أوائل المطبوعات في مصر" من عشرينات القرن التاسع عشر إلى سبعيناته، أحصت

2869 كتاباً، منها 471 كتاباً مترجماً؛ أي بنسبة 16ر4 % من مجموع أوائل المطبوعات.

انظر: جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر – دراسة في الببليوجرافيا التحليلية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 2000، ص 81.

40. عايدة إبراهيم نصير:حركة نشر الكتب في مصر...، مرجع سابق، ص258.
41. المرجع نفسه.
42. جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر...، مرجع سابق، ص85.
43. الموضع نفسه.
44. الموضع نفسه.
45. المرجع نفسه، ص 83.
46. عايدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب، مرجع سابق، ص265.
47. المرجع نفسه، ص 266.
48. عايدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب في مصر...، مرجع سابق، ص273.
49. المرجع نفسه، ص 374.
50. محمود فهمي حجازي: اللغة العربية في العصر الحديث- قضايا ومشكلات، دار قباء، القاهرة، 1998، (176ص)، ص 19.
51. عايدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب...، مرجع سابق، ص247.
52. عايدة إبراهيم نصير: مرجع سابق، ص 281-287.
53. المرجع نفسه، ص 291.

أما جيهان محمود السيد (أوائل المطبوعات في مصر...، مرجع سابق، ص 88) فقد صنفت أوائل المطبوعات- بما فيها المترجمات-إلى أربع فئات، هي: كتب أطفال، وكتب مدرسية، ومطبوعات حكومية، وكتب ثقافية.

54. جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر...، مرجع سابق، ص 66.
55. انظر: بو علي ياسين: " موجز الاقتصاد السياسي للترجمة في الوطن العربي"، الآداب، س47، ع 6/5 (أيار/ مايو- حزيران/ يونيو 1999) (ص 76-80)، ص77.
56. بسام طيـبي: "حول حركة ترجمة الأعمال العلمية والأدبية من اللغات الأوروبية إلى العربية ودورها في التاريخ العربي الحديث"، شؤون عربية، 7 (سبتمبر 1981)، (ص 116-129)، ص116.
57. رفاعة رافع الطهطاوي: كتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، في الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ج 1، ص 438.
58. المرجع نفسه، ص439.
59. محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية بمصر، 1884- 1893، ج 4، ص 110.
60. طه الهاشمي: مذكرات طه الهاشمي 1919-1943، تحقيق وتقديم خلدون ساطع الحصري، دار الطليعة، بيروت، 1967.
61. ميخائيل نعيمة: الغربال، ط 7، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1964، (254ص)، ص 126.
62. طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1982، (507ص)، ص459.
63. أنور عبد الملك: دراسات في الثقافة الوطنية، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1967، (454ص)، ص 180.
64. بسام طيـبـي: " حول ترجمة الأعمال العلمية والأدبية..."، مرجع سابق، ص129.
65. انظر: مسعود ضاهر: النهضة العربية والنهضة الأوربية...، مرجع سابق، ص 97.
66. انظر: جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات...، مرجع سابق، ص68.
67. حنا عبود: " الترجمة والتبعية الثقافية"، الآداب، س 47، ع5/6 (أيار/ مايو-حزيران/ يونيو 1999)، (ص 69- 75)، ص 74.
68. أنور لوقا: عودة رفاعة الطهطاوي- مراحل استفاقة الفكر في ضوء الأدب المقارن، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، 1997، (262ص)، ص 160.

69. انظر المرجع نفسه، ص177- 203.
70. انظر مثلاً: سامي خشبة: "رفاعة رافع الطهطاوي، المفكر والمعلّم بالترجمة"، الآداب، 1977/7، ص34-39.
71. انظر : رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز...، مرجع سابق، ص227-240.
72. سامي خشبة: "رفاعة رافع الطهطاوي..." مرجع سابق، ص 38.
73. بسام طيبـي: "حول حركة ترجمة الأعمال العلمية والأدبية..."، مرجع سابق، ص117.
74. مسعود ضاهر: "الاتجاهات الأساسية لحركة الترجمة في لبنان والوطن العربي"، الوحدة، س 6، ع 62/61 (أكتوبر- نوفمبر 1989)، (ص45-56) ص 52.
75. هاشم صالح: " دور الترجمة في تشكيل الفكر العربي المعاصر"، الوحدة، س6، ع 62/61 (أكتوبر- نوفمبر 1989).ص (20-29)، ص 22.
76. محمد حافظ دياب: "الترجمة وأسئلة النهضة"، مرجع سابق، ص 37.
77. جمال الدين الأفغاني: ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها، العروة الوثقى، دار الكتاب العربي، بيروت 1970، ص 54.
78. الأمير شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، (167ص)، ص 164.

حكاية القول في اللغة العربية

أ. محمد الزكراوي(*)

مقدمة

غرضنا، هاهنا، الكلام في مسألة حكاية القول. والذي بعثنا على ذلك أمران: أولهما ما وقفنا عليه في كتاب "في نحو اللغة العربية" [1]، نفى فيه صاحباه عن العربية أن يكون فيها هذا 'الباب' على ما هو عليه في لغتهما مثلا. والثاني ما جاء في كتاب آخر مترجم عن الفرنسية[2]، ساق فيه المترجم مثالا لأحد ضروب هذا الباب، ولم يتنبه إلى أن ترجمته لا شاهد فيها على النمط الذي يتحدث عنه. فأما الأولان، فلا حق لهما في تعميم أمر عن لهما ونِسبته إلى اللغة العربية وهي منه براء؛ وأما الثاني، فلا حق له في التلبيس – ولو عن غير قصد – على القراء وتضليلهم.

ومسألة حكاية القول هذه مسألة نحوية وبلاغية معا؛ وقد عني ا النحاة من الأعاجم عناية كبرى، لما لها من الأهمية[3]. أما نحو اللغة العربية، فلا يكاد الباحث فيه يجد شيئا ذا قيمة في هذا الباب، اللهم إلا ما ذكره سيبويه في "باب 'من' إذا كنت مستفهما عن نكرة"، وما بعده، ونتفا قليلة يجدها الباحث في أثناء "الكتاب"، لا تغني عنه شيئا إذا قيست بما عقد لهذا الضرب من الجمل في الأنحاء الغربية من بحوث ودراسات. لكن النحاة العرب لئن أهملوا دراسة هذا الواقع اللغوي ولم يفردوا لجماع مسائله بابا خاصا، فإن الكتاب والمؤلفين والشعراء (والناطقين باللغة العربية عامة) قد استعملوه بصوره المختلفة؛ فليس لأحد أن يدعي أنه غير موجود، في هذه اللغة، لخلو الأنحاء الموضوعة فيها منه. وقد أحصينا منه نماذج وأمثلة كثيرة، ونظرنا فيها علنا نستخلص منها ما عساه يضيف شيئا في معرفة هذا الباب برمته.

أضرب القول الثلاثة

ولكن قبل ذلك يحسن بنا أن نقول كلمة في الاصطلاحات التي سنستعملها، لأننا إنما استنبطنا أكثرها ولم نأخذها عن أحد قبلنا[4]. والحديث عن **حكاية القول** يقتضي، في الواقع، الحديث عن ثلاثة أضرب من الجمل[5].

فأما الأول، فهو الذي سماه النحاة العرب – منذ عهد سيبويه – **حكاية القول** (أو **الحكاية**، اختصارا)[6]؛ وسنقتدي م هنا ونطلق عليه الاسم الذي سموه به، وهو **الحكاية**، لأن مرادهم به هو مرادنا؛ وحده أنه "إيراد لفظ المتكلم على حسب ما أورده في الكلام"[7]؛ أي أن المتكلم يحكي في كلامه لفظ غيره على الصورة التي أورده عليها، من غير زيادة ولا نقصان. ويستعمل أهل الغرب – ونحن العرب أيضا في مؤلفاتنا الحديثة – لتمييز هذا النمط عما عداه، علامات ترقيم خاصة، هي **النقطتان** الواحدة فوق الأخرى،

(*) أستاذ الترجمة بالمدرسة العليا للأساتذة بمراكش- المغرب

والمزدوجتان[8] لحصر الكلام المحكي وفصله عما سواه. وهذا الضرب الأول أمره ظاهر؛ فلا حاجة إلى الإطالة فيه.

أما الضربان الآخران اللذان يرافقانه، فقد سمينا الأول منهما **العدول**، والثاني **العدول المطلق**. وما سمينا كل واحد منهما **عدولا** إلا لأن العرب قد عدلت بهما عن الحكاية إلى ما سواها (وقد يقع لنا – أحيانا، متى أمنا اللبس – أن نسمي هذا السوى **نقلا** و**رواية**). وأما صفة **المطلق**، التي ألحقناها بالثاني منهما، فليست في حاجة إلى إيضاح، لأن المراد أنه قول معدول لا تقيده الشروط التي تقيد القول المعدول الأول؛ فهو إذن 'مطلق' [9]. وسمينا الأقوال التي تقع في هذه الأنماط الثلاثة بألفاظ مشتقة منها، هي: **القول المحكي**، و**القول المعدول**، و**القول المعدول المطلق**. وسمينا الفعل الواقع في الجملة التي تتصدر الأقوال الثلاثة على حد سواء، **الفعل الصدر**، والجملة التي يقع هو فيها **الجملة الصدر**. [10]

فهذه، إذن، ستة مصطلحات، هي: **الحكاية**، و**العدول** و**العدول المطلق**، و**القول المحكي**، و**القول المعدول**، و**القول المعدول المطلق**، مبنية كلها على نمط تركيبي واحد، هو: الاسم، تليه الصفة أو الصفتان بصيغة المفعول؛ يرافقها مصطلحان اثنان، هما: **الجملة الصدر**، و**الفعل الصدر**، وليسا في حاجة إلى مزيد بيان.

وأهم دواعي العناية بهذا الضرب من الجمل، أو بهذا الباب، باب حكاية القول، هو التغيير الذي يلحق الخطاب برمته، إذ يصير كل شيء فيه مسندا إلى المتكلم الذي ينقل القول (سواء أكان النقل بالعدول أم بالعدول المطلق): فالضمائر في القول المحكي، والقول المعدول، والقول المعدول المطلق، تتحول تبعا للضمائر في الجملة الصدر. ولنبدأ بالنمطين الأولين، وهما: الحكاية والعدول.

فإذا كان الناقل للقول هو المتكلم، وكان في الجملة الصدر وفي القول المحكي ضمير يعود عليه (بصيغة التكلم في الأولى والمخاطَبة في الثاني)، فإن ضمير المخاطبة يصير مسندا إلى المتكلم ليوافق ضميره؛ مثاله 'الكاف' من: "قال لي: '**سأنتظرك**' "، تصير: "قال لي سينتظرني"، لأن الناقل للقول هنا هو العائد عليه ضمير المتكلم من 'لي'. وإذا كان الناقل للقول المحكي هو المتكلم أيضا، لكن لا علامة تدل عليه؛ أي لا يعود عليه ضمير في الجملة الصدر ولا في القول المحكي، فينبغي النظر: فإذا كان في الجملة الصدر ضمير المخاطب، وكان في القول المحكي ضمير يعود عليه بالصيغة نفسها، فإن هذا الضمير الأخير لا يتغير، لأنه موافق سلفا للضمير في الجملة الصدر؛ مثاله 'الكاف' (الثانية) من "قال لك: '**سأنتظرك**' "، تصير: "قال لك سينتظرك"؛ وإذا كان في الجملة الصدر ضمير الغائب وفي القول المحكي ضمير يعود عليه لكن بصيغة المخاطبة، فإن هذا الضمير ينقلب إلى الغيبة للموافقة التي ذكرنا؛ مثاله 'الكاف' من: "قال له: '**سأنتظرك**' "، تصير: "قال له سينتظره". ولا يخفى عليك أن هذا الكلام؛ أي: "قال لي (أو لك أو له): '**سأنتظرك**' "، قائله في الأحوال جميعا هو هذا المتكلم الذي يدل على نفسه بالضمير من 'لي'، ولا علامة تدل عليه في المثالين الآخرين. أما القائل للقول؛ أي المتلفظ بهذا الكلام: 'سأنتظرك'، فهو ضمير الغائب في الجملة الصدر؛ أي فاعل الفعل الصدر في الأحوال الثلاثة جميعا، ولا يعود عليه ضمير المتكلم إلا في القول المحكي، ولا يحتل موقع التكلم البتة في الجملة الصدر. وذلك أن وضعية التخاطب وضعية لا تستقر أبدا على حال: فهي في تجدد دائم، يقيم فيها 'أنا' نفسه

متكلما، ويقيم قبالته 'أنت' مخاطَبا، فيتبادلان موقعيهما ويتعاقبان عليهما، ولا يتنزل 'هو' منهما فيها سوى منزلة الأشياء الموضوعية الثابتة؛ أي أنه يمكن أن يحال عليه لدخوله في المسميات، ولا يمكن البتة أن يكون هو ذاتا من ذوات الخطاب، فلا يمكن أن يحيل على نفسه[11].

وإذا وقع في القول المحكي ما يشير إلى الزمان، فهو يتغير أيضا وينقل فيسند إلى ضمير المتكلم الحاكي للقول؛ مثاله: "قال لي (أو لك، أو له): 'سأنتظرك غدا'"، تصير: "قال لي (أو لك، أو له) سينتظرني (أو سينتظرك، أو سينتظره) في الغد"، أو: "في اليوم الذي بعده"؛ أي بعد اليوم الذي قيل 'لي' (أو 'لك'، أو 'له') فيه ذلك؛ وهو يوم قد مضى وانقضى، بدلالة الزمن الماضي في 'قال'، فلا يمكن بحال أن يكون 'غد' اليوم الذي 'أنا' الآن فيه و'أنا' أنقل هذا القول. فهاهنا إذن ثلاثة غدوات: غد أول مشترك بين 'القائل الذي سينتظر' و'أنا' (الذي يدل عليه الضمير في 'لي')، وغد ثان بينه وبين 'أنت' (الذي يدل عليه الضمير في 'لك')، وغد ثالث بينه وبين 'هو' (الذي يدل عليه الضمير في 'له'). وهذه الغدوات الثلاثة مختلف بعضها عن بعض بالضرورة، مع كونها معلومة بالضرورة؛ ولا يمكن أن تكون كلها يوما واحدا بعينه، إلا على سبيل الاتفاق والمصادفة؛ ومع ذلك (أي وإن اتفقت، لاشتراك صاحب ضمير الغيبة فيها كلها)، فلكل واحد غده، ويمكن الوقوف عليها جميعا بتقصي الزمان الموضوعي. أما غد المتكلم الناقل للقول، فلا يمكن تعيينه إلا من خطابه هو، وبالقياس إليه هو، وذلك أن الذي يقع عند الانتقال من الحكاية إلى العدول إنما هو تحويل للكلام إلى قول. قال سيبويه:[12] "وإنما تحكي ما كان كلاما، لا قولا". لكن هذا الذي كان كلاما قبل الحكاية، لا يلبث أن يصير قولا بعدها، لأنه يصير عندئذ داخلا في كلام آخر، يتلفظ به متكلم آخر، وإن لم تدل عليه علامة صريحة.

وإذا وقع في القول المحكي ما يشير إلى المكان، فهو يتغير أيضا وينقل فيسند إلى ضمير المتكلم الحاكي للقول. مثاله: "قال لي (أو لك، أو له): 'سأنتظرك هنا'"، تصير: "قال لي (أو لك، أو له) سينتظرني (أو سينتظرك، أو سينتظره) هناك"": فهنا تختلف عن هناك لا بالذات، بل بالقياس إلى المتكلم. ولذلك يجب النظر في قولهم[13]: "'هنا' و'ههنا' للتقريب إذا أشرت إلى مكان، و'هناك' و'هنالك' للتبعيد، واللام زائدة، والكاف للخطاب، وفيها دليل على التبعيد". وذلك أن البعد والقرب لا يقاسان إلا بالإضافة إلى المتكلم؛ وأنت تعلم أن وضعية التكلم (أو التخاطب) لا تستقر على حال؛ فهما إذن تابعان على الدوام لحال التكلم؛ أي لمكانه وزمانه.

أما الأفعال الواقعة في القول المحكي، فلا يطرأ عليها تغيير في اللغة العربية بالانتقال من الحكاية إلى العدول[14].

وأما النمط الثالث، وهو **العدول المطلق**[15]، فهو مزيج غريب من القولين الأولين، وسيأتي الكلام عليه في محله.

الحكاية في اللغة العربية

وهذا أوانُ النظر في لغتنا وفي طرائقها في التعبير عن أضرب هذا الباب الثلاثة.

فأما **الحكاية**، فغير خاف على أحد أنها كثيرة الورود في العربية، لأن "الأصل أن يحكى لفظ الجملة

كما سمع"[16]. وعلى ذلك كثير من الجمل التي وردت فيها حكاية القول في القرآن الكريم؛ فمن ذلك قوله تعالى: {وكانوا يقُولُونَ أَإِذَا مِتْنا وكُنا تراباً وعظَاماً أَإنا لَمَبْعوثُونَ} (الواقعة، 47)؛ وقوله عز وجل: {قَالَت الأَعْراب آمنا قُل لمْ تؤْمنوا ولكن قُولُوا أَسْلَمْنا} (الحجرات، 14). وورد منه أيضا شيء كثير في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ونجتزئ منه بالحديث الوارد في "موطإ " الإمام مالك، في "باب ما جاء في الإنصات يوم الجمعة"، ونص المراد منه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قلت لصاحبك: 'أَنصتْ'، والإمام يخطب يوم الجمعة، فقد لغوت".

أما النثر، فلكثرة ذلك فيه نكتفي منه بالمثال التالي، وهو خير شاهد عليه: "وبعث أبرهةُ حناطةَ الحمْيري إلى مكة، وقال له: 'سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: "إن المَلك يقول لك: إني لم آت لحربكم؛ إنما جئت لهدم هذا البيت؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم". فإن هو لم يرد حربي فأتني به'" (السيرة، 48/1).

وأما الشعر العربي، ففيه من ذلك ما لا عد له ولا حصر؛ ومنه الشواهد التالية:

فقالت: 'سباك الله إنك فاضحي
ألست ترى السمار والناس أحوالي؟'
فقلت: يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطّعوا رأسي لديك وأوصالي
(ديوان امرئ القيس)؛

قلت إذا مستمع أرما:
'لأُهدين مدحةً تِما' (ديوان رؤبة)؛

مروا عجالاً وقالوا: 'كيف سيدكم؟'
فقال من سئلوا: 'أمسى مجهود' (العيني، 310/2)[17]؛

تقول ابنتي: 'إن ارتحالك واحدا
إلى الرَوْع يوما تاركي لا أبا ليا'
(ديوان السليك بن السلكة)؛

لما رأت بُعيلاً قثْولاّ
قالت له: 'مقت هذا فعلا
كنت أريد العزب الصملاّ
الناشئَ الموثق المتْولاّ
الغرطُماني الوأى الطولاّ' (تهذيب الألفاظ، 208)؛

أتوا ناري فقلت: 'منونَ؟' قالوا:
'سراةُ الجن' قلت: 'عموا ظلاما'
فقلت: 'إلى الطعام' فقال منهم
زعيم:'نحسد الإنس الطعاما'(الجمل، 377)؛

تقول سليمى: 'ما لجسمك شاحباً
كأنك يحميك الشراب طبيب؟'
فقلت – ولم أعْيِ الجواب ولم أُلحْ
وللدهر في صم السلام نصيب:
'تتابع أحداثٌ تخرمن إخوتي
وشيبن رأسي؛ والخطوب تشيب'
(الأصمعيات، 98)؛

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا:
'يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا'
(ديوان الأعشى)؛

قالت: 'وعيشِ أخي وحرمة والدي

لأُنبهن الحي إن لم تخرجِ'

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

'يا أبت علك أو عساكا – تقول بنتي – قد أنى أناك' (ديوان رؤبة)؛ ولا يفتك هاهنا أن الفعل الصدر واقع في قلب القول، لا قبله، كما هي العادة في العربية، ولا بعده، كما هي العادة الغالبة في الفرنسية [18].

المشتقات النائبة عن الفعل "قال" [19]

ولم يرد هذا الضرب بالفعل وحده من مادة (ق و ل)، بل ورد أيضا بألفاظ أخرى، منها: المصدر، والاسم، واسم الفاعل، وأفعل التفضيل، وصيغ المبالغة، ونسوقها لك الآن على غير نسق. فمن ذلك قوله تعالى: {فَأَلْقَوْا إِلَيْهِم **القَولَ** إنكُمْ لَكَاذبونَ} (النحل، 86)؛ وقوله عز وجل: {ولكنْ حق **القَولُ** مني لأَمْلأَن جهنم من الجنة والناسِ أَجْمعين} (السجدة، 13)؛ وقوله عز وجل: {**وقيلِه** يا رب إن هؤلاءِ قَوْم لا يؤْمنونَ} (الزخرف، 88)؛ وقوله تعالى: {قَدْ يعْلَم اللهُ المعوقين مِنْكُمْ **والقَائلين** لإِخْوانِهِمْ هلُم إِلَيْنا} (الأحزاب، 18). ومنه في الحديث الشريف ما جاء في "صحيح" البخاري (في كتاب الغسل)، ونصه: "فذكرت لها **قول** ابن عمر: 'ما أحب أن أصبح محرما أنضخ طيبا' "؛ وفيه أيضا (في كتاب التيمم) ما نصه: "قال أبو موسى: 'ألم تسمع **قول** عمار لعمر: "بعثني رسول الله في حاجة فأجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في التراب كما تمرغُ الدابة"'؛ وفيه أيضا (في كتاب الصلاة، وفي كتاب الجمعة) ما نصه: "فذكرت **قول** أخي سليمان: 'رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي'". ومنه في النثر: "وجهني لسجلماسة من غير اختيار، **قائلا** لي: 'إن صلاحهم فيك'" (نزهة الحادي، 202)؛ "جاعلا **قول** ابن أبي الخصال، شاهدا في الاعتلاق والاتصال: "من جمع بلاغةً وخطًّا، لم يخْش في دولة الأفاضل حطًّا " (إعتاب الكتاب، 249)؛ "عادت إلى **مقالتها**: 'ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ...؟'" (مروج الذهب، 72/1). ومنه الشواهد الشعرية الآتية:

أما **قولُك**: 'الخلفاءُ منا'

فهمْ منعوا وريدك من وِداجِ

(الوحشيات، 227)؛

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها

قيلُ الفوارس: 'ويك عنتر أقدمِ'

(ديوان عنترة)؛

ألا لعن الله الوشاة **وقيلهم**:

'فلانة أمست خلةً لفلان'

(حماسة الظرفاء، 235)؛

وقولُها والركاب سائرةٌ:

'تتركني سيدي وتنطلق؟'"

(إعمال الإعلام، 44)؛

قل لها عني إذا لاقيتها

قَولةً تترك في الصخر أثرْ:

'هبْك كالخنْساء في أشعارها

أو كليلى، هل تجارين الذكرْ؟'

(أزهار الرياض، 364/2-365)؛

مقالةُ: 'أنْ قد قلت: "سوف أنالُه"'

وذلك من تلقاء مثلك رائع

(ديوان النابغة)؛

فهل من يبلغ النعمانَ عنا

مقالاً سوف يبلُغه رشيدا:

'إذا عادت بنو الأعاجم وي

وقد ولّـتْ ونكّسـت البنـودا'

(ديوان عنترة)؛

لحا الله قوما أعجبتهم مدائحي

فقـالوا **مقـالاً** في ملامٍ وفي عْتبِ:

'أبا حاتمٍ، تمدحْ؟' فقلت معتذراً:

هبوني امرءاً جربت سيفي في كلبِ

(المحاسن والأضداد، 33)؛

ألاَ من مبلغٌ أهلَ الجحود

مقالَ فتى وفـي بالعـهود:

'سأخرج للبراز خلي بالٍ

بقلب قُدض من زبر الحديد'

(ديوان عنترة)؛

كم **قائلٍ** منهم لآخر: 'لا شللْ!'

(من اسمه عمرو من الشعراء، 149)؛

أبا الحسينِ استـمع **مقالَ** فـتى

عوجِلَ فيما يقول فارتجلاَ:

'هذا أبو الوحش جاء مجتدي الـ

قومِ فنوهْ بـه إذا وصلاَ'

(الغصون اليانعة، 106)؛

ولا يكن **قوله** إلاّ لرائدها:

أعشبت فانزلْ إلى معشوشب العشبِ

(الحيوان، 259/7)؛

قَولُ: 'يا للرجال!' ينهض منا

مسرعين الكهولَ والشبانا

(مغني اللبيب، 551)؛

أقول **قولاً** صادقا غير الكذبْ:

'إنّ غداً لك أعلام العربْ'

(الأخبار الطوال، 180)؛

فاليوم قد نهْنهنِي منهْنِهي

وأوْلُ حلمٍ ليس بالمسفه

وقُولٌ: 'إلاّ دِهٍ فـلاَ ده'

وحقّةٌ ليست بقول الترِه

(مجمع الأمثال، عند المثـل: 'إلاّ دِهٍ فـلاَ دِهٍ'؛

واللسان: قول)؛

وقائلةٍ – تخشى علي –: 'أظنه

سيودي به ترحالُه ومذاهبهْ'

(ديوان ذي الرمة)؛

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف

ولا **قائلٍ** - إما عثرت -: 'لَعاً لكـا'

(ديوان كعب)؛

وقائلة: 'خولانُ، فانكح فتاتهم

وأُكرومةُ الحيْين خلْـو كمـا هيـا'

(الكتاب، 139/1، واللسان: خلا)؛

وقائلةٍ يوم العداد لبعلها:

'أرى عتبةَ بن الوغْلِ بعدي تغيرا'

(اللسان: عدد)؛

يسعى الوشاةُ بجنْبـيْها **وقولُهم**:

'إنك يا بن أبي سلمى لَمقتولُ'

(ديوان كعب بن زهير) [20]؛

يا رب **قائلةٍ** غداً:

يا لهف أُم معاويهْ

(السيرة، 39/2)؛

فأما **القائلون:** 'هزْبر قومٍ'

فذاك الفخر، لا شرف الجدود

وأما **القائلون:** 'قتيلُ طعنٍ'

فذا ـ ك مصرع البطل الجليد

(ديوان عنترة)؛

وأجبت **قائلَ**: 'كيف أنت؟' بـِ: 'صالح'

حتى مللْت وملني عوادي

(مغني اللبيب، 551)؛

وقائلة: 'من أمها واهتدى لها؟'

زياد بن عمرٍو أمها واهتدى لها

(اللسان: قصد)؛

أقائلون: 'أحضري الشهودا'

(إعراب ثلاثين سورة، 138) [21]؛

وقائلة: 'تخضبْ، فالغواني

تُعود عن مصاحبة الكُهولِ'

(الغصون اليانعة، 7)؛

حتى رجعت وأقلامي **قوائلُ** لي:

'ا د للسيف ليس ا د للقلم

اكتبْ ذا أبداً قبل الكتاب بنا

فإنما نحن للأسياف كالـ ـخدمِ'

(ديوان المتنبي)؛

وأنت الفارس **القوّال**: 'صبراً'

وقد قَنِي التكلم والصهيلُ

(معجز أحمد، 38/3)؛

ولم أر هالكا من أهل نجد

كزرعةَ يوم قام به النـ ـواعي (...)

وأقْولَ للتي نبذَتْ بنيها

وقد رأت السوابق: 'لا تراعي'

(الوحشيات، 125).

ووقفنا أيضا على صيغة شاذة (أو قل: على لغة) من هذه المادة في الفعل المبني لغير الفاعل، هـ ـي قـ ـول الراجز (في المنصف، 250/1):

وابتذلَتْ غَضْبى وأُم الرحالْ

وقُول: 'لا أهلٌ ولا مالْ'.

نسبة القول إلى الجماعة وإلى غير العاقل

وجاء في النصوص التي تصفحناها ما هو أغرب من هذا وأعجب، وهو نسبة القول لا إلى الواحد الفرد – وهو المعتاد – بل إلى الاثنين والثنتين، وإلى الجماعـ ـة والقبيلة وما في معناهما؛ وقد قدمنا منه نماذج من غـ ـير الإشارة إليها [22]؛ وهو كثير جدا في القرآن الكـ ـريم؛ فمنه قوله عز وجل: {وقَالَت ٱليهود لَيست النصـ ـارى علَى شيْءٍ وقَالَت النصارى لَيست اليهود علَى شـ ـيْءٍ} (البقرة، 113)؛ وقوله تعالى: {قَالَتا لا نسْقي حتى يصْدر الرعاءُ} (القصص، 23)؛ وقوله تعالى: {قَالَ الذين أُوتوا العلْم إن الخزْي اليوْم والسوءَ علَى الكَافرين} (النحـ ـل، 27)؛ وقوله عز وجل: {وقَالَا الحَمْد لِله الذي فَضـ ـلَنا علَى كَثيرٍ مّنْ عباده المُؤْمنِين} (النمـ ـل، 15)؛ وقولـ ـه تعالى: {وقَالَ نِسْوةٌ في المَدينة ٱمرأةُ العزيزِ تراوِد فَتاهـ ـا عن نفْسِه} (يوسف، 30).

واخترنا منه في المنظوم ما يأتي:

يقول رجال ينكرون خليقتي:

لعل زيادا – لا أبـا لـك – غافـلُ

(ديوان النابغة)؛

ثم استمروا وقالوا: 'إنّ موجهتنا

ماءٌ بشرقي سلمى، فيْد أو ركَكُ'

(ما يحتمل الشعر، 60)؛

قال الأقارب: 'لا تغررْك كثرتنا

وأغـنِ شـأنك أيهـا الرجـلُ'

(الوحشيات، 171)؛

يقول الأرذَلونَ بنو قُشيرٍ:

'طوالَ الدهر ما تنسى عليا'

(من اسمه عمرو من الشعراء، 114)؛

ويقلن: 'شيب قد علاك'؛ فقلت: 'إنّهْ'

(شرح شواهد المغني، 126)؛

قالت إياد: 'قد رأينا نسبا

في ابنيْ نِزارٍ ورأينا غَلَبا'

(الأغاني، 301/4)؛

قالوا: 'الأشاقر هجوني'؛ فقلت لهم:

'ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا'

(المحاضرات، 498)؛

وقالوا: 'أقيدونا رئيسا فإنكم

قَتلتمْ سيدا غير مفحمِ'

(الوحشيات، 84)؛

وقلتم:'هي عين'نعم،بلا إنسان

(الغصون اليانعة، 14)؛

قالت بنو عامر: 'خالوا بني أسد!

يا بؤس للحـرب ضـرارا لأقـوامِ!'

(اللسان: خلا)؛

يقول العاذلون: 'نأت، فدعها!'

وذاك حين تهيامي وولْعي

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

يقولون: 'لا تبعد' وهم يدفنونني

وأين مكان البعد إلا مكانيا؟

(جمهرة أشعار العرب، 271)؛

قالت بنات العم: 'يا سلمى وإنْ

كان فقيراً معْدماً؟' قالت: 'وإنْ'

(مغني اللبيب، 852)؛

وقالوا: 'لنا ثنتان لابد منهما

صدور رماحٍ أُشرعتْ أو سلاسلُ

(إيضاح شواهد الإيضاح، 59)؛

لو أسندتْ ميْـتاً إلى صدرهـا

قام ولم يحمل إلى قابِرِ

حتـى يقولَ النـاس مما رأوا:

'يا عجبا للميت الناشرِ'

(ديوان الأعشى)؛

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسدا وبغيا: 'إنه لَدميم'

(وفيات الأعيان، 312/6) [23]؛

لمّا علاني الشيْب قال صواحبي:

'لا نرتضي خلا بفَوْدٍ أشْـيبِ'

فصبغته خوف الصدود فقلن لي:

'هذي روايةُ أَصْبغٍ عن أشهبِ!'

(تاريخ الدولتين، 227)؛

متى يشتجرْ قوم يقُلْ سرواتهمْ:

'هم بيننا، فهم رضاً وهم عدْلُ'

(إيضاح شواهد الإيضاح، 755)؛

مروا عجالاً وقالوا: 'كيف سيدكم؟'

فقال من سئلوا: 'أمسى هود'

(العيني، 310/2)؛

هل يقول الإخوانُ يوماً لخل

شاب منه محض المــودة قَدْح:

'بيننا سكــر فلا تفــسِدْنه'

أم يقولون: 'بيننا وبينك ملْح'؟

(الوفيات، 412/4)؛

فقلن لها: 'لا شب قَرنك! فافتحي

لنا بابةً تخفي من الأمر نسمع'

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

أتوا ناري فقلت: 'منونَ؟' قالوا:

'سراةُ الجن' قلت: 'عموا ظلاما'

فقلت: 'إلى الطعام' فقال منهم

زعيــم: 'نحسد الإنس الطعاما'

(الجمل، 377).

ومنه في النثر: "فقالت الرباب (يعني القبيلة): يا بني سعد، قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فــارس مــذكور" (النقائض، 153)؛ "فقالت الرسل: إنكم أتيــتم أمــرا عظيما بقتلكم كُليباً بِنابٍ من الإبل" (خزانــة الأدب، 302/1)؛ "قال بنو أسدٍ وغَطَفانُ (في كلمــة أنشــدها المؤلف): هذه مصنوعة" (النقائض، 240)؛ "وكانت بنو أسد تقول: قَتلْتنا أربعةٌ كلهم بنــو عمــرو" (تــاريخ اليعقوبي، 198)؛ "فقالت ثقيف: ليس لك علينا سلطان" (النقائض، 717)؛ "اجتمع رؤساؤهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا" (أخبار الأئمة، 28-29)؛ "فقال الأحنف وقال النــاس: نحــن نجيئك بسلمة (بن الحارث)" (النقائض، 723)؛ "يقولون له: إذا لم يقبض الرشوة في الأحكام، فمن أين يأتيه مــا يأتي به إليك؟" (بيوتات فاس، 51)؛ "فقالوا: قد قبلنا ما أشرت به" (النقائض، 722)؛ "فقالا: يا أمير المــؤمنين، ننشدك اللهَ والرحم ألاّ تجعل لبشْرٍ على قيسٍ ســلطانا" (النقائض، 716).

وهذا النمط يستوي فيه (مــن جهــة ســلامة الإسناد) ما يصح منه القول على الحقيقة وما لا يصــح منه إلا على ا ااز[24]؛ ومن أمثلته قوله تعالى: {قَالَــتْ نَمْلَةٌ يا أيها النمْلُ ادْخلُوا مساكنكُمْ} (النمــل، 18)؛ وقوله عز وجل: {فَقَالَ لَهَــا وللْأَرْضِ ائْتيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتا أَتْينا طَائعين} (فصلت، 11)[25]؛ وقوله تعالى: {قَالَ عفْريت مّن الجن أَنا آتيك بِه قَبْلَ أَنْ تقُوم من مقَامك} (النمل، 39)؛ وقوله تبارك وتعالى: {قُلْ أُوحي إلي أنــه اسْتمع نفَر مّن الجنّ فَقَالُوا إنا سمعْنا قُرْآنــاً عجبــاً} (الجن، 1-2)؛ وقوله تعالى: {وقَــالُوا لجلُــودهمْ لــم شهدتمْ علَينا قَالُوا أَنطَقَنا الله الذي أَنطَق كُل شــيءٍ} (فصلت، 21)؛ وقوله عز وجل: {يوْم نقُولُ لجهنم هل امْتلَأْت وتقُولُ هلْ من مزيد} (ق، 30)[26].

ومنه في الشعر:

مستأسد [27] ذبانه في غيْطَلِ

يقلن للرائد: 'أعْشبت، انزلِ'

(الحيوان، 314/3)؛

قالت لنــا دار الــبلى

والدار تنطق بالصواب:

'أو ما علمت بأن نصــرا

يـا أبا نـصرٍ تَـوى بي؟'

(الوحشيات، 152)؛

قالت له الطير: 'تقدم راشدا

إنك لا ترجع إلا حامدا'

(الخصائص، 22/1)؛

قضينا من تهامةَ كـل نذْرٍ

بِخيبر ثم أغمدنا السيوفَا

نسائلها ولو نطقتْ لقالتْ

قَواطعهن: دوساً أو ثقيفَا

(شرح ما يقع فيه التصحيف، 39)؛

قال لـي فيها عتيـق مقـالا

فـجرتْ مما يـقول الدموع

قال لي: 'ودع سليمى ودعْها!'

فأجاب القلب: 'لا أستطيع!'

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

قالت له العينان: 'سمعا وطاعة'

وأبدتْ كمثـل الـدر لمّـا يثقـبِ

(الخصائص، 22/1)؛

لو قاتلَ الموت امرؤ عن حميمه

لَقاتلت جهدي سكرةَ الموت عن معْـنِ

قتالاً يقول الموت من وقعه به:

لك ابنك، خذْه، ليس من حاجتي، دعني!

(شرح ما يقع فيه التصحيف، 34)؛

امتلأ الحوض وقال: 'قَطْني!

مهلا، رويدا! قد ملأت بطني!'

(الخصائص، 23/1)؛

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا:

'أحي فيرجـى أم قتيـلٌ نحـاذرهْ؟'

(وفيات الأعيان، 90/6)؛

فقبلتها فوق اللثام فقال لي:

'هي الخمر أُرشفْت الغـداةَ حبابهـا'

(الغصون اليانعة، 134)؛

تقول إذا درأْت لها وضينِي:

'أهذا دينه أبداً وديـني؟

أَكُل الدهر حـل وارتحالٌ؟

أمـا يبقـي علـي ولا يقـيني؟'

(المفضليات، 292) [28]؛

بينما نحن مرْتعون بفَلْجٍ

قالت الدلح الرواءُ: 'إنِيه'

(الخصائص، 23/1) [29]؛

والروض يبدي لنا شـقائقَه

وآسه العـنبـري قـد نفَحا

قلنا: 'وأين الأقاح؟' قال لنا:

'أودعْته ثَغر من سقى القَدحا'

(النفح، 200/3)؛

رجعت وأقلامي قوائلُ لي:

'المجد للسيف ليس المجد للقلمِ'

(ديوان المتنبي)؛

أشارتْ بتقبيلها للسلامِ فقال فمي: 'ليتني كفه'

(النفح، 299/4)؛

يقول راكبها الجني مرتفقاً:

'هذا لَكُن، ولحم الشـاة محجـور'

(ديوان النابغة)؛

قد قالت الأنساع للبطن: 'الْحقِ'

(الخصائص، 23/1).

وقد يلحق هذا النمط مخاطبة ما لا يسمع ولا يعقل، وهو كما لا يخفى عليك أكثر من أن يحصى؛ فلذلك اقتصرنا فيه على هذين المثالين:

لو قلت للسّيل: 'دعْ طريقَك' والـــ
موج عليه بالهَضْبِ يعتلج
لارْتد أو ساخ أو لكان لـــه
في سائر الأرض عنك منعرج
(تأويل مشكل القرآن، 175)؛
على حينِ عاتبت المَشيب على الصبا
فقلت: "ألما تصح؟' والشيب وازِع
(ديوان النابغة الذبياني).

المناجاة، أو نسبة القول إلى النفس

ومن هذا الباب أيضا القول الموجه إلى النفس، نفس القائل، أو منها-وما شابهها وقام مقامها، كالقلب مثلا - إلى صاحبها. وهذه أمثلة عليه:

أقول لنفسي حين خود رألـها:
مكانك لما تشفقي حين مشفَقِ
مكانك حتى تنظري عم تنجلي
عمايـةُ هـذا العـارض المـتألقِ'
(الحماسة بشرح المرزوقي، 365) [30]؛
وقالت ليَ النفس: 'اشْعبِ الصدع واهْتِبلْ
لإحدى الهَنات المُعضِلات اهتبالهـا'
(إيضاح شواهد الإيضاح، 803)؛
وكانت على الأيام نفسي عزيزةً
فلما رأتْ صبري على الذّلّ ذَلت
فقلت لها: 'يا نفس موتي كريمةً
فقد كانت الدنيا لنـا ثم ولـت'
(مطمح الأنفس، 59)؛
قالت له النفس: 'إني لا أرى طمعاً
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد'
(ديوان النابغة)؛
قالت ليَ النفس العروف بقدرها:
'ما كان أوْلاني بهذا الموضع'
(وفيات الأعيان، 117/5)؛
وقلت لقلبي: 'قم لنعشقْ شادناً
سواءً' فقال القلب: 'ما أنـا صـانع'
(تزيين الأسواق، 357)؛
وقالت النفس لما أن خلوت بـها:
'أشكو إليك الهوى خلوا من النعمِ
حتـام أنت على الضراء مضطجع
معرس فـي ديـار الظلْم والظلَم؟
وفي السرى لك لو أزمعت مرتحلاً
برءٌ من الشـوق أو برءٌ من العـدمِ'
(الذخيرة، 293/1)؛
أقول لنفسي حين قابلها الـورى
فـرامت فرارا منه يسرى إلى يمنى:
'قري تحملي بعض الذي تكرهينه
فقد طالما اعتدت الفـرار إلى الأهـنى'
(نفح الطيب، 375/2)؛
يمارِس نفْساً بين جنْبيه كَزةً
إذا هم بالمعروف قالت لـه: 'مهـلا'
(الكشاف، في تفسير الآية 9 من سورة الحشر)؛
قد حدثـتْني النفس قائـلة:

'يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي'

(ديوان شوقي).

ومنه في النثر الأمثلة التالية: "قال في نفسه: 'من لهذا الأمر؟'" (كليلة ودمنة، 28)؛ "فقلت في نفسي: 'ما له لعنه الله؟'" (السيرة، 609/2)؛ "وقلت في نفسي: 'يـا نفس، من أين علم أني كذبت؟'" (التاج، 240)؛ "فقال في نفسه: 'والله ما في منـزلي شيء'" (كليلة ودمنـة، 48)؛ "وقالوا في أنفسهم (يعني الوزراء والخاصـة ممـن حضر ذلك المقام): 'ما عسى أن يتجه لابن عبد البر من كلام على هذه الحال، لا سـيما علـى الارتجـال؟'" (الذخيرة، 137/5)؛ "فقلت في نفسي: 'لَحقَه اللجاج'" (معجم البلدان: بغداد)؛ "فيقول في نفسه: 'لأبلغن هذين القصرين'" (رسالة الغفران، 181)؛ "فقلت في نفسـي: 'من هذا كنت أخاف'" (الوفيات، 207/2)؛ "فقالت لي نفسي: 'قد عرفت مكا ا (يعني رقعة ذكرها)، بـالله لا قطعْتها إلا يده'" (نفح الطيـب، 80/2)؛ "فقلـت في نفسي: 'ما الإخوانُ ولا الأعـوان ولا الأصـدقاء إلا بالمال'" (كليلة ودمنة، 148)؛ "وكان كعب بن زهير إذا أنشد شعرا قال لنفسه: 'أحسنت، وجـاوزت-والله- الإحسان!'" (المستطرف، 287/1).

وقد يقع أن تسقط العبارة الدالة على النفس، مع أن الخطاب مناجاة؛ وهذا شاهده (من مجمع الأمثـال، عند المثل 'تحسبها حمقاء وهي باخس'): "يقال: إن المثل تكلم به رجل من بني العنبر من تميم. جاورتـه امـرأة؛ فنظر إليها؛ فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها. فقال العنبري: 'ألا أخلط مالي ومتـاعي بمالهـا ومتاعها، ثم أقاسمها، فآخذ خير متاعها وأعطيها الرديء من متاعي؟' فقاسمها بعدما خلط متاعه بمتاعها ...". لا يخفى عليك أن العنبري إنما كان يحدث نفسه؛ وهذا من الظهور بحيث لا يشك أحد في أنه السبب في إسقاط ما يشير إليه.

تعليق القدماء على هذا النمط

فهذا النمط الأول، وهو الحكاية، يكون فيه مـا بعد الفعل الصدر – فعل القول أو ما قام مقامه – دائما على الصورة التي لفظه ا قائله (وإن لم يصح منه القول إلا على ا از، أو كان متوهما كما في مناجاة النفس) [31]. وتجدر الإشارة إلى أن 'قال' في القرآن الكريم لا يليها إلا القول المحكي؛ فلهذا -والله أعلم- عده النحاة أم الباب؛ وأغلب الأحاديث -وإن كنا لم نستقصها كلها- علـى جديلة القرآن الكريم متى جاء لفظ القول ومشـتقاته في متو ا؛ حتى قال سيبويه: "واعلم أن 'قلت' إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى ا؛ وإنما تحكي بعد القول ما كان كلاما، لا قولا"[32]. فحكاية القول إذن هـي أدنى درجات ظهور علامات المتكلم الحاكي للقول، إذ لا شيء يدل عليه في الكلام الذي يحكيه، لأنه إنما يأتي به على الصورة التي سمعه عليها. وقد علق عليه سيبويه، بعد الذي نقلناه عنه، بقوله: "... نحو: 'قلـت: زيـد منطلق'، لأنه يحسن أن تقول: 'زيد منطلق'، ولا تدخل 'قلت'؛ وما لم يكن هكذا أُسقط القولُ عنه". فـالمتكلم في 'زيد منطلق'، المخبر بانطلاق زيد، ليس له علامـة تدل عليه في هذا الكلام؛ أما في "قلت: 'زيد منطلق'"، فالمتكلم يدل على نفسه بالضـمير المتصـل بالفعـل، وبنسبة وقوع الفعل إلى زمان مضى بالقياس إلى زمانـه (أي حاضره)، وبإفراد الفعل دون التثنية والجمـع؛ ولا ينعدم من الأخبار في هذا الفعل (أعني 'قلت') إلا إفادة التأنيث والتذكير: فلفظ 'قلت' لا ينفي أحدا منـهما،

أعني أن المتكلم قد يكون متكلما أو متكلمة. والمستفاد من هذه الإشارات النحوية والصرفية أن الكلام، هاهنا، هو مجموع "قلت: 'زيد منطلق'"؛ أما 'زيد منطلق' من ذلك الكلام فليس بكلام، بل إنما هو قول (فلذلك سميناه القول المحكي). نعم، كان كلاما عندما تلفظ به صاحبه؛ أما هاهنا، فما هو إلا قول في كلام متكلم آخر. ويدل عليه بالبراهين النحوية أن الإسناد قد تم في 'قلت'، والإفادةَ قد حصلت، وهي شرط الكلام؛ أما 'زيد منطلق' من "قلت: 'زيد منطلق'" فإنما هو فضلة زائدة على العمد؛ أي أنه – كما قال سيبويه[33]– ليس "في موضع المبني على المبتدإ"، يريد ما المسند (وهو هنا 'قل' من 'قلت') والمسند إليه (وهو هنا التاء من 'قلت'؛ أي ضمير المتكلم المفرد أو المتكلمة المفردة)؛ وقد تنوب عن 'زيد منطلق' لفظة واحدة، هي 'قولا' أو 'شيئا'؛ فهي إذن في محل نصب [34]، وهو محل الفضلة كما لا يخفى عليك. أضف إلى ذلك (وهذا من البراهين الدلالية) أن 'زيد منطلق' إنما يفيد خبرا في المرتبة الثانية، لأن الخبر الواقع في المرتبة الأولى هو إخبار المتكلم بأنه قال شيئا، ومن الدرجة الثانية؛ أي أنه خبر متعلق بغيره؛ أما "قلت: 'زيد منطلق'"، فهو فعل من أفعال الكلام الحقيقية، لأنه يفيد فائدة أولية هي الأهم (بالنظر إلى المقام)، وهي صدور القول عن هيئة (أو بؤرة)؛ أي عن متكلم قائل متلفظ (أو متكلمة قائلة متلفظة) [35]؛ ويفيد فائدة ثانية هي فحوى ذلك القول ومضمونه. وليس هذا قلبا لكلام سيبويه، بل الأمر مختلف في الحالتين: فعند سيبويه – وعند عامة النحاة العرب – أن الأهم هو مضمون الكلام وفحواه، بغض النظر عن قائله؛ أما المحدثون، فعندهم أن الخطاب لا يقل أهمية عن الكلام، وأن دراسته أجدى وأنفع لشدة عنايتهم بالشكل، لأنه عندهم غير منفصل عن المضمون، بل هو السبيل إلى الوقوف على ذلك المضمون؛ بل منهم من يذهب إلى أنه عين المضمون. زد على ذلك أن الكلام إنما هو جمل تتلوها جمل (قال السيوطي[36]: "القول وما تصرف منه ... يحكى به الجمل")؛ أما الخطاب، فهو وحدة تعلو على الجملة؛ وعناصره (أي وحداته) أصلية، ليست هي المفردات ولا الكلمات، كما هو الشأن في الجملة. هذا، والكلام – كما تصوره النحاة العرب – لا يدرسه إلا النحو، لأن الكلام جملة مفيدة، تدل "على معنى يحسن السكوت عليه"[37]. فلذلك ما فتئوا يبحثون عن إعراب ما بعد القول، ولم يزيدوا على ذلك شيئا.

الأفعال القائمة مقام الفعل 'قال'

وليست مادة (ق و ل) ومشتقاتها وحدها المستعملة في الجملة الصدر؛ بل استعملت في العربية أفعال أخرى كثيرة، في مقامات خطابية مختلفة، أحصينا منها ما يلي [38]:

أتى، أذن، أمر، بدا، بشر، بعث، بكّى، بلّغ، أبلَغ، مبلغ، بوأ، بايع، تلا، أجاب، استجاب، احتج، حدث، تحدث، حيى، خبر، أخبر، دس، دعا، دفع، ذكر، ذهب، رأى، ارتجل، رد، أرسل، رفع، أراد، زعم، سمع، شهد، أشار، استشار، أشاع، صرخ، صاح، تصايح، صوت، أُضب، انطلق، عاتب، عج، اعتذر، عرض، أعطى، أعلَم، أعلن، عهد، عاهد، عير، غنى، تقدم، قرأ، أقر، قضى، كتب، كاتب، الكتاب، تكلم، كلمة، ألزم، تلقى، ألاح، أنبأ، نبأ، نبه، ناجى، نادى، تنادى، نداء، أنذَر، نذير، أنشأ، ناشد، أنفذ، هتف، وجه، أوحى، ورد، وصى، وعظ، وقّع، أومأ.

فهذه الألفاظ كلها فيها معنى القول؛ وقد ألحقنا ا ما يشهد عليه، وأضربنا صفحا عن كثير غيرها ثقـة منا بأن القارئ يعرفها، مثل: بادر، حكى، ذكـر، روى، أسر، شرح، شهد، لحن، نبس، أنشد، نعى، نما (يقـال: نمي إليه كذا)، همس، وسوس، وشوش، وشى، وغيرها.

وهذه أمثلة على كل واحد منها، مـن القـرآن والنثر والشعر (ولم نفرق فيها بين الحكاية والعدول):

وأتانا من الحوادث والأنـ ـ ـباء خطب نعـنى به ونساءُ:

أن إخواننا الأراقـم يغْلو
نَ علينا في قولـهم إحفاءُ

(شرح القصائد السبع الطوال، 366)؛

{ثُم أذنَ مؤذنٌ أيتها العير إنكُـمْ لَسـارقونَ} (يوسف، 70) [39]؛ "أمـر الله تعـالى الملائكـة أن أخرجوهما من هناك" (رسائل إخوان الصـفا، 230/2)؛ {ثُم بدا لَهم من بعْد ما رأَوا الآيات لَيسْـجننه حـتى حينٍ} (يوسف، 35) [40]؛ {وبشرِ الذين آمنوا أن لَهمْ قَدم صدْقٍ عنْد ربهمْ} (يونس، 2) [41]؛ {ولَقَدْ بعثْنا في كُلِّ أُمةٍ رسولاً أَن اعبدوا اللهَ واجْتنِبوا الطـاغُوت} (النحل، 36)؛ "بعث إلي أحد أمراء الحجاز أن اشْخصْ إلى مكة" (الأغاني، 45/1)؛ "فبعث إليه عمر ألاّ تـدعْ بمصر شيئا من طعامها وكسو ا وبصلها وعدسها وخلّها إلاّ بعثت إلينا منه" (فتوح مصر والمغرب، 193)؛ "بعث إليه الأحنف: سنختار" (الكامل، 184)؛

قامت تبـكّيه على قبره:
'من لي من بعدك يا عامر؟
تركتني في الدار ذا غُربةٍ
قد ذَلّ من ليس له ناصر!'

(ما يحتمل الشعر، 50)؛

أبلغ الحارثَ بن عمرٍو بأني
حافظُ الـود مرصد للثوابِ
ومجيب دعائه إن دعانـي
عجِلاً واحـدا وذا أصحابِ

(ديوان حاتم)؛

ألا بلّغا خلـتـي جابراً
بأن خليـلَك لم يقـتلِ

(ما اتفق لفظه واختلف معناه، 107)؛

أبلغ بني لأمٍ بـأن خيولـهم
عقْـرى وأن مجادهم لم يمجد
ها إنما مطرتْ سماؤكم دمـاً
ورفعت رأسك مثلَ رأس الأصيد

(ديوان حاتم)؛

ألا مـن مبْلغٌ حسانَ عني:
أَطِب كان داؤك أم جنونُ؟

(اللسان: طبب)؛

فمن مبلغُ الأحلاف عني رسالةً
وذبيانَ: 'هل أقسمتم كـل مقسـم؟'

(ديوان زهير)؛

أبلغ أبا غسان: إنك إن تعدْ
تعدْ لـك بـالبيض الرقـاق تمـيم

(الوحشيات، 73)؛

{وإِذْ بوأْنا لإِبراهيم مكَانَ البيْت أَن لا تشْـرِكْ بِي شيْئاً وطَهرْ بيْتي للطـائفين والقَـائمين والركـع السجود} (الحج،24) [42]؛ "فبايعه رجـل ليكذّبنـه" (فصل المقال، 53)؛ {قُلْ تعالَوْا أَتلُ ما حـرم ربكُـمْ علَيكُمْ أَلا تشرِكُوا بِه شيْئاً وبِالْوالدينِ إِحْساناً ولاَ تقْتلُوا

أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} (الأنعام، 152) ؛

قال لي: 'ودع سليمى ودعْها!'
فأجاب القلب: 'لا أستطيع!'

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

وأجبت قائلَ: 'كيف أنت؟' بِ: 'صالح'
حتى مللت وملّني عوادي

(مغني اللبيب، 551)؛ [43]

طَلبوا صلحنا ولات أوانٍ
فأجبنا أن 'ليس حين بقاءِ'

(العيني، 156/2)؛

قالوا: عشقت صغيرة فأجبتهم:
'أشهى المطي إليّ ما لم تركبِ'

(ديوان أبي نواس)؛

"فأجابوه بأن فداء المسلمين ... جائز، وإنا موافقون" (نزهة الحادي، 198)؛ "فأجابه بأنه إن لم يرجع رفع أمره إلى الحاكم" (تزيين الأسواق، 356)؛ {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} (الأنفال، 9) [44] ؛ "ويحتج عليهم (أي على أهل زاوية الدلاء) بأن أباهم... كان بايع أخاه الوليد بن زيدان ... وإنكم أولى الناس باقتفاء طريقته" (نزهة الحادي، 246)؛ "كانت تحدث أنه مر ا وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس" (السيرة، 157/1)؛ "الأصمعي قال: 'سمعت الحي يتحدثون أن جريرا قال ...'" (الشعر والشعراء، 285)؛ {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ} (يونس، 10)؛

ولئن سألت بذاك عبلةَ خبرتْ
أنْ لا أريد من النساء سواها [45]

(ديوان عنترة)؛

وخبرتماني: 'إنما الموت بالقُرى'
فكيف وهاتا هضبةٌ وقَليبُ؟

(الكشاف، في تفسير الآية 8 من سورة التوبة)؛

"كل يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر" (مروج الذهب، 125/1)؛ "أخبرونا أ م يدخلون إليهم في كل يوم عيد لهم، يجتمع أهل تلك البلاد من سائر المدن والقرى إلى باب ذلك الكهف، فنقيمهم أياما من غير أن يمسهم أحد، فننفض جباههم وأكسيتهم من التراب، ونقلم أظافيرهم، ونقص شوار م، ثم نضجعهم بعد ذلك على هيئتهم التي ترو ا" (معجم البلدان: الرقيم) [46]؛ "دس إليه: إن الدولة صائرة إليك" (النفح، 482/1)؛ "من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانيةُ أبواب الجنة أن ادخلْ من أي باب شئت" (حديث شريف، في الكشاف، في تفسير الآية 45 من سورة فاطر)؛ "دعوا نساء من قريش ليخرجن" (السيرة، 384/2)؛ "دعوت الناس أن ارجعوا" (الأزهية، 69)؛ {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس، 10) [47]؛

وداعٍ دعا: 'يا من يجيب إلى الندى!'
فلم يستجِبْه عند ذاك مجيب

(تأويل مشكل القرآن، 230)؛

فدعوا: 'نزالِ!' فكنت أولَ نازلٍ
وعلام أركبه إذا لم أنزلِ؟

(شرح المفصل، 27/4)؛

"فدفعوا كلهم بلسان واحد: 'سيدنا وابن سيدتنا المربية لنا المحسنة إلينا'" (تاريخ افتتاح الأندلس، 118)؛ "وذكر ابن سعيد في كتاب المغرب: 'يقال كانت مبانيها في قديم الزمان متصلة بمباني عين شمس'" (الانتصار، 3/1)؛ "وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف" (مروج الذهب، 173/2)؛ "وذهب قوم من النصارى أن السيد المسيح إنما كان يعلم الغائبات من الأمور ... لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب" (المروج، 172/2)؛ "من الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل كان قد مات" (المروج، 279/2)؛

أبا الحسين استمع مقالَ فتى
عوجِلَ فيما يقول فارتجلاَ:
'هذا أبو الوحش جاء مجتدي الـ
قومِ فنوِّهْ بـه إذا وصلاَ'

(الغصون اليانعة، 206) [48]؛

"رده ب'أنا لم نر عاطفا يصلح للسقوط دائما، ولا عاطفا ملازما لعطف الشيء على مرادفه'" (الخزانة، 491/4) [49]؛

أشرت إليها: هل عرفت مودتي؟
فردتْ بطرف العين: إني على العهد

(المستجاد من فعلات الأجواد، 57)؛

فأرسلْ يمينا إن رمحك ناله
وأُكرِم أن تحلفْ وأنت أمير

(ديوان حسان)؛

{إنا أَرْسلْنا نوحا إِلَى قَوْمه أنْ أَنذرْ قَوْمك منْ قَبْلِ أنْ يأْتيهمْ عذَاب أَليم} (نوح، 1) [50]؛ "أرسلت إليّ أم كلثوم: لا تكلف شيئا، فقد هيأت له غَداءه" (نوادر المخطوطات، 68/1)؛ "وأرسل إليه يعلمه بما فعله العرب في مدة قيصر، وأنهم قد أتونا" (فتوح الشام، 79/2)؛ "أرسل (سفيان بن معاوية) إلى خالد بن صفوان: إن ابنك قُتل وقُتل ابني، فأرسلت إليك أتعزى بك وتتعزى بي" (التعازي والمراثي، 50)؛ "أرسل إليها: إني أكره أن أبيت خلوا ولي زوجة!" (الأغاني، 382/20)؛ "أرسل إليه المسيح: إن شئت أعطيتك خمسمائة ألف درهم، وتنصرف عني؛ وإن شئت أعطني خمسمائة ألف أُخلّيك والعملَ" (الوزراء والكتاب، 105)؛ "فرفع إليه (إلى صاحب الموصل): إنه (أي ابن دهن الشاعر) لمّا وصل صلاح الدين ... إلى الموصل ورام التغلب عليها، أنفذ إليه قصيدة يمدحه فيها ويحضه على ما تقتضيه الهمة العالية في الملك" (الغصون اليانعة، 81)؛ "يريد: 'إنْ صدق هذا الطير سيصيبك اجتنابها؛ أي تنحيها وتباعدها'" (شرح شواهد المغني، 27)؛ "يريد: أُحسبوا سنه وسن من كُتب عنه" (الإعلان بالتوبيخ، 22)؛ "يريد: إنهم يعرسون ولا يحطون عن إبلهم" (النقائض، 160)؛ "كأنه يريد: إن اتفق من سعدٍ الزلّةُ بعد الزلّة، والسقْطة المنكرة بعد السقطة، فإنا على ذلك نكاثرهم الأعداءَ" (المرزوقي في شرح الحماسة، 1452)؛ "تلمع من وراء الحجاب بيدها تريد أن لا نعجلْ" (الأموال، 414)؛ "أراد: ما الذي يريد؟ أهو نذر نذره أم هو ضلال؟" (ما اتفق لفظه واختلف معناه، 301)؛ "يريد: تعوص في حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون" (أمالي القالي، 6/1)؛ "يريد: إنْ صدق هذا الطير سيصيبك اجتنابها؛ أي تنحيها وتباعدها" (شرح شواهد المغني، 27)؛ {زعم الذين كَفَرُوا أن لن

يْعثُوا} (التغابن، 7)؛ "ويزعم: إنما أدركوا ذلك بمالك بن مسمع" (النقائض، 742)؛

لقد زعمتْ هوازنُ: قَل مالي [51] (صدر بيت في الكشاف، في تفسير الآية 31 من سورة الصافات؛ قال الزمخشري: "ولو حكى قولها بلفظه لقال: 'قل مالُك'")؛

زعمتْ تماضر أنني إما أمتْ
يسْدُدْ أُبَيْنوها الأصاغر خلتي [52]

(أمالي ابن الشجري، 63/1؛ ثم قال: "الزعم: القول عن غير صحة")؛

ألاَ زعمتْ بسْباسةُ اليوم أنني
كبِرت وألاّ يحسن السر أمثالي

(ديوان امرئ القيس)؛

زعم الفرزدق أنْ سيقتلَ مرْبعاً
أبْشرْ بطولِ سلامةٍ يا مربع

(ديوان جرير)؛

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم
فإني شريت الحلم بعدك بالجهل'

(المغني، 543)؛

سمعت: الناس ينتجِعون غَيْثاً
فقلت لصَيْدح: انتجِعي بِلالا

(ديوان ذي الرمة، 376) [53]؛

{وشهد شاهد منْ أهلها إن كانَ قَميصه قُد من قُبلٍ فَصدقَتْ وهو من الكاذبين} {وإن كانَ قَميصه قُد من دبرٍ فَكَذَبتْ وهو من الصادقين} (يوسف، 26-27)[54] ؛ "فأشار إليّ رجل أنْ قومي فكلّميه" (السيرة، 579/2)؛ "فأشار (الرشيد) إلى خادم على رأسه: كم هي؟"، يعني البدر (شرح المقامات، 416/4)؛ "أشار إليهما أن ليس هذا ممن تتهكّمان به وتستهزئان منه" (الفصوص، 15/5)؛ "قال بإحدى يديه على الأخرى يشير أن اقتلوهم" (الخراج، 264)؛ "أشار إليّ أبي بأن كُلْ" (السيرة، 632/2)؛ "فأشار إليّ أبي أن لا تمتنعْ" (الأغاني، 21/15)؛ "أشار عليها أحد من ينصحها بأن ديها إليّ" (الوفيات، 50/1)؛

"أشرت إليها: هل عرفت مودتي؟
فردتْ بطرف العين: إني على العهد

(المستجاد من فعلات الأجواد، 57)؛

"استشار وزيره هارونَ اليهودي: ماذا يفعل[55]؟" (درة الحجال، 362)؛ "فأشاع الروم: إنه متى نزلت علينا محلّةُ المسلمين أمضينا السيف على أهل بلنسية" (البيان المغرب، 40/4)؛ "صرخ بأعلى صوته: يا أنصار!" (السيرة، 632/2)؛"فإذا بيت الحي صرخوا: يا أحمر!" (السيرة، 414/2)؛ "فوجد سائلاً وهو يرعد بالبرد ويصيح: الجوع والبرد يا مسلمين!" (الغصون اليانعة، 70)؛ "فصاح مسلم بن أبي الزناد: الآن حمي الوطيس! هكذا يكون المديح!" (شرح شواهد المغني، 45)؛ "وجعل يصيح: بيضنا يا ربنا!" (الغصون اليانعة، 152)؛

كم صفعةٍ صاحت إلى صافعٍ
بالنعل من أخْدعه: خذني

(الإمتاع والمؤانسة، 56/2)؛

"وصاح: ويلك يا غلام الأرض، الساعةَ تموت!" (شرح المقامات، 47/2)؛ "فتصايح الناس: أعيدي بـالله عليك!" (بغية الملتمس، 91)؛ "فصـوت: يـا أبـت!" (الأغاني، 18/15)؛ "فصوت بي: يا إسحاق، ارجـع!" (الأغاني، 12/1)؛ "فأضب القوم[56]: يا عبـد الله بـن رواحة!" (طبقات فحول الشعراء، 225)؛ {وانطَلَق المَلأُ مِنْهم أن امْشوا واصْبِروا علَى آلهتكُمْ} (ص، 5)[57]: "قيل: خلط رجل ماله بمال امرأة، طامعا فيها، ظانا بأ ا حمقاء. فلم ترض عند المقاسمة حـتى أخـذت مالهـا؛ وشكته حتى افتدى منها بما أرادت، فعوتب في ذلـك بأنك تخدع امرأة، فقال: تحسبها حمقاء وهي بـاخس؛ أي وهي ظالمة" (القاموس المحيط، 206/2)؛ "إذا تـزوج أحدكم عج شيطانه: 'يا ويله! عصم ابن آدم مني ثُلُثَـي دينه!" (حديث شريف، في الكشاف، في تفسير الآيـة 32 من سورة النور)؛ "واعتذر عبد الرحمن (بن عوف) إلى علي (بن أبي طالب) بأنك لم تبذل يمينـك وبـذلها عثمان" (المظفري، 156)؛ "اعتذر إليه أنه لم يعرف مـا كان، وإنما صلى على ابن أبي دليم، وضمت إليه جنازة أخرى لا أدريها" (ترتيب المـدارك، 122/6)؛ "عـرض عليهم أن يمن عليهم ويسلموا" (فتوح البلـدان، 163)؛ "أعطيتموني أنكم إن كتمتم شيئا حلت لنا دمـاؤكم" (الأموال، 216)؛ "أعلمونا يا أصحابنا: الحـث علـى الأكل أحسن، أم الإمساك حتى يكون من الأكل مـا يكون؟" (الإمتاع والمؤانسة، 1/3)؛ "يعلمـو م ... أن الطاغية جمع جمعا عظيما وحشد حشودا كثيرة ... وهو قادم عن قريب، ولا طاقة لكم بملاقاته" (نبذة العصـر، 55)؛ "أمر (الإسكندر) أن يعلن للعامة: 'إنا قد أمرنـا بالأصنام التي كنتم تعبـدو ا أن تكسـر'" (الأخبـار الطوال، 31)؛ {وعهِدْنا إلَى إبْراهيم وإسْماعيلَ أن طَهرا بيْتي للطائفين} (البقرة، 124)؛ {ألَمَ أعْهد إلَيْكُمْ يا بني آدم أن لا تعْبدوا الشّيْطَانَ} (يس، 60)؛ "قد عهـد إلى أمرائه من المسلمين ... أن لا يقاتلوا إلا مـن قاتلـهم" (السيرة، 409/2)؛ {ومِنْهم منْ عاهد الله لَئِنْ آتانا مـن فَضْله لَنصدقَن ولَنكُونن من الصالحين} (التوبة، 75)؛

هم عيروني أن أمي غريبة
وهل في كريم ماجِد ما يعير؟

(ديوان عروة)؛

وعيرها الواشون أني أحبها
وتلك شكاةٌ ظاهر عنك عارها

(درة الغواص، 458، وتحرير التحبير، 381)؛

أعيرتموني أن أمـي نزيعةٌ
وهل يُنْجِبنْ في القوم إلا النوازع؟

(ديوان عروة)؛

تعيرنا أنـا قليل عديـدنا
فقلت لها: إن الكرام قليلُ

(شرح الحماسة، للمرزوقي، 111)؛

كلما غنـى بـنانٌ: 'اسمعـي أو خبرينا'
أنشدتْ فضـلُ: 'ألا حييت عنا يا مدينا'
عارضتْ معنى بمعنى والندامى غافلـينا

(تحرير التحبير، 381)؛

"تقدم الوزير إلى حاجبه أن يخرج إليه" (تجارب الأمم، 10/1)؛ "وتقدموا إليهم أن متى أُذن الظهـر ولم يخرجوا إليهم أن يهجموا على القصـر ويخرجـوهم" (المقتـبس، 97)؛ "قـرأت: الحمـد لله رب العـالمين" (المقتضب، 11/4)؛ "قرأت علـى خاتمـه: الحمـد لله"

(المقتضب، 11/4)؛ "اللوث وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول -قبل أن يموت: إن فلانا قتلني" (اللسان: لوث)؛ {وقَضى ربك ألا تعْبدوا إلاّ إياه} (الإسراء، 23) [58] ؛ {وقَضْينا إلى بني إسْرائيلَ في الكتابِ لتفْسِدن في الأَرض مرتَين ولتَعْلُن علوا كبيراً} (الإسراء، 4)؛ "كتب أبو العيناء: قد أصبت لك غلاما" (الإمتاع والمؤانسة، 54/2)؛ "كتب عمر أن اضْربه سوطا واعزله عن عمله" (نور القبس، 3)؛ "فكتبت الزباء إلى جذيمةَ تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن تصل بلاده ببلادها؛ وأنها لا تجد ملك النساء إلا إلى قبيح في السماع، وضعف في السلطان، وقلة في بسط المملكة؛ وأنها لم تجد لها كفؤا غيرك؛ فأقبِل إلي، واجمع ملكي بملكك، وصل بلادي ببلادك، وتقلد أمري مع أمرك" (نوادر المخطوطات، 130/2) [59]؛ "كتب إليه محمد بن داود أنه يصير إليه في ليلة ذكرها"؛ "فاكتب إليه الساعة أن ينتقل عن موضعه، فإني أبعث إلى مكانه من يكبسه ويلتمسه" (تجارب الأمم، 10/1 و11/1)؛ "وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بأننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم، لا نطلب سواها" (الكامل، 275/10)؛ "كتب ملك الروم إلى السلطان (محمد بن علي بن نصر) بأنه يجب على المسلمين أن يعينوه بالزرع في كل سنة بالذي وجب في دينكم من الأعشار والزكوات" (نبذة العصر، 116)؛ "فشرع هاشم بالكتاب إلى حامد: 'أتتك محنةٌ يمتحن بها صبرك وقيامك بما قُلدته'" (تاريخ افتتاح الأندلس، 122)؛ "وتكلمت العرب أن ابني النعمان منها"، يعني من المتجردة، زوجة النعمان (خزانة الأدب، 288/1)؛ {وإذَا وقَع القَوْلُ علَيهم أخْرجْنا لَهُمْ دابةً من الأرض تكَلمهمْ أن الناس كانوا بِآياتنا لا يوقنونَ} (النمل، 82)[60]؛ {وتمتْ كَلمةُ ربك لأَمْلأَن جهنم من الجنة والناس أَجْمعين} (هود، 119)[61] ؛ {ولَقَدْ سبقَتْ كَلمتنا لعبادنا الْمرْسلين } {إنهمْ لَهم المنصورونَ } {وإن جندنا لَهم الغالبونَ} (الصافات، 171-173)[62] ؛ "فألزم عليه (أي على سقراط): إنك تقول إنها (أي صفات الله تعالى) بلا نهاية ولا غاية" (الملل والنحل، 401)؛

ولما أتاني والسماءُ تبله
تلقّيته: أهلا وسهلا ومرحبا

(ما اتفق لفظه واختلف معناه، 145)؛

"ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس" (السيرة، 615/2)؛

نبئت أن بني سحيمٍ أدخلوا
أبياتهم تامور نفسِ المنذرِ

(شرح القصائد السبع الطوال، 391)؛

ينبئْك ذو عرضهم عني وعالمهم
– وليس جاهل شيء مثلَ من علما –:
إني أُتمم أيساري وأمنحهم
مثنى الأيادي، وأكسو الجفنةَ الأُدما

(ديوان النابغة)؛

فسينبيك أن في حد سيفي
ملَك الموت حاضر لا يغيب

(ديوان عنترة)؛

أُنبئت أن بني جديلةَ أوعبوا
نفراءَ من سلمى لنا وتكتبوا

(شرح القصائد السبع الطوال، 343)؛

وأنبأه المنبئُ أن حيا
حلولاً من حرامٍ أو جذامِ

(ديوان النابغة)؛
"كأنه ينبهه على أنك قد سبْبت آدم ومن ولَـد" (مشكل الحديث، لابن فورك، 7)؛

وبت أناجي النفس: أين خباؤها؟
وكيف لما آتي من الأمـر مصـدر؟

(ديوان عمر بن أبي ربيعة)؛

{ونودوا أن تلْكُم الجنـةُ} (الأعـراف، 43)؛ {ونادوْا يا مالك ليقْضِ علْينا ربك} (الزخرف، 77)؛ "ثم نادوه: يا بشْر، نحن همدان، وهذا شبام" (النقائض، 717)؛ "فناداه أعرابي كان في جانب الحلقة: أخطأت يا شيخ!" (التنبيهات، 83)؛ "فنادوا: قد رضينا" (النقائض، 727)؛ "ينادي: من أراد أن يسمع العجائب فليدن مني" (تزيين الأسواق، 59)؛ "أمر الأمـير بالنـداء عليـه في الأسواق: جزاء لمن يخطب المـرأة وهـي ذات زوج!" (صفوة من انتشر، 215)؛

ولقد بححْت من الندا
ءِ لجمعهم: هل من مبارِزْ؟

(من اسمه عمرو من الشعراء، 105)؛

تنادي إلى جارا ا: إن حاتما
أراه لعمري بعدنا قد تغيرا

(ديوان حاتم)؛

ألم تر أني يوم جو سويقةٍ
بكيت ونادتني هنيدةُ: ما ليا

(النقائض، 167؛ ثم قال: "ما ليا: ما لك")؛

خبتْ نار العلا بعد اشتعالٍ
ونادى الخير: حي على الزوالِ!

(حماسة الظرفاء، 162)؛

تنادوْا بالرحيلَ غداً وفي ترحالهم نفسي

(الكشاف، في تفسير الآية الأولى مـن سـورة البقرة) [63]؛

{قَالَ يا قَوْمِ إني لَكُمْ نذير مبِين } أن اعْبـدوا الله واتقُوه وأطيعون} (نوح، 2-3) [64]؛ {واذْكُرْ أخا عادٍ إِذْ أنْذَر قَوْمه ... ألاّ تعْبـدوا إلا الله إني أخـاف علَيكُمْ عذَاب يوْمٍ عظيمٍ} (الأحقاف، 21)؛ "فأنشـأ عبيد الله (بن زياد) يقتص أول أمره وأمرهم وما قد كان دعاهم إلى من يرضون به فبايعه معهم، وإنكـم أبيـتم غيري؛ ثم إنه بلغني أنكم مسحتم أكفّكـم بالحيطـان وباب الدار، وقلتم ما قلتم" (النقائض، 723)؛

لاهـم إنـي ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيك الأتلَدا:
إنّ قريشاً أَخلَفوك المَوعدا
ونقَضوا ذمامك المؤكدا

(الكشاف، في تفسير الآية 4 من سورة التوبة) [65]؛

"أنفذ إليه الملك: أن قد جـاء الوعـد فمـاذا صنعت؟ فأنفذ إليه بيدبا: إني على ما وعدت أيها الملك، فليأمرني بحمله" (كليلة ودمنة، 40)؛ "فأنفذ إلى الكاتب بأن أخرج المال" (نشوار المحاضـرة، 29/1)؛ "فيهتـف هاتف: أتشعر أيها العبد المغفور له لمن هـذا الشـعر؟" (رسالة الغفران، 176)؛ "يهتفون من كـل أوب: يـا محمد، يا محمد، الشفاعةَ الشفاعة! نمت بكذا ونمـت بكذا" (رسالة الغفران، 178)؛ "هتف م كالمنادي: يا أيها الناس!" (المرقبة العليا، 71)؛ "وجه إليه أن اعمـل شيئا تكون فيه إماما" (نور القبس، 4)؛ "وجه الواثـق إليه: أريد شاهدا من الشعر" (نور القبس، 211)؛ "وجه

إليه زياد بن عمرو: تخيرْ خلّةً من ثـلاث" (الكامـل، 184)؛ {ولَقَدْ أُوحي إلَيْك وإلَى الذين منْ قبلك لَـئنْ أشْركْت لَيحْبطَن عملُك ولَتكُونن مـن الخَاسـرين} (الزمر، 62)؛ "فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبـوركم"، وأيضا: "فأوحي إلي في المنام أن انفُخْهمـا" (حـديثان شريفان في كتاب الوضوء من "صـحيح" البخـاري)؛ "أوحى الله إليه أن اصْنع الفُلْـك" (المـروج، 40/1)؛ "أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك؛ فإ م إن ظفروا بك عيروك وقتلوك وولدك" (الكامل في التاريخ، 311/1)؛ "فورد جواب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم أن يحضر قاضي القضاة بِشر بن الوليد وإبـراهيم بـن المهدي، فإن قالا بخلق القرآن وإلا تضرب أعناقهما؛ وأما من سواهما فمن لم يقل بخلق القرآن يوثقه بالحديد ويحمله إلي" (المختصر في أخبار البشر، 31/2) (66)؛ "فوردت رقعة الكندي أنه تسلمها (يعني كتبه) عن آخرها" (المكافأة، 131)؛ وورد هذا النص في عيون الأنباء (180/2)، وفيه: "... بتسلمها عن آخرها")؛ {ووَصّى بِها إبْراهيم بنِيـه ويعْقُوب يا بنِي إن الله اصْطَفَى لَكُم الدين فَلاَ تمـوتن إلا وأَنتم مسْلمونَ} (البقرة، 132) (67)؛ "استخلَف معد بن إسماعيلَ على إفريقيةَ بلُقين بن زيري، ووصاه بما يفعـل بعده من أمور المملكة؛ فمن ذلك ألا يرفع السيف عـن قبائل البربر ولا الحزم عن الرعية، 'ولا تولّي أحدا مـن بني عمك: فإ م يرون أ م أحق بالملك منك'" (البيـان المغرب، 263/3)؛ "فأوعز ابن عمار إلى الصاعدين معه أن صبا سيفكما عليه إذا رأيتماني أُماشيه ويدي في يده، ولو قتلتماني وإياه" (الحلة السيراء، 149/2)؛ "أوعـزت إليه بأن افعلْ" (الكتاب، 162/3)؛ {قُلْ إنمـا أَعظُكُـم بِواحدة أَنْ تقُوموا لله مثْنى وفُرادى ثُم تتفَكروا} (سبأ، 46)؛ "وقّع أحد بني مروان على مطالعة فيهـا شـكاية عماله: إنّ إلينا إيابهم وإن علينا حسابهم" (الإتقـان في علوم القرآن، 113/1)؛ "أومأوا برؤوسهم؛ أي نعم، ولم يتكلموا" (اللسان، قول)؛

أومتْ بعينيها من الهَوْدجِ:

لولاك في ذا العام لم أَحججِ

أنت إلى مكة أَخْرجتني

ولو تركت الحج لم أخـرجِ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة).

العدول

أما الضرب الثاني، وهو **العدول**، فالظاهر أ م لم يولوه من العناية ما يستحق؛ ولئن كانوا تحدثوا عنه فإنما ذكروا أنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يفيد البتة شيئا زائدا على الخبر نفسه. قال السـيرافي (ـامش الكتـاب، 143/3): "إذا قلت: "قال عمرو هو منطلـق"، فحـق الحكاية أن تقول: "قال عمرو: 'أنا منطلق'"، لأن هـذا لفظه الذي لفظ به؛ ولكنهم قد يغيرون لفظ الغيبـة إلى الخطاب، ولفظ الخطاب إلى الغيبة، لأن ذلك أقرب إلى الأفهام، ولا يعد ذلك تغييرا، لأن الذي يقول: 'إن زيدا منطلق'، لو واجهه لقال: 'إنك منطلق'، ولم يكن ذلك مغيرا للكلام عن منهاجه". هاأنت ترى أن الفصل بين **الحكاية** و**العدول** – على خطـورة أمـره واخـتلاف دلالاته وفوائد ا في الاستدلال على المتكلم (أو الحاكي)، وزمان التكلم (أو الحكي) ومكانه ومدة ما بين ذلـك كله، وبين ما سواه (كالرؤية، ومقتضيات الحال، وغير ذلك) من المسائل التي تعالج اليوم في تحليل النصوص – قد نسبه النحاة القدامى – كما نسبه السيرافي هنا – إلى

ما سماه ابن فارس فيما بعد (في الصاحبي، 321) 'سنن العرب'؛ وسماه الثعالبي (في فقه اللغة، 208) 'مجاري كلام العرب وسننها'، وقد كان سيبويه قبلهم جميعا يقول عن العرب: "وهم مما يفعلون (أو يقولون) كذا وكذا ..."؛ ولم يزد النحاة على ذلك شيئا [68].

والأمثلة على هذا النمط كثيرة، منذ أقدم المؤلفين، اخترنا منها ما يلي:

قل للصوص بني اللخْناء يحتسبوا
بز العراق وينسوا طُرفةَ اليمنِ
(الوحشيات، 33) [69]؛

قد قال جزءٌ – ولم يقل جللا –
إني تروحت ناعما جذلاَ
إن كنت أزنَنْتَني ا كذباً
جزءٌ فلاقيت مثلها عجِلا
(الوحشيات، 224)؛

"ما قيل لقوم قط طوبى لهم إلا رصد لهم الدهر" (مجالس ثعلب، 36)؛ "فقالت أهلها سائرون" (الشعر والشعراء، 263)؛ "وقال لهم إنه سيفعل ما يريدون" (سير الأئمة، 285)؛ "وقال إنه ثقل عليه خراجه" (المظفري، 147)؛ "فما قال له أحد إنه يقدر على عملها"، يعني أسورةً ذكرها (المستطرف، 550/2)؛ "ويقول إ ما كانا من الحاملين له على النكث؛ وإنه على خلاف رأيهما وبصير ما" (المقتبس، 105)؛ "وقال لي إنه رآها في نومه جالسة ... وإنه رأى حولها قوما" (الفهرست، 432)؛ "قال الحجاج ذلك أشنع له"؛ أي للحجاج (طبقات النحويين واللغويين، 22)؛ "وكان رجل غائبا عن أهله، فسألوه عن حاله، فقال هو أندلسي من رأسه، وغُزي من أكتافه، ومحرم من بدنه، وتوزي من رجليه، ومتعبد من جسده. فقالوا: قل لنا إنه عريان بالجوع" (كذا في حدائق الأزاهر، 105)؛ "قال الشيخ أبو سليمان إنه استنقل هذا الكتاب أبا زكرياء" (الفهرست، 248)؛ "يقولون إ م حصلوا ما ارتفعت به مصادرة أبي عبد الله ابن الجصاص ..." (نشوار المحاضرة، 25/1)؛ "وكان رجل له زوجة جميلة؛ فقال له أحد أصحابه إ ا تخونه" (حدائق الأزاهر، 105)؛ "قل له يتهيأ ليزاملني" (شرح المقامات للشريشي، 46/2)؛ "قال لي هارون إن ياسين قال له إن النصراني حدثه أنه دخل بغداد فلم ير ا أوفى محلا وأكثر قاصدا منه" (المكافأة، 44)؛ "قال له ملك التبت في أن يقدمه في جيوشه إلى الصين" (الخراج، 198)؛ "قال له إن عليه قطعا في هذا اليوم فلا يركب" (الكامل في التاريخ، 512/10) [70]؛ "يقول الأشرف ما معناه: إنه ما عرف الإسلام إلا منه" (الإعلان بالتوبيخ ...، 81) [71]؛ "قل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل" (فتوح الشام، 121/1).

العدول والحكاية

وقد يستعمل العدول مع الحكاية وبعدها؛ ففي حديث شريف (في موطإ مالك، في كتاب النكاح): "حدثني يحيى (...) عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، إني قد وهبت نفسي لك. فقامت قياما طويلا، فقام رجل فقال: يا رسول الله، زوجنيها إن لم تكن لك ا حاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل عندك من شيء تصدقها إياه؟ فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك؛ فالتمس شيئا، فقال: ما أجد شيئا، فقال: التمس ولو خاتما من

حديد. فالتمس فلم يجد شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل معك من القرآن شيء؟ فقال: نعـم، معي سورة كذا (لسورٍ سماها له)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أنكحتكها بما معك من القـرآن". وورد هذا الحديث أيضا (في كتاب النكاح من صحيح البخاري وسنن النسائي) بالرواية التالية: "حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، سمعت أبا حازم يقول: إني لفي القوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله، إ ا قد وهبت نفسها لك، فَر فيها رأيك. فلم يجبها شيئا؛ ثم قامت فقالت: يا رسول الله، إ ا قد وهبت نفسها لك؛ فلم يجبها شـيئا؛ ثم قامـت الثالثةَ فقالت: يا رسول الله، إ ا قد وهبت نفسها لك. فقام رجل" – إلى آخر الحديث. فها أنـت تـرى أن النصوص قد تمزج بين النمطين في جملة واحـدة (أو في قول واحد). هذا، ولا نريد الخوض في لفظ الحـديث، هل هو ما جاء في الموطإ أم ما جاء في الصحيح والسنن؟ فإذا كان الأصل هو الموطأ، فما السبب في تغيير الـرواة للفظ الحديث؟ هل استنكف الرجل منهم أن يعود عليه من المرأة ضمير؟ فلم إذن كرر ذلك ثلاث مرات؟ أمـا كان أبلغ له أن يختصر؟ ولم ذكر الراوي الأول الحديث على وجهه ولم يهلْه ولا أَنِف أن يعود عليه ضمير المرأة؟ لكن لماذا أوجز ما أطنب فيه الآخر؟ هل هذا أصـدق، لوقوع الحكاية في روايته، والآخر أبعث علـى الريبـة لتصرفه في كلام غيره؟ وهذا الكلام، هل قيل حقا كما روي لنا؟ هل الحكاية سلطان؟ هل تؤسس المصـداقية؟ هل ذاك هو المنوط ا؟

وهاك مثالين آخرين عليه. الأول: "قالـت: 'لا، مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء'"؛ وزاد بعد ذلك ما نصه: "وكانت تحدث أنه مر ا وبين عينيه غرة مثـل غرة الفرس ..." (السيرة، 157/1)؛ والثاني: "... عن أم حرام أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال [72] يومـا في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك؛ فقالت: 'يا رسول الله، ما يضحكك؟' قال: 'عجبت من أمتي يركبـون البحـر كالملوك على الأسرة'. فقالت: 'يا رسـول الله، ادع الله أن يجعلني منهم'. قال: 'فإنك منهم'. قالـت: ثم نـام فاستيقظ أيضا وهو يضحك؛ فقال مثل مقالته، قلـت: 'ادع الله أن يجعلني منهم'. قال: 'أنت من الأولين'". ثم عاد المؤلف فنقل الحديث نفسه معدولا به عن الحكاية؛ قال: "... فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعـالى لهـا أن يجعلها منهم، فأخبرها صلى الله عليه وسلم – وخـبره يقين– بأ ا من الأولين ..." (بغية الملتمس، 12).

فهذا وذاك على ما ترى؛ ولم نجد له علة هاهنـا سوى قصد الاختصار؛ وإلا، فالذي يقول: 'بيضـاء'، ليس هو الذي يقول: 'مثل غرة الفرس'، لأن الإشارة إلى الفرس [73] تحتمل من معاني الفحولة ما يناسب السياق: وذلك أن عبد الله، أبا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، "دعا إلى نفسه امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، ... فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطـين ... فتوضـأ وغسل ...؛ ثم خرج عامدا على آمنة ... فدخل عليها؛ فأصا ا؛ فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم مـر بامرأته تلك، فقال لها: 'هل لك؟' قالت: 'لا؛ مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء؛ فـدعوتك، فأبيـت علـي؛ ودخلت على آمنة، فذهبتْ ا'" (وفي رواية قبلـها: 'فارقك النور الذي كان معك بالأمس؛ فليس لي بـك اليوم حاجة')؛ فكأن الذي قال 'مثل غرة الفرس' إنمـا قصد إلى توضيح ما قد يكون خافيا في 'بيضـاء' مـن

تلميح إلى الفحولة. وهذا لا يدفعه البتة أن النور الذي رأته المرأة بشير بولادة نبي، كما سمعتْ هي ذلك من أخيها ورقة بن نوفل [74].

وقد تكون علة ذلك أن المتكلم لا يسند إلى نفسه قول غيره، كما لم يسند الراوي المذكور في الحديث كلام المرأة إلى نفسه؛ وعلى هذا وحده يكون كلام السيرافي مقبولا، لأن الغرض في مثل ذلك المقام إنما هو نقل الفائدة من الكلام، لا نقل نص الكلام بلفظه. ومع ذلك لا يعني هذا أن مفهوم 'الحياد' – أعني تلك 'المسافة' التي يقيمها المتكلم، لحاجة في نفسه، بينه وبين الكلام المحكي – مفهوم كان مجهولا عند الناطقين بالعربية في ذلك الزمان: فهذا الموقف من كلام غير المتكلم من سجايا بني البشر أجمعين مذ خلقوا، ولا نخاله حكرا على أهل هذا الزمان [75].

اللهم إلا أن يكونوا راعوا التناسق والمناسبة: قال الزمخشري (في الكشاف، في تفسير قوله تعالى {يسْأَلُونك ماذَا أُحل لهَـُمْ}) ما نصه: "في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده 'ماذا أحل لهم'، كأنه قيل: "يقولون لك: 'ماذا أحل لهم' "؛ وإنما لم يقل: 'ماذا أحل لنا'، حكاية لما قالوه، لأن 'يسألونك' بلفظ الغيبة، كما تقول: 'أقسم زيد ليفعلن'؛ ولو قيل: 'لأفعلن'، و'أحل لنا'، لكان صوابا". كم وددنا لو أوضح لنا 'وجوه التأويل' في هذه المسألة؛ لأن الأهم ليس هو أن تكون 'صوابا'؛ بل هو فيما يتصل بكل وجه من المعاني؛ وذلك أنه لا يخفى عليك أن في 'ماذا أحل لنا' ما ليس في 'ماذا أحل لهم': فضمير جماعة الغائبين في هذا ليس نظيرا مساويا -في مرتبة الخطاب- لضمير المتكلم في الآخر [76]. ومثله أيضا ما قاله المرزوقي، تعليقا على قول الشاعر: "وإنا لَقوم ما نرى القتلَ سبةً"؛ ونصه: "كان وجه الكلام أن يقول: 'ما يرون القتل سبة'، حتى يرجع الضمير من صفة القوم إليه ولا تعرى منه؛ لكنه لما علم أن المراد بالقوم هم، قال: 'ما نرى'" (شرح الحماسة، 114-115). فالمرزوقي هاهنا يرد ذلك إلى السياق الموضوعي المشترك بين المتخاطبين؛ أي أن المستمع يعلم أن مراد الشاعر بالقوم قومه هو؛ لكنه لم يشر إلى ما في ضمير الغيبة من علامات الخفاء والضآلة، وما في ضمير التكلم من آيات العزة والظهور، مما يوافق مقام الافتخار. وكلامه هذا – لو تأملت – قريب مما قدمناه من قول السيرافي، وهو أن العرب قد تخرج من الغيبة إلى الخطاب، ومن هذا إلى تلك، 'ولا يكون ذلك مغيرا للكلام عن منهاجه'. وهذا بعد قد جوزْته نحاة العرب؛ قال السيوطي: "ويجوز أن يحكى على المعنى، بإجماع ... وإذا حكيت كلام متكلم على نفسه، نحو: 'انطلقت'، فلك أن تحكيه بلفظه، فتقول: "قال فلان: 'انطلقت'"، ولك أن تقول: "قال فلان انطلق"، أو "إنه انطلق"، أو "هو منطلق" (همع الهوامع، 156/1).

ولعل السبب الأظهر في ذلك أن النحو العربي قائم برمته على 'العامل' [77]؛ فلذلك لم ينظر النحاة في علاقة المتكلم بالخطاب، بخطابه هو وبخطاب غيره، وأضربوا صفحا عن الحديث عن المصدر الذي ينتج عنه القول، وأهملوا معالجة المسائل المتعلقة بالقول المعدول. والشاهد على ذلك ما قاله المفسرون في قوله تعالى: {فَقَالُوا سلاَماً قَالَ سلام} (الذاريات، 25). قال الزمخشري: "'سلاما' مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه؛ وأصله: 'نسلم عليكم سلاما'. وأما 'سلام'

فمعدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف، معناه: 'عليكم سلام'، للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه، أخذاً بأدب الله تعالى"[78]. فالمسألة التي راموا هنا معالجتها إنما هي: لم نصب السلام الأول ورفع الثاني؟ فنظروا في النحو وعلله وقياساته، وزادوا على ذلك فوائد جمة، لكن لا يتصل منها بمسألة الخطاب وقضاياه إلا 'حكمة' واحدة؛ قال الإمام السهيلي: "حكي لنا قوله ولم يحك لنا قول أضيافه، إذ لا فائدة في تعريف كيفيته، وإنما الفائدة في تبيين قول إبراهيم وكيفية تحيته، ليقع الاقتداء به؛ وأخبر عن قول الأضياف على الجملة لا على التفصيل، وعن قول إبراهيم مفصلا محكيا، لهذه الحكمة" (نتائج الفكر، 415). والذي نطمئن إليه – بناء على ما قاله الإمام – هو أن 'سلاما' على العدول، و'سلام' على الحكاية؛ أي أن الحاكي للكلامين معا فرق: فعدل في الأول وحكى في الثاني؛ وعلى ذلك يكون 'فقالوا' بمعنى 'فسلموا' (أي: 'فسلموا سلاما لا حاجة (بالمخاطب) إلى معرفته')[79].

وقد تكون العلة تأديب المؤمن بآداب الإسلام، أو ضرب الأمثال ليقتدى ا، أو الإشارة إلى حال من أحوال المتكلم الناقل للقول من استحسان واستهجان لما ينقله، إلخ. والأهم في دراسة النص القرآني، من هذا الجانب، إنما هو في تتبع هذه الهيئة (أو البؤرة) التي تصدر عنها أقوال عديدة، والسعي في تعيين معالمها، وهل يضبطها ضابط من ذا ا، أم من غيرها، وما مواصفا ا، إلى غير ذلك من المسائل. ليس اختيار الحكاية أو العدول، إذن، أمرا 'لا يغير الكلام عن منهاجه'.

وكيفما كانت العلة في تركهم الخوض في هذا الأمر، فالغرض عندنا هو التنبيه على وجود هذا النمط من الجمل في اللغة العربية، خلافا لما جزم به بعضهم. ومنه في الشعر شيء كثير؛ مثال ذلك:

قل لعبد العزيز يكثر من بعدي ما شاء منه قيلاً وقالاً

وتشجعْ ما غبت عنك فإنا

قد ضربنا لك الأمثالاً

(الذخيرة، 367/7).

وفيه- وفي كثير مما تقدم من الأمثلة-تلفيق بين النمطين، كما ترى.

ولهذا الضرب في القرآن الكريم بضعة نظائر[80]، فضلا عن المثال المذكور آنفا؛ قال تعالى: {قُلْ للذين كَفَروا إنْ ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قَدْ سلَف} (الأنفال، 38)[81] ؛ وقال عز وجل: {قُلْ لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاةَ ويُنفقُوا مما رزقْناهم} (إبراهيم، 31)[82] ؛ وقال تعالى: {وقُل لعبادي يقُولُوا التي هي أَحْسن} (الإسراء، 53)؛ وقال تعالى: { قُل للْمؤمنِين يغضوا منْ أبصارِهمْ ويحْفَظُوا فُروجهمْ} (النور، 30)؛ وقال تعالى: {وقُل للْمؤْمنات يغْضضْن منْ أبصارِهن} (النور، 31)؛ وقال عز وجل: {قُل لأَزْواجِك وبناتك ونِساءِ المُؤْمنِين يدْنِين عليْهن منْ جلابِيبِهن} (الأحزاب، 59) [83].

أما النثر، فلا حصر لذلك فيه؛ ومنه: "فقال له ابن بقي: لا حيلة عندي فيه (يريد: في الحبس؛ أي الوقف)؛ وهو أولى بحفظ حرمة الحبس"[84] (ترتيب المدارك، 87/6)؛ "قل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل، وسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه

من الشام" (فتوح الشام، 121/1)؛ "فقال: من العابد؟ أنا أخرج قلبه على رمحي؛ ما يعرف هو غير مولاه، يعـني السلطان" [85] (ترتيب المدارك، 236/6)؛ "وقد قـال لي أستاذي: 'قد طالعت مختصـر الـذيل'، ... وإنـه رآه بمراكش" (نزهة الحادي، 201)؛ "فقال: 'قد أحسـنت، وأضعف الله لك ذلك'. وأمر له بستين ألفا، وبضـعف تلك الثياب؛ وكان أول ما أصبته مع الحجاج" (الأغاني، 382/20)؛ "يقول: إن المعتمد بالله ... قد قلدني إفريقية، وإنه أمره بالخروج إليها، ويأمره بإقامة الدعوة له" (سيرة أحمد بن طولون، 253) [86].

مسألة أنْ

وردت **أنْ** هذه في غير قليل من الأمثلـة الـتي استشهدنا ا؛ وهي التي تسمى المفسرة [87]، وتتنـزل منـزلة نقطتي التفسير (أو الاقتباس) المستعملتين اليـوم بعد الجملة الصدر، وقبل القول المحكي. قال الهروي (في الأزهية، 69): "تكون **أنْ** بمعنى **أي** التي للعبارة والتفسير لما قبلها، كقولك: "دعوت الناس أن ارجعوا"؛ المعـنى: أي ارجعوا؛ قال الله تبارك وتعالى: {وانْطَلَق الملأُ منْهمْ أنْ امشوا}؛ معناه: أي امشوا؛ وقال: {ما قُلْت لَهمْ إلا ما أمرْتني يه أنْ اعْبدوا الله}؛ يريـد: أي اعبـدوا الله؛ وقال: {وعهدْنا إلى إبْراهيم وإسْماعيلَ أنْ طَهرا بيْتي}؛ معناه: أي طهرا بيتي. وتكون هذه في الأمر خاصة؛ ولا تجيء إلا بعد كلام تام لأ ا تفسير؛ ولا موضع لها مـن الإعراب لأ ا حرف يعبر به عن المعنى". وزاد عليه ابن هشام (في المغني، 48) بأن جعل لهـا شـروطا؛ قـال: "أحدها أن تسبق بجملة [88]...؛ والثاني أن تتأخر عنـها جملة؛ فلا يجوز: "ذكرت عسجدا أن ذهبا"، بل يجـب الإتيان **بأي**، أو ترك حرف التفسير؛ ولا فرق بين الجملة الفعلية، كما مثّلنا (في قوله تعالى: {فَأَوْحَيْنـا إلَيْـه أن اصْنع الفُلْك}، (المؤمنون، 27)، والاسمية، نحو: "كتبـت إليه أنْ ما أنت وهذا". والثالث أن يكـون في الجملـة السابقة (يعني ما سميناه نحن الجملة الصدر) معنى القول...؛ والرابع أن لا يكون في الجملة السابقة أحرف القـول". وبعد تدبر وإنعام نظر، أضاف مصوبا صـياغة هـذا 'الضابط' الرابع: "ألاّ يكون فيها حـروف القـول إلا والقول مؤول بغيره". والآية التي تدبرها هي قوله تعالى: {مـا قُلْـت لَهـم إلا مـا أَمَرْتنِـي بِـه أن اعْبدوا الله ربي وربكُمْ} (المائدة، 117): فقـد جـوز الزمخشري فيها أن يكون القول المحكي (أي: 'اعبدوا الله ربي وربكم') مفسرا للقول الحاكي (أي: 'قلت لهـم')، على أن يكون هذا القول الحاكي مؤولا بـالأمر (أي: أمرتهم)؛ قال ابن الحاجب (في الكافيـة، 35/2 و234): "وبعضهم يقدر القول فيه (يريد: في 'أمرته أن قم' [89] حتى تصير (الجملة) خبرية، أي 'أمرتك بأن قلت لـك قم'؛ ... وذلك لأن صلة 'أن' المخففة كما لا تكـون أمرا ولا يا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلـب-إجماعـا، فكذا صلة المصدرية أيضا-على الأصح". وقـال ابـن هشام: "لأنه لا يصح أن يكون 'اعبدوا الله ربي وربكم' مقولا لله تعالى"؛ أي أنه لا يصح أن يكون الله تعالى قد قال لنبيه: قل لهم هذا الكلام بلفظه ولا تغير منه شـيئا؛ لما فيه عندهم من الخلف والمحال [90]. ولجأ ابن هشـام إلى النحو وأقيسته لتعليل ذلك؛ قال: "لا يصح أن تكون (الجملة التفسيرية) عطف بيان على الهاء في 'به' ... لأن عطف البيان في الجوامد (والهاء منها) بم لة النعـت في المشتقات: فكما أن الضمير لا ينعت، كذلك لا يعطف

عليه عطف بيان؛ ولا (أن تكون الجملة التفسيرية) بدلا من 'ما' ... لأن العبادة لا يعمل فيها فعلُ القـول" إلا "إن أُول القول بالأمر" (وهذا هو الضابط الرابع عنده). فلم لم يقل الزمخشري ولا ابن هشام ولا غيرهما شيئا في قوله تعالى: {قُلِ الروح مِنْ أمرِ ربي} (الإسـراء، 85)، مع أن النبي مأمور بالقول في تلك وفي هذه، ومـع أن 'ربي' وارد في متن القول المحكي في هذه وفي تلك؟

وقد ساق المرادي رأي الكوفيين في هذه المسألة؛ وهو[91] - لعمري - رأي يؤيد ما ذهبنا إليـه، مـن أن الأفعال المذكورة كلها تنوب نوع نيابة عن فعل القـول، وأن 'أنْ' فيها جميعا تفسيرية؛ قال: "مذهب الكوفيين في أنْ المخففة أنها لا تعمل، لا في ظاهر ولا في مضمر؛ وقـد أجازسيبويه أن تلغى لفظا وتقديرا، فـلا يكـون لهـا عمل" [92]. فعلى ذلك يكون قوله في الحديث المذكور: "فأوحي إلي أن انفخهما"، إنما هو – بتطبيق ما نجـري عليه اليوم مـن علامـات الترقيم –: "أوحـي إلي: 'انفخهما'"؛ وقوله: "أنفذ إليه الكاتب بأن أخرج المال"، إنما هو: "أنفذ إليه الكاتب: 'أخرج المال'" (على الحكاية في كليهما)؛ وقوله: "فوردت رقعـة الكنـدي بأنـه تسلمها"، إنما هو: "فـوردت رقعـة الكنـدي: 'إنـه تسلمها'" (على العدول) [93]. وقس على ذلك ما سواه من الأمثلة المذكورة في هذه الفقرة. فهذه الأفعال تقوم حقا مقام فعل القول، في الحكاية وفي العدول على حد سواء، و'أن' فيها كلها لا عمل لها. والرائز المعتبر في 'أن' هذه في الأمثلة التي سقنا هو أنها قد تدخل عليها 'الباء'؛ قال سيبويه: "وأما قوله: 'كتبت إليه أن افعلْ'، و'أمرتـه أن قمْ'، فيكون على وجهين: على أن تكون 'أن' الـتي تنصب الأفعال ... والدليل على أنها تكـون 'أن' الـتي تنصب أنك تدخل 'الباء' فتقول: 'أوعزت إليـه بـأن افعل'؛ فلو كانت 'أي' لم تدخلها 'الباء' كما تـدخل في الأسماء [94]. والوجه الآخر أن تكون بمنزلة 'أي'، كمـا كانت بمنـزلة 'أي' في الأول"، يعني في قولـه تعـالى: {وانْطَلَق الملأُ مِنْهمْ أن امْشـوا واصْـبِروا} (ص،86)، وقوله عز وجل: {ما قُلْت لَهمْ إلا ما أَمَرْتنِـي بِـه أَنُ اعْبدوا الله ربي وربكُم} (المائدة، 117).

والذي ينبغي أن يستفاد من كلام سيبويه هو أن الفرق بين وجهي 'أن' إنما هـو في تركيـب الجملـة وإعرابها؛ وفي هذا زيادة توكيد على عناية النحاة بالعامل وحده. لكن ذلك لا عبرة به بالنظر إلى محفل الخطاب. نعم، ليس المهم أن تكون الجملة بعد 'أن' في محل جر أو غيره، وليس المهم أن تنسبك مع المصدر أو لا تنسبك؛ إنما المهم أنها الأداة الأم في 'تأدية' الأقوال، إن بالحكايـة أو بالعدول أو بالعدول المطلق. وعلى ذلك يكون الفعل الصدر الوارد في الجملة الصدر مؤولا بـالقول، وإن لم يكن فيه حروفه.

ولأبي البقاء الكفوي (في الكليات، 1053) تعليل طريف لهذا الواقع اللغوي لا يخرج به عن نطاق العلـل النحوية، وهو أن المسوغ له هو المحافظة علـى معـنى الصيغة؛ وقد صاغ ذلك في عبارة تشبه القانون، قـال: "حيثما صدرتْ صيغةُ الطلب بأنْ المصـدرية لابـد أن يقدر بعدها القول، ليبقى معنى الصيغة على حاله". فهذا أيضا ضابط نحوي قد يكون وحده كافيا في تبرير هـذه الظاهرة تبريرا نحويا.

الوصلة

والملاحظ، جملة وتفصيلا، في النصـوص الـتي اتخذناها متنا، نستقي منه شـواهدنا، أن الغلبـة فيهـا

للحكاية والعدول، والمزيج بينهما لاشك أن اللغة العربية تنفرد به (وعسى أن يكون مشتركا بينها وبين لغـات أخرى من فصيلتها)، مع أن الشواهد على وقوع العدول المطلق فيها غير منعدمة.

واخترنا لك من الأمثلة على الجمل الوارد فيهـا القولان المذكوران، أعني الحكاية والعدول – سوى مـا قدمناه – هذه الأمثلة:

"أسلم غَيلانُ بن سلَمةَ الثقفي وتحته عشر نسوة؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: 'اختر منهن أربعا'... فلما أمره بإمساك أربع 'وفارِقْ سائرهن'، دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربـع بحـال" [95]. فقولـه: 'وفارق[96] سائرهن' كقوله: 'اختر منهن أربعا'، كلاهما على الحكاية؛ ولكن يتخللهما شيء ما هو من الحكاية ولا من العدول ولا العدول المطلق؛ وإنما هـو كـلام يحكى، لا علامة تدل على حاكيه.

لقد دأب الروائيون المعاصرون علـى التلبـيس أحيانا على القارئ، لغرض من الأغراض، بأن يـدخلوا بعضا في بعض صوت الحاكي (وهـو الـذي يسـميه أصحاب هذا الشـأن: السـارد) وصـوت إحـدى الشخصيات، فيصعب على القارئ التمييز بينهما. وقد كان هذا 'الأسلوب' ديدن الروائيين الفرنسيين الـذين ابتدعوا ما يسمى اليوم 'الرواية الجديدة'. لكننا وقعنا (في كتاب المكافأة، 104) على نص قديم أدهشنا، وجـدنا فيه (في موضع واحد لا ثاني لـه) مـا يشـبه هـذا 'الأسلوب'، واحترنا في تأويله. فهاكه أولا.

"وكنت أعرف شيخا في أيام خمارويه، حلـو النادرة، مليح الألفاظ، يعرف بالدفاني؛ وكان معاشه من التوصل بكتب الولاة إلى معامليهم. فحدثني أنه خـرج بكتب إلى الشرقية؛ فالتقى مع رجل في زِي بعض المانية من الأطباء: 'وهو على حمار بخرجين، وكنت على حمار. فاستخبرني عن صناعتي...'" (انتهى نص المراد منه).

لا يخفى عليك أن في النص مـتكلمين اثـنين: فالضمير في 'كنت أعرف' وفي 'حدثني' لا يعود على ما يعود عليه الضمير في 'كنت على حمار'. فأمـا الأول، فإنما يحكي ما سمع من الثاني؛ وأما الثاني، فيحكي ما وقع له حقا (اللهم إلا أن يكون تخيل ذلك وصاغه، من باب التندر). ونحن نعلم اسميهما معا: فالأول هـو الحـاكي (السارد) لما وقع للدفاني مع الماني المتطبب؛ وليس هـو بالضرورة مؤلف الكتاب، أحمد بن يوسف الكاتـب، الذي يقول في مقدمة كتابه: "وقد كتبت لك في هـذه الرسالة أخبارا ... مما سمعناه ممن تقـدمنا، وشـاهدناه بعصرنا"؛ بل ما من شك أنه صوت الحاكي (أو مجموعة الأصوات الحاكية) على الباحث أن يقتفي معالمها مـن النصوص التي تحكيها نفسِها، ولا معول له على غيرها. أما الثاني، فقد سماه الحاكي الأول باسمه (بل بلقبه)، وهو 'الدفاني'. فما وجه الدهشة إذن؟ إنما هو في الانتقال – على غير المألوف في مثل هذه النصوص – من كـلام الأول إلى كلام الثاني. وقد فطن إلى ذلك محقق الكتاب، فوضع نقطتين تفسيريتين، متبوعتين بمزدوجتين، بعد قول الحاكي الأول: 'الأطباء'؛ لكنه لم يقدر لذلك سببا؛ بل لعله لم ير أنه في حاجة إلى كلام عليه بتعليل أو غـيره. فكيف سقط فعل القول (أو ما في معناه) من آخر كلام الحاكي الأول، مما هو معتاد في مثل هـذه النصـوص للفصل بين الكلامين؟ هل أسقطه ذهول ناسخ غافـل؟ هل فطن إلى ذلك مؤلف الكتاب فتركه على حاله؟ لا نستطيع الجزم. فحسبنا الإشارة إليه.

وهاك مثالا آخر. جاء في ترجمة أبي الجعد أسلم بن عبد العزيز، قاضي الناصر، ما نصه: "وأتاه في بعض مجالسه شهود، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة، وبعضهم من شلار من الربض الشرقي، يشهدون في ترشيد امرأة من الربض الغربي. فلما أخذوا مجالسهم، فـتح بـاب الخوخة التي في ا لمس الذي يجلس [فيـه] بـدهليزه؛ ونادى من بخارجه؛ فاجتمعوا. 'اسمعـوا عجبـا! لله در الشاعر حيث يقول:

راحت مشرقة ورحت مغربا

شتان بين مشرق ومغرب

هؤلاء، من أهل المدينة وشـلار، يشـهدون في ترشيد امرأة من ساكنات آخـر بـلاط مغيـث!' ثم سكت"[97] (الإحاطة في أخبار غرناطة، 421/1).

وهاك المثال الرابع. "(...) عن عباسٍ بنِ مرداسٍ أنه كان في لقاحٍ نصف النهار، فاطّلعتْ عليـه نعامـةٌ بيضاء، عليها راكب، عليه ثياب بياض؛ 'فقال لي: 'يـا عباس، ألم تر أن السماء كفّت أحراسها، وأن الحـرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضـعت أحلاسـها، وأن الذي نزل عليه البِر والتقى يوم الاثنين ليلـة الثلاثـاء، صاحب الناقة القَصواء؟ قال: فخرجت مرعوبا قد راعني ما رأيت؛ وسعيت حتى جئـت وثنـاً لي يقـال لـه الضمار [98]، كنا نعبده ونكلم من جوفه. فكنست مـا حوله، ثم تمسحت به. فإذا صائح يصيح مـن جوفـه. (...) قال: فخرجت مذعورا حـتى جئـت قـومي، فقصصت عليهم القصة، وأخبر م الخبر. فخرجـت في ثلاثمائة من قومي ... إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... فأسلمت أنا وقومي'" (الروض الأنف، 194/4).

'قال' هذه التي جعلنا تحتها سـطرا هـي الـتي سقطت من المثال الأول؛ لكن وقوعها في هذا الموقع من المثال لا يغني غناءها لو وقعت في أول الكلام، أي قبل قوله: 'فقال لي'. وذلك أن بين 'فاجتمعوا' و'اسمعوا' في المثال الثاني، و'بياض' و'فقال' في المثال الثالث، وقع مـا وقع؛ وهو ما سميناه الوصلة [99]؛ أي أن النص [100]وصل كلام المتكلم الأول بكلام المتكلم الثاني الذي يحكي عن نفسه مستعملا ضمير المتكلم، لكنه لم يشر إلى ذلـك بالإشارة المعلومة في مثل هذه النصوص. ومثـل هـذه النصوص كثير في اللغة العربية: فهي شديدة المزج بـين الحكاية والعدول؛ وذلك مما يبعث الحركة في الحكـي، والحياة في القصة.

العدول المطلق

أما النمط الثالث، وهو **العدول المطلق**، ففـي اللغة العربية منه ما لا يستهان به. وقد جاء في كتـاب ترجم حديثا [101] نموذج ادعى صاحبه (أي المترجم) أنه من هذا النمط؛ ونصه: "وبعد ذلك، حكـت لي عـن أحوال أبويها وكفاءتيهما ومزاجيهما[102] وما أهديا ا بمناسبة أعياد رأس السنة. ثم انتقلت للحديث عن عشيق في غاية الجمال كانت مغرمة به، وأ ت كلامها بقولها سنخرج للفسحة معا".

ولو تأملت هذا الكلام لما وجدت فيه شيئا مـن هذا النمط الثالث الذي سميناه العدول المطلق؛ وإنما فيه (في آخره) قول محكي؛ وما قبله كلام يقولـه حـاكي القصة، يروي فيه، لا على سبيل الحكاية، ولا على سبيل العدول، ولا على سبيل العدول المطلق، بل على سـبيل الحَكْي (أو السرد)، ما حدثته به هـذه الـتي قالـت: 'سنخرج للفسحة معا'. والذي سيساعدنا علـى تـبين خصائص هذا النمط في العربية هو دراسة نظيره في لغة

أخرى، لأن هذا الفرع من هذا الباب في العربية، كما قلنا، لم يطرقه أحد. ففي أحد أنحاء اللغة الفرنسية المشهورة [103]هذا المثال:

> Brigitte ouvrit la porte du petit salon et nous appela: Ne voulions-nous pas un peu de thé? Cela nous réchaufferait après cette course. (Fr. MAURIAC, Pharisienne, p. 213) [En discours direct: 'Ne voulez-vous pas un peu de thé? Cela vous réchauffera après cette course']

ولنترجم محل الغرض منه كما يلي:

"فتحت ... الباب ... ونادتنا: ألاَ نريد شاياً؟ سيبعث فينا الدفء بعد هذا (ذاك؟) المسعى" [104]. وحق الحكاية أن يقول: 'ألاَ تريدون شاياً؟ سيبعث فيكم الدفء بعد هذا المسعى'.

ها أنت ترى أن الفرق بين العدول المطلق والحكاية، إذا كان المتكلم هو فاعل الفعل الصدر، هو أن علامات الترقيم يعرى منها القول المحكي (وهذه أمرها هين)؛ وأن ضمير المخاطب في القول المحكي ينقلب ضمير تكلم في القول المعدول المطلق، ليطابق ضمير المتكلم؛ أي صاحب الخطاب، في الجملة الصدر؛ وأن أزمنة الأفعال (في الفرنسية) تنقلب لتطابق زمن الفعل الصدر في الجملة الصدر (وهو هنا الماضي المنفصل؛ فيصير المضارع ماضيا مستمرا والمستقبلُ مستقبلا ماضيا) [105].

أما إذا كان المتكلم غير فاعل الفعل الصدر، أي لا تدل عليه علامة في خطابه، كأن تقول مثلا: 'ونادتهم' [106]، فحق الحكاية أن تقول: "نادتهم: 'ألا تريدون شايا؟ سيبعث فيكم الدفء بعد هذا المسعى'"؛ وحق العدول أن تقول: "نادتهم لتعرف هل يريدون شايا، وأنه سيبعث فيهم الدفء بعد ذلك المسعى"؛ وهذه الألفاظ التي أدرجناها لابد منها (أو ما في معناها) لتحويل الاستفهام استخبارا [107]، أو قل: لتحويل الجملة الإنشائية جملة خبرية، ولتغيير اسم الإشارة 'هذا' إلى 'ذلك' (أو 'ذاك')، لأن الناقل للقول لم يفدنا أنه من زمرة هؤلاء، ولا أنه سعى معهم مسعاهم؛ فلا يمكن أن يحيل عليه بقوله 'هذا'، لأن ما يحيل عليه 'هذا' عند هذه الزمرة غير ما يحيل عليه عند الحاكي؛ وحق العدول المطلق أن تقول: "ونادتهم: ألا يريدون شايا؟ فإنه سيبعث فيهم الدفء بعد ذلك المسعى"، وتنطق الجملة الاستفهامية بنبرة الاستفهام؛ وتطرح المزدوجتين، وتحتفظ بأداة الاستفهام وبالنقطتين، وقد تزيد لفظا مثل ما زدناه في المثال.

المستفاد إذن مما تقدم أنه متى كان في الجملة الصدر ضمير يعود على غير المتكلم، فأنت بالخيار بين الحكاية، أو العدول، أو العدول المطلق؛ ومتى كان في الجملة الصدر ضمير يعود على المتكلم، فليس إلا الحكاية أو العدول المطلق، لأن حق العدول في هذه الحالة أن تقول: "ونادتنا لتعرف هل نريد شايا، وأنه سيبعث فينا الدفء بعد ذلك المسعى".

فما الذي حدث في العدول المطلق؟ لقد عمد النص (أو الخطاب)، في المثال المتقدم، إلى كلام المتكلمة فحوله، وجعله قولا معدولا مطلقا في كلامه هو، وأحلّ ضمير التكلم محل ضمير المخاطب؛ وأنت تعلم أن محل المتكلم هو الهيئة التي تقاس إليها كل هيئة غيرها [108]. فكأن المتكلم الناقل للقول؛ أي المتكلم في الخطاب، رفض أن يكون هو 'منفيا' في موقع المخاطَب، فسطا

على موقع التكلم وأخرج منه المتكلمة الحقيقيـة [109]. والمفارقة فيه أنه يستحيل – أو قل: لا يعقل، فيما هـو متعارف عليه من أحوال العالم – أن تقول الجماعة كلها كلاما واحدا، فيه استفهام وإخبار، ولا يختلف في لفظه هذا عن ذاك؛ ويستحيل أن تكون هي قالت ذلك بنصه، لأ ا غير داخلة في الجماعة التي تخاطبها هي. فلا علـة لهذا النمط-عامة-إلا تضخم 'أنا' الحاكي (أو المـتلفظ المتكلم)، وسعيه الحثيث إلى الاستحواذ على أكبر قـدر من مواقع التكلم في النص؛ ولو استطاع لاحتلها كلها.

ولنرجع الآن إلى النظر في قول عنترة:

ولئن سألت بذاك عبلةَ خبرتْ
أنْ لا أريد من النساء سواها

فقوله 'لا أريد من النساء سواها' يعود فيه ضمير الفاعل على عنترة نفسه، وضمير الغائبة على عبلة. لكن السائل الذي أجيب ذا الجواب أحد اثنين: فإما هـو مخاطَب غير عبلة، يخاطبه عنترة في هذه القصيدة (وهـو ما توحي به رواية الديوان) [110]، وا يب هو عبلـة؛ وإما أن السائل هو عبلة نفسها (وهـي القـراءة الـتي اقترحنا من قبل)، وا يب غيرها (ولا نعلم عنه سوى أنه المسند إليه الإخبار بقول عنترة). وفي الحالتين معا يحكي المخبِر كلام عنترة كما سمعه. لكن، إذا أردت الانتقال من الحكاية إلى العدول، فستقول في الحالة الأولى (على حمل 'خبر' على معنى 'قال'): 'خبرتْ (عبلةُ) أن لا يريد من النساء سواي'؛ وفي الحالة الثانية: 'خبرتْ (عبلةُ) أن لا يريد من النساء سواها'، إذا كان الكلام موجهـا إلى غيرها، أو 'خبرتْ (عبلةُ) أن لا يريد من النساء سواك' (كأنّ 'خبرتْ' بمثابة 'قيل لها'). لكن البيت فيه شـيء يكاد لا يصدق: وهو أن عبلة أخبرت بكلام لم تسمعه؛ لأنه لو قيل لها مواجهةً لكان: 'لا أريـد مـن النسـاء سواك'، ولكانت قالت هي في نقلها إياه: 'لا يريد مـن النساء سواي'؛ هذا على إحدى الروايتين. أمـا علـى الرواية الأخرى، فالقول المحكي هو: 'لا أريد من النساء سواها'؛ هذا ما سمعه الحاكي – والعهدة عليه فيه – من عنترة؛ ولو واجه به عبلة لقال لها: 'لا يريد من النسـاء سواك'. وهو على هذه الرواية أعجب وأغرب: وهو أن المخبر ساق إلى عبلة كلام عنترة من غير الإشارة إلى أنه كلامه، لأن الضمير في 'أريد' (وهو 'أنا') لا يمكـن أن يعود إلا على هذا المخبر؛ وإلا وجب تقدير أن عنترة كان يلهج ذه الكلمة حتى كادت تصير علَما عليه [111]. ولا يخفى عليك أن هذا المعنى لا يناسب السياق، بل يناقضه. فالمقام مقام افتخار؛ والقطعة كلها موجهة إلى عبلـة؛ وبعد أن حكى الشاعر من أمره ما حكى، ووصف من شيمه وسجاياه ما وصف، دعا عبلة - إن راودها شك فيما قال- إلى السؤال عنه؛ لكنه يعلم أن أهـل مكـة أدرى بشعا ا: فمن غير عنترة يصف لك عنترة ويأتيك بأخباره؟ فلذلك أجاب هو نفسه عن سؤالها. نعـم، لا يمكن أن يكون ا يب سوى عنترة؛ وبـذلك يسـتقيم المعنى. يريد: 'ولئن سألتْ عبلةُ بذاك خبرتْ أن لا أريد من النساء سواها'؛ فيكون الفاعل النحوي (أي نائـب الفاعل) هو الضمير 'هي'، والفاعل الحقيقي (أي المخبر الحقيقي) هو عنترة. فيكون الكلام دائرا بينهما فقـط، ولا ثالث معهما؛ ويؤيده قوله: 'وأجيبها ... وأعينـها وأكف عما ساها' (أي: ساءها)؛ يريد: 'أنا أخبرهـا، وأنا أجيبها ...' لقد استحوذ عنترة في هذه القصـيدة على مواقع التكلم كلها، ولم يترك لعبلة سوى موقـع السامع [112].

ولننظر أيضا في قول الشاعر:

وقولُ العذارى: 'عمهن'، وقد أرى
ليَ الاسْم لا أُدعى به وهْو أولُ (113)

فهو شبيه بالذي قبله. والبيت في الوحشيات عار من علامات الترقيم، وهذا أمر غير مستغرب؛ وروايته فيها بنصب 'عمهن'؛ قال محققه: "الرواية (يعني المشهورة): 'دعاني العذارى'، وهي أجود". قلت: نعم، وهي التي تسوغ نصب 'عمهن'؛ وهي رواية العيني (395/2) وجمهرة أشعار العرب (193؛ وفيه: 'وخلتني ليَ اسم، فما أُدعى به وهو أولُ'). أما مع فعل القول، وهو هنا المصدر 'قولُ'، فالنصب خطأ؛ وليس إلا الرفع، لا يستقيم الكلام إلا به. وذلك أن التقدير في الحكاية هو: 'هو عمنا'؛ وفي العدول: 'هو عمهن' وهو ما توحي به قراءة البيت؛ لكني أرجح أنه يجب أن يحمل على العدول المطلق، والتقدير: 'وقول العذارى لي: أنا عمهن'؛ ويعضده قوله بعد: 'وقد أرى' و'لا أُدعى'. فجميع مواقع التكلم استحوذ عليها صوت الشاعر، في إشارة ناطقة بمبلغ غضبه واستنكاره أن ينعت بغير اسمه، وبما ليس فيه ثناء عليه. ومن ذا – حفظك الله – يرضى أن تنبزه الغواني بالشيب؟

أما هذا البيت:

قالت ليَ النفس العروف بقَدْرِها:
'ما كان أَوْلاني ذا الموضع'
(وفيات الأعيان، 117/5)

فموطن اللبس فيه هو العائد عليه ضمير المتكلم في 'أولاني': فإن كان هو صاحب الضمير من 'لي'، فالقول لا يمكن أن يكون إلا على العدول، لأن 'حق الحكاية' أن يقول: 'ما كان أولاك ذا الموضع'، لأن نفس الشاعر تخاطبه. وإن كانت هي النفس، فلا يمكن أن يكون إلا على الحكاية، لأ ا تخبر عن نفسها، ويحكى لنا ما قالت.

وقول الشاعر:

لقد زعمتْ هوازنُ قَل مالي (الكشاف، 40/4)

أيضا من هذا الضرب. فلو واجهت هوازن الشاعر بالكلام لكان حق الحكاية أن تقول له: "قل مالُك"؛ وقد ذكر ذلك الزمخشري؛ ولو كانت هوازن قالت ذلك مواجهةً لغيره لكان حق الحكاية أيضا أن تقول: "قل مالُه". ها أنت ترى وجه المحال في هذا القول: وذلك أن هوازن لا يمكن أن تقوله البتة على الصورة التي هو عليها في البيت. ولا يمكن تعليل ذلك إلا بتضخم "أنا" المتكلم، واستحواذه على مواقع الخطاب، مع ما يتضمن ذلك من وين قدر الم وع منه الكلام، وتعظيم شأن المتكلم.

وعلى هذا التأويل أيضا يجب حمل هذا البيت:

يقلن – وقد قيل: إني هجعت – :
عسى أن يلم بروحي الخيالْ
(تحرير التحبير، 375)

والحالة فيه مضاعفة، لأن فيه قولين اثنين، وكلاهما مبني على شاكلة واحدة. فأما القول الأول، فحق الحكاية فيه أن يقلن: "بروحك"، أو: "بروحه"؛ وأما القول الثاني، فحق الحكاية أن يقال فيه: "إنك هجعت"، أو: "إنه هجع".

ومثل ذلك يقال في هذا المثال: "قال أبو عمرو: 'سمعت أبي رحمه الله غير مرة يقول: إني ولدت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة" (الصلة، 386). فحق الحكاية أن يقول: "إنك ولدت"، أو: "إنه ولد".

والمعيار المعتبر في هذا الضرب من الجمـل هـو وجود ضمير المتكلم في القول المعدول المطلق، وضـمير الغيبة في الجملة الصدر؛ فلذلك تراه يتيح التأويل علـى المناحي الثلاثة المذكورة، وهي ضمير المتكلم (كقوله في المثال الأخير: "إني ولدت")، وضمير المخاطب (كقولك فيه أيضا: "إنك ولدت")، وضمير الغيبة (كقولك فيـه كذلك: "إنه ولد"). وهذا – ما علمنا – لا يتـأتى إلا في اللغة العربية دون غيرها من اللغات.

واعتبر ذلك بهذا المثال الأخير: "قال: امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات" (الأغاني، 354/6). فحـق الحكاية فيه أن يقول: 'امرأتي طالق إن غنيتك فوق ثلاثة أصوات'؛ وحق العدول أن يقول فيه: 'امرأته طـالق إن غناه فوق ثلاثة أصوات'؛ لكنه جاء على الصورة الـتي ترى: مزج بين الحكاية والعدول مزجا لا يتيسر – مـا علمنا – في أي لغة من اللغات، وذلك بأنه حافظ على كاف المخاطب مع نقل الكلام إلى العدول!

خاتمة

لقد ثبت لـدينا، إذن، أن العـرب تفننـوا في أساليب حكاية الكلام بما يرفع اللبس في نسبة الأقـوال إلى أصحابها؛ اللهم إلا في الأمثلة التي ذكرنا؛ وإن كان اللبس فيها مرتفعا بالسياق برمته. وهذه الأمثلة، علـى (احتمال) شذوذها عن قواعد التأليف الجارية في إبانها، لا يمكن بحال أن تنسب إلى أصحابها – إن صح أن ذلك كان منهم عن قصد – نيةٌ في التلبيس على القارئ، أو في ابتداع ما يشبه أساليب الكتابة اليوم. ما كان هـذا بالهم الذي يقُض مضجع الكتاب آنئذ! ولكنهم كـانوا واعين بما يقولون، مدركين أن في اخـتلاف تراكيـب الكلام اختلافا في المعاني؛ فاستغلوا قدرات اللغة العربية، وأبانوا عن عبقريتها الخاصة في التعبير عن أساليب هـذا الباب الثلاثة. بل لعلها تزيد على بعض اللغات اليـوم بأنها تتوفر على أسلوب رابع يمتزج فيه الحكاية والعدول معا. وأخلق بالروائيين أن يقفوا على ما من شـأنه أن يسير بالرواية إلى خبرات وتجارب لغوية لا نظير لها [114].

وقصارى أملنا هاهنا أن نكون قد أسـهمنا في الإشارة إلى أهمية باب 'الحكاية' في اللغة العربيـة (ولا سيما في النصوص العربية، لأن دراسة علامات الـتكلم والمخاطبة والغيبة تمكن من الوقوف على صورة مكتملة للقائل، أو المتلفظ، فيها؛ وما من شك أنه غير المؤلـف الذي ينسب إليه الكتـاب)، وفي بنـاء شـبكة مـن المصطلحات متصلة بالمصطلح القديم، مكملة له، مبنيـة على أنساق النحو والصرف العربيين[115].

الهوامش

1. هو كتاب بلاشير وغودفري-ديمبين، "نحو العربية الفصحى" (R. Blachère & M. Gaudefroy-Demombynes, GRAMMAIRE de l'ARABE classique, G.-P. Maisonneuve & Larose éd., Paris, 1975). وقد ذكرا (في ص 273 منه) أن 'قال/يقول' "تتلوه جملة قد تتصدرها **إن**؛ ولا يكون بعده إلا الحكاية". وليس كلامهما بشيء: فالنصوص الشواهد الآتية تدفعه.
2. هو كتاب برنار فاليط، "النص الروائي، مناهج وتقنيات"، ترجمة رشيد بنحدو، نشر سليكي إخوان، 1999 (راجع ص 50 منه). وقد ترجمت فيه الأنماط الثلاثة ترجمة حرفية؛ فقيل: الأسلوب المباشر، الأسلوب غير المباشر، الأسلوب غير المباشر الحر.
3. وزادت العناية ا من يوم جعلها نقاد الأدب من المسائل التي ينظرون فيها، لتشعبها ولغرابتها. وأنت تعلم أن الخطاب قطب رحى الدراسات الأدبية التي تعالج مسائل الحكي (وهو الذي يسمى 'السرد')، وأزمنته، وموقع الحاكي، في الروايات وغيرها؛ فلذلك - وهذا مسوغ ثالث لهذا البحث- وجب لفت الانتباه إلى أساليب اللغة العربية في هذا الباب.
4. ولذلك ترى أسماءها اليوم في العربيـة منقولـة عـن الفرنسـية (أو الإنجليزية). فلذلك اجتهدنا في تسميتها بأسماء عربية أصيلة.
5. هي في نحو اللغة الفرنسية: le discours direct و le discours indirect وle discours indirect libre.
6. وقد سماه المبرد (في المقتضب، 12/4): 'التأدية'، لأن القول المحكي يؤدى كما هو.
7. السيوطي، همع الهوامع (152/2). وهاأنت ترى أن هذا النمط قـد وضعوا له حدا خاصا (وإن لم نقف عليه إلا عند المتأخرين منهم).
8. وقد سماها بعض المحدثين 'علامة الاقتباس'.
9. تماما كما يقال في القوافي غير المقيدة إ ا مطلقة.
10. ويسميها ابن هشام (في المغني، 48): 'الجملة السابقة'، يعني على القول، المتقدمة عليه؛ وليس هو مصطلحا عنده، كما لا يخفى. وتجب الإشارة إلى أن هذه الجملة تتصدر وتتأخر وتتوسط في الفرنسية، وأ ا تتصدر وتتوسط في العربية (راجع الحاشية 15).
11. قال بنفنست (في E. BENVENISTE, Problèmes de linguistique générale, Gallimard, 1966, I, 252-253, 255-256) في حد هذه 'الضمائر': ""أنا' هو الفرد الذي يتلفظ ذا القول المحتوي على الصورة اللغوية 'أنا' ؛ وبإدخال وضعية التخاطب يكون 'أنت' هو الفرد المخاطب في هذا القول المحتوي علـى الصورة اللغوية 'أنت' ... وهذه الإحالة الضرورية والثابتة على هيئة الخطاب هي السمة التي يشترك فيها 'أنا' و'أنت' مع مجموعة من 'علامات الإشارة' (مثل: هذا وهنا والآن) ... و'ضمير الغائب' هو العنصر غير الحامل لعلامة في العلاقة الشخصية (بين 'أنا' و'أنت')؛ لذلك لا بد من التنصيص على أن اللاشخص هو صيغة القول الوحيدة الممكنة لهيئات الخطاب التي لا يجب أن تحيل على أنفسها، بل تحمل كلاما على أحد أو على شيء غير القول عينه؛ وهذا الأحد وذاك الشيء من الممكن دائما أن يكون له مسمى موضوعي".
12. الكتاب (122/1).
13. اللسان، مادة: 'هنا'، نقلا عن الجوهري.
14. يجب التنبيه على أن هذه التغييرات التي تحدث في أزمنة الأفعال في بعض اللغات الأجنبية كالفرنسية والأنجليزية، إنما مردها إلى هذا الاعتبار، وهو المساهمة في حفظ مراتب الكلام وأحوال التكلم؛ فلذلك هي فيها اضطرارية، للموافقة، كما قلنا؛ ويعد الخروج عنها لحنا، بل خطأ شنيعا. أما اللغة العربية، فليس فيها إلا زمانان، ماض ومضارع يضم الحال والاستقبال؛ فلذلك لا تطرأ على الفعل فيها تغييرات تذكر. وسترى ذلك في محله إن شاء الله. ولعله من المفيد في تعليم الولدان هذا الباب في اللغات الأجنبية أن يقارن فيه بينها وبين اللغة العربية: فهو في لغتنا أقرب إلى الفهم، لأنه عار من التغييرات التي تطرأ على الفعل؛ بحيث إذا تنبه المتعلم إلى ما يحصل من تغير في الضمائر (وهي الظاهرة الأهم في هذا الضرب) سهل عليه أن يحفظ التغييرات الطارئة على الفعل، لأن أغلبها (كما قلنا) ضرورة نحوية خطابية.
15. لم يظهر هذا النمط في اللغة الفرنسية ظهورا بارزا إلا في القرن التاسع عشر، مع فلـوبير والـروائيين الـذين أتـوا بعـده. راجـع M. GREVISSE, Le bon usage, douzième édition refondue par A. Goosse, Editions Duculot, 1991, p. 676
16. همع الهوامع (156/1).
17. في شرح المفصل (64/8):

مروا عجالى وقالوا: كيف صاحبكم؟

وفي مجالس ثعلب (129):

مروا عجالاً وقالوا: 'كيف صاحبكم؟' قال الذي سألوا: 'أمسى لَمجهودا'

قال محققه: 'سألوا: أي سألوا عنه؛ يريد أن المريض نفسه أجا م على طريق الغيبة، بقوله: أمسى لَمجهودا؛ أي: أمسيت مجهودا'. ولنا عودة إلى هذا المثال إن شاء الله.

18. ونظيره: "ولو نصب هذا البيت - قال الخليل - لجاز" (الكتاب، 37/3)؛ "وإنما فعل ذلك لقصْبِ يزيد إياه - كان - قبل موته" (النقائض، 722)؛ "فرجع إلى الوزير يبكي بين يديه ويحدثه محلنا - كان - وما أوليناه" (المكافأة، 14)؛ "يذكر أنه قرابةٌ لابن يعفُر القائم - كان - باليمن" (المكافأة، 93)؛ "تنسب إليه منية نصر الأثير - كان - عند عبد الرحمن بن الحكم" (المقتبس، ط. مكي، 156)؛ "فوجده - زعم - ذا عيوب" (رسائل الجاحظ، 249/2)؛ "ولدتْ - زعموا - في بني الأحوص" (النقائض، 75)؛ "ومثل هذا - زعم - 'مفعولات' في المنسرح: الواو - عنده - زائدة" (صنعة الشعر، 201)؛ "فإن وجدَته - زعم - من قول العرب فأجِزْه" (صنعة الشعر، 186)؛ "وكانت - زعم أصحابنا - خطبته التي ينكح ا" (الفصوص، 59/3)؛ "وكان قد تقدم إلى هذه الناحية - زعموا - لمّا بلغه اشتداد الأمر فيها" (الإحاطة، 486/1)؛ "كتبتْ (ولادة بنت المستكفي) - زعموا - على عاتقي ثو ا" بيتي شعر (المطرب، 8)؛ "حفر بعضهم غيرانا في الأرض ليعتصم - زعموا - ا من ذلك الهول" (الذيل والتكملة، 212/4).

19. نشير هاهنا إلى أن 'قال' في العربية قد ورد في تراكيب لا يكون معناه فيها 'القول'، بل أمور أخرى غيره؛ ففي اللسان (في آخر مادة 'قول') ما نصه: "ابن الأعرابي: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده؛ أي أخذ؛ وقال برجله؛ أي مشى (...) وقال بالماء على يده؛ أي قلب، وقال بثوبه؛ أي رفعه (...). ويقال 'قال' بمعنى أقبل، وبمعنى مال، واستراح، وضرب، وغلب، وغير ذلك". قلت: وفي الأخبار الطوال (325): "فمن قال برأسه كذا، فقل بالسيف كذا"؛ وفي الحوادث والبدع (82): "فتقول برأسها نعم"؛ وفي الخراج وصنعة الكتابة (264): "قال بإحدى يديه على الأخرى، يشير أن اقتلوهم".

20. رواية صدره في السيرة (510/2): تسعى الغواةُ جنابيها وقولُهم؛ وفي مجاز القرآن (122/1): تسعى الوشاة جنابيها وقيلُهم. قال أبو عبيدة: "سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: 'معناها: ويقولون، وكذا كل شيء – من هذا المنصوب – كان في موضع فَعلَ أو يفْعلُ'"؛ وقال أيضا (174/1): "يقولون – حكاية عن أبي عمرو: 'وقيلُهم منصوب لأنه في موضع ويقولون'"؛ وقال أيضا (166/2): "قيلُهم – بالنصب: ويقولون".

21. روايته في المغني (443) وخزانة الأدب (574/4): أقائلُن أحضروا الشهودا (بالنون الشديدة ومخاطبة الجماعة).

22. وستأتي منه نماذج أخرى بغير الفعل 'قال'، تجدها في الفقرة الخاصة بالأفعال النائبة عنه.

23. نسب هذا البيت ابن خلكان إلى ابن الرومي؛ وعزاه محققا محاضرات اليوسي (177) إلى أبي الأسود الدؤلي.

24. هذا فيما تدركه الحواس؛ وإلا فقد قال تعالى: {تسبح له السـماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكـن لا تفقهون تسبيحهم} (الإسراء، 44).

25. قال ابن قتيبة (في تأويل مشكل القرآن، 106): "لم يقل الله ولم يقولا؛ وكيف يخاطب معدوما؟ وإنما هذا عبارة لكوناهما فكانتا". وقال الزمخشري: "وهو من ا از الذي يسمى التمثيل".

26. قال الزمخشري: "وسؤال جهنم وجوا ا من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته".

27. في تأويل مشكل القرآن (109): مستأسداً؛ وفي اللسـان (أسـد): مستأسد أذنابه في عيطل.

28. وقبل البيتين، في تأويل مشكل القرآن (107) قول المؤلف: "قال الشاعر حكاية عن ناقته".

29. قال محققه: "الدلح: وصف للسحب، واحده دالحة؛ أي مثقلة بالماء".

30. قال المرزوقي: "يقال: 'خود رأله' للمذعور المرتاع. ... وقوله: 'لهـا تشفقي حين مشفق' تأنيس؛ أي: لم تخافي وقت مخافة".

31. وينبغي التنبه إلى أن "قلت لك: 'سأنتظرك'" و"قلت لي: 'ستنتظرني'" لا يمكن أن يكون المراد منهما مجرد نقل القول، بل لا بد فيهما من تقدير نية خطابية معلومة، يساعد السياق على تعيينها (وقد يكون المراد في هذين المثالين العتاب أو التوكيد، مثلا). أما الحكاية، فهي – كما تقدم – "أن يحكى لفظ الجملة كما سمع"؛ فالمراد إذن هو الإتيان به على سبيل التسجيل وحسب، من غير نية مضمرة.

32. الكتاب (122/1). وقال الزمخشري (في المفصل، 6): "الكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى؛ وذاك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك: 'زيد أخوك' و'بشر صاحبك'؛ أو في فعل واسم، نحو قولك: 'ضرب زيد'، و'انطلق بكر'؛ ويسمى الجملة".

33. الكتاب (163/3).

34. قال السيوطي: "في القول وما تصرف منه استعمالات؛ أحدها: أن يحكى به الجمل ...؛ الثاني: أن ينصب المفرد؛ وهو نوعان؛ أحدهما: المؤدي معنى الجملة، كالحديث والشعر والخطبة، كقلت حديثا وشعرا وخطبة؛ ونصبه على المفعول به لأنه اسم للجملة؛ والجملة – إذا حكيت – في موضع المفعول به ...؛ وقيل: (نصبه) على أنه نعت مصدر محذوف، أي: قولا" (الهمع، 156/1 و157)

35. قال ابن هشام: "لا يسند فعل الإنشاء إلا إلى منشئه، كبِعْت، واشتريت، وأقسمت، وقبلت، وحررتك" (الخزانة، 78/4). وتأمل معي أن هذه الأفعال التي سماها ابن هشام 'أفعال الإنشاء' هي التي نسميها اليوم 'أفعال الكلام'.
36. الهمع (156/1).
37. المغني (490).
38. أحصى منها السيوطي (في الهمع، 157/1): ما يلي: دعا، قرأ، نادى، أوحى، وصى.
39. قال الزمخشري: "ثم نادى مناد ... روي أ م ارتحلوا ... فـأُدركوا وحبسوا؛ ثم قيل لهم ذلك".
40. قال الزمخشري: "{بدا لهم} فاعله مضمر، لدلالة ما يفسره عليه، وهو {ليسجننه}؛ والمعنى: بدا لهم بداءٌ، أي ظهر لهم رأي: ليسجننه؛ والضمير في {لهم} للعزيز وأهله ... وفي قراءة الحسن: لتسجننه – بالتاء على الخطاب، خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه، أو العزيز وحده، على وجه التعظيم".
41. قال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه، 6/3): "لأن البشارة قـول، فالمعنى: 'قل لهم إن لهم قدم صدق'".
42. قال الزمخشري: "و{أن} هي المفسرة ... كأنه قيل: 'تعبدْنا إبراهيم قلنا له: {لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي}".
43. قال الزمخشري: "التلاوة من القول".
44. قال الزمخشري: "وعن أبي عمرو أنه قرأ 'إني ممدكم' – بالكسر – على إرادة القول، أو على إجراء 'استجاب' مجرى 'قال'، لأن الاستجابة من القول".
45. كذا في الديوان (نشر المكتبة الثقافية، بيروت). وقد يقرأ ببناء 'سألتْ' على الفتح؛ و'عبلةُ' فاعله؛ و'خبرتْ' مبني لما لم يسم فاعلُه، ونائب الفاعل ضمير تقديره 'هي'؛ والتاءان في الفعلين معا للتأنيث. ويؤيده قوله بعد هذا البيت:

وأجيبها إمّا دعتْ لعظيمة   وأعينها وأكف عما ساها.

ولنا في هذا البيت بقية كلام (في ص 28).
46. وبين قوله 'الكهف' وقوله 'فنقيمهم' ما سميناه الوصلة، وهي النقلـة من خطاب إلى خطاب دون إشارة ولا سابق إنذار. وسيأتي الحديث على ذلك في حينه إن شاء الله.
47. قال الزمخشري: "'دعواهم': دعاؤهم، لأن 'اللهم' نداء لله؛ ومعناه: 'اللهم إنا نسبحك'". وقد كان أبو عبيدة أوضح منه عبارة؛ قال (في مجاز القرآن، 275/1): "'دعواهم فيها': أي دعاؤهم، أي قولهم وكلامهم".
48. ننبه إلى أن هذا الشاهد يمكن أن يحمل على أن الفعل الصدر هو 'ارتجل'، وعلى أنه هو 'مقال' (وعليه حملناه قبل).
49. والكلام الذي وضعناه بين علامتين هو عين ما قاله ابن هشام في المغني (106)؛ فالبغدادي يحكي قوله بالفعل الصدر 'رد'.
50. قال الزمخشري: "'أن أنذر' أصله 'بأن أنذر'؛ فحذف الجار وأوصل الفعل؛ وهي 'أن' الناصبة للفعل؛ والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له أنذر؛ أي أرسلنا بالأمر بالإنذار. ويجوز أن تكون مفسرة، لأن الإرسال فيه معنى القول؛ وقرأ ابن مسعود: 'أنذر' بغير 'أن'، على إرادة القول". وهو قول عامة المفسرين، كالقرطبي والبيضاوي والبغوي والشوكاني.
51. هو في الحماسة بشرح المرزوقي (1759) منسوبا إلى يزيـد بـن الجهم؛ وروايته فيها:

تسائلني هوازنُ: 'أين مالي؟'   وهل لي غير ما أنفقت مالُ؟

52. في اللسان (خلل): 'بنيوها'، بدل 'أَبْينوها'.
53. قال الحريري (في درة الغواص، 622-623): "ومن أوهامهم في هذا الفن أ م ينشدون بيت ذي الرمة:

سمعت: 'الناس ينتجعون غيثا'   فقلت لصيدح: 'انتجعي بلالا'

فينصبون لفظة 'الناس' على المفعول؛ ولا يجوز ذلك، لأن النصب يجعل الانتجاع مما يسمع؛ وما هو كذلك؛ وإنما الصواب أن ينشد بالرفع على وجه الحكاية، لأن ذا الرمة سمع قوما يقولون: 'الناس ينتجعون غيثا'، فحكى ما سمع على وجه اللفظ المنطوق به". والبيت في جمهرة اللغة (123/2) برواية: 'رأيت الناس' – بالنصب – ولا شاهد فيه عندئذ. ونظيره قول الشاعر (في المنصف، 68/1):

لَتسمعن وشيكاً في دياركم: 'اللهُ أكبر يا ثارات عثمانا!'

وشبيه به قول الشاعر (في الكتاب، 327/3؛ قال محققه: يروى لبشر بن أبي خازم وللطرماح):

وجدنا في كتاب بني تميم: 'أحق الخيل بالركض المُعار'

قال سيبويه: "وذلك لأنه حكى 'أحق الخيل بالركض المعار'".
54. قال الزمخشري: "فإن قلت: 'الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة؟' قلت: 'لأ ا قول من القول، أو على إرادة القول؛ كأنه قيل: 'وشهد شاهد فقال: ...'".
55. والضمير في 'يفعل' عائد على المستشير. فهذا المثال شاهد أيضا على أن هذه الأفعال التي تقوم مقام 'قال' تصلح للحكاية والعدول على حد سواء.
56. في أضداد الأنباري (370): "أضب القوم إضبابا إذا تكلموا؛ وأضبوا إذا سكتوا". وراجع اللسان (مادة: ضبب).

57. قال الزمخشري: "فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول؛ ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول، وأ م قالوا: 'امشوا'؛ أي أكثروا واجتمعوا". وقال ابن هشام: "ليس المراد بالانطلاق المشي، بل انطلاق ألسنتهم ذا الكلام؛ كما أنه ليس المراد بالمشي المشي المتعارف، بل الاستمرار على الشيء" (المغني، 48). وذكـر سيبويه الآية وقال: "زعم الخليل أنه بمنـزلة أي، لأنك إذا قلت: 'انطلق بنو فلان أن امشوا'، فأنت لا تريد أن تخبر أ م انطلقوا بالمشي؛ ومثل ذلك: {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله}؛ وهذا تفسير الخليل. ومثل هذا في القرآن كثير" (الكتاب، 162/3). وسيأتي الحديث عن الآية الثانية عما قريب.

58. قال الزمخشري: "{أن} مفسرة، و{لا تعبدوا} ي؛ أو: بأن لا تعبدوا".

59. وفي مجمع الأمثال (عند المثل: 'خطب يسير في خطب كبير'): "ثم رأت أن تكتب إليه أ ا لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السماع، وضعفا في السلطان، وأ ا لم تجد لملكها موضعا، ولا لنفسها كفؤا 'غيرك، فأقبل إلي لأجمع ملكي إلى ملكك، وأصل بلادي ببلادك، وتقلد أمري مع أمرك'". ولا يفتك أن بين قوله 'كفؤا' وقوله 'غيرك' ما سميناه الوصلة (وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله).

60. قال الزمخشري: "وقيل: تخرج (الدابة) من الصفا؛ فتكلمهم بلسان عربي ذلق؛ فتقول: 'إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون'".

61. قال الزمخشري: "'تمت كلمة ربك'، وهي قوله للملائكة: 'لأمـلأن جهنم من الجنة والناس أجمعين'".

62. قال الزمخشري: "الكلمة قوله: 'إ م لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون'". ولا يفتك أن الذي ينوب عن "قال" هنا هو الاسم من "كلم"، لا الفعل.

63. قال الزمخشري: "وروي (يعني قوله: 'الرحيل') منصوبا ومجرورا". و امشه أنه روي "بالرفع على أنه مبتدأ، و'غدا' – أي في غد – خبره، وبالنصب: مصدر لفعل محذوف؛ وذلك كله على الحكاية". والمختار عندي ألا يروى إلا بالرفع أو النصب؛ أي على الحكاية، لأن روايته بالجر – وإن كانت 'على الأصل' – فلا تستقيم مـ ـع الحكاية ولا مع العدول، لأن حق هذا أن يقول فيه: 'في الغد'، أو 'في اليوم الذي بعده'، أي بعد اليوم الذي قال فيه المتكلم ذلك الكلام. وإلا فيكون 'الرحيل' وحده على العدول، و'غدا' وحده على الحكاية؛ وهو ما لم نشهد له نظيرا، ولا نراه يتوجه بحال، لأن حكاية زمان الحدث وحده لا فائدة فيها؛ هذا إلى أننا لا ندري زمن من هو.

64. قال الشوكاني (في فتح القدير): "'أن' هي التفسيرية لـ: نذير'".

65. قال شارحه: "التفت إلى الخطاب للاستعطاف".

66. وفي هذا الشاهد أيضا وصلة بين قوله 'المهدي' وقوله 'فإن'، على أن 'فإن قالا بخلق القرآن وإلا تضرب أعناقهما' على الحكاية، وما قبله على العدول؛ وإذا قدرت 'تضرب' مبنيا لما لم يسم فاعله، وجعلت الأعناق مرفوعة به، فالوصلة بين قوله 'يحمله' وقوله 'إلي'، فيكون الكلام كله على العدول، و'إلي' وحده على الحكاية. وهذا لا يتوجه مع ما نعلم عن النصوص العربية من توازن في 'كمية' المقطعين اللذين تتوسطهما الوصلة. فلذلك نرجح أن الوصلة في الموضع الأول، لا في الثاني.

67. قال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه، 211/1): "معنى 'وصى' و'أوصى': قول".

68. وليس المراد أ م على خطإ، وذلك أنه "لا يمكن إثبات اللغة وأحكامها بالقياس والعقول، بل الحجة فيها استقراء كلام العرب واستعمالا م" (الكليات، 1078)؛ وإنما المراد أ م اكتفوا بذلك وسكتوا عن تفسير هذا الواقع اللغوي وتعليله بما هو أهل له.

69. ولا يخفى عليك أن "حق الحكاية" أن يقول: 'احتسبوا' و'انسوا'.

70. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ناشر كتاب الكامل قد ذكر امش الصفحة المذكورة أنه وقع في نسخة أخرى: 'فلا تركب'؛ أي أن المتكلم انتقل من العدول إلى الحكاية، وهذا كثير في المصنفات العربية، وقد مرت معك منه أمثلة، وسنذكره في حينه. أما الجملة التي قبلها، فليس بعزيز أن تجد فعل القول متبوعا بحرف الجر 'في' كما هو فيها؛ ولربما كان ذلك وعيا من المؤلف بأنه ينتقل من الحكاية إلى العدول، إذ الحاجة إلى 'في' غير قائمة، لأن الفعل متعد بنفسه. فالضمائر في القول المعدول – بعد الفعل الصدر – تتعين مواقعها بالقياس إلى فاعل فعل القول. أما الذي يصدر عنه الكلام، لا القول، فالعلامات الدالة عليه غير ظاهرة في الأمثلة المذكورة، إلا في المثالين الأخيرين منها، وهي الياء من 'لي' في المثال الذي قبل هذين، ومن 'ليزاملني' في المثال الذي قبله (ومعها فيه نون الوقاية).

71. لا يخفى عليك أن قوله: 'ما معناه' إنما هو توكيد صريح من المؤلف بأنه لا ينقل كلام الأشرف بلفظه، وإنما بمعناه؛ لأن ذلك ليس مستفادا رأسا من العبارة المعدولة عن الحكاية، إذ تفيد أن ذلك لفظه وأن الضمائر وحدها تغيرت، فقيل 'منه' عوض 'منك'. فنبه إليه.

72. من القيلولة، لا من القول.

73. في اللسان (مادة: فرس): "الفرس واحد الخيل؛ والجمع أفراس؛ الذكر والأنثى في ذلك سواء".

74. في أنباء نجباء الأبناء (32-33): "فقالت له: 'والله ما أنا بزانية! ولكني رأيت في وجهك نورا كغرة الفرس؛ فأحببت أن يكون فيّ؛ وأراه قد فارقك اليوم' ... وروي أن المرأة المذكورة هي ليلى العدوية، في حديث رواه سعد بن أبي وقاص". قلت: وقوله: 'نورا كغرة الفرس' يؤيد ما ذهبنا إليه من نية إيضاح الخفي.

75. قد يكون هذا 'الحياد' ضروريا في بعض المقامات، مثل مقام القسم والحلف، لأن القسم – من حيث هو فعل من أفعال الإنشاء، أي من أفعال الكلام الحقيقية – ملزم لصاحبه بالوفاء أو بالكفارة. فلذلك تجد المتكلم في الأغلب الأعم لا يسنده إلى نفسه؛ ومن أمثلته:

"فقال: 'امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطا علي فيها'" (الأغاني، 31/15)؛ "قال: 'أم حرزة طالق منه إن لم أكن نقضته وزدت عليه'" (بدائع البدائه، 21)؛ "قال المشهود عليه: 'امرأته طالق ثلاثا، وكل مملوك له حر، إن كان شهد علي هذان إلا بزور'" (رياض النفوس، 275/1)؛ "فقال الجماز: الحرمان والله أعجب منه؛ امرأته طالق إن ذقته!" (وفيات الأعيان، 70/7)؛ "قال: 'الطلاق يلزمه إن لم تكن عملتْ (يعني الحلوى) قبل أن يوحي ربك إلى النحل'" (جمع الجواهر، 67). وقد يأتي القسم مع ذلك في القول المحكي، على أنه لا يلزم إلا صاحبه؛ مثاله: "وقال: 'امرأتي طالق إن أخذت أقل من أربعة آلاف درهم'" (وفيات الأعيان، 203/2)؛ "وتحالفوا بالله: 'إنا لَيد واحدة على غيرنا، ما سجا ليلٌ ووضح نهار، وما رسا حبشي مكانه'" (معجم البلدان: حبشي).

76. قال بنفنست (في E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Gallimard, 1966, I, 252-253, 255-256): "'أنا' هو الفرد الذي يتلفظ بهذا القول المحتوي على الصورة اللغوية 'أنا'؛ وبإدخال وضعية المخاطبة يكون 'أنت' هو الفرد المخاطب في هذا القول المحتوي على الصورة اللغوية 'أنت'... وهذه الإحالة الضرورية والثابتة على هيئة الخطاب هي السمة التي يشترك فيها 'أنا' و'أنت' مع مجموعة من 'علامات الإشارة' (مثل: هذا وهنا والآن)... و'ضمير الغائب' هو العنصر غير الحامل لعلامة في العلاقة الشخصية (بين 'أنا' و'أنت')؛ لذلك لا بد من التنصيص على أن اللاشخص هو صيغة القول الوحيدة الممكنة لهيئات الخطاب التي لا يجب أن تحيل على أنفسها، بل تحمل كلاما على أحد أو على شيء غير القول عينه؛ وهذا الأحد وذاك الشيء من الممكن دائما أن يكون له مسمى موضوعي". وقد قال السيوطي (في الإتقان في علوم القرآن، في النوع الحادي والخمسين في وجوه مخاطباته، ما نصه: "التاسع خطاب الذم، نحو: {يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم} (التحريم، 7) و{يا أيها الكافرون} (الكافرون، 1). ولتضمنه معنى الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين. وكثر الخطاب بـ: يا أيها الذين آمنوا' على المواجهة؛ وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة، إعراضا عنهم، كقوله: {إن الذين كفروا} و{قل للذين كفروا}".

77. قال سيبويه (في الكتاب، 327/3)، تعليقا على البيت الذي قدمنا (وهو: وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار): "وكل شيء عمل بعضه في بعض فهو على هذه الحال".

78. قال القرطبي في نصب السلام: "نصب بوقوع الفعل عليه، كما تقول: قالوا خيرا ... وقيل: على المصدر ... فسلاما معنى قولهم، لا لفظه". أما السلام المرفوع، فقال فيه: "في رفعه وجهان؛ أحدهما: على إضمار المبتدإ؛ أي: هو سلام، و:أمري سلام؛ والآخر بمعنى: 'سلام عليكم'، إذا جعل بمعنى التحية؛ فأضمر الخبر؛ وجاز: 'سلام' على التنكير لكثرة استعماله، فحذف الألف واللام كما حذفت من 'لاهم' في قولك 'اللهم'". وراجع أيضا تفسير البيضاوي والبغوي والسهيلي (في نتائج الفكر، 415؛ وقد نقله عنه – ولم يذكره – ابن قيم الجوزية، في بدائع الفوائد، 157/2).

79. وهذه هي القاعدة المشهورة القاضية بأن لا يكون في الجملة الصدر حروف القول إلا والقول مؤول بغيره. راجع الفقرة التالية.

80. ولا ينقض هذا ما قلناه من أن 'قال' في القرآن لا يأتي بعدها إلا القول المحكي؛ لأن الأمثلة التالية جاء فعل القول فيها كلها بصيغة الأمر، 'قل'؛ وهذا من أفعال الإنشاء (أي من أفعال الكلام): يتضمن الأحكام والشرائع والأوامر والنواهي؛ فلذلك عني المفسرون عناية خاصة ببيان ما أشكل فيه وحسب. قال أبو البقاء الكفوي (في الكليات، 1075): "فعل اللسان هو للإخبار لا للإنشاء، كما أن فعل سائر الجوارح للإنشاء لا للإخبار؛ لكن الشرع جعل فعل اللسان إنشاءً شرعاً؛ فصار كسائر أفعال الجوارح".

81. قال الزمخشري: "أي: 'قل لأجلهم هذا القول'، وهو 'إن ينتهوا'؛ ولو كان بمعنى 'خاطِبْهم به' لقيل: 'إن تنتهوا يغفر لكم'، وهي قراءة ابن مسعود؛ ونحوه: {وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه}: خاطبوا به غيرهم لأجلهم، ليسمعوه". وقال القرطبي إن الآية "أمر للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يقول للكفار هذا

المعنى؛ وسواء قال بهذه العبارة أو غيرها". والرأي عندي أن يحمل فعل القول على اللفظ لا على المعنى؛ والعبرة في تغيير الضمير إنما هي في 'الإعراض عنهم' والاستهانة بهم وإلحاقهم بما يتحدث عنه.

82. قال الزمخشري: "المقول محذوف، لأن جواب 'قل' يدل عليه؛ وتقديره: "قل لعبادي الذين آمنوا: 'أقيموا الصلاة وأنفقوا' يقيموا الصلاة وينفقوا"؛ وجوزوا أن يكون 'يقيموا' و'ينفقوا' بمعنى'ليقيموا' و'لينفقوا'، ويكون هذا هو المقول؛ قالوا: 'وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي هو 'قل' عوض عنه'". وقال قوله، قبله وبعده، عدد من جلة النحاة والمفسرين، كالمبرد (في المقتضب، 84/2) والزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) والقرطبي. وقد رد عليه أحمد بن المنير الإسكندري، في حواشيه عليه، بأن جواب فعل الأمر "حينئذ يكون خبرا عن الله تعالى بأنه إن قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه، فأقاموا الصلاة وأنفقوا؛ لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم؛ وخبر الله تعالى يجل عن الخلف؛ وهذه النكتة هي الباعثة لكثير من المعربين عن العدول عن هذا الوجه من الإعراب".

83. ولعل ضمير الغيبة هاهنا لا يتوجه إلا على حمل لفظ القول على المعنى؛ فهذه الآيات تتضمن أحكاما شرعية على الرسول تفصيل الكلام عليها، وبيان وجه العبادة فيها؛ فلذلك أوسع الله له في العبارة عن ذلك. ولا يخفى أن القول الفصل في ذلك لا يكون إلا بالنظر في كل آية على حدتها، ثم مقارنتها بغيرها، عسى أن تستخلص من ذلك فائدة الإسناد إلى ضمير الغيبة، مع ما فيه من 'التشييء'. والله أعلم.

84. وحق الحكاية أن يقول: "وأنت أولى ..."؛ أو: "ومولاي أولى ..."؛ وذلك أنه يخاطب الخليفة بالأندلس عبد الرحمن الناصر.

85. وحق الحكاية أن يقول: "ما أعرف أنا غير مولاي".

86. ولا يفتك أن في معظم هذه الأمثلة وصلة؛ أي أنها جميعا تلفق بين الحكاية والعدول، مع تمييز واضح بينهما.

87. قال ابن هشام: "تكون أنْ مفسرة بمنزلة أيْ، نحو: {فأوحينا إليه أن اصنع الفلك}، {ونودوا أن تلكم الجنة}. وتحتمل المصدريةَ بأن يقدر قبلها حرف الجر، فتكون في الأول أن الثنائيةَ لدخولها على الأمر، وفي الثانية المخففةَ من الثقيلة لدخولها على الاسمية" (المغني، 47). وقد قال المرادي قبله (في الجنى الداني، 220): "أنْ المفسرة، وهي التي يحسن في موضعها أيْ؛ وعلامتها أن تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، نحو: {فأوحينا إليه أن اصنع الفلك}؛ ولا تقع بعد صريح القول، خلافا لبعضهم".

88. وقد أشرنا قبل هذا إلى أن الجملة الصدر جملة تامة وكلام مفيد.

89. راجع الكتاب (162/3)، وما سيأتي. وفي الكافية: أمرتك.

90. وأعود فأسأل: لماذا أنف ابن هشام من ذلك الكلام؟ ولماذا لم يستنكف منه نحوي مثل سيبويه، الذي استشهد بالآية على أن 'أنْ' فيها تفسيرية؛ أي أن ما بعدها على الحكاية؟ لماذا منعوا أن يحكي الله على لسان نبيه كلاما لم يقل بعد، وليس هو فيه المتكلم بل الغائب؟ هل فيه تناقض بين الأزل والحدوث؟

91. ولا يفتك أن العمدة فيه هي العامل؛ لكن العامل هنا ملغى؛ فلا يناقض مقتضيات الخطاب التي ننادي باعتبارها في تحليل الأقوال المحكية والمعدولة على السواء.

92. الجنى الداني (219)؛ وراجع أيضا المغني (47). لكن 'أن' التي جوز سيبويه إلغاءها ليست 'أن' المفسرة، بل التي سميت فيما بعد بالزائدة. قال: "فأما الوجه الذي تكون فيه لغوا فنحو قولك: 'لمّا أن جاءوا ذهبت'، و'أما واللهِ أن لو فعلت لأكرمتك'" (الكتاب، 152/3).

93. ليس المراد عندنا إسقاط أن التفسيرية من اللغة العربية، وإقامة النقطتين مقامها؛ فهذا لا يقوله عاقل؛ بل المراد التنصيص على أن 'أنْ'، في هذا المقام، لاغية لا تعمل شيئا، على قول الكوفيين (راجع الجنى الداني، 221-223).

94. ألم يتنبه سيبويه إلى أن 'أي' لا تدخل عليها 'الباء' البتة؟

95. ابن كثير، في تفسير الآيات 2-3-4 من سورة النساء.

96. ولاشك أن الواو داخلة في القول المحكي، لأنها تعطفه على ما سبقه، فينتظم الجميع في قول لو اتصل (أي لو زال ما يفصل بعضه عن بعضه الآخر) لكان مستقيما تاما.

97. وهل قيل لنا إنه تكلم؟

98. وفي السيرة (427/2): ضمار.

99. نريد بهذا المصطلح ما يسمى بالفرنسية embrayage، وبالأنجليزية shift. وراجع الأمثلة التي قدمنا هنا (من معجم البلدان، مادة الرقيم، ص17، والحاشية 36؛ ومن البيان المغرب، ص 21).

100. قلنا: 'النص' لأنه المحفل المرجوع إليه؛ وهو الخطاب أيضا (أو القول، أو التلفظ)؛ فكأنك تنطلق من أدنى المراتب في إسناد الأقوال (أو الملفوظات) إلى أصحابها؛ فتترقى إلى أن تصل إلى مرتبة لا تجد فيها من تسند إليه الأقوال (أو الملفوظات)، فتسندها إلى النص، أو الخطاب، أو القول (أو التلفظ)؛ ويرى أهل هذا الشأن بين هذه الاصطلاحات فروقا دقيقة لا نرى فائدة في سياقتها هنا.

101. هو كتاب برنار فاليط، 'النص الروائي، مناهج وتقنيات'، ترجمة رشيد بنحدو، نشر سليكي إخوان، 1999 (راجع ص 50 منه). وقد ترجمت الأنماط الثلاثة ترجمة حرفية؛ فقيل: الأسلوب المباشر، الأسلوب غير المباشر، الأسلوب غير المباشر الحر.

102. كذا! بإثبات النون؛ ولعله خطأ مطبعي.

103. راجع M. GREVISSE, Le bon usage, douzième édition refondue par A. Goosse, Editions Duculot, 1991, p. 676.

104. والماضي المستمر والمستقبل الماضي في جملتي القول المحكي إنما همـا ضرورة نحوية، لمطابقة زمان الفعل الصدر.

105. المضارع (présent) والمستقبل (futur) والماضي المستمر (imparfait) والمستقبل الماضي (conditionnel présent) والماضي المنفصل (passé simple) أزمنة أغلبها إنما هو ضرورة نحوية، لكنها جميعا تسهم في رفع اللبس عن هيئات الخطاب (أو محافله أو بؤره) وما يحيط ا في الزمان والمكان من أحياء وأشياء.

106. ولا تقول: 'ونادتكم'، لأن الروايات لا تكتب (أو لم تكتب بعـد) بضمير المخاطب.

107. الاستفهام سؤال بإحدى صيغ الاستفهام المعروفة (كالهمزة وهل وغيرهما)؛ والاستخبار هو الاستفهام المعدول؛ فيكون الاستفهام مقابل العبارة الفرنسية interrogation directe، والاستخبار مقابل interrogation indirecte. ومثال الاستفهام: "سئل بعضهم: 'فيم تعرف الرجلَ؟'" (نقد النثر، 12)؛ ومثال الاستخبار قول لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر (وحق الاستفهام أن يقول: 'فيم أنتم؟')؛ "فسألونا من أين أقبلنا" (المسالك والممالك، 164؛ وحق الاستفهام أن يقول: 'من أين أقبلتم؟')؛ "سألهم عن أحوالهم هل هم مستضعفون أم هم مستظهرون" (أخبار الأئمة، 39؛ وحق الاستفهام أن يقول: 'هل أنتم مستضعفون أم أنتم مستظهرون؟')؛ "سأله هل هو يعلم ذاك" (الخطابة، 249؛ وحق الاستفهام أن يقول: 'هل أنت تعلم ذاك؟'). وقد قطع المستشرق وليم رايت (في ص 306 من كتابه المترجم عن الألمانية W. WRIGHT, A Grammar of the Arabic Language, Cambridge, 1951) بأن العربية ليس فيها استخبار، وإنما فيها الاستفهام. وفيما سقناه من الشواهد – وغيرها كثير – ما يبطل دعواه. ولنا فـي هذه المسألة بحث على حدته، ولم نشأ أن نلحقها بمسألة القول، حتى لا تختلط الأمور.

108. سواء أكانت هي نفسها البؤرة الأصل، أم كان الأصـل غيرهـا، وكانت هي تقاس إليه.

109. ونستبعد أن تكون النية هي الاستهزاء ا، بتقليد كلامها مثلا. ولئن كانت النية هي إبراز دمائة أخلاق هذه المرأة، وتواضعها، وحفاو ا، فلا تناقض: فتغييبها من موقع المتكلم إنما هو أوضح إشـارة علـى 'التواضع' و'الأثرة'، بالتخلي عن موقع الصدارة للغير.

110. ولا يعضده شيء (راجع ما تقدم في ص 13 والحاشـية 37)، لأن المخاطب في القصيدة هو عبلة؛ ومطلعها:

يا عبلَ أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها.

111. هب أن لك صديقا يردد على الدوام: 'لا أريد من النساء سـواها'. فإذا غاب، وذكره عندك غيرك، لا تتمالك أن تقول: 'لا أريد مـن النساء سواها'؛ كأنك قلت له: 'نعم، أعرفه؛ أليس هو الذي لا يفتأ يقول كذا؟'

112. وذلك أن حقيقة ما يحدث في المخاطبة هو أن المتكلم ما دام يتكلم فإنه يكون هو نفسه سامعا، والسامع إنما هو متكلم بالقوة، لم يظهر منه بعد جواب.

113. الوحشيات (288).

114. أليس صحيحا أن الأدب إنما هو لغة؟ ودع ذا، وارجع إلى ما سقناه إليك من نصوصهم تجد لها حلاوة! ولمزجها بين الحكاية والعـدول وسلوكها مسلك العدول المطلق طلاوة! ولهذه الوصلة التي وقفناك عليها شبها شديدا بكلام أهل زماننا!

115. ولا يسعنا في الختام إلا أن نردد ما قاله ابن المعتز (مع تغيير ما يجب تغييره)، ونصه: "ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تـأليف هـذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمي فنا مـن فنون (القول) بغير ما سميناه به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلامـا منثورا، أو يفسر شعرا لم نفسره، أو يذكر شعرا قـد تركنـاه ولم نذكره – إما لأن ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره، فألقيناه؛ أو لأن فيما ذكرنا كفاية ومغنيا. وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمـن أراده؛ وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف النـاس أن المحـدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب (القول). وفي دون ما ذكرنـا مبلغ الغاية التي قصدنا. وبالله التوفيق" (كتاب البديع، 2-3).

قائمة المصادر

1. **الإتقان** في **علوم القرآن، للسيوطي،** دار الفكـر، بـيروت، لبنان.
2. **الإحاطة** في **أخبار غرناطة، لابن الخطيب،** حققه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1973.
3. **أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير،** تحقيق محمـد ناصـر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
4. **الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري،** حققه عبـد المـنعم عامر، وراجعه جمال الدين الشـيال، نشـرته وزارة الثقافـة والإرشاد القومي، القاهرة.
5. **الأزهية، للهروي،** تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1993.
6. **الأصمعيات، جمعها الأصمعي،** تحقيق أحمد محمد شاكر وعبـد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1979.
7. **الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987.
8. **إعتاب الكتاب، لابن الأبار،** تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1961.
9. **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه،** تحقيق سالم كرنكو وعبد الرحمان بن يحيى اليماني، وتصـحيح عبـد الرحيم محمود، المكتبة الثقافية، بيروت، 1987.
10. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي،** نشره روزنتال، دار الكتب العلمية، بيروت.
11. **إعمال الإعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام، لابن الخطيب؛** حققه أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، ونشراه تحـت عنـوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الكتـاب، الـدار البيضاء، 1964.
12. **الأغاني، للأصفهاني،** نشره عبد علي مهنا وسمير جـابر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
13. **الأمالي، لابن الشجري،** تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبـة الخانجي، القاهرة، 1992.
14. **الأمالي، للقالي،** دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
15. **الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي،** تحقيق أحمد أمـين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت.
16. **الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام،** تحقيق محمـد خليـل هراس، دار الفكر، بيروت.
17. **أنباء نجباء الأبناء، لابن ظفر،** دار الآفاق الجديـدة، بـيروت، 1980.
18. الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقمـاق، دار الآفـاق الجديدة، بيروت (هي نسخة من طبعة بولاق، 1893).
19. **إيضاح شواهد الإيضاح، للحسن القيسي،** حققه محمد بـن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.
20. **بدائع البدائه، لعلي بن ظافر الأزدي،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992.
21. **البديع، لابن المعتز،** نشره كراتشقوفسكي، لندن، 1935.
22. **بغية الملتمس، للضبي،** نشرته روحية عبد الرحمان السـويفي، دار الكتب العلمية، 1997.
23. **البيان المغرب عن أخبار الأندلس والمغرب، لابـن عـذاري المراكشي،** الأجزاء 1-3، تحقيق كولان وليفـي بروفنسـال، والجزء 4، تحقيق إحسان عباس، وكلها عـن الـدار العربيـة للكتاب، بيروت، لبنان، ط. 3، 1983، والجزء المسمى "قسم الموحدين"، تحقيق جماعة من الأساتذة، دار الغرب الإسـلامي ببيروت ودار الثقافة بالبيضاء، 1985.
24. **بيوتات فاس الكبرى،** شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
25. **التاج، للجاحظ،** نشره عمر الطباع، دار الأرقـم، بـيروت، (2002).
26. **تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية،** نشره عبد الله أنـيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بـيروت، 1994.
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، للزركشي، حققه الحسـين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس، 1998.
27. **تاريخ اليعقوبي،** نشره خليل منصور، دار الكتـب العلميـة، بيروت، لبنان، 1999.
28. **تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة،** شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط. 3، 1981.

29. **تجارب الأمم، لابن مسكويه،** نشره أمدروز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
30. **تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري،** تحقيق حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1995.
31. **ترتيب المدارك، للقاضي عياض،** ج. 6، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، 1981.
32. **تزيين الأسواق، للأنطاكي،** دار حمد ومحيو، بيروت، 1972.
33. **التعازي والمراثي،** للمبرد، تحقيق محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، 1992.
34. **تفسير القرآن الكريم** (لابن كثير، والبغوي، والبيضاوي، والشوكاني، والقرطبي) (*).
35. **التنبيهات، لعلي بن حمزة،** تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، القاهرة، 1986.
36. **تهذيب الألفاظ، لابن السكيت،** شرح التبريزي، نشره لويس شيخو اليسوعي، بيروت، 1895.
37. **جمع الجواهر في الملح والنوادر، لإبراهيم بن علي القيرواني،** تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
38. **الجمل، للزجاجي،** تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
39. **جمهرة اللغة، لابن دريد،** دار صادر، بيروت (هي طبعة حيدرآباد الدكن، 1345هـ).
40. **جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي،** دار صادر، بيروت، 1963.
41. **الجنى الداني، للمرادي،** تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
42. **حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي،** نشره عبد اللطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992.
43. **الحلة السيراء، لابن الأبار،** تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985.
44. **الحماسة، لأبي تمام،** شرح المرزوقي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.
45. **حماسة الظرفاء، للعبدلكاني،** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
46. **الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي،** تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
47. **الحيوان، للجاحظ،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996.
48. **الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر،** تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، 1981.
49. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي،** دار صادر، بيروت (وهي نسخة من طبعة بولاق).
50. **الخصائص، لابن جني،** تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
51. **الخطابة، لأرسطو،** الترجمة العربية القديمة، حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (بيروت، لبنان)، 1979.
52. **درة الحجال في غرة أسماء الرجال، لابن القاضي،** نشره مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
53. **درة الغواص، للحريري،** تحقيق عبد الحفيظ القرني، دار الجيل، بيروت، ومكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1996.
54. **دواوين الشعراء: أبي نواس، والأعشى، وحاتم، ورؤبة، وذي الرمة، والسليك بن السلكة، وشوقي، وعروة، وعمر بن أبي ربيعة، وعنترة، والمتنبي** (**).
55. **الذخيرة في محاسن الجزيرة، لابن بسام،** تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1995.
56. **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لابن عبد الملك المراكشي،** بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
57. **رسائل إخوان الصفا،** نشرها بطرس البستاني، دار صادر، بيروت.
58. **رسائل الجاحظ،** حققها محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.
59. **رسالة الغفران، للمعري،** تحقيق عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، 1990.
60. **الروض الأنف، للسهيلي،** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.
61. **رياض النفوس، للمالكي،** حققه بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
62. **سنن النسائي.**

(*) هذه التفاسير وكتب الحديث (كالسنن والصحيحين) إنما تصفحناها على الأقراص؛ فلذلك لم نذكر لها طبعات ولم نحل عليها بالصفحات.

(**) وهذه الدواوين أيضا لم نشر عند ذكرها إلى الصفحات، لاختلاف طبعاتها جودة ورداءة.

63. **سير الأئمة وأخبارهم، ليحيى بن أبي بكر،** تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
64. **سيرة أحمد بن طولون، للبلوي،** تحقيق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
65. **السيرة النبوية، لابن هشام،** تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1955.
66. **شرح شواهد المغني، للسيوطي،** نشره أحمد ظافر كوجان، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966.
67. **شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري،** نشره بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2002.
68. **شرح ما يقع فيه التصحيف، لأبي أحمد العسكري،** تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1963.
69. **شرح المقامات، للشريشي،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.
70. **الشعر والشعراء، لابن قتيبة،** نشره دي خويه، ليدن، 1902.
71. **الصاحبي، لابن فارس،** تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1977.
72. **صحيحا البخاري ومسلم.**
73. **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، للإفراني،** طبعة حجرية، فاس.
74. **الصلة، لابن بشكوال،** تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1994.
75. **صنعة الشعر، للسيرافي**(*)**،** نشره جعفر ماجد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
76. **طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954.
77. **العيني (المقاصد النحوية ...، المشهور بشرح الشواهد الكبرى)،** بهامش خزانة الأدب.
78. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة،** دار الثقافة، بيروت، 1981.
79. **فتوح البلدان، للبلاذري،** نشره عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1997.
80. **فتوح الشام،** المنسوب إلى الواقدي، دار الجيل، بيروت.
81. **فتوح مصر والمغرب،** لابن عبد الحكم، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 1995.
82. **فصل المقال، للبكري،** تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.
83. **الفصوص، لصاعد البغدادي،** تحقيق عبد الوهاب التازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1993.
84. **فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي،** دار مكتبة الحياة، بيروت.
85. الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت.
86. **القاموس المحيط، للفيروزابادي،** دار الجيل، بيروت.
87. **الكافية في النحو، لابن الحاجب،** دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1982.
88. **الكامل في التاريخ، لابن الأثير،** نشره تورنبرغ، دار صادر، بيروت، 1982.
89. **الكتاب، لسيبويه،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.
90. **الكشاف، للزمخشري،** رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي.
91. **الكليات، لأبي البقاء الكفوي،** نشره عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992.
92. **كليلة ودمنة، لابن المقفع،** دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
93. **لسان العرب، لابن منظور.**
94. **ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن الشجري،** نشره أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
95. **ما يحتمل الشعر من الضرورة، لأبي سعيد السيرافي،** حققه عوض بن حمد القوزي، طبع دار المعارف، 1991.
96. **مجالس ثعلب،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1980.
97. **مجمع الأمثال، للميداني،** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1992.
98. **المحاسن والأضداد،** المنسوب إلى الجاحظ، نشره عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1986.
99. **المحاضرات في اللغة والأدب، لليوسي،** حققه محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 19 82.
100. **المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء،** مكتبة المثنى، القاهرة.

(*) ذكر الطناحي (في اللغة والأدب، 295/1-333، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995) أن صاحب هذا الكتاب على الحقيقة هو أبو الحسن العروضي. وراجع مجلة "الذخائر"، العددان 15 و16، 2003، ص 259-289.

101. **المرقبة العليا فيمن يستحق القضـاء والفتيـا، لأبي الحسـن النباهي،** دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط. 5، 1983.
102. **مروج الذهب، للمسعودي،** تحقيق محمد محيي الـدين عبـد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1948.
103. **المسالك والممالك، لابن خرداذبه،** نشره دي خويه، ليـدن، 1889، وأعادت طبعه دار صادر، بيروت.
104. **المستجاد من فعلات الأجواد، لأبي علي التنوخي،** تحقيق محمد كرد علي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.
105. **المستطرف من كل فن مستظرف، للأبشـيهي،** دار الكتـب العلمية، بيروت، ط. 2، 1986.
106. **مشكل الحديث، لابن فورك،** دار الكتب العلمية، بـيروت، 1980.
107. **مطمح الأنفس، ومسرح التأنس، في ملح أهل الأندلس، للفتح بن خاقان،** نشرته مديحة الشرقاوي تحت عنوان: تاريخ الـوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس(*)، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، 2001.
108. **المظفري، لابن أبي الدم،** تحقيق حامد زيان غـانم زيـان، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.
109. **معاني القرآن وإعرابه، للزجاج،** تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988.
110. **معجز أحمد، للمعري،** تحقيق عبد ا يد دياب، دار المعـارف، القاهرة، 1992.
111. **معجم البلدان، لياقوت الحموي،** دار صادر، بيروت، 1995.
112. **مغني اللبيب، لابن هشام،** تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 1992.
113. **المفصل في علم العربية، للزمخشري،** دار الجيل، بيروت.
114. **المقتبس، لابن حيان،** تحقيق محمود علي مكي، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994.
115. **المقتبس، لابن حيان،** تحقيق إسماعيـل العـربي، دار الآفـاق الجديدة، المغرب، 1990.
116. **المقتضب، للمبرد،** تحقيق محمد عبد الخـالق عضـيمة، عـالم الكتب، بيروت.
117. **المكافأة، لابن الداية أحمد بن يوسف،** تحقيق محمـود محمـد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
118. **الملل والنحل، للشهرستاني،** نشره أحمد فهمـي محمـد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
119. **من اسمه عمرو من الشعراء، لابن الجراح،** تحقيق عبد العزيـز ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991.
120. **المنصف، لابن جني،** تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمـين، وزارة المعارف، القاهرة، 1954.
121. **موطأ الإمام مالك.**
122. **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،** لمؤلف مجهول، حققـه محمد رضوان الداية ونشره تحت عنوان: آخر أيان غرناطة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط. 2، 2002.
123. **نتائج الفكر، للسهيلي،** تحقيق محمد إبراهيم البنا، منشـورات جامعة قاريونس، 1978.
124. **نزهة الحادي، للإفراني،** نشره هوداس، باريس، 1888.
125. **نشوار المحاضرة، للتنوخي،** حققه ونشـره عبـود الشـالجي، 1971.
126. **نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، للمقري،** تحقيـق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
127. **النقائض، لأبي عبيدة،** نشره بيفان، ليدن، 1905.
128. **نقد النثر،** المنسوب إلى قدامة بن جعفـر، المكتبـة العلميـة، بيروت، لبنان، 1982.
129. **نوادر المخطوطات،** جمعها وحققها عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.
130. **نور القبس، للمرزباني،** نشره رودلف زلهايم، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، 1964.
131. **همع الهوامع، للسيوطي،** دار المعرفة، بيروت.
132. **الوحشيات، لأبي تمام،** تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمـد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1987.
133. **الوزراء والكتاب، للجهشياري،** حققـه مصـطفى السـقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مصطفى البابي الحلـبي وأولاده، القاهرة، ط. 2، 1980.
134. **وفيات الأعيان،** تحقيق إحسان عباس، دار صـادر، بـيروت، 1994.

(*) وهي نشرة رديئة جدا؛ إلا أننا لم نستشهد منها إلا ببيت واحد.

تحليل الأخطاء السمعية في مستوى الأصوات اللغوية المفردة – الفونيمات- عند متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها

د.فيصل صفا و أ. محمد أبو عيد (*)

ملخص البحث

قصدت هذه الدراسة إلى الكشف عن الأخطاء السمعية في مستوى الأصوات اللغوية المفردة – الفونيمات- عند متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، ولتنفيذ ذلك اعتمدت الدراسة منهج تحليل الأخطاء، وهو منهج يقوم على ثلاث خطوات متوالية هي : أ. وصف الأخطاء ب. تحليل الأخطاء، جـ. اقتراح الحلول.

وقد خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن أكثر الأخطاء السمعية، في هذا المستوى، تقع نتيجة إخفاق الطلبة في تمثل كثير من ملامح النظام الفنولوجي العربي وخصائصه المتميزة. هذا، وقد اقترحت الدراسة عددا من التوصيات والحلول لمعالجة تلك الأخطاء.

مدخل

تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن المشكلات اللغوية التي يواجهها متعلمو العربية من الناطقين بغيرها، من حيث التمييز بين أصوات العربية على المستوى السمعي، ولتنفيذ ذلك، تعتمد الدراسة منهج تحليل الأخطاء، وهو منهج يتكون من ثلاث خطوات متوالية، هي :

أ- وصف الأخطاء.
ب- تحليل الأخطاء .
ج- تقديم الحلول.

وقد أجريت الدراسة على مجموعة من طلبة مركز اللغة العربية في جامعة البلقاء التطبيقية، وكان عددهم عشرة طلاب من المستوى الثالث، ومن جنسيات متعددة (الفرنسية والروسية والتركية والغانية والغينية). أما إجراءات الدراسة فقد تشكلت من ثلاثة اختبارات، كل اختبار ينطوي على مجموعة من النصوص والجمل المنتقاة بقصدية وعناية، بغرض الوقوف على الصعوبات التي يواجهها الطلبة في التمييز سمعيا بين الأصوات العربية.

الاختبارات ووصف الأخطاء :

الاختبار الأول :

تكون هذا الاختبار من أربع فقرات متتالية، أمليت على الطلبة، هذه الفقرات هي :

- حين هان شرف الجندية عليه خان أثناء الحروب، واختار الهروب، وبعد أن خان حان وقت حسابه، فحبس رهن المحاكمة، وبعد انقضاء الحول رأى الهول، فخول القائد محكمة عسكرية للنظر في أمره.
- كان النابغة ذبيانيا ولم يكن ظبيانيا، وكان يقف من النعمان في مكان ظليل وموقف غير ذليل، فلم يكن ثم من ذم.
- أنعم الله على الطاغية بالمال، وسخر له من الوسائل ما يصل به إلى السطوة والغلب، فجمع المال وجعله

(*) جامعة اليرموك – قسم اللغة العربية وآدابها / الأردن

أحرازا، وجعل على الأحراز الأحراس، وعلى الأسرار أزراراً.

- سار الحاكم سيرة حسنة، حتى صار مضرب المثل في ذلك، فصام عن الظلم، وما سام الناس الخسف، وما لجأ في القصر إلى القسر، ولا سب أحدا، ولا صب على بريء جام غضبه، ولا لجأ إلى سيف في صيف.

وبعد النظر في ما خطته أيدي الطلبة، تبين أن أخطاءهم جاءت على الشاكلة التالية التي يوضحها الجدول رقم (1) :

الكلمة التي وقع الخطأ	الصور التي كتبت الكلمة وعدد الطلبة الذين سجلت عندهم							
	الصورة (أ)	العدد	الصورة (ب)	العدد	الصورة (جـ)	العدد	الصورة (د)	العدد
هان	حان	5	خان	1	x	x	x	x
أثناء	أسناء	3	أثن	1	x	x	x	x
أن	عن	1	x	x	x	x	x	x
خان	حان	3	خن	1	x	x	x	x
حان	خان	3	خن	1	x	x	x	x
رهن	رحن	2	x	x	x	x	x	x
الهول	الحول	2	x	x	x	x	x	x
القائد	القاعد	2	x	x	x	x	x	x
عسكرية	أسكرية	4	x	x	x	x	x	x
ذبيانياً	زبيانياً	1	ظبيانياً	2	x	x	x	x
ظبيانياً	زبيانياً	1	ذبيانياً	3	x	x	x	x
ظليل	ضليل	3	ذليل	1	x	x	x	x
ذليل	ظليل	1	دليل	2	x	x	x	x
ثم	ذم	1	سم	1	x	x	x	x
ذم	دم	1	ظم	1	دام	x	x	x
الطاغية	طغيت	1	طغية	1	تغية	1	x	x
يصل	يسل	2	يصيل	2	x	x	x	x
السطوة	أصتو	1	الصطوة	4	x	x	x	x
فجمع	فجمعا	1	x	x	x	x	x	x
الأحراز	الأحراس	2	أحرزا	2	الهراس	1	x	x
الحاكم	الحاكموا	1	الحكم	1	x	x	x	x

عن	أن	2	x	x	x	x	x	x
سام	صام	1	سمى	1	x	x	x	x
صاد	صم	1	سام	1	صالة	x	x	x
الخسف	الحسف	2	x	x	x	x	x	x
لجأ	لجع	4	x	x	x	x	x	x
بريء	برع	1	برئن	1	بريع	x	x	x
السيف	الصيف	2	x	x	x	x	x	x
القسر	الكسر	1	القصر	3	x	x	x	x
أزراراً	أسرار	1	x	x	x	x	x	x
شرف	شارف	1	x	x	x	x	x	x
اختار	اختر	2	اخطار	1	x	x	x	x
الحساب	حسب	1	حسبه	1	حسيبه	1	x	x
المحاكمة	المحكمة	1	محقمة	1	x	x	x	x
انقضاء	اينقضاي	1	x	x	x	x	x	x
رأى	راع	1	x	x	x	x	x	x
للنظر	للنظار	1	x	x	x	x	x	x
النعمان	النعمن	1	النئمان	1	x	x	x	x
مكان	مكن	1	x	x	x	x	x	x
الأحراس	الأحرس	1	العحراس	1	الأحراز	1	أحرزا	1
سيرة	سرة	1	x	x	x	x	x	x
صار	سار	1	سر	1	x	x	x	x
الحروب	الهروب	1	x	x	x	x	x	x
الهروب	العروب	1	الحروب	1	الحرب	1	الحروف	1
سار	صار	2	سر	1	x	x	x	x
القصر	القسر	1	x	x	x	x	x	x

الاختبار الثاني :

تألف الاختبار الثاني من فقرتين وخمس جمل مستقلة، أمليت على الطلبة تباعا، وهي على الشكل التالي:

- كان الشيخ هرماً فانياً، فسعل سعالا خفيفاً، ثم سأل صاحبه سؤالاً سخيفاً.
- ربما حاق بالماكر ما حاك من كيد، لقد دق العـدو أبواب المدينة فدك حصو ا، ولكن قائد المدينة قرر أن يقاوم، فكرر النداء لجنوده بالمقاومة.
- كل صغير وكبير مستطر.
- تطلع الشمس من المشرق.
- استظل الرجل بظل الشجرة.
- استطلع الأمور واستشر من حولك.

هذا، ويكشف الجدول التالي والمرقوم بالعدد (2) عن الأخطاء التي سجلت عند الطلبة في هذا الاختبار :

جدول رقم (2)

الكلمة التي وقع ا الخطأ	الصور التي كتبت ا الكلمة وعدد الطلبة الذين سجلت عندهم							
	الصورة (أ)	العدد	الصورة (ب)	العدد	الصورة (جـ)	العدد	الصورة (د)	العدد
سعالاً	سئلاً	3	صعالاً	1	سوعلاً	1	x	x
صاحبه	صحبه	1	سحبه	1	x	x	x	x
الماكر	المكر	2	بلماقري	2	x	x	x	x
المقاومة	المقومة	2	بامكوم	1	x	x	x	x
مستطر	مصطتر	2	مسطتر	1	مسضطر	1	x	x
استظل	استزل	1	استذل	2	x	x	x	x
الشيخ	السيح	1	x	x	x	X	x	x
هرماً	حرماً	2	حرما	1	x	x	x	x
فسعل	فسأل	3	x	x	x	x	x	x
سؤالاً	صعالاً	1	x	x	x	x	x	x
كيد	كيض	1	قيت	1	x	x	x	x
قرر	كرر	2	فقرار	1	كرار	1	x	x
تطلع	تتلع	1	x	x	x	x	x	x
الشمس	السمس	1	x	x	x	X	x	x
المشرق	المسرق	1	x	x	x	x	x	x
الشجرة	السجرة	1	x	x	x	x	x	x

الأمور	العمور	2	x	x	x	x	x	x
فانيا	فنية	1	x	x	x	x	x	x
حاق	حق	2	x	x	x	x	x	x
حاك	حك	1	حق	1	x	x	x	x
فدك	فدق	1	x	x	x	x	x	x
يقاوم	يقوم	1	x	x	x	x	x	x
حصو ا	حسو ا	1	x	x	x	x	x	x
كرر	قرار	1	x	x	x	x	x	x
استطلع	اصطلع	1	اسطتلع	1	x	x	x	x
قائد	كائد	1	x	x	x	x	x	x
فظل	فزل	1	x	x	x	x	x	x

الاختبار الثالث:

تكون هذا الاختبار من فقرة واحدة، هي التالية:

دلّ الرجل سائلا على الطريق، فضل السائل، وقاده الضرب في الأرض إلى غير الدرب الذي يقصده، وحذره رجل من أنه ضل الطريق، فظل يخدع نفسه ولا يخضـع للنصيحة، وآثر أن يردى ولا يرضى بالاعتراف بخطئـه، ومشى يبتغي ضوء السراب، حتى أسلمته الأضواء إلـى الأدواء، وجلس في الصحراء لا يستطيع حراكاً، فمر به رجل رق له، فأراد أن يرفده وهو يرفضه، حـتى غلبـه الجوع، فلم يستطع الجمع بين الدلال والضلال، فأكـل، وهداه الرجل إلى الطريق الصحيح.

وبعد إملاء هذه الفقرة على الطلبة تبين أن الأخطاء السمعية لديهم كما يلي :

الكلمة التي وقع ا الخطأ	الصور التي كتبت ا الكلمة وعدد الطلبة الذين سجلت عندهم							
	الصورة (أ)	العدد	الصورة (ب)	العدد	الصورة (جـ)	العدد	الصورة (د)	العدد
يرفضه	يرفده	2	x	x	x	X	x	x
قاده	قده	2	قاضه	1	x	X	x	x
حذره	حزره	1	أذره	1	x	X	x	x
ظل	دل	2	ذل	1	x	X	x	x
يخضع	يخدع	2	x	x	x	X	x	x
السراب	الصراب	3	السرب	1	شراب	1	x	x

ضوء	دو	1	ضواء	1	دوع	1	x	x
الأضواء	أدواء	1	أضوع	1	أضواع	1	الأدواء	1
الصحراء	الصحر	1	صحراع	1	x	x	x	x
يستطيع	يستطع	1	يستطيعوا	1	x	x	x	x
فأراد	أردا	1	فأرض	1	فعراد	1	x	x
يرفده	يرفضه	4	x	x	x	x	x	x
الجوع	الجع	1	اجع	1	x	x	x	x
الدلال	الدلل	2	x	x	x	x	x	x
الضلال	الضلل	2	x	x	x	x	x	x
ضل	دل	1	x	x	x	x	x	x
يقصده	يقسده	2	يكصده	1	x	x	x	x
جلس	جالس	1	x	x	x	x	x	x
هداه	هده	2	حده	1	حداه	1	x	x
حذره	حزره	1	أذره	1	x	x	x	x
أنه	عنه	1	x	x	x	x	x	x
يخدع	يقضع	1	يخضع	2	x	x	x	x
آثر	عاثر	1	آسر	1	x	x	x	x
أن	عن	2	x	x	x	x	x	x
بالاعتراف	بالإتراف	1	x	x	x	x	x	x
مشى	مش	1	x	x	x	x	x	x
أسلمته	أصلمته	1	x	x	x	x	x	x
حراكا	حراقين	1	x	x	x	x	x	x
الضرب	الدرب	2	x	x	x	x	x	x
درب	ضرب	1	x	x	x	x	x	x
بخطئه	بخطعه	2	x	x	x	x	x	x
صحراء	الصحر	1	صحراع	1	x	x	x	x
النصيحة	النسيحت	1	x	x	x	x	x	x
الأدواء	العدو	1	الأضواء	1	x	x	x	x
رق	رك	1	x	x	x	x	x	x
فأكل	فأقل	1	x	x	x	x	x	x
الطريق	الطرق	1	x	x	x	x	x	x

تحليل الأخطاء ودراستها

نخلص من العـرض السـابق إلى أن الأخطـاء السمعية، عند الطلبة، تركزت في أصوات محددة، هي: /ء/، /ت/، /ث/، /ح/، /خ/، /د/، /ذ/، /ز/، /س/، /ش/، /ص/، /ض/، /ط/، /ظ/، /ع/، /ق/، /ك/ه، /و/، /ي/، /ا/، /ـُ/، /ـَ/، /ـِ/).

سنتاول بالدرس هذه الأصوات، محـاولين تحليـل الخطإ والكشف عن علة وقوعه.

- الهمزة /ء/، والعين /ع/:

لوحظ أن الهمزة سجلت عند طلبة عديدين على هيئة /ع/، كما في "عن" بدلا من "أن"، و"لجع" بـدلاً من "لجأ" ، و "عنه" بديلا عن "أنه"، و"صعالا" بـديلا عن "سؤالا"... وقد لوحظ مثل هذا الخطإ في دراسـات أخرى سابقة لهذه الدراسة [1].

من جهة أخرى، وبطريقة معكوسة، يميل الطلبة إلى تسجيل صوت العين على أنه همزة، وذلك بسبب فقـدان وجود مثل هذا الصوت في أنظمتهم الفنولوجية [2]. ينتج عن ذلك – بطبيعة الحال- خلط عنـد الطلبـة بـين الفونيمين (/ع/، /ء/)، وهذا ما يفسر حدوث الخطـإ السمعي في تمثل صوتي الهمزة والعين.

هذا، ويرى بعض الباحثين أن الخلط بين الصوتين عائد إلى النظام الكتابي العربي، والذي بسببه تتشابه الرموز الكتابية الخاصة بالهمزة والعين، فالهمزة كتابة هي رأس العين [3].

- الطاء/ط/، والتاء/ت/:

سجلت الطاء/ط/تاء [ت] كما في "تغية" بدلاً من "طاغية"، و"أصتو" بدلاً من "السطوة"، و"تتلع" بدلاً من "تطلع". وفي الجانب المقابل سجلت التاء/ت/طاء[ط]، كما في "اخطار" بدلاً من "اختار"، مما يشير إلى وجود خلط بين الصوتين:/ط/،/ت/، وهو يعود إلى عدم تمثل بعض المتعلمين لملمح التفخيم الذي يميز بين هذين الصوتين، مما يؤدي، في المحصلة النهائية، إلى إحداث تخالف فونيمي فونولوجي بين التاء/ت/ والطاء/ط/، وهو تخالف يقود إلى تغير المعنى، بحسب قوانين البنية الفنولوجية العربية.

من جانب آخر، فإن تسجيل التاء /ت/ طاء[ط] في كلمات من مثل: (مصطتر، مصططر، مسطتر) بدلاً من مستطر، وفي (اصطلع، اسطتلع) بدلاً من استطلع، لا يعود إلى ما تم بسطه في السطور السابقة، فحسب، بل إن الخلل في تمييز هذا الصوت في هذا النسق الصوتي، عائد إلى فشل الطلبة في الميز بين ألوفونات فونيم التاء /ت/، فألوفون التاء[ت] هنا هو طاء، من الناحية الفونتيكية الصرفة، ولكنه تاء/ت/ من الناحية الفنولوجية، وعليه فقد سجل المتلقون ما سمعوه حقاً، وعليه فإن الخطأ في تمييز هذا الألوفون لفونيم التاء عائد، بلا شك إلى الفشل في تمثل التنوعات الصوتية للفونيمات التي يجسدها النظام الفنولوجي العربي.

وكان بعض الباحثين قد أشاروا إلى تكرر وقوع مثل هذا الخطإ عند المتعلمين الأجانب عموماً [4]، غير أ م لم يأتوا بتفسير علمي ملائم لمثل هذه الظاهرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الفشل في تمثل المماثلة الفنولوجية في هذا النسق، لا يعود غالباً إلى عدم وجود فونيم التاء/ ت/، بل إلى عدم وجود ألوفون [ط] بوصفه تنوعاً لفونيم التاء/ت/ في اللغة الأم [5].

- الثاء/ث/:

تحقق هذا الصوت كتابة، عند بعض الطلبة سيناً كما في "أسناء"، بدلاً من "أثناء"، وقد لوحظ هذا الخطأ

عند الطلبة الأفارقة (الغانيين والغينيين) بينما خلت أوراق غيرهم منه.

وعند محاولة التقصي عن علة هذه الظاهرة، عند الطلبة الأفارقة تحديداً، تبين أ م يعرفون لغات أخرى، مثل الإنجليزية والفرنسية، معرفة جيدة، ويميزون صوت الثاء تماماً، في نصوص تلك اللغات على المستويين النطقي والسمعي. وإلى ذلك فلم نقف على تعليل لغوي يفسر هذه الظاهرة عندهم، غير وجود تقارب مخرجي بين صوتي الثاء، البين أسنانية، وصوت السين، الأسنانية [6].

وقد أعاد بعض الباحثين وجود هذه الظاهرة إلى كو ا أثراً من آثار اللهجة العامية المصرية، إما بسبب الإقامة في مصر، أو بسبب زمالة المصريين، أو تأثراً بوسائل الإعلام الناطقة باللهجة المصرية [7]. ومما يعضد ذلك أن فئة من الطلبة الأفارقة، الذين أجريت الدراسة عليهم، تلقوا دروسهم الأولى على أيدي مدرسين مصريين، حيث كانوا ينطقون الثاء في كل السياقات، وعليه، فقد نشأ عند هؤلاء الطلبة خلط بين الفونيمين/ث/،/س/، ومن ثم ظهر الخطأ في المستويين المنطوق والمسموع.

- الحاء/ح/:

وقد مُثل هذا الصوت خاء[خ]، عند بعض الطلبة، "خان" بدلاً من حان، ومثلت هاء[هـ] كما في الهروب بدلاً من الحروب، وعليه فإن فونيم الحاء /ح/ جُسد كتابة برمزي [خ] و[هـ].

وقد يعود هذا الفشل، في التمثل السماعي الاستقبالي لصوت الحاء [ح]، إلى فقدان هذا الصوت في لغة الطلبة الأم، وعليه، فإ م يميلون إلى نطق هذا الصوت على هيئة تقربه من صوت ما في لغتهم الأم، وإذا كان الطالب يفعل ذلك على المستوى المنطوق، فهو صانع ذلك على المستوى المسموع أيضاً [8].

ومن جهة أخرى، فإن هذا الفشل في التمييز بين الحروف الحلقية يؤدي إلى خلط بعضها ببعض، نطقاً وسمعاً، فيشتبه عليهم تمثلها سماعاً [9].

- الخاء /خ/:

وقد سُجل هذا الصوت كتابة على هيئة[ح]، كما في "حان" بدلاً من "خان"، و"الحسف" بدلاً من "الخسف"، و"حول" بدلاً من "خول"، و"السيح" بدلاً من " الشيخ"، وقد تم تسجيل الملاحظة نفسها في دراسات أخرى غير هذه الدراسة [10].

وينطبق على هذه الظاهرة ما قدمناه في تفسير تمثل صوت الحاء/ح/ سماعياً على أنه خاء، فقد يصعب على بعض الطلبة، خاصة من ذوي الأصول اللغوية الهندوأوروبية، أن ينطقوا هذه الأصوات على نحو قريب من أصوات مألوفة في لغا م، وعليه، فالطلبة يميلون إلى خلط بعضها ببعض، فتشتبه عليهم نطقاً وسماعاً [11].

- الدال/د/، والضاد/ض/:

سُجل صوت/د/ كتابة على هيئة[ض]، كما في "قاضة" بدلاً من "قادة"، و"فأراض" بدلاً من " فأراد، و"يرفضه" بدلاً من "يرفده"، و"يخضع" بدلاً من "يخدع"، و"كيض" بدلاً من "كيد". وفي الجانب المقابل سجلت الضاد/ض/ عند بعض الطلبة دالا/د/ كتابة، كما في "يخدع" بدلاً من "يخضع"، و"دوء" بدلاً من "ضوء"، والأدواء" بدلاً من "الأضواء"، و"دل" بدلاً من "ضل".

وعليه، فالطلبة يخلطون سماعياً بين صوتي الضاد/ض/ والدال/د/. وهذا الخلط ناتج، مرة أخرى ، عن الفشل في تمثل النظام الفنولوجي العربي، الذي يميز بين الصوتين عن طريق ملمح "التفخيم"؛ فالضاد هي النظير المفخم للدال، وقد يكون الفشل ناجماً عن عدم وجود مثل هذا التخالف الفنولوجي في اللغة الأم بالنسبة للطالب. وبمعنى آخر، فإن ملمح التفخيم- إن وجد ضمن تنوعات فونيم الدال/د/ في لغة الطالب الأم- فإنه لا يوظف فونولوجيا؛ أي لا يجعل الصوت الناشيء عن تفخيم الدال فونيماً مستقلاً متميزاً.

- الذال /ذ/، والظاء/ظ/:

لوحظ أن الطلبة يخلطون سماعياً بين صوتي الذال /ذ/، والظاء/ظ/. فقد سجلت الذال/ذ/ كتابياً [ظ]، كما في "ظبيانياً" بدلاً من "ذبيانياً، و"ذليل" بدلاً من "ظليل"، في حين سجلت الظاء/ظ/ ذالا [ذ]، كما في " ذبيانياً" بدلاً من "ظبيانياً".

إن القول هنا لا يختلف عما قلناه بشأن الضاد والدال، إذ إن الطلبة فشلوا في تمثل النظام الفونولوجي العربي الذي يميز بين صوتي الظاء /ظ/ والذال /ذ/ بواسطة ملمح التفخيم.

من جهة أخرى، سجل صوت الذال/ذ/ كتابياً على هيئة زاي [ز]، كما في "زبيانياً" بدلا من "ذبيانياً"، و"حزره" بدلاً من "حذره، وعلى هيئة دال [د]، كما في "دليل" بدلاً من "ذليل"، و"دم" و"دام" بدلاً من "ذم".

أما فيما يتعلق بتمثل الذال زايا /ز/ فقد يكون ناجماً-كما سبق الإشارة إليه عند عرض صوت الثاء- عن أن بعض الطلبة الأفارقة قد تلقوا تعليمهم على أيدي مدرسين مصريين، أو على أيدي مدرسين درسوا في مصر، ومن ثم فهم تعلموا نطق الذال زايا، ومن هنا ينجم الخطأ في تمثل هذا الفونيم؛ أي أن الخطأ هنا ناتج عن سبب خارجي غير لغوي.

أما فيما يتعلق بتسجيل الذال/ذ/ دالا [د]، فقد لا يكون -بحسب ما نرى- خطأ سمعياً، بل هو خطأ كتابي عائد إلى نظام الخط العربي الذي يميز بين الجرافيمين [ذ] و[د] بواسطة النقطة فقط، وعليه، فقد يقع مثل هذا الخطأ- على قلته- عند طلبة لم يتمكنوا جيداً من النظام الرموزي الكتابي في العربية.

وفي مقابل ذلك، سُجل الظاء /ظ/، زايا [ز]، كما في "زبيانيا"، بدلاً من "ظبيانيا"، و"استزل" بدلا من "استظل"، وكما سبق القول في أضراب هذه الظاهرة، فإن الخطأ هنا ينجم عن عامل خارجي لا لغوي؛ أي بسبب تعلم النطق على يد مصريين، أو في بيئات مصرية، وبمعنى آخر، نشأت هذه الظاهرة بأثر من العاميات العربية.

- الزاي /ز/:

سجلت الزاي [س]، كما في "الأحراس" و"الهراس" بدلاً من "الأحراز"، و"أسرار" بدلاً من "أزرار".

ومن الناحية الفنولوجية، فإن التخالف بين صوتي الزاي /ز/ والسين /س/، يكمن في الملمح التمييزي "الجهر"، فالزاي هي النظير المجهور للسين. وهو ما تم توظيفه في النظام الفنولوجي العربي لجعل السين المجهورة/ز/ فونيما آخر يؤدي إلى تغير المعنى، كما في سار، زار...، فلمح الجهر هنا، وهو ملمح تمييزي أدى إلى التخالف الدلالي بين الكلمتين، وهو أمر فَشل بعض المتعلمين الأجانب في تمثله،

وربما يكمن السبب في ذلك إلى عدم وجود مثل هذا التمييز الفنولوجي الفونيمي بين /ز/، و/س/ في لغة المتعلم الأم.

ومما يؤكد الفشل في تمثل هذا الجانب الفنولوجي، أن بعض الطلبة قد سجلوا صوت السين/س/ على هيئة[ز]، كما في "الأحراز" و"أحرزا "بدلا من الأحراس.

- السين/س/، والصاد/ص/:

لوحظ في الاختبارات الثلاثة التي أجريت، أن الطلبة يخلطون وبكثرة بين صوتي/س/، /ص/، كما في تدوين السين/س/صادا [ص] في "أصتو" و"الصطوة" بدلا من "السطوة"، و"صام" بدلا من "سام"، و"الصيف" بدلاً من "السيف"، و"صار" بدلاً من "سار"، و"الصراب" بدلا من "السراب"،و"مصطتر" بدلا من "مستطر". وفي الجانب المقابل، سجلت الصاد/ص/ سينا [س]، كما في "يسل" بدلا من "يصل"، و"سام"" بدلا من "صام"، و"سار" بدلا من "صار"، و"القسر" بدلا من "القصر"، و"النسيحت" بدلا من "النصيحة"، و"حسو ا" بدلا من "حصو ا"؛ ولقد لوحظ تكرر مثل هذا الخطإ في دراسات أخرى أجريت على متعلمي العربية من الناطقين بغيرها [12].

إن هذا الخلط بين الصوتين/س/، و/ص/ عائد إلى التشابه القوي بينهما[13]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نطق الأصوات المطبقة يشكل صعوبة بالنسبة للأوروبيين خاصة، إذ يحتاج نطقها إلى مجهود أكبر يتمثل بتقعر اللسان وتراجعه إلى الخلف [14].

وهذه الصعوبة في نطق الصوت المطبق/ص/ تعود إلى كون سمة التفخيم في صوت /س/ مفقودة في اللغات الأوروبية خاصة، وفي كثير من اللغات [15]، ثم إن هذا الملمح (التفخيم) إن وجد فإنه لا يوظف فنولوجيا من أجل إحداث تغير فونيمي.

وعليه، فالطلبة يميلون في نطق صوت الصاد إلى سلب هذا الصوت ملمح الإطباق [16]، ولذا تصبح عندهم الصاد سيناً، ومن ثم فإن تمثل السين صاداً- في الاتجاه المعاكس- ينجم عن هذا الخلط بين الصوتين، وعدم الوقوف على الإدراك الحقيقي للملح التخالفي بينهما.

إن مثل هذا التحليل، وإن كان يفسر الخلط بين الصوتين/س/، /ص/، فإنه لا ينجح في تفسير تسجيل الطلبة لصوت السين /س/ على أنه صاد[ص]، كما في الكلمتين (السطوة، مستطر)، فالحال هنا جد مختلف؛ إن السين/س/ هنا هي [ص] من الناحية الفونتيكية الأكوستيكية، فهي تنوع ألوفوني لفونيم السين /س/، وملمح التفخيم في السين/س/ هنا لا يوظف فونولوجياً، بل يتم إهماله، باعتباره عنصراً غير تمييزي في مثل هذه الأنساق الصوتية في البنية الفنولوجية العربية.

- الشين/ش/، والسين/س/:

لوحظ وجود خلط عند الطلبة بين صوتي السين /س/، والشين/ش/، فقد سجلت الشين سينا، كما في: (السيح، السمس، المسرق، السجرة) بدلاً من (الشيخ، الشمس، المشرق، الشجرة)، وفي المقابل سجلت السين شيناً في كلمة يتيمة هي: (شراب) بدلاً من "السراب"، غير أن هذه الظاهرة لم ُيلحظ ورودها إلاّ عند الطلبة الأفارقة (أي ظاهرة الخلط بين السين والشين)، وهي ملاحظة سجلت في دراسة أخرى [17].

ولا نستطيع الآن أن نقدم تحليلاً لغوياً يفسر حدوث مثل هذه الظاهرة، إذ يتطلب الأمر الوقوف على البنية اللغوية الفنولوجية لبعض اللغات الأفريقية.

من جهة أخرى، قد يسهم نظام الكتابة العربي في إحداث مثل هذا الخلط بين الصوتين:/س/،/ش/، نتيجة للخلط الكتابي بين الجرافيمين[س] و[ش] في إطار العملية القرائية والنطقية، فالجرافيمان [س] و[ش] لا يميز بينهما سوى التنقيط.

- القاف /ق/ والكاف/ك/:

بحسب الاختبارات الثلاثة التي أجريت، لوحظ أن صوت القاف سجل على هيئة[ك]، كما في "الكسر" بدلاً من "القسر"، و"المحقمة" بدلاً من "المحاكمة"، و"يكصده" بدلاً من " يقصده"، و"رك" بدلاً من "رق"، و"مكوم" بدلاً من المقاومة". وفي المقابل سجلت الكاف/ك/ على هيئة/ق/، كما في "حراقين" بدلاً من "حراكا"، و"فأقل" بدلاً من "فأكل"، و"ماقري" بدلاً من "ماكر"، و"قيت" بدلاً من "كيد".

إن صوت القاف/ق/ هو صوت غريب بالنسبة للمتعلمين الأوروبيين والأفارقة، ومن ثم فهم يميلون إلى تقريبه نطقاً إلى صوت يقاربه مخرجياً في لغتهم الأم، هذا الصوت هو صوت الكاف /ك/، وينجم عن هذا الخطإ النطقي، خطأ في تمثل هذا الصوت سماعياً.

وهذا الخطأ في التمثل النطقي السماعي يقود المتعلمين إلى الخلط بين الصوتين في بعض السياقات اللغوية، وهو ما يفسر الحالة الموصوفة أعلاه.

- الهاء/هـ/:

سُجل هذا الصوت كتابة على هيئات مختلفة، فقد سجل على هيئة[ح]، كمافي"حان" بدلاً من "هان"، و"رحن" بدلاً من "رهن"، و"الحول" بدلاً من "الهول"، و"حداه" بدلاً من "هداه"، وقد سجل على هيئة [خ]، كما في "خان" بدلاً من "هان"، وسجل على هيئة [ع]، كما في "العروب" بدلاً من "الهروب".

إن الخطأ في تمثل هذا الصوت، ينجم عن الخلط العام بين حروف الحلق على المستويين، المنطوق والمسموع، عند متعلمي العربية من الناطقين بغيرها [18].

الحركات الطويلة والقصيرة:

بعد معاينة ما سجله الطلبة، بخصوص الحركات الطويلة والقصيرة في العربية، لوحظ أن بعض هؤلاء الطلبة لا يميزون على نحو جيد بين الحركات الطويلة والقصيرة، فقد سجلت الحركات القصيرة حركات طويلة، كما في "يصيل" بدلاً من "يصل"، و "جمعا" بدلاً من "جمع"، و"الحاكمو" بدلاً من "الحاكم"، و"شارف" بدلاً من "شرف"... من جهة أخرى، سجل بعض الطلبة الحركات الطويلة حركات قصيرة، كما في "قده" بدلاً من "قاده"، و"السرب" بدلاً من"السراب"، و"الدلل" بدلاً من "الدلال"، و"صحبه" بدلاً من صاحبه، و"يقوم" بدلاً من "يقاوم"... وهكذا.

وقد سجلت مثل هذه الأخطاء في دراسات أخرى سابقة لهذه الدراسة [19]، ويفسر روبرت لادو هذا الأمر بكون التقابل الفونيمي بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة غير موجود في لغة المتعلم الأم، كما هو الحال في العربية. وبمعنى آخر، إن التمييز بين الصوائت في لغة المتعلم الأم هو كيفي لا كمي كما هو في العربية [20].

إن مد الحركات في العربية له دور فونولوجي [21]، والمتعلمون الأجانب لا يدركون تماماً مثل هذا الدور،

لأنهم يتعاملون مع هذه الحركات العربية بالغربال الفنولوجي الذي اكتسبوه من لغتهم الأم، ولذلك فهم لا يميزون جيداً بين كلمتين من مثل: "كتب" و"كاتب" على المستويين المسموع والمنطوق معاً [22]، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن فقدان التمييز يعود إلى عدم تمثل النظام الفونولوجي العربي الذي يميز بين الحركات الطويلة والقصيرة عن طريق فونيم فوق تركيبـي، هو فونيم الطول (length)، وهو الفونيم الذي يقع على الحركات القصيرة، فيؤدي إلى تغير المعنى، ومن ثم تصبح الحركات الطويلة فونيمات مستقلة في العربية، وليست مجرد تنوعات ألوفونية لفونيم معين، كما هو الحال في كثير من اللغات [23].

وبعد، فهذه أهم الأخطاء التي سجلت عند الطلبة، وقد حاولنا، في ما سبق من صفحات، أن نقدم تحليلاً لغوياً يفسر وقوع مثل هذه الأخطاء.

وعليه، فإن الأمر بحاجة للبحث عن حلول توظف في عملية تعليم اللغة وتعلمها، لتسهم في تجنيب الطلبة الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

إن النظام الصوتي (بجانبيه السمعي والنطقي) يعمل كعادات آلية، أو شبه آلية، ولذلك ليس من السهل تغيير شيء منه، إذ إن هناك قوة بالغة تحكم فونيمات اللغة من حيث تعقيدها التقابلي... ولذلك يصعب على من يتعلم لغة ثانية، غير لغته، أن يسمع بسهولة أصواتاً غير أصوات لغته [24].

وعليه، فإن معالجة المشكلة لا بد أن تنبع أولاً من الدراسات الصوتية الحديثة، وما يمكن أن تقدمه من إسهامات في نظرية تعليم اللغة. لقد توضح لنا في الصفحات السابقة أن الصوتيات الحديثة قدمت خدمة جليلة لنظرية تعليم اللغة عن طريق تطبيق فكرة التقابل اللغوي، وهو طريق الإفادة من معطيات نظرية الفونيم. [25]

إن من مسلمات الصوتيات الحديثة، أن أي إنسان يريد أن يتعلم كيف ينطق أصوات لغة أجنبية، لا بد له من أن يكتسب - أولاً- القدرة على العادات النطقية الجديدة، وأن يعود نفسه على نطق الأصوات الأجنبية كما ينطقها أبناء اللغة نفسها، وأن يقلع عن احتفاظه بعاداته النطقية أثناء تعلمه اللغة، ولا يكفيه أن يتعلم الأصوات الغريبة فقط، بل لا بد أن يتعلم النظام النطقي كله، بما في ذلك النبر والتنغيم، والأمر في ذلك ليس أمر مشكلات صوتية جزئية، وإنما أمر تمثل لنظام فنولوجي مختلف [26].

ولتيسير تمثل النظام الفنولوجي للغة الأجنبية، تستعين الصوتيات الحديثة بأمرين [27]:

أ- استخدام الأبجدية الصوتية الدولية في الكتابة، وهي أبجدية تمثل الصوت المنطوق خير تمثيل وتضع لكل صوت رمزاً واحداً.

ب- استخدام الأجهزة الحديثة، وبخاصة الوسائل السمعية والبصرية المتعددة، للتدريب على النطق والسمع السليمين.

ومن الملاحظ أن معالجة مشكلات السمع مرتبطة، على نحو أساس، بمعالجة مشكلات النطق. وهذا أمر، لا شك أنه مستفاد من الدراسات الصوتية الحديثة التي تربط العمليتين (السمعية والنطقية) معاً.

وانطلاقاً مما سبق عرضه، فإن معلم اللغة الثانية ينبغي له أن يكون على دراية بالدراسات والقواعد الصوتية

الحديثة، وأن يكون قادراً على نسبة ما يسمع إلى الكيفية النطقية المعينة، وأن يكتشف الخطأ في نطق المتعلم، ويوجهه إلى النطق السليم بطريقة علمية [28]. وهو أمر لا يتوفر في حالات كثيرة.

من جهة أخرى، فإن المادة التعليمية، التي تقدم للطلبة، لا بد أن تكون مبنية على آخر ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة من نتائج ومعطيات؛ ومن أهم ما تدعو إليه الصوتيات الحديثة، في عملية وضع المقررات الدراسية، ما يلي:

أ- تراعى في عملية تدريس الأصوات العربية مسألة التسلسل، من ما هو مألوف إلى ما هو غير مألوف؛ بمعنى أن تقدم الأصوات التي يألفها الطلبة أولاً (ب،ف،ل،م) والتي يكثر تواردها في اللغات الأجنبية، ثم تساق الأصوات غير المألوفة شيئاً بعد شيء [29].

ب- أن يتضمن المحتوى التعليمي تدريبات مستمرة على التمييز بين أشكال الحروف الكتابية، وبين ما تمثله من أصوات منطوقة، وتتم تدريبات التمييز بين الأصوات اعتماداً على الثنائيات الصغرى والتقابلات بين تلك الأصوات [30]. فيقدم المحتوى التعليمي تدريبات تتعلق باستخدام حجرات الرنين الثلاث بتوازن، وهي: (الحلق، الفم، تجويف الأنف)، وأن يقدم أيضاً تدريبات على جهر الصوت وهمسه عن طريق تحريك الوترين الصوتيين (وعدم تحريكهما) مع الاستفادة من عرض الأصوات ذات التقابل ا لهور والمهموس، ويقدم المحتوى أيضاً تدريبات متصلة على نطق الأصوات المفخمة والمرققة، وعلى نطق الحركات القصيرة والطويلة مع تبيين التمايز في المعنى بينهما.

ج- يجب أن تُقدم الأصوات الصعبة في أنسب جوار صوتي يساعد على سماعها ونطقها، مثال ذلك: تقديم العين بين حرفين مجهورين غير حلقيين، نحو: "بعد"، وتقديم الحاء بين حرفين مهموسين غير حلقيين، نحو: "تحت"، والابتعاد عن تقديم الصوت في جوار صوتي غير مناسب في بدايات التدريس، مثل "عهد" [31].

د- إن عجز المتعلم، للغة أجنبية، عن إدراك أصوات تلك اللغة سماعاً، أخطر من عجزه عن نطقها[32]، وعليه فإن المادة التعليمية يجب أن تتضمن تدريبات سمعية مكثفة واختبارات الاستيعاب الشفاهي؛ أي قياس قابلية المتعلم على سماع الكلمة المناسبة، وبمعنى آخر، قياس قابلية التمييز الصحيح بين ما ينطق من الكلمات، والكلمات التي يظن المتعلم أ ا نطقت [33].

هـ- ينادي كثير من علماء اللغة المعاصرين بضرورة تأليف كتب ومواد تعليمية مختلفة باختلاف الطلبة المتعلمين [34]، وعليه فإن ذلك ينسحب على ما يقدم من مادة تعليمية في مجال الأصوات، ومن ثم فإن المواد التعليمية المختلفة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات والتشا ات بين البنيتين الفنولوجيتين، فتركز على مواقع الصعوبة؛ فقد اتضح لنا أن أخطاء الطلبة، في كثير من الأحيان، تختلف باختلاف اللغة الأم، ومن ثم فإن المحتوى التعليمي في مجال الأصوات، ينبغي أن ينبني على دراسات علمية تقابلية بين اللغتين.

و- إذا كان المنهاج الدراسي أكبر من المحتوى (المقرر)، فإن مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يجب

أن تتضمن نشاطات أخرى مساندة للمقرر الدراسي من مثل [35]:

1. التدريب المعملي المتواصل في حضور المدرس وغيابه.
2. الاستعانة بالرسوم التخطيطية لمخارج الأصوات.
3. الاستعانة بالأشرطة المصورة لخروج الأصوات.
4. التزام المدرسين التكلم بالعربية الفصحى في تدريسهم ومناقشا م للطلبة.
5. بيان وجوه الفرق بين العامية والفصحى.
6. تعويد الطلاب على متابعة برامج الفصحى الإذاعية.
7. تعويدهم قراءة الجرائد وا للات والدوريات، ويمكن إصدار جرائد خاصة في هذا الشأن.
8. حث الطلاب على حفظ النصوص الأدبية الراقية.

وبعد، فهذه محاولة جادة للوقوف على أخطاء الطلبة في المستوى السمعي، وصفاً وتحليلاً وعلاجاً، وقد حاولنا جهدنا أن نقدم دراسة علمية لهذه القضايا الهامة المتعلقة بتعليم العربية وتعلمها.

الهوامش

1- علي الخطيب، بحث ميداني في الدراسات التقابلية، ص 59.
2- عز الدين الدوب، ص: 49-50.
3- علي الخطيب، تجربة الأزهر، ص: 66.
4- علي الخطيب، بحث ميداني في الدراسات التقابلية، ص: 36.
5- روبرت لادو، كيف نقارن بين نظامين، ص: 20.
6- عز الدين الدوب، ص:49.
7- محمد منصف عبد الله، الأخطاء اللغوية، ص: 35.
8- عز الدين الدوب، ص:40.
9- المصدر نفسه، ص 49.
10- علي الخطيب، بحث ميداني في الدراسات التقابلية، ص: 64
11- عز الدين الدوب، ص: 49-50.
12- محمد منصف عبد الله، الأخطاء اللغوية، ص: 34.
13- أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية، ص: 89
14- محمد منصف عبد الله، الأخطاء اللغوية، ص: 34.
15- عز الدين الدوب، ص: 42.
16- سليمان ياقوت، في علم اللغة التقابلي، ص: 19.
17- علي الخطيب، بحث ميداني في الدراسات التقابلية، ص: 62.
18- عز الدين الدوب، ص: 49-50.
19- المصدر نفسه، ص: 52. ومحمد منصف عبد الله، ص: 34-35.
20- روبرت لادو، ص: 25.
21- عز الدين الدوب، ص: 45.
22- المصدر نفسه، ص: 51-52.
23- في شأن فونيم الطول الفوق تركيـــي ودوره في نظام الحركات العربية. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص197.
24- روبرت لادو، المصدر السابق، ص: 15-16.
25- تمام حسان عمر، جدوى استعمال التقابل اللغوي، ص: 76-77.
26- أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب، ص 83-84.
27- المصدر نفسه، ص: 84. وانظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 350.
28- أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية، ص: 84.
29- علي الخطيب، تجربة الأزهر، ص: 65.
30- محمد منصف عبد الله، الأخطاء اللغوية، ص: 37-38.
31- عز الدين الدوب، ص:53- 54.
32- المصدر نفسه، ص: 53-54.
33- رعد أحمد محمد، الاستيعاب الشفهي، ص: 16.
34- محمود إسماعيل صيني، دراسة في طرائق تعلم اللغات الأجنبية، ص: 152.
35- محمد منصف عبد الله، الأخطاء اللغوية، ص: 37-38.

المراجــــع

1. أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1985م.
2. أحمد مختار عمر، **الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب**، ج 1، المادة اللغوية، المدينة المنورة، 1401، وقائع ندوة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين ا.
3. تمام حسان عمر، **جدوى استعمال التقابل** في **تعليم اللغة العربية لغير أبنائها**، وقائع ندوات تعليم العربية، ج 2، المدينة المنورة، 1401، مكتب التربية لدول الخليج العربي.
4. رعد أحمد محمد، **اختبارات الاستيعاب الشفهي**، وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين ا، ج 2، المدينة المنورة، مكتب التربية لدول الخليج العربي.
5. روبرت لادو، **كيف نقارن** بين **نظامين صوتيين**، بحث مستل من كتاب محمود إسماعيل صيني، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، الرياض، 1982، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود.
6. سليمان ياقوت، في **علم اللغة التقابلي**، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.
7. عز الدين الدوب، في **إصلاح نطق العربية لغير الناطقين ا**، حوليات الجامعة التونسية.

التواصل الكتابي بالعربية عبر الحاسوب: سمات، ودلالات

د. عادل الشيخ عبد الله أحمد (*)

ملخص

لطفرة الاتصالات الحديثة أثر واضح في الاستخدام اللغوي. ولقد ذهب بعض اللغويين إلى الزعم بأن الدور الذي تؤديه ثورة الاتصالات في التغيير اللغوي شبيه بما أحدثه اكتشاف الحرف، واكتشاف الطباعة. ويستشهدون على ذلك بأن اللغة الإنجليزية، ذات السيادة في عالم تقنية المعلومات، شابتها تغييرات لغوية كثيرة تنذر بأن تحيلها إلى تنوعات لغوية عديدة. ولئن كان هذا مآل اللغة الإنجليزية، فما مدى هذا التأثير على العربية المستخدمة في الحاسوب؟ إجابة عن هذا التساؤل خطّط هذا البحث الذي يهدف إلى تحليل لغة التواصل بالعربية عبر الحاسوب، مظهراً ودلالة. وذلك لتجلية أهم المظاهر اللغوية التي تمتاز ا العربية المستخدمة في هذا الضرب من الاتصال، ثم سبر دلالة ذلك الاستخدام اللغوي بعدئذ. وذلك بغية تقديم مساهمة تطّور ا لغة الاتصال في الحاسوب. وتستخدم الدراسة في ذلك المنهج التحليلي الاستقرائي، وتنتخب مادة التحليل عشوائياً من المنتديات العامة.

1- تقديم

لغة التواصل مصدر على وزن "التفاعل". وأصله الفعل الثلاثي "وصلَ" الذي يعني خلاف الهجران. ومن المعاني ذات الصلة به التي جاءت في اللسان: التواصل ضد التصارم (الانقطاع). وجاء أيضاً كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة [1].

ومصطلح الاتصال عامةً عرف "بأنه عملية نفسية اجتماعية قائمة على تبادل الرموز بين طرفين دف تحقيق آثار محددة" [2]. وقد شاع هذا المصطلح في الأوساط العلمية مرادفاً للتواصل. بيد أن الباحث آثر التواصل؛ لأنه حدث يدل على التفاعل والتشارك، خلاف الاتصال الذي ربما يكون من جهة واحدة. وذلك شبيه، مبنى ودلالة، بالمصدر" تحاور" الذي ورد في القرآن في قوله تعالى: { قَد سمع الله قَولَ التي تجادلُك في زوجِها وتشتكي إلَى الله والله يسمع تحاوركُما إن الله سميع بصير } (ا ادلة: الآية1)، ولعلة الشبه هذه أُوثرت هنا كلمة " تواصل ". ولم تختر كلمة تحاور ذا ا؛ لأن التحاور كلام يكون بين شخصين، ويتم بتكافؤ وهدوء، ولا يشترط ذلك في التواصل.

أما مصطلح التواصل عبر وسائط الحاسوب (Computer Mediated Communication)فيعرف بأنه: " أي شكل من أشكال التواصل يحدث بين شخصين يتفاعلان ويؤثران في بعضهما، أو يكون بين جماعة يتفاعلون ويؤثر كل منهم في الآخر. ويحدث ذلك الاتصال عبر أجهزة حاسوب منفصلة "[3]. وتصفه بارون (Baron)

(*) أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدا ا – الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيـا

بأنه: " أي تراسل لغوي عادي يرسل، ويستقبل عبر الوسائط الحاسوبية"[(4)]، بينما يراه جون ديسمبر John) December):"عملية تواصل إنساني عبر الحواسيب، تقتضي وجود أناس في سياقات خاصة، يسهمون معاً في تفعيل أجهزة الإعلام بغية تحقيق أغراض شتى"[(5)]. ورغم أن المقصود به أصلاً التواصل الكتابي والصوتي العاديين عبر الحاسوب فقط، إلا أن العرف أجاز إدخال الاتصال عبر الوسائط الأخرى التي تقوم على تقنيات حاسوبية مثل: البريد الإلكتروني، والمؤتمرات عبر الحاسوب، والرسائل القصيرة التي ترسل عبر الهواتف السيارة المعروفة اختصاراً بـ sms .

يصنف الاستخدام اللغوي للعربية في الإنترنت إلى خطاب رسمي، وآخر غير رسمي. ويقْصد بالخطاب الرسمي ذلك المستخدم في قضاء أعمال مكتبية، أو في قضاء أوطار ذات صلة بالأعمال الرسمية. ويقصد بالثاني ذلك الخطاب الذي يستعمل في قضاء أوطار شخصية. وتندرج تحت الأخير الإخوانيات، وتلك الرسائل الأخرى التي يبدي فيها المرء رأياً. كما تنضوي تحتها الرسائل الأخرى الأقل أهمية كالمفاكهات التي يراد ا تزجية الفراغ، والتسلية فقط.

يتميز الاتصال عبر الحاسوب بمزايا عدة، منها: أن المتواصلين قد يكونون متعارفين، أو متناكرين. ويمتاز هذا الضرب من الاتصال بخصائص أخرى وفر ا التقنية العالية. من ذلك السرعة الفائقة، وازدواج الاتصال؛ إذ منه ما يكون مكتوباً مقروءاً، أو منطوقاً مسموعاً، ومنه ما يجمع كل أنواع الاتصال في آن واحد، ومثال ذلك غرف الحوار التي تمكن من استخدام كل وسائل الاتصال. وقد أتاحت هذه الخصيصة المزدوجة التفاعل الحي بين المرسل والمستقبل لدرجة تكاد أن تقارب المشافهة (verbal communication). وهذه المزايا تكاد تتفوق على كل أنظمة الاتصال الكتابي الأخرى؛ إذ إن هذا النوع من الاتصال، حفز المحجمين عن الكتابة أو الكلام في الأوساط الاجتماعية -كالفصول الدراسية مثلاً- على أن يبرزوا قدرا م؛ لأ ا يئ بيئة غير مثيرة للقلق والخوف اللذين يعاني منهما أولئك المحجمون، وتمنعهم من المشاركة.

ليس غريباً بعد أن أضحت هذه الطفرة العملاقة في الاتصال من العوامل المؤثرة في الفكر اللغوي؛ إذ أحدثت تغييراً كبيراً -يكاد يكون انقلاباً- تماماً كالذي أحدثته الكتابة ووسائل الطباعة، ووسائل الاتصال الأخرى من إعلام مرئي أو مسموع. فلا غرو أن جعلها الموسى ثالثة ثلاث ثورات مؤثرة في تاريخ الاتصال. وهي عنده على التوالي: اختراع الحرف، ثم اختراع المطبعة، فالثورة الإلكترونية.

إن كل واحد من هذه الأحداث يعد ثورةً لما أحدثه من تغييرات على كل المستويات الإنسانية[(6)]، ومن بينها اللغة. وفي ذلك يرى كريستال Crystal) (2002 أن سمات لغة الاتصال عبر الحاسوب مخالفة تماماً لما سبق، بحيث يمكن أن يطلق عليها ثورة لغوية. وهي في رأيه ثورة، لما ابتدعته من مظاهر لغوية جديدة، جمعت فيها بين المحادثة وأسلوب الكتابة. ولذا، فإن جل الباحثين الذين نظروا في هذه الظاهرة، أقروا بأن اللغة المستخدمة في التواصل عبر الإنترنت تختلف، شكلاً ومضموناً، عن تلك التي تستخدم في أنظمة الاتصال الأخرى، ولأجل هذا المزج، الذي ما عهد له نظير من قبل، أطلق عليها بعضهم (Net speak)، ويترجم ذلك حرفياً بـ (كلام الشبكة) التي تعد لغة جديدة [(7)].

وذهب البعض إلى نعتها بأ ا تنوع لغوي جديد[8]. وذهبت بارون (Baron)إلى القول بأن معظم مستخدمي الإنترنت يعتقدون أن لغة الحاسوب ما هي إلا لغة أقرب إلى لغة الكلام[9].وأطلق عليها أحياناً مصطلح[10] (funky language) . وعدها بعضهم بأ ا لغة أشبه بلغة المذكرات (taking notes)[11].

يعد منتصف السبعينات بداية البحث في مجالات تطبيق التواصل عبر الحاسوب في الاتصالات الحكومية. وبدأ البحث في تأثيرها النفسي في منتصف الثمانينات، أما النظر في استخدامها التربوي، واللغوي، والثقافي، فقد بدأ متأخراً، وتحديداً في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات [12]. وما أحدثته هذه الثورة الاتصالية الجديدة من واقع لغوي جديد، لم يحظ باهتمام بحثي مناسب. وجل الدراسات التي أجريت كان على اللغة الإنجليزية، ذات السيادة الطاغية في حقل الحاسوب، وليس غريباً - نتيجة لهذه السيادة- أن أطلق البعض على الإنترنت الشبكة الإنجليزية (the English net) [13]. أما البحث في اللغات الأخرى، وخاصة تلك التي تكتب بغير الحرف اللاتيني، فقد حظيت بقليل من الاهتمام. من ذلك البحث في اللغات: اليابانية[14]، والكورية[15]، والصينية، والعربية.

لقد أوضحت تلك الدراسات أن كثيراً من التغييرات قد حدثت في اللغات التي يتواصل ا عبر الإنترنت. وبرهان ذلك أن اللغة الإنجليزية، التي تعتبر أكثر اللغات استخداماً في دنيا الإنترنت، قد شا ا كثير من التغيرات الدلالية، والصرفية، والتركيبية؛ مما أوحى بأن اللغة الإنجليزية دخلت ما يشبه المخاض بميلاد لغة جديدة. الأمر الذي حدا ببعض الأوساط العلمية أن تقر به.

شاهد ذلك أن النسخة الجديدة من معجم أكسفورد حوت بعضا من الأيقونات والاختصارات المستعملة في لغة الاتصال عبر الحاسوب. من ذلك: BBLR التي تقوم اختصاراً لـ be back later، و HAND التي تقوم مقام have a nice day.. ومن التعبيرات المشهورة التي ضمنت في ذلك المعجم:

:) (happy),: ((sad) and ;) (cheeky). . ويبرر ناشرو معجم أكسفورد ذلك قائلين: "إن أثر message speak (text msg spk) في اللغة قد أضحى بائناً؛ مما يضطرنا إلى أن نتعامل معه كجزء من اللغة الإنجليزية " [16]

إن البحث في العربية عبر الحاسوب نادر. ولم يقف الباحث إلا على دراستين مكتوبتين باللغة الإنجليزية. قام بالأولى كل من: فاوشر، وغادة، وأيمن، عن عولمة اللغة والهوية في مصر[17].

وصل الباحثون في هذه الدراسة إلى أن 54% من مرتادي الإنترنت في مصر، يستخدمون العامية المصرية، المرسومة بالحرف اللاتيني، في البريد الإلكتروني غير الرسمي، وفي المحادثات. بينما يميل قليل منهم إلى استخدامها في البريد الرسمي. [18]

أما الدراسة الثانية التي قام ا ديفيد بالتقرمان، ومحمد الخليل[19]، فقد اهتمت بوصف بعض المظاهر اللغوية في نطاق إقليمي ضيق، وهو إقليم الخليج العربي، حيث تم اختيار عينة من الطلاب. ووجد الباحثان أن لجوء المتحاورين بالعربية إلى استخدام الرومنة فرضته قيود فنية تحول دون استخدام الحرف العربي. بيد أن الملاحظ أ م يستخدمون هذه الطريقة حتى في حالات انعدام هذه

القيود. كما أشارت الدراسة نفسها إلى أن المتحاورين يمزجون بين الإنجليزية والعربية، ويميل المتحاورون عامة إلى استخدام العامية.

تحاول هذه الدراسة أن تكون أعم وأشمل، من حيث العينة والمادة، التي تخضع للتحليل، إضافة إلى سعة مدى التحليل. فالدراسة تحلل التواصل الكتابي عبر الإنترنت، شكلاً ومضموناً، مع سبر دلالة ذلك لغوياً، ونفسياً، واجتماعياً. و ذا، فالدراسة تفوق الدراسات السابقة بشمولية وصف الظواهر اللغوية، ومعرفة أسباب استخدام تلك الأشكال اللغوية. وقصارى القول: إ ا تحلل التواصل عبر الإنترنت شكلاً ومضموناً؛ أي من حيث البناء ودلالته، وتأمل أن تفتح آفاقاً جديدة للباحثين تكون موضع بحث في المستقبل.

ستكون الدراسة مقتصرة على الرسائل غير الرسمية في المنتديات العامة المفتوحة. وسيكون الاختيار عشوائياً لبعض المنتديات في الأقطار العربية. وحجة الدراسة التي تبرر هذا الاختيار: أن هذا النوع من الخطاب حري به أن يكون بعيداً عن التكلف الذي يقود إلى الصنعة في الأسلوب، وحجة ثانية هي: أن أكثر شرائح ا تمع ارتياداً لهذه المنتديات هم من الفئة العمرية بين الخامسة عشرة والثلاثين، وتمثل هذه الفئة العمرية أجيال الطلاّب. وبناءً عليه، يؤمل منها أن تسهم في بناء سياسة تربوية دف إلى تحسين الأداء اللغوي في المدارس والجامعات العربية. ولقد اقتصرت الدراسة على هذا النوع من التواصل، لأن كثرة منتديات الحوار، وتشعبها، يحول دون أن تكون ميدان ورقة بحثية واحدة.

يراد أيضاً أن تكون هذه الدراسة لافتةً لأنظار اللغويين، والنفسانيين، وعلماء اللغة النفسانيين، وعلماء اللغة الاجتماعيين، لكي يهتموا بتحليل أنماط الخطاب باللغة في واحدة من أكثر وسائط الاتصال استخداماً حتى الآن؛ فعدد مرتادي الإنترنت، في كل لحظة، قد يفوق عدد مرتادي المكتبات.

تشكل هذه الدراسة، مع الدراسات المشا ة لها، نقلة نوعية في البحث اللغوي في العربية واستخدامها في الاتصال الحاسوبي. فما زال هذا ا ال بكراً، ولم يول اهتماماً كبقية أنظمة الخطاب الأخرى. فلقد حلل الخطاب الصحفي بأنواعه المتعددة كالخطاب الرياضي والسياسي، وحللت لغة الخطاب الإذاعي، وحتى الكلام الشفهي، ولم ينتبه بعد إلى تحليل هذا النمط من الخطاب في نطاق العربية.

2 - التحليل والمناقشة

بان من التحليل للعينة المرصودة، أن اللغة العربية، المستخدمة في الاتصال عبر الحاسوب، تمتاز بعدة سمات، حصرت أهمها في النقاط التالية:

- تعدد مستويات الخطاب الكتابي.
- القابلية للأخطاء.
- النـزوع نحو الشفاهية.
- رومنة الكلمات العربية.
- العربية الهجين.
- اختراق اللامساس.

2. 1 مستويات لغة الخطاب الكتابي

إن للخطاب العربي عبر الإنترنت مستويات عدة، كتلك المستويات التي توجد في ا تمع العادي، الذي تتعدد فيه مستويات اللغة العربية وتتنوع من فصحى تراثية، وفصحى معاصرة. فالأولى هي فصحى المثال والقدوة التي تحتفظ بكل مزايا الفصحى القديمة. أما الثانية فهي التي تشيع في الإذاعة المسموعة، والمرئية، والفضائيات. ويقابل

هذه الفصحى عاميات أو لهجات، ليس عامية واحدة أو لهجة واحدة، بل عدة عاميات، أولاها: عامية المثقفين، وثانيتها: عامية المتنورين التي بط إلى مستوى لتصير لغة الحوارات الخفيفة، وثالثتها عامية الأميين؛ وهي عامية قاع ا تمع.[20]

تحفل لغة المنتديات العامة بكل ألوان الطيف اللغوية السابق ذكرها. لكن يظل اتسام منتدى ما بمستوى لغوي معين تحكمه متغيرات عديدة، من تلك المتغيرات نوع المنتدى. فالمنتدى الأدبي والديني مثلاً يميل مرتادوهما غالباً إلى الفصحى، بينما يجنح مرتادو منتديات الدردشة وتزجية الفراغ إلى اللغة المحكية. والمنتديات السياسية تنحو نحو الفصحى المعاصرة، وأحياناً نحو عامية المثقفين، أو لغة العامة. وذلك محكوم أيضاً بالجمهور المتلقي والمشارك، والعلاقة بين أعضاء مجتمع المنتدى.

اللغة العامية:

- "يارب عليك العوض ...ساعدني يا الله ... الشكوى مو للبشر ...الشكوى بس لله........."

الفصحى الحديثة

- "وهذا يعني أن خارطة الطريق سوف تقود إلى زعزعة أمن المنطقة".
- "ومقصود بالشرق الأوسط الجديد الذي سيكون على الطريقة الأميريكانية".

أما فصحى التراث، فلا تتمثل إلا في القرآن الكريم، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والشعر الجاهلي، وأقوال الحكماء، والعلماء الأقدمين، وذلك إذا ورد في أندية الحوار يعتبر منقولاً. ولكونه معلوماً، فلم تأت أمثلة منه في هذه الدراسة.

2. 2 قابلية الخطإ

تكثر الأخطاء بكل أنواعها في لغة التواصل عبر الحاسوب في كل اللغات. فقد لاحظ فاوسر وزميلاه في دراستهم عن كلٍّ من اللغات الإنجليزية، والكورية، واليابانية، المستعملة في التواصل عبر الإنترنت، أن الانحرافات الصوتية (phonetic deviations) غدت جزءاً من سمات الخطاب عبر الحاسوب. تبدو هذه الظاهرة جلية في عربية التخاطب عبر الإنترنت في جميع المنتديات العامة. وإذا استثنيت المنتديات ذات اللغة المحكية، فإن الأخطاء التي تظهر في المنتديات التي تحاول أن تنحو نحو الفصحى تقَسم إلى أخطاء صوتية، وأخطاء نحوية، وأخطاء دلالية، وأخطاء إملائية. ومثال ذلك يظهر في الكلمات الداكنة التالية:

- "**ان** شاء الله تستعين بشركة **اجنبية** متخصصة في **الادارة** يوكل لها أمر **الادارة**".
- "وإذا جلست مع أحدهم يوماً ووجهت إليه **سؤال** سيجيب لك **عن شيء اخر**".
- "تفنن في **إختيار** الموضوع لتستمتع بإبداعك... فحاول ان يكون **موضوع جذاب ومرتبط مع** نص **الكتابه** ويكون **حائز على إقتناعك**".
- "فليس هناك شخص حصل على نبوغه **وسياداته منذ كان** يولد.."
- "تعلم فليس المرء يولد **عا**لم.. وليس أخو علم كمن هو جاهل..."
- "هل تستطيع أن تجد عليه خطأ **نحوي أو أسلو**بي ؟"

- "**امتداد** لموضوع الأخ الكريم **والذي** ذكر فيه الفارس شالح القحطاني وبعض قصائده آليت على نفس أن **اسمعكم** مرثيته في **اخوه** الفديع".
- "ونتمنى أن تكون شبكة اعصار قد **نالت على إعجابكم** ولكي تصلكم آخر أخبار شبكة **اعصار** من **إبتكارات** جديدة بالموقع **نرجوا** تسجيل بريدكم الإلكتروني في خانة البريد وذلك **لإنضمامكم** للمجموعة البريدية".

وينسب ظهور الأخطاء إلى عدد من الأسباب، منها: التسرع، والجهل بالقاعدة. كما أن السرية المطلقة تجعل الكاتب في مأمن من النقد أو التشهير، الأمر الذي يجعله يكتب ما شاء ،وبأية كيفية شاء. ويضاف إلى ذلك التأثر بالعامية.

2. 3 النـزوع نحو الشفاهية

الشفاهية يقصد ا لغة الكلام العادي. وينظر إليها اللغويون بوصفها المقابل للكتابية. ويطلق عليها في العربية مقابلات أخرى مثل اللغة المحكية أو اللغة العامية. وقلنا ا هنا لأن أنظمة الاتصال عبر الشبكة الدولية تمثل كثيراً من سمات الشفاهية. وقد برهنت الدراسات التي قام ا كل من بارون (Baron 1984)[21] وكولوت وبلمور (Collot, M. & Belmore 1996)[22] ، و ييتس[23] (Yates1996) أن لغة الاتصال عبر الإنترنت تميل إلى أن تكون بين الكتابية والشفهية، وذلك لكو ا تتمثل فيها مزايا هذين النوعين من أساليب الاتصال. ولجلاء هذه الفكرة ينقل الباحث بتصرف المقارنة التي عقدها كرستال[24] 1997 بين لغة الكلام والكتابة في الشكل التالي:

الكـــلام	الكتابـــــة
- يقع الكلام في الوقت الحقيقي [25]، ويكون المشاركون فيه حاضرين. - تلقائي وعامل السرعة يجعل من الصعب تخطيطه، وهذا يقضي بوجود تعبيرات فضفاضة لا معنى لها، مما يقتضي أن تعاد أحياناً عملية صوغ العبارات والجمل. - المعينات التي يلجأ إليها المتشافهون، كتعبيرات الوجه والحركات الأخرى، تسهم في جلاء المعنى، ولكن التعبيرات والحركات ذات الدلالة غير المعهودة قد تؤدى إلى الغموض. - يستعان في الكلام بالمظاهر الشعرية كالتنغيم، وجهر الصوت، والإيقاع الموسيقي. - قابلية لبعض التعبيرات العامية السوقية والهابطة. - يصاغ الكلام ليناسب ا املات الاجتماعية؛ حيث يعبر عن المعنى بالإيقاع الموسيقي وسمات لغوية أخرى. - الكلام حدث لا يغير ما دام قد قيل وانتهى.	- مقيد وثابت لا يتغير. - تسمح بالتخطيط وإعمال الفكر، وهذا مما يقود إلى بناء جمل محكمة الدلالة والتركيب. - المشاركون في الكتابة لا يعتمدون علىالسياق الذي توفره المشافهة (تعبيرات الوجه، المحيط الاجتماعي في تلك اللحظة) في إيصال المعنى. - ميل نحو التراكيب النحوية المعقدة والصعبة. - يمكن توثيقها وحفظها والرجوع إليها في أي وقت. - إمكانية مراجعة صياغتها. - تحوي مظاهر أخرى لا يستطيعها الكلام، مثل الجداول البيانية والرسومات التوضيحية. - الكتابة ذات سمات تنغيمية محدودة.

تلك هي المباينة بين لغة الكلام المحكي واللغة المكتوبة. وما دام قد ثبت بالبحث أن لغة الاتصال عبر الحاسوب تميل نحو الشفاهية، يطرأ سؤال وهو: كيف تمثل سمات المشافهة في التواصل بالعربية عبر الحاسوب؟

لقد بان من التحليل أن من أوضح السمات الشفهية التي يلجأ إليها المتواصلون بالعربية عبر الإنترنت هي تمثيل التنغيم الذي يعد ظاهرة صوتية. فما التنغيم؟ وما الأساليب التي يمثل ا؟

2. 3. 1 التنغيم وأساليبه

يعرف التنغيم بأنه التغيرات التي تحدث في درجة الجهر في الكلام المتصل، ويكون ذلك بإعطاء الكلام نغمات معينة، تنتج من اختلاف درجة الصوت، ولا يكون ذلك إلا في الجملة. ويسمى أيضا بموسيقى الكلام، وهو شبيه بالنبر، غير أن النبر يكون على الكلمة، وذاك يكون على مستوى الجملة.

للتنغيم ثلاث وظائف رئيسة، وهي: التمييز بين الكلمات، وأداء معان نحوية ولغوية، ونقل معلومات غير لغوية[26]. وتوجد وظيفة التمييز بين الكلمات في اللغات النغمية كالصينية، والفيتنامية، والتايلاندية، والبورمية. والوظيفتان الأخريان توجدان في العربية. ويستخدم هذا التنغيم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية كالتأكيد، والسؤال. فكلمة (نعم)، إذا نطقت بتنغيمات مختلفة تؤدي دلالات مختلفة. فقد تكون جملة تقريرية بمعنى أوافق، وتدل على الدهشة والاستغراب، إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة صاعدة. وتدل على التوكيد، إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة؛ أي قوية في أولها، ضعيفة في آخرها.

يستخدم التنغيم هنا لنقل معلومات غير لغوية كتمثيل الانفعال ووجهة النظر من شك واستغراب أو استهجان أو تأكيد [27]. ويسجل هذا التنغيم في لغة المنتديات العامة، بأساليب عديدة، مثل: تكرار حروف المد، تكرار الصوامت، وإضافة الأيقونات التعبيرية، وتكرير علامات الترقيم.

أ - طريقة كتابة حروف المد

حروف المد الطويلة ثلاثة، وهي: الألف، وواو المد، وياء المد. ويلجأ المتحاورون في المنتديات لاستعمال هذه الحروف للتعبير عن المشاعر، تماماً كما في حالات التنغيم التي قد سبق ذكرها، ومثال ذلك:

- مشتاغيييين
- مبرووووووك

ب - تكرار الصوامت

- بس،،، على شررررررررررررررط
- بسسسسسسسسسس دا الحاصل لي أنا زاتي
- قال ليك... نكتة جديدة لننننننـ ـ ـ ـ ـ ـج

ج - تكرار علامات الترقيم

يعنى بالترقيم: وضع علامات خاصة بين أجزاء الكلام المكتوب، لتنويع الصوت عند قراءته، ويؤتى ا لتوضيح معاني الجمل، وهي تغني عن الإشارة بالوسائل الأخرى التي يستخدمها المتحدّث للتعبير عمّا في نفسه. ومن علامات الترقيم الفَاصِلَةُ (،)، و الفاصلة المنقوطة (؛)، والنقْطَةُ أو الوقفة (.)، ثم النقطتان (:)، وعلاَمةُ التّعجبِ (!)، وعلاَمةُ الاستفهامِ (؟)، وعلامة الاعتراض (-). الشرطتان (--). القوسان ( )، وعلامة التنصيص، وصور ا ""، و علامة الحذف وصور ا (...)[28]. وهذه العلامات لها مواضع خاصة تستعمل فيها. ولا تكرر ولا توضع في أول الكلام. ولكن الملاحظ في لغة التحاور، عبر الحاسوب، ميلاً لتكرار هذه العلامات. وأكثرها تداولاً

علامة الاستفهام، ثم علامة التعجب. وهذه الظاهرة وجدت عند المتحاورين بلغات أخرى كاليابانية والإنجليزية [29].

- الخلفك منو؟؟؟؟ مش مفروض الخليفة دة يخلفو زول؟؟؟ خلفت روحك برااك؟؟؟؟ خلافة شنو دة انقلاب!!!!.
- وقاعد تستقبل لي في التهاني!!!!!! لكن معليييييييش!
- ماهي القناه التي تشدك على التلفاز ؟؟؟
- اذن،،، من هنا،، ومن اعتبارات عديدة أخرى،،، نشأت ال فكرة

د - استخدام الأيقونات (text-based icons)

الأيقونات هي تعريب لكلمة (icons) الإنجليزية التي تعني، في مصطلحات الحاسوب، تلك الأشكال التي ترمز إلى برنامج أو مجسم. وإدخال الأيقونات في الاتصال الكتابي شائع حتى في الكتب التعليمية مثل كتب الرياضيات، وكل الكتب الأخرى التي تستعملها كأدوات مساعدة في التدريب والتعليم. وتشيع كثيراً في برامج الحاسوب. وتقوم برامج النوافذ أصلاً على استعمال الأيقونات بدلاً من طباعة الأوامر، كما هو متبع في برامج dos.

أما الأيقونات التعبيرية (expressive icons) التي تعرف أحياناً بالابتسامات (smileys)، فهي تلك الأشكال التي ترمز إلى نوع من المشاعر، أو الأحاسيس كالفرح، والحزن، و الوداع.

بلغت الأيقونات عدداً كثيراً؛ بحيث يعجز أي إنسان أن يلم ا جميعاً. بل أضحت تعكس الثقافة الخاصة تماما كما الإشارات، والرموز المستخدمة في الحديث العادي تعكس ثقافة الأمة. فالمتصلون بالعربية ابتدعوا أيقونات تعكس الثقافة الإسلامية، ومن ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعبارة جلّ جلاله، وسبحان الله، وغيرها.

وهذه الأيقونات ما هي إلا محاولة لإضفاء مزيد من الشفاهية للرسالة. وهي بالتالي تعكس واقعاً. فالإنسان، كما هو معلوم، يستعمل الإشارة والرمز، بكل أنواعه، ليقوم مقام اللغة أحياناً، أو بأن يقوم بدور مصاحب للرسالة.

وتؤدي الإشارة - التي تمثل بالأيقونات في لغة التواصل- دوراً مهماً في الكلام إذ يستعين المتكلم "بالحركة الجسمية لتشترك مع الكلام في إلهام المخاطب ما يريده المتكلم، وبخاصة عندما يشعر أن الكلام لا يعبر عن فكره، أو لا ينقل إلى المخاطب أحاسيسه، فيحاول توكيده بالحركة الجسمية أثناء كلامه" [30]

والحركة الجسمية أنواع، منها: مط الشفتين تعبيراً عن عدم المعرفة، وهز الكتفين دلالة على اللامبالاة، وغير ذلك كثير. ويقوم علم الحركة (kinics) بدراسة هذا النوع من الاتصال.

وفي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تصور بعضاً من أساليب الاتصال بواسطة الحركة أو التعبيرات الوجهية، ومن ذلك قوله تعالى:

- {هاأنتم أُولاءِ تحبونهم ولاَ يحبونكُم وتؤمنونَ بِالْكتابِ كُله وإِذَا لَقُوكُم قَالُوا آمنا وإِذَا خلَوا عضوا علَيكُم الأناملَ من الْغيظ قُلْ موتوا بِغيظكُم إن اللّه عليم بِذَات الصدورِ}، آل عمران، الآية: 118.
- وقوله تعالى:{وإِذْ زاغَت الأبصار وبلَغت القُلُوب الحَناجِر} الأحزاب آية 10.

- وقوله تعالى حكاية عن زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام { فَأَقْبَلَت امرأته في صرة فَصكت وجهها وقَالَت عجوز عقيم} الذاريات آية 29.

ومن تطبيقات ذلك في لغة الاتصال عبر الحاسوب:

- عيب عليك.. تحرجنا كدا
- ابو جقادو ما تكضب فقدناك وين هالغيبة.... عسى القاطع خير....
- مشكور على هالمشاركة الحلوة
- حياك الله.. الأيقونات جاتني عن طريق مصدر منقطع ..
- ولا يوجد مصدر ناضب لهذه الأيقونات حسب علمي إلى الآن.

هـ- التخاطبية addressivity

نعني بها استخدام العبارات أو الكلمات التي يخاطب بها المرء من يشافهه كفاحاً. كأن يبدأ باسم المحادث، أو لقبه، أو مناداة البعيدة مناداة القريب، كقول الشاعر العربي يخاطب محبوبته:

أَفَاطم لَو شهدت ببطن خبت
وقَد لَاقَى الهزبر أخاك بِشرا

ومثال ذلك في العربية عبر الحاسوب:

- يا ولد ما بصدق
- مسكه كنت مختفيه وين
- أبو جقادوا ما تكضب
- يااااااخي قلّي:

و- تمثيل الصوت والمشاعر

تشيع ظاهرة تمثيل الصوت في الاتصال بكل اللغات، فقد يستخدم المتحاورون حركات أو مؤثرات صوتية توضع بين نجمتين، كما في *grins*، أو *bang*، وقد يلجأ لكتابة هذه الأصوات، مثل:

Hahahahahahahahahahaha، أو pssssssss(31)

- شنو يا شباب ما قدرتو على حرف الألف هاهاهاهاهاها
- لكن - واااااااااااااه من لكن- تركي الدخيل جامل (صاحبه!!) كثيرا!!

2. 4 اختراق اللامساس Taboo breaking

اللامساس حدود دينية، أو عرف اجتماعي، أو قيود سياسية، تحد أو تمنع من سلوك معين. وهذا الحجر إما أن يكون لضبط المجتمع، أو قد يكون لحماية الجماعة الثقافية، وأحياناً يكون حماية لمصلحة فئة معينة. وغالباً ما تولد هذه القيود-باختلاف أنواعها-جماعة متمردة تعجر عن الإجهار بالثورة، ومن ثم تجد في الاتصال بالحاسوب متنفساً.

وقد أجريت دراسات كثيرة حول الأبعاد النفسية، والاجتماعية للاتصال عبر الحاسوب. وأوضحت تلك الدراسات أن كون مجتمع المنتديات مجتمعاً افتراضياً (virtual community)، أتاح جواً من السرية تغري من يود استخدام ملفوظات غير مقبولة اجتماعياً في المشافهات أو الخطاب الكتابي في أجهزة الإعلام العادية. صور ذلك الرسام الكاريكاتيري الشهير (Peter Steiner) معلقاً تحت رسمه " عبر الإنترنت لا أحد يعرف أنك كلب[32]. ولذا فقد وصم هذا الاتصال بأنه نطاق مخل بالآداب [33].

ويظهر اختراق اللامساس بوضوح في مجال السياسة، حيث إن الكبت الذي يعيشه العالم العربي، يجعل من المنتديات العامة منبراً سياسياً، يمارس فيه المتحاورون النقد

بالتجريح أحياناً لمن هم في قمم السلطة[34]. جاء في أحد المنتديات:

- مـ ـال الحمـ ـاقة دوا
- والكي آخر طب
- من قال عنّا: شعب ؟!
- نسبح في بحر الهوى
- مانعرف إلاّ نحـ ـب

كما أن هنالك ميلاً نحو النيل من المشاعر الدينية للمخالفين في الدين والملة والمذهب. ويكثر أيضاً التنابز بالألفاظ العنصرية سواء كانت جهوية؛ أي بين مجموعتين تنتميان إلى إقليم واحد في دولة واحدة، أوشعوبية؛ أي بين عرب وغيرهم، أو بين متحاورين ينتميان إلى قطرين مختلفين. كذلك يكثر في لغة المنتديات العامة بث اللواعج الخاصة جداً، وما يصاحبها من لغة هابطة [35].

2. 5 الاختصار shortening

يميل المتواصلون عبر الإنترنت إلى حذف بعض حروف الكلمة أو إحلال بعضها بأرقام لها ذات الدلالة، مثال ذلك:

See you -> CU
Too/To → 2
Are you ? →ru

ويكون الاختصار حتى على مستوى الجملة؛ ففي اللغة الإنجليزية مثلاً تستعمل هذه الاختصارات بكثرة، ومثال ذلك:

AFAIK	As Far As I Know
BBL	Be Back Later
B/C	Because
BTW	By The Way
CU	See You
FYI	For Your Information
HSIK	How Should I Know
Lol	Laghing out loud

أطلقت على هذه الظاهرة عبارة (relexilicalization) ويمكن ترجمتها للعربية بعبارة " إعادة تنميط الكلمة ". وهذه الميزة لئن توفرت في اللغة الإنجليزية، فإ ا تقل في اللغة العربية؛ بيد أن المتصلين عبر الإنترنت بالعربية يستخدمون بعضاً من هذه الاختصارات الإنجليزية، ومثال ذلك: كلمة lol التي تكتب بالعربية لول أو لووووول أو looooooool. ويميل المتحاورون إلى هذه الاختصارات طلباً للسرعة.

وهذه الاختصارات شبيهة بما عرف في العربية بالنحت؛ وهو إيجاد كلمة من عدة كلمات كالبسملة والحوقلة، إلا أن هنالك فرقاً، فالنحت في العربية يقتضي وجود توافق بين النحت والمنحوت منه. يقول الثعالبي: "العرب تنحت من كلمتين وثلاث كلمةً واحدةً، وهو جنس من الاختصار، كقولهم رجل عبشمي منسوب إلى عبد شمس"[36]. وقد ذيل كلامه هذا ببعض المنحوتات اللفظية منها البسملة من: بسم الله الرحمن الرحيم، والسبحلة من: سبحان الله. والحوقلة من: لا حول ولا قوة إلا بالله، والهيعلة من: حي على الصلاة، حي على الفلاح. والدمعزة من: دام عزك [37].

2. 6 الرومنة Romanization

تعني الرومنة كتابة كلمات اللغات المكتوبة بغير الحرف اللاتيني بالحرف اللاتيني. وذلك ككتابة العربية، والصينية، والكورية، والأردية، والبنغالية، والهندية، واليابانية، وكذلك الروسية والأمهرية، بحروف لاتينية. وتوجد نسخة أميريكية مماثلة تعرف بـ ASCII، اختصاراً لـ American Standard Code for Information Interchange؛ أي الترميز الأميركي لتبادل المعلومات التي تعد أوسع النظم المستعملة منذ الستينيات . وهي

حسبت كاللغة الإنجليزية لغة تواصل (lingua franca) في حقل تقنية المعلومات[38] . و عرفت في العرف الشعبي العربي في عالم الإنترنت "الأرابيش"، وجاء هذا النحت من كلمتي: Arabic و English.

إن استخدام الحرف اللاتيني في كتابة الألفاظ العربية ليس حديثاً، مقارنة باستخدامها الحديث في تقنية المعلومات، إذ ظهر هذا النمط من الكتابة منذ أزمنة سحيقة. وتعرف عند اللغويين بكتابة المنقحة، ويعمل ا في عدة نظم، مثال ذلك: ترجمة معاني القرآن، وفهرسة الكتب العربية في المكتبات والمؤسسات العالمية، مثل مكتبة الكونجرس الأمريكية (L.C) التي رومنت أكثر من 150 مواصفة عالمية[39]، والمواصفة البريطانية للرومنة (BSI)، والمواصفة الخاصة بدائرة المعارف الإسلامية، والمواصفة الخاصة بالأيزو(ISO) والمواصفة الخاصة با لة الدولية لدراسات الشرق الأوسط(IJMES) ، والمواصفة الخاصة بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة مكجيل بكندا .

لقد انبثقت فكرة استخدام الأحرف اللاتينية في الإنترنت نتيجة لسببين، هما: عجز البعض عن التواصل باللغة الإنجليزية، وتأخر ظهور نسخ برامج التصفح المدعومة بالعربية. ولما كانت الحاجة أم الاختراع ابتدع مستخدمو الإنترنت من العرب، الذين تعوزهم القدرة على التواصل بالإنجليزية، كتابة الألفاظ العربية بتلك الطريقة.

تمثل القائمة التالية رموز الأصوات العربية في (asscii) التي ليس لها مقابل في الإنجليزية:

الصوت	رمزه العربي	رمزه لدى الجمعية الأمريكية	مثاله
الحاء	ح	7	7hamad
العين	ع	3	amal
الطاء	ط	6	6ib
الظاء	ظ	6̃	6̃ahar
الصاد	ص	9	9awm
الضاد	ض	9̃	9̃arab
الغين	غ	3̃	‛3 arab‛
الهمزة	ء	2	2ana
الخاء	خ	7̃	‛7 il

ومن أمثلة التحاور المكتوب بالأحرف اللاتينية باستخدام الترميز الأمريكي المعروف اختصاراً بـ ASCII:

- YA zola wa kan 3omraha 23 ghayto azon malikat al jamal dail ma bikbaro.
- Ba3dain ya jama3a jat 3ala al bikeeni ya3ni..ya3ni al islam mowafig 3ala inno yikon fi 7aja ismaha malakit jamal....laman yi3tirid 3ala a
- sob7an allah
- al3azez welly awalan ana esmy olavita wo taneyan ana ma 3azez ana 3azeza
- Yalla narga3 le mawdo3na aha weeeen alnokat alzareefa beta3atkom de
- '7alas ma3leesh ya wa7eeeed ah alnokta al2ola beta3at alma9toool beta3 altagmeel da almafrood yekon doctor ma ma9tool
- Wo alnokta ala'7eeera 7elwa tayeb asma3 de
- Walhi lo konto 5ayfeen 3la za3loo kda kontoo fhmtoho ma y`3l6 m3a al nas say wa 3la fkra ana shab6a da ma 3rfa liho ai shy byz31

هذه الطريقة لا يلتزم ا كل المتحاورين ؛ حيث نجد كثيراً من الأنظمة الأخرى التي ابتدعت. والجدول التالي يمثل البدائل المستخدمة للأحرف العربية التي لاتوجد في اللغات اللاتينية، ومرد ذلك، ربما، لعدم انتشار هذه الطريقة بين جمهرة المتحاورين، أو للكسل ، أو التسرع؛ لأن لوحات الكتابة لا تسمح بكتابة بعض الرموز، مثال ذلك الأصوات التالية:

الظاء	ظ	6'
الضاد	ض	9'
الغين	غ	3'
الخاء	خ	7'

وهذه الصعوبة تجبر من أراد أن يمثل هذه الأصوات كتابياً أن يلجأ إلى قائمة الأدوات (tools) . ومنها ينتقل إلى خيارات (options)، ثم يختار الرموز (symbols). وهذه تحتاج مدى زمنياً واسعاً، لا يناسب العجلة والتسرع اللذين يتسم بهما المتواصلون عبر الإنترنت.

2. 7 استخدام رموز غير لغوية

يكثر في لغة الاتصال عبر الإنترنت استعمال رموز غير لغوية، ومن أكثرها استعمالاً الصور الشخصية، أو صور الطبيعة، أوصور الحيوانات. ومن هذه الصور ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك. كما يكثر استخدام العلامات # و @ والنجوم والخطوط والعلامة $.

2. 8 العربية الهجين

هي تلك اللغة التي يمزج فيها بين العربية ولغة أخرى.فقد يكون الهجين بين العربية والإنجليزية، أو بين العربية والفرنسية، أوالعربية واللغات الآسيوية. والهجين يمكن تصنيفه إلى هجين الاقتراض، وهجين لغة تقنية المعلومات، وهجين المهجر.

أ- هجين الاقتراض

عرف هذا الهجين عند العامة من مستخدمي الإنترنت بـ "العربليزية"[(40)]؛ إشارة إلى المزج بين العربية والإنجليزية ،أو بين العربية واللغات الآسيوية كالهندية أو الأردية. ويشيع الهجين بين العربية والإنجليزية في دول كالسودان، ومصر، والسعودية. ويشيع الهجين العربي الفرنسي في المغرب العربي، أما الهجين العربي الآسيوي فيكثر في دول الخليج. وتولد هذا الهجين نتيجة لظروف سياسية واجتماعية.

ينقسم هجين الاقتراض إلى نوعين: هجين اقترضت فيه الألفاظ فقط، وآخر اقترضت فيه الجمل والعبارات . والأول قديم وليس حديثاً في العربية. وفيه أُخضعت الكلمات الوافدة لنظام التصريف العربي، فأضيفت للكلمات المقترضة السوابق واللواحق العربية، مثال: (الليت) للمصباح، (البيما)، للتأمين، (البايب) للأنبوب[(41)].

أما الثاني فتمزج فيه التراكيب العربية والأجنبية . ومن هذا النوع هجين يكتب بالحرف اللاتيني، ومثاله:

- Ma3leash Jeet Too Late O Thanx Bamseeka

يرجع القرضاوي أسباب هذا الهجين - الذي شاع في الخليج خاصة - إلى ثلاثة عوامل؛ هي: المناهج التعليمية، والأسرة، وتفشي العمالة الأسيوية. فالمناهج التعليمية صيغت بصورة معقدة، وغير تربوية، وأما الأسرة فقد تركت أمر تربية أطفالها للخادمة، مما أدى إلى حدوث خلل في لغة الطفل، ناتج عن تلقينه لغات مهجنة من الخادمات الآسيويات[(42)].

ب - هجين تقنية المعلومات

ويشيع هجين تقنية المعلومات لعدة أسباب، منها: أن هذا العلم أصلاً غربي النشأة، وأن المصطلح العربي قليل وغير مشهور، يضاف إلى ذلك أن جل مستخدمي الإنترنت يجهلون المصطلح العربي، لو افترض أنه موجود، ومثال ذلك:

- اسألو كوول هو كان المنيجر حقها.[(43)]
- لدي جهاز محمول الهارد ديسك الخاص به (واحد ونصف جيجا) به BAD SECTORS??????

- لابد من تشغيل SCANDISK حتى يتم تجاهل التالفة.
- حتى لا تحدث مشاكل فى نظام التشغيل ولكن هذا موشر سىء على حالة الهارد مما سيتستدعى تغيره فى القريب?????? [44]
- والجهاز الذي معي هو ويندوز اكس بي وملينيوم مع بعض وهذه المشاكل تحدث في الاكس بي طبعا. [45]
- والله يا ابو بشرى فكرت اهدى ليك البوست دا عارفك ما من اجيال الماسنجر تم تصميم المسابقة بواسطة الفوتوشوب وتحريك الصور والكلمات بواسطة برنامج السويش ماكس (وهو برنامج يعمل بتقنية الفلاش) [46].
- مميزاته تحسين وظائف الويندوز التحكم في الريجستري امكانيه تغير ستايل الويندوز وتغير شاشه الدخول والكثير من هنا.

ج - الهجين المهجري

- أما الهجين اللغوي المهجري فقد عرفته الأوساط العربية المهاجرة وخاصة في أستراليا. وهو مزج لغوي بين اللغة العربية والإنجليزية أطلق عليه مصطلح ARABISH[47]. ولفظة [48] ARABISH لا تخص المزج بين الإنجليزية والعربية فقط بل هي قد تطلق على أي مزيج تستخدم فيه العربية مع لغة اخرى تماماً كما بين التركية والعربية والفارسية والعربية وهلم جرا. ومن أمثلتها الحديث العادي:

- "YALLAH, BYE!" "SHU BRO!"
- "SHU CUZ!"
- "I'M IJLYING" (WASHING DISHES).
- "I'M ROHING (GOING) OVER THERE."
- "YALLAH, HURRY UP!" OR "YALLAH, COME ON!"

وهو يختلف عن المزج اللغوي الذي يخلط فيه بين ألفاظ من العربية واللغات الأجنبية، وتخضع ألفاظ العربية في هذا النوع من الهجين إلى قواعد اللغة الإنجليزية. ومن الملاحظ أن هذا الخليط بين العربية والإنجليزية يوجد عند مزج اللهجات العربية، ولا تمزج فيه اللغات الأخرى بالعربية الفصحى.

د - هجين الفصحى والعامية

ويشيع نوع آخر من الهجين، وهو المزج بين العامية والفصحى، ومثال ذلك:

- يمارسون العته السياسى لمن غتسو حجر البلد.
- الاخ ماو ان صحة التسميه شكرا لك واهنئك علي هذا البوست الجميل وارجو ان تستمر ذا الاسلوب الجميل لمدينة اعشقها جدا جدا ولم اشبع منها ابدا شكرا لك مره أخرى.

يرجع المزج بين العامية والفصحى إلى عامل السرعة الذي يلازم المتحاورين عبر الإنترنت.

3 - أتشكل هذه الحالة تشوبهاً أم تلاقحاً للعربية ؟

لقد كتب كثير من الغيورين على العربية عن خطر الإنترنت على العربية من جراء تأثير الإنجليزية عليها. ويقتضي المقام الإشارة إلى أن تأثر اللغات بغيرها ظاهرة بدهية ،وطبيعية ،تمليها حاجة البشر للاجتماع والاتصال ؛ إذ ليس هنالك لغة، منذ أن تفتق لسان البشر، ظلت فطرية كما هي، إذ إن اللغة من صنع ا تمع، فكلما تطور ا تمع، تطورت معه اللغة كي تساير الزمان.

إن أية لغة قد تكون معطية مرة، ومعطاة مرة أخرى. وهذا يكون وفقاً على شأ ا الثقافي، فإن كانت ثقافتها مستعلية؛ فهي المعطية، وإن كانت غير ذلك فتكون صاحبة اليد السفلى. وقد مرت العربية بالحالتين، فهي قد أعطت ورفدت اللغات في سائر المعمورة.

ولم يك للحاسوب أثر أو يد في إحداث أي تغيير، إن كان قد حدث. فاللغة المستخدمة في المنتديات التي برهنت الدراسة على اقترا ا من الشفاهية، ما هي إلا نسخة طبق الأصل للغة الواقع الاجتماعي، فكل هذه المظاهر اللغوية الجديدة موجودة في ا تمع.

ولعله يبدو مناسباً الاستشهاد بما قاله الموسى الذي ذهب إلى أن الدراسات الاتصالية قد ميزت بين الثقافة الصفوية وبين الثقافة الجماهيرية، "فالأولى تستخدم اللغة الفصيحة لتقدم فكراً طبيعياً رائداً راقياً . أما الثانية، فهي ثقافة، في مجملها، هابطة المستوى لا تمانع في استخدام اللغة الدارجة، وتقدم عبر قنوات الاتصال الجماهيري بصورة ترضي ذوق أكبر شريحة ممكنة. وهذا يقودنا لأن نستنتج أن الفضائيات العربية باستخدام العامية، ومن بينها أشياء أخرى، إنما تسعى لمخاطبة الشريحة الأكبر من ا تمع العربي واجتذا ا إليها وإلى برامجها... (50)

إن المظاهر التي سجلت بوصفها تأثراً بطبيعة الاتصال عبر الحاسوب ليس تأثراً سالباً، ذلك أن التأثر يعدّ سلبياً إذا غير اللغة نحوياً أو صرفياً أو صوتياً. أما دخول المفردات الأعجمية في معجم اللغة، فهذه ظاهرة من شأ ا أن تقوي اللغة وتزيد ثرو ا اللغوية. وكما وضح في الدراسة فإن لغة التخاطب عبر الحاسوب لم يظهر فيها انحراف صوتي، أو نحوي، أو تركيـبي، عكس اللغة الإنجليزية التي طالتها تاثيرات كثيرة صوتياً ونحوياً ودلالياً ،مما ينذر بأن يحدث تحول كبير في بنى اللغة الإنجليزية، ففي تحليل لغة البريد الإلكتروني، وجد أن كثيراً من تقاليد الكتابة الإنجليزية قد سقطت ، من ذلك: إهمال بداية الجملة بالحرف الكبير، وتوقيع الاسم بالحروف الصغيرة .

تمثل الفصحى جوهر اللغة العربية والعاميات أعراضها. ويتضح من هذه الدراسة أن العربية الفصحى احتفظت بسما ا ولم تطلها أية تغييرات . ومن المعلوم كذلك أن العاميات في تبدل مستمر، وأن الفصحى في حفاظ مستدام على خصائصها الجوهرية (النحو، والصرف، والصوت)، بل إن ما يدخلها من كلمات ومعان جديدة، إنما تصقلها وتزيدها ثراءً .

إن عدم تعرض الفصحى، في الحاسوب، لأي نوع من أنواع التغير، من أبين المؤكدات على بقاء العربية وسلامتها . وقد كفل الحق تعالى ذلك عندما قر ا بكتابه الكريم . فسبحان القائل { إنا نحن نزلْنا الذكْر وإنا لَه لَحافظُونَ} الحجر آية 9.

4 - الخلاصة

تمتاز لغة التواصل بالعربية عبر الحاسوب بخصائص لغوية، وأخرى غير لغوية عديدة، منها: النـزوع نحو الشفاهية، وكتابة الكلمات العربية بالحروف اللاتينية، والعربية الهجين، واختراق اللامساس، والاختصار، و استخدام الرموز غير اللغوية.

تظهر السمات التي تقر ا من الشفاهية في ميل المتحاورين إلى استخدام المعينات اللغوية وغير اللغوية، من ذلك التنغيم الذي يمثل هنا بعدة طرق منها: تكرار حروف المد، تكرار الصوامت، إضافة الأيقونات التعبيرية، طريقة كتابة حروف المد.

تتدرج العربية المستخدمة عبر الحاسوب في مستويات عديدة تماماً كالتي توجد في الاستخدام الحياتي المعيش؛ فهي تتدرج من عربية التراث مروراً بالعربية المعاصرة، وعامية المثقفين، إنتهاءً بلغة العوام في أدنى قاع ا تمع.

لقد أظهرت الدراسة أن بعضاً من لغة التحاور عبر الحاسوب ما هو إلا نوع من الهجين اللغوي. ويوجد في عينة الدراسة ثلاثة مستويات لهذا الهجين، وذلك يكمن في مسببات عديدة، منها: التربية، وطرق التعليم، وتأثير اللغات الأعجمية ، سواء في المـنـزل أو خارجه. كمـا يرجع أيضاً إلى نشأة أجيال من متحدثي العربية في المهاجر غير العربية التي يندر فيها استخدام العربية. وهذا الهجين المستخدم في هذا النوع من المهاجر، ما هو إلا انعكاس للواقع الذي يعيش فيه ذلك ا تمع ، وليس للحاسوب يد فيه.

يلجأ المتحاورون بالعربية إلى كتابة الكلمات بالحروف اللاتينية للتغلب على العقبات التقنية التي تنجم عن استحدام الحرف العربي. واتضح من الدراسة أن المتحاورين، ونتيجة للسرية التامة، واللا قيود المتوفرة التي يتيحها الحاسوب، ولعدم معرفة الهوية، يلْجؤون إلى اقتحام المحظورات الاجتماعية، والسياسية، والدينية.

الهوامش

1. لسان العرب 216/21، مادة وصل.
2. الموسى، عصام سليمان، ملف المدخل في الاتصال الجماهيري، ص 13.
3. Http:llencyclpedia.thereedictionary.com/ computer%20mediated%20communication
4. Nomi S. Baron, language of the internet p.10.
5. Cmc magazine, january 1997.
   فـي
   http://www.December.com/cmc/mag/1997/ jan/december.html
6. المعوش، سالم، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان – دراسة تحليلية ونقد.
7. Block, J.2000 Student/Teacher Interaction Via Email: The Social Context Of Internet Discourse.
8. M.Collot and N. Belmore (1996) “Electronic Languages: A New Variety of English.
9. Noami S. Baron p. 53.
10. David and Khaleel, A Funky Language for Teenz to Use: Representing Gulf Arabic in Instant Messaging
11. Lyn Cherrny p.85.
12. Susan C. Herring P.2.
13. Robert J. Fouser, Narahiko Inoue and Chungmin,The pragmatics of orality in English , Japanese and Korean computer –mediated communicaton.
14. Yukiko Nishimura Linguistic Innovations and Interactional Features of Casual Online Communication In Japanese
   في
   C:\WINDOWS\Desktop\Linguistic Innovations and Interactional Features of Casual Online Communication in Japanese. htm
15. Robert J. Fouser, Narahiko Inoue and Chungmin,The pragmatics of orality in English , Japanese and Korean computer –mediated communicaton
16. http://www.computing.co.uk/news/1123895
17. وأصله بالإنجليزية:
   Language Globalization Online: Globalization and Identity in Egypt
18. http://www.ascusc.org/jcmc/vol7/issue4/warschauer.html
19. وسميت الدراسة: بـ
   A Funky Language for Teenz to Use: Representing Gulf Arabic in Instant Messaging
20. شوشة، فاروق" اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية: دراسة تحليلية.
21. Baron, N. S. (1984). Computer mediated communication as a force in language change. Visible Language, 18(2), P.118-141.
22. Collot, M. & Belmore, N. (1996). Electronic language: A new variety of English.
23. Yates, S. J. (1996). Oral and written linguistic aspects of computer-conferencing.
24. Crystal David (1997) The Combridge Encyclopedia of English Language .
25. عبارة الوقت الحقيقي ترجمة للعبارة الإنجليزية REAL TIME وهذه العبارة ذات دلالة خاصة في علم الحاسوب ويقصد ا،

كما جاء في The American Heritage® Dictionary،

الزمن الحقيقي الذي تستغرقه عملية معينة في الحاسوب وأصله:

The actual time in which a physical process under computer study or control occurs.

26. الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص 253.
27. عبد الله ، عادل الشيخ ، مقدمة في علم الأصوات .
28. بتصرف من إبراهيم المظالي في:

http://www.khayma.com/almzaly/altrkeem. htm

29. Yukiko Nishimura.
30. الرديني، محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ص 122.
31. Lynn Cherry P. 110.
32. ونص عبارته:

"On the Internet, Nobody Knows You're a Dog ".

جاء ذلك في:

July 5, 1993 issue of The New Yorker, (VOL.69).

33. Harrison, Sandra, Maintaining the Virtual Community: use of politeness strategies in email discussion group.
34. واللامساس يضطرنا هنا إلى عدم ضرب أمثلة صريحة.
35. ومثل هذه الضروب من اللامساس آثر الباحث عدم تمثيلها في هذه الدراسة.
36. الثعالبي، أبومنصور ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 296.
37. المصدر السابق نفسه.
39. Library of Congress,ALA-LC , Romanization Tables, Transliteration Schemes of non Roman Scripts,Catalogue Distribution Services ,1997, P. 5
40. بربهان قمق، اللغة العربية عبر الإنترنت في

http://www.arabrenewal.com/index.php?rd=AI&AI0=3289

41. اللغة العربية ودورها في خدمة الأمة والإسلام في:

http://www.aljazeera.net/programs/shareea/articles/2002/12/12-30-1.htm#L5 .

42. المصدر السابق.
43. في

http://www.sudan.net

انظر

http://ait.ahram.org.eg/htm/GetData.asp?ID=18

44. انظر

http://www.c4arab.com/showthread.php?threadid=25420

45. انظر

http://www.nccc.edu.sa/ntg.htm

46. في

http://www.arabcouncil.org.au/funpage.htm

47. انظر: http://www.arabcouncil.org.au/funpage.htm
48. تستعمل هذه الكلمة لتعني غربي في بعض اللغات كالهولندية، حيث تكتب Arabisch.

انظر

http://www.websters-online-dictionary.org/definition/english/ar/arabic.html

49. يرى الباحث أن هذا الوصف لا يطابق الواقع كلياً، ولذا يقبل بتحفظ.
50. الموسى، عصام سليمان، اللهجات العامية في وسائل الإعلام الإلكترونية، ملف البرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسألة اللغوية، مجلة الإذاعات العربية، العدد 2، العام 2002.

في http://.arabicl.orglsahafya/lahgat.htm

المراجــع

أ – العربيــة

1. ابن منظور،العلامة محمد بن جلال الدين مكرّم الأفريقي، 630هـ/1232م- 711هـ/1311م) ، لسان العرب، بيروت ، دار صادر، 1955م.
2. الثعالبي، منصور عبدالملك بن محمد إسماعيل (ت 430 هـ)، فقه اللغة وأسرارالعربية ، وضع الشروح والتعليق والفهارس.ديزيرة مشعال، دار الفكر العربي، بيروت، 1999م.
3. الرديني، محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام ،عالم الكتب، بيروت ،1423هـ_ 2002م .
4. الشايب، فوزي حسن، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، 1999م.
5. شوشة، فاروق، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية: دراسة تحليلية ونقد " الموسم الثقافي الحادي والعشرين مع اللغة العربية الأردني ،من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني 1424-2003م.
6. عبد الله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات: كتاب منهجي مبسط، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور، 2004م.
7. قمق، بريهان، اللغة العربية عبر الإنترنت في

HTTP://WWW.ARABRENEWAL.COM/INDEX.PHP?RD=AI&AI0=3289

8. المعوش، سالم، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان – دراسة تحليلية ونقد، من أوراق الموسم الثقافي الحادي والعشرين مع اللغة اللعربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 14124 هـ 2004م .
9. الموسى، عصام سليمان، اللهجات العامية في وسائل الإعلام الإلكترونية، ملف البرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسألة اللغوية، مجلة الإذاعات العربية، العدد 2، العام 2002 .
في
10. HTTP://.ARABICL.ORGLSAHAFYA/LAHGAT.HTM
11. الموسى، عصام سليمان ،ملف المدخل في الاتصال الجماهيري، الكتاني، إربد، 1998 م.

ب - الإنجليزية

1. Baron, Nomi S. (2003). Language of the Internet. Language of the Internet, http://www.american.edu/lfs/tesol/2003%20Paper--g%20of%20the%20Internet.pdf.
2. Baron, N. S. (1984). Computer mediated communication as a force in language change. Visible Language, 18(2.
3. Block, J.200 Student/Teacher Interaction Via Email: The Social Context Of Internet Discourse. Journal of Second Language Writing, 11,117-118.
4. Cherrny, Lyn, Conversation and Community: Chat in a Virtual World, CSLT Publications, Center for the Study of Language and Information, Stanford, 1999.
5. Collot, M. Collot and Belmor, N. Belmore " Electronic Languages: a New Variety of English, in "Computer –Mediated Communication: Linguistic, Social and Cross-Cultural Perspectives (edit) by S.C Herring, John Benjamin Publishing Company, Amesterdam, 1996.
6. Collot, M. & Bellmore, N. (1996). Electronic language: A new variety of English. In "Computer –Mediated Communication: Linguistic, Social and Cross-Cultural Perspectives (edit) by S.C Herring, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam, 1996.
7. Crystal David (1997) The Cambridge Encyclopedia of English Language, 2nd edn, Cambridge, Cambridge University Press .
8. David and Khaleel, A Funky Language for Teenz to Use: Representing Gulf Arabic in Instant Messaging, In JMC 9, November 2003.
9. Jimenez, J.C 2000, Business e-mail communication: Some emerging tendencies in register, English for specific Purposes.
10. Herring, Susan C, Two variants of an electronic message schema in "Computer –Mediated Communication: Linguistic, Social and Cross-Cultural Perspectives (edit) by S.C Herring, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam, 1996 .
11. Harrison, Sandra, Maintaining the Virtual Community: use of politeness strategies in email discussion group in Words on the Web (edit) by

Lyn Pemberaton and Simon Shurville, intellect Tm, Exeter, 2000.
12. Jones outlines, p – 275.
13. Library of Congress, ALA-LC, Romanization Tables, Transliteration Schemes of non Roman Scripts, Catalogue Distribution Services, 1997, P. 5.
14. Nishimura, Yukiko, Linguistic Innovations and Interact ional Features of Casual Online Communication In Japanese, In: C: \ WINDOWS\Desktop\Linguistic Innovations and Interact ional Features of Casual Online Communication in Japanese.htm
15. Robert J. Focuser, Narahiko Inoue and Chungmin, The pragmatics of morality in English, Japanese and Korean computer – mediated communication in Words on the Web, edited by Lyn Pemberton and Simon Shrilled, I Intellect, Exter, England 2000.
16. Yates, S. J. (1996). Oral and written linguistic aspects of computer-conferencing. In "Computer –Mediated Communication: Linguistic, Social and Cross-Cultural Perspectives (edit) by S.C Herring, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam, 1996 .

ج- مواقع في الإنترنت

1. http:llencyclpedia.thereedictionary.com/computer%20mediated%20communication.
2. http://www.December.com/cmc/mag/1997/jan/december.html.
3. 0C:\WINDOWS\Desktop\Linguistic Innovations and Interactional Features of Casual Online Communication in Japanese.htm.
4. http://www.computing.co.uk/news/1123895.
5. http://www.ascusc.org/jcmc/vol7/issue4/warschauer.html
6. :http://www.khayma.com/almzaly/altrkeem.htm.
7. http://www.arabrenewal.com/index.php?rd=AI&AI0=328.
8. http://www.aljazeera.net/programs/shareea/articles/2002/12/12-30-1.htm#L5.
9. http://www.sudan.net
10. http://ait.ahram.org.eg/htm/GetData.asp?ID=18.
11. http://www.c4arab.com/showthread.php?threadid=25420.
12. http://www.nccc.edu.sa/ntg.htm.
13. http://www.arabcouncil.org.au/funpage.htm.
14. http://www.websters-online-dictionary.org/definition/english/ar/arabic.html.
15. http://.arabicl.orglsahafya/lahgat.htm.

الفكر اللغوي عند ابن خلدون
من خلال مقدمته

د. محمد بلاسي[*]

إنما الأمة برجالها الأفذاذ الذين يخوضون في بحار الفكر ويرتادون ا اهل ليقتنصوا لأمتهم مشاعل تسير على أضوائها ويرفعوا للعالم منارات إشعاع وتوجيه...

ويعد صاحبنا وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن خلدون، من ألمع رجال الفكر والعلم الذين عرفهم التاريخ البشرى !! [1].

فهو عالم فذ من علماء المسلمين، متعدد المواهب والقدرات الفكرية والعلمية، أجمعت دوائر العلم في الشرق والغرب على نبوغه وعبقريته، وأقبلت الجامعات والمعاهد على دراسة آثاره ونظرياته؛ لما تميزت به من الجدة والابتكار وعمق النظر ودقة التحليل[2].

ووصل الأمر إلى أن آراء المفكر العربي (ابن خلدون)، في حقل السياسة والاجتماع، قد وجدت - من الغربيين- من يتحمس لها تحمسا يصل بصاحبها إلى ذروة العبقرية والإبداع، حتى اعترف به واضعاً أول لعلم الاجتماع، وأقيمت الموازنات الطويلة بينه وبين فلاسفة هذا العلم في أوروبا؛ إذ قرنه الباحثون بأرسطو وأفلاطون، وقال عنه (غوميلوفتس)- أحد زعماء علم الاجتماع بألمانيا-: " إن ابن خلدون يعتبر مفكراً عصرياً بكل معنى الكلمة. إنه درس الحوادث الاجتماعية بعقل هادئ رزين، وأبدى آراء عميقة جداً لا أقول قبل(كانت) فحسب، بل قبل (فيكو) أيضاً، والحقيقة أن ما كتبه ابن خلدون هو ما نسميه اليوم بعلم الاجتماع!". [3]

لمحة عن ابن خلدون والمقدمة: [4]

ولد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون [5]، في تونس في مطلع شهر رمضان المعظم عام 732هـ (1332م) في أسرة أندلسية نزحت من الأندلس إلى تونس في أواسط القرن السابع الهجري، وكانت أسرة عريقة نا ة ذات علم ورياسة. أما والده فقد زهد في الحياة السياسية وآثر حياة الدرس والعلم، وبرز في الفقه وعلم اللغة، ونظم الشعر، وكان المعلم الأول لابنه عبد الرحمن. [6].

قرأ ابن خلدون القرآن الكريم وحفظه، وتفقه في القراءات السبع، ودرس شيئاً من التفسير والحديث والفقه، كما درس النحو واللغة على أشهر أساتذة تونس. وكانت تونس يومئذ مركز العلوم والآداب في المغرب. وكانت منذ ا يار الأندلس في أواسط القرن السابع الهجري منـزل كثير من علماء الأندلس الذين شتتتهم الحوادث. [7]

(*) عضو اتحاد كتاب مصر.

نشأ ابن خلدون في عصر يغلب على علمائه الانصراف إلى اجترار القديم، والاتكاء على مؤلفات السابقين، والاتجاه إلى تجميعها وشرحها، وكتابة الحواشي والتقريرات عليها. ولكنه لم يسلك هذا الطريق المعبد السهل، وإنما نزع إلى تحكيم عقله الراجح وذهنه الوقاد فيما يقرأ ويطلع عليه من آثار الأقدمين، واستخدام اطلاعه الواسع، ومكونات شخصيته الفذة، في استنباط نظريات وقوانين لم يسبق إليها، وأكسبته شهرة مستفيضة في عصره، وما تلاه من عصور. (8)

فإنك إذا قرأت كتاباً أندلسياً وجدته يتحدث عن ابن خلدون علما من أعلام الفكر الأندلسي، وإذا قرأت تاريخ الأدب المصري، في عصر المماليك، وجدت الحديث عن ابن خلدون قطبا من الأقطاب بوادي النيل، وإذا ألممت بالحركة الفكرية في المغرب شاهدت ابن خلدون قائداً من كبار قاد ا في تونس؛ وذلك يؤكد م لة هذا العملاق في الفكر العربي، وحرص كل قطر من الأقطار على فخر انتمائه. (9)

شب ابن خلدون في تونس، أعجوبة من أعاجيب العقل، وسعة الاطلاع، ودقة الملاحظة. ولّي الكتابة و الوساطة بين الملوك في المغرب والأندلس، ثم انتقل إلى مصر، حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية، ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف؛ فكانت مؤلفاته من أهم المصادر للفكر العالمي، وأشهرها "كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وهو كتاب ضخم يقع في سبعة مجلدات. وأعظم أجزائه وأشهرها الكتاب الأول المسمى " مقدمة ابن خلدون"، ضمنه صاحبه قواعد فلسفة التاريخ والاجتماع، ونقد فيه الذين سبقوه، وبين عيو م، ثم وصف تطور الأمم من البداوة إلى الحضارة، وترقي الشعوب في الاجتماع والدين والسياسة والاقتصاد والعلوم والفنون، وتكون الدول ونموها وا يارها، وطبائع أهل البدو والحضر، وما إلى ذلك. كل هذا، بطريقة متسلسلة وأسلوب منطقي، وتعبير سائغ سهل لا تكلف فيه ولا تقيد بسجع أو ببديع، بمعرفة لا حد لها، ونظر ينفذ إلى الأعماق، وتفهم صحيح لحقيقة الوجود الاجتماعي (10).

من هنا؛ فإن (مقدمة ابن خلدون) التي صدر ا تاريخه (كتاب العبر) "تعد رائعة من روائع التأليف عند المسلمين؛ لما تضمنته من مباحث جديدة مبتكرة في علم الاجتماع، وفلسفة التاريخ والسياسة، والأدب والتربية، وأسلوب الكتابة العربية" (11).

وعن الجو العام لتأليف المقدمة: فقد أتيحت لابن خلدون في عام 776هـ فترة طيبة للتفرغ في إحدى قلاع المغرب الأوسط والجزائر، وهي قلعة سلامة الواقعة جنوبي إقليم قسنطينة، وقد دامت هذه الفترة أربع سنوات، عكف الرجل خلالها على كتابة تلك المقدمة الخصبة التي تعد –بحق- فتحا في مجال الفكر الإسلامي. ولقد كتبها ابن خلدون بعد أن تعلم الكثير من اثنتين وهب لهما شبابه: الأحداث التي شارك فيها، والدراسات الشاملة التي ما انفك يواصل صعود مسالكها وشعا ا.

ولقد أتم الرجل كتابة مقدمته، التي أرادها مدخلاً لتاريخه الكبير(العبر)، في أشهر معدودات من عام 779هـ، ثم عاد إليها فيما بعد لكي يتناولها بالتنقيح والتهذيب.(12)

ولا عجب من بعد إذا ما رأينا (مقدمة ابن خلدون) تطبع عبر الزمن، في مصر والشام وأوروبا، وتترجم بكاملها، أو ببعض أقسامها، إلى اللغات الأجنبية. (13)

أسلوب المقدمة وأثره في أسلوبنا المعاصر:

ولإيضاح تأثير المقدمة في النهضة الأدبية المعاصرة؛ نذكر أ ا طبعت لأول مرة بمصر سنة 1857م. وكانت الأذهان إذ ذاك متطلعة إلى عهد جديد تلوح تباشيره فيما أعقب احتكاك مصر بالحضارة الأوروبية في عصر إسماعيل، ثم جاء جمال الدين الأفغاني لينشر أفكاره عن الاستقلال والحرية والكرامة ومحاربة الاستعمار والتجبر وحكم الفرد مما يؤدي إلى فساد العمران، كما يقول ابن خلدون.(14)

ولم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في العصر الحاضر، فقد كان أسلوب ابن خلدون، المرسل ا رد عن تكلف البديع والمحسنات اللفظية، في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية، هو القدوة الحسنة للمصلحين وا ددين للنهضة الأدبية والعربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس، وخاصة من ألّف منهم في مثل موضوعاته، أو كتب في الجرائد وا لات؛ لقلة المطبوع من الكتب، ولأنه أرحب أسلوب أدبي علمي للنقلة والمترجمين عن اللغات الأجنبية المحافظين على أصل المعنى؛ فهو كالأستاذ الأكبر لكتاب الصحف وا لات في ضتنا الأخيرة (15).

ويعقب الدكتور محمود رزق على ما قاله الشيخ أحمد السكندري، قائلاً: ولا ريب في أن أدباء النهضة تأثروا- إلى جانب ما تأثروا به- بآراء ابن خلدون ومنها آراؤه في نثر معاصريه، فكان لذلك أثر مضاعف جعلهم يتجهمون لأسلافهم وينظرون إليهم نظرة عابسة، ويرمون أد م بالضعف والانحطاط، ويتأبون على دراسته، وإذا أخذوا في دراسته، أخذوا آراء ابن خلدون مسلطة على عقولهم فيدرسو ا، وبأقلامهم لوثة من هذه الآراء، وبدهي أن تأتي النتيجة وفق مقدما ا. (16)

وللدكتور علي عبد الواحد وافي ملاحظة طريفة في هذا ا ال: فقد رأى أن أخطاء ابن خلدون الأسلوبية في المقدمة قد انتقلت-أيضاً- إلى أقلام كتابنا، وكأ ا صواب لا يقبل التصحيح؛ مما يدل على الثقة المفرطة في مقدرته والولوع الهائم باحتذائه. (17)

يقول الدكتور محمد رجب البيومي: وطبعي أن جميع الرواد في النصف الأخير من القرن التاسع عشر لم يكونوا من محتذى أسلوب المقدمة، بل إن فيهم من لم تظهر على أسلوبه سمة واحدة من سما ا، كعبد الله فكري، وإبراهيم المويلي، وحمزة فتح الله، والنديم، ولكن صفوة الكتاب إذ ذاك، كجمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، وأديب إسحاق، وعبد الرحمن الكواكبـي، قد نشروا أسلوب المقدمة كل جهد طاقته!! وكان من حسن الحظ أن يتتلمذ على جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده بصفة خاصة، أكثر كتاب الجيل اللاحق، فيردوا موردهما، وينهجوا منهجهما، وإذ ذاك يقفز الأدب قفزته الطافرة، ويتحرر الأسلوب ائياً من، أو هامه.

ويضيف الدكتور البيومي: لقد كان ابن خلدون نابغة عصره دون نزاع، ثم قدر له أن يقود النهضة الأدبية في عصرنا الحديث ليصبح في رحاب التاريخ الأدبي نابغة العصور..(18)

مجالات الدراسات اللغوية عند ابن خلدون

لقد رصد ابن خلدون، في مقدمته، الحركة اللغوية لمسيرة الفكر اللغوي حتى عصره، وخلص من خلال ذلك - وبإيجاز شديد غير مخل- إلى ما يلي:

أولاً: تعلم العربية من مقاصد الشريعة:

يوضح ابن خلدون أركان علوم اللسان العربي، فيذكر أ ا أربعة وهي: (اللغة، والنحو، والبيان، والأدب).

ويقول: "ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلا ا من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة ذا اللسان لمن أراد علم الشريعة". (19)

ثانياً: أفضلية علوم اللسان العربي على بعض:

يقول ابن خلدون:"وتتفاوت في التأكيد، بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام، حسبما يتبين في الكلام عليها فنا فنا. والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو؛ إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة. وكان من حق علم اللغة التقدم، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعا ا، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند إليه؛ فإنه تغير بالجملة ولم يسبق له أثر. فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة؛ إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق". (20)

ثالثاً: علوم اللسان العربي:

أ- علم النحو:

يقول ابن خلدون: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان. وهو في كل أمة بحسب اصطلاحا م. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك، أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد؛ لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من ا رور، أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال؛ أي الحركات، إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب. وأما غيرها من اللغات، فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم، في مخاطبا م، مما نقدره بكلام العرب. وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً". فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيآت؛ أي الأوضاع، اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها. إنما هي ملكة في ألسنتهم، يأخذها الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا.

فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك، الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم. والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد ا، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه. مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال

ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة م، فقيدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو". [21]

ويضيف ابن خلدون: "فالتآليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط ا، وطرق التعليم فيها مختلفة؛ فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين. والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك". [22]

ب- علم اللغة:

يوضح ابن خلدون أن "هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية. وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي، في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه. ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد في موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين، خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين. وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي. ألف فيها كتاب العين؛ فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي. [23]

واعتمد فيه ترتيب المخارج، فبدأ بحروف الحلق، ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة؛ وجعل حروف العلة آخراً، وهي الحروف الهوائية. وبدأ من حروف الحلق بالعين، لأنه الأقصى منها. فلذلك سمي كتابه بالعين، لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا، وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ. ثم بين المهمل منها من المستعمل، وكان المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلة استعمال العرب له لثقله، ولحق به الثنائي لقلة دورانه، وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب، فكانت أوضاعه أكثر لدورانه. وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين، واستوعبه أحسن استيعاب وأوفاه.

وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالأندلس، في المائة الرابعة؛ فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب، وحذف منه المهمل كله، وكثيراً من شواهد المستعمل، ولخصه للحفظ أحسن تلخيص.

وألف الجوهري من المشارقة كتاب الصحاح، على الترتيب المتعارف لحروف المعجم، فجعل البداءة منها بالهمزة، وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة، لاضطرار الناس، في الأكثر، إلى أواخر الكلم، فيجعل ذلك بابا. ثم يأتي بالحروف أول الكلمة، على ترتيب حروف المعجم أيضاً، ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها. وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل.

ثم ألف، فيها من الأندلسيين، ابن سيده من أهل دانية، في دولة علي بن مجاهد، كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب، وعلى نحو ترتيب كتاب العين. وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصاريفها؛ فجاء من أحسن الدواوين. ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس. وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها، فكانا توأمي رحم وسليلي أبوة.

ولكراع، من أئمة اللغة، كتاب المنجد، ولابن دريد كتاب الجمهرة، ولابن الأنباري كتاب الزاهر.

هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه. وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكلها؛ إلا أن وجه الحصر فيها خفي، ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رأيت. ومن الكتب الموضوعة أيضاً في اللغة كتاب الزمخشري في ا از، وسماه أساس البلاغة، بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ، فيما تجوزت به من المدلولات، وهو كتاب شريف الإفادة".[24]

ويضيف ابن خلدون: "ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة ا، فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ؛ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب. واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي، وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة، وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه. فليس معرفة الوضع الأول بكاف في التركيب، حتى يشهد له استعمال العرب لذلك. وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني نظمه ونثره، حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفردا ا وتركيبها، وهو أشر من اللحن في الإعراب وأفحش. وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ المشتركة وتكفل بحصرها، وإن لم يبلغ إلى النهاية في ذلك؛ فهو مستوعب للأكثر. وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن، المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال، تسهيلا لحفظها على الطالب، فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب وغيرهما. وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الأهم على الطالب للحفظ. والله الخلاق العليم، لا رب سواه." [25]

ج- علم البيان:

يقول ابن خلدون: "هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية؛ لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده. ويقصد ا الدلالة عليه من المعاني".[26]

ويضيف ابن خلدون: "فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيآت والأحوال والمقامات، وجعل على ثلاثة أصناف: الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيآت والأحوال، التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة؛ والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه، وهي الاستعارة والكناية، ويسمى علم البيان. وألحقوا ما صنفاً آخر، وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بسجع يفصله؛ أو تجنيس يشابه بين ألفاظه؛ أو ترصيع يقطع أوزانه؛ أو تورية عن المعنى المقصود بإبـهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما؛ أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك، ويسمى عندهم علم البديع".[27]

ويوضح ابن خلدون ثمرة هذا الفن، فيقول: واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة؛ وهي أعلى مراتب الكمال، مع الكلام فيما يختص بالألفاظ، في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه. وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان

له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه". (28)

د- علم الأدب:

يؤكد ابن خلدون: "أن هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو، مبثوثة في أثناء ذلك، متفرقة، يستقري منها الناظر، في الغالب، معظم قوانين العربية؛ مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه". (29)

ويضيف ابن خلدون: ثم إ م إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف؛ يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متو ا فقط، وهي القرآن والحديث؛ إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب، إلا من ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية؛ فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم؛ ليكون قائماً على فهمها. وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها. وكتب المحدثين في ذلك كثيرة". (30)

قضايا لغوية مهمة عالجها ابن خلدون

يعد ابن خلدون أحد نوابغ العالم الذين عاشوا أفذاذاً في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل، أو تعرف قدرهم أمتهم؛ فكانت حيا م بين الأمة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة؛ فقد أداه نفوذ خاطره وصدق نظره إلى الاهتداء إلى كثير من علل الحوادث التي تنتاب الاجتماع البشري، وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه؛ حتى وقرت في نفسه بصور قوانين عامة، وأقيسة مطردة، سال ا قلمه دون أن يفطن ا أهل قرنه، ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع إلا بعد انقضاء عدة قرون. (31)

فقد عالج ابن خلدون في مقدمته كثيرا من القضايا اللغوية العويصة، معالجة حصيفة، انطلاقاً من تفهم صحيح لحقيقة الوجود الاجتماعي، وذلك في وقت مبكر من مسيرة الفكر اللغوي العربي...

وإن كان ابن خلدون قد سبق بغيره من أعلام العربية في وضع لبنات لبعض هذه القضايا اللغوية، إلا أنه- بثقافته المتميزة والمتنوعة- شيد بتلك اللبنات صروحاً، وجملها بفكره، وتوجها بما جمعه من مادة أرحب انتقاها من تراث العربية الخالد !

ونظراً لأن ابن خلدون -رحمه الله- كان من علماء القرن الثامن الهجري – وحتى ذلك الوقت لم تكن الدراسات اللغوية المتعلقة بعلم اللغة قد كملت، بل كانت في طور من أطوار تكوينها-؛ لذا فإنني أرى أن

ابن خلدون، بما عالجه من قضايا لغوية في مقدمته، يمثل حلقة من حلقات تطور الفكر اللغوي، ومن هنا تكمن قيمة مثل تلك القضايا التي عالجها.

هذا؛ في الوقت الذي نجد فيه ابن خلدون لم يحظ بالمكانة اللائقة به بين جمهور العلماء الذين ساهموا في معالجة قضايا لغوية لها وز ا في حقل الدراسات اللغوية.

ومرد ذلك -فيما نرى- إلى نبوغه المتفرد في علم الاجتماع؛ حتى عد واضعاً أول له؛ وعرف به فطغى هذا على ما عداه من العلوم الأخرى.

وبمطالعة ما وصل إلينا من تراث هذا العالم الكبير، نجد أنه عالج في مقدمته كثيراً من القضايا اللغوية الشائكة، بل وكان له قصب السبق في الوقوف على معالمها، فضلاً عن قضايا لغوية جديدة لم يتطرق إليها أحد من قبل. كل هذا من وجهة نظر متفردة، قوامها: (فلسفة التاريخ والاجتماع)- حتى لا نكاد نرى أحدا من العلماء أضاف إليها شيئاً في مسيرة الفكر اللغوي؛ مما يدل- دلالة قوية- على نضج فكر ابن خلدون اللغوي في معالجته لمثل تلك القضايا، بل واستوائها على يده مبكراً !

من بين تلك القضايا: -

الكتابة العربية عند ابن خلدون

يعرف ابن خلدون الكتابة بأ ا: "رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس".

ويضيف بأ ا: "ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية، وهي صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز ا عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى ـ ا الأغراض إلى البلد البعيد؛ فتقضى الحاجات، وقـد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع ا على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم؛ فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع، وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم". [32]

الكتابة وجودة الخط... قرين بالعمران:

يقول ابن خلدون:"وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك؛ تكون جودة الخط في المدينة؛ إذ هو من جملة الصنائع... وأ ا تابعة للعمران؛ ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الأمصار، الخارج عمرا ا عن الحد، أبلغ وأحسن وأسهل طريقاً؛ لاستحكام الصنعة فيها.

كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد، وأن ا معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف، ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه، فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم، وتأتي ملكته على أتم الوجوه".

ويعلل ابن خلدون ذلك بقوله: "وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال".

ويضيف قائلاً: "وليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده، على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له، إلى أن يحصل له الإجادة ويتمكن في بنانه الملكة؛ فيسمى مجيداً". [33]

تاريخ الكتابة العربية:

يقول ابن خلدون: "وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة؛ لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري. وانتقل منها إلى الحيرة لما كان ا من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية ، وا ـددين لملك العرب بأرض العراق. ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة؛ لقصور ما بين الدولتين. فكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك. ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر.

ويقال: إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية. ويقال: حرب بن أمية، وأخذها من أسلم بن سدرة. وهو قول ممكن، وأقرب ممن ذهب إلى أ ـم تعلموها من إياد أهل العراق؛ لقول شاعرهم:

قوم لهم ساحة العراق، إذا

ساروا جميعاً، والخط والقلم

وهو قول بعيد؛ لأن إياداً، وإن نزلوا ساحة العراق؛ فلم يزالوا على شأ ـم من البداوة. والخط من الصنائع الحضرية. وإنما معنى قول الشاعر أ ـم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب؛ لقر ـم من ساحة الأمصار وضواحيها؛ فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة، ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحمير- هو الأليق من الأقوال".

ويضيف ابن خلدون: "وكان لحمير كتابة تسمى المسند، حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذ ـم. ومن حمير تعلمت مضَر الكتابة العربية، إلا أ ـم لم يكونوا مجيدين لها، شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو، فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر؛ فكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم لهذا العهد. أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة؛ لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة أهل الأمصار والدول. وأما مضَر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر؛ فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع". (34)

صناعة الخط عند ابن خلدون

يعرف ابن خلدون الخط بأنه:"بيان عن القول والكلام، كما أن القول بيان عما في النفس والضمير من المعاني؛ فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة.

قال الله تعالى: [خلق الإنسان* علمه البيان](35)، وهو يشمل بيان الأدلة كلها. (36)

أصول فنّ الخط:

يقرر ابن خلدون هذا الأمر فيقول: "فالخط ا ـود كماله أن تكون دلالته واضحة، بإبانة حروفه المتواضعة وإجادة وضعها ورسمها كل واحد على حدة متميز عن الآخر؛ إلاّ ما اصطلح عليه الكتاب من إيصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض، سوى حروف اصطلحوا على قطعها، مثل الألف المتقدمة في الكلمة، وكذا الراء والزاي والدال والذال وغيرها؛ بخلاف ما إذا كانت متأخرة، وهكذا إلى آخرها. ثم إن المتأخرين من الكتاب اصطلحوا على وصل كلمات، بعضها ببعض، وحذف حروف معروفة عندهم، لا يعرفها إلاّ أهل مصطلحهم،

فتستعجم على غيرهم؛ وهؤلاء كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة؛ كأ م انفردوا ذا الاصطلاح عن غيرهم؛ لكثرة موارد الكتابة عليهم، وشهرة كتابتهم وإحاطة كثير من دو م بمصطلحهم. فإن كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي أن يعدلوا عن ذلك إلى البيان ما استطاعوه؛ وإلا كان بمثابة الخط الأعجمي لأ ما بمنـزلة واحدة من عدم التواضع عليه". (37)

فك المعمّى (الشفرة):

ويضيف ابن خلدون:"وليس بعذر في هذا القدر، إلا كتاب الأعمال السلطانية في الأموال والجيوش، لأ م مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس؛ فإنه من الأسرار السلطانية التي يجب إخفاؤها، فيبالغون في رسم اصطلاح خاص م، ويصير بمثابة المعمى. وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف بكلمات من أسماء الطيب والفواكه والطيور أو الأزاهر، ووضع أشكال أخرى غير أشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة. وربما وضع الكتاب للعثور على ذلك، وإن لم يضعوه أولاً، قوانين بمقاييس استخرجوها لذلك بمداركهم يسمو ا "فك المعمى". وللناس في ذلك دواوين مشهورة والله العليم الحكيم". (38)

رحلة الخط العربي:

يتتبع ابن خلدون هذه المرحلة؛ فيقول: "لما جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه؛ فترقت الإجادة فيه، واستحكم، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، إلاّ أ ا كانت دون الغاية. والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد.

ثم انتشرت العرب في الأقطار والممالك، وافتتحوا إفريقية والأندلس، واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية، لما استبحرت في العمران، وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة، في الميل إلى إجادة وجمال الرونق وحسن الرواء. واستحكمت هذه المخالفة في الأمصار، إلى أن رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير، ثم تلاه في ذلك على بن هلال، الكاتب الشهير بابن البواب، ووقف سند تعليمها عليه في المائة الثالثة وما بعدها. وبعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهى إلى المباينة. ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي. ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء، ولقنها العجم هنالك؛ فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مباينة. وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من أوضاع الخط المشرقي. وتميز ملك الأندلس بالأمويين؛ فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط؛ فتميز صنف خطهم الأندلسي، كما هو معروف الرسم لهذا العهد. وطما بحر العمران والحضارة، في الدول الإسلامية، في كل قطر. وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم، وانتسخت الكتب، وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت ا القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه.

ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع، ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة؛ فانتقل شأ ا من الخط والكتابة، بل والعلم، إلى مصر والقاهرة؛

فلم تزل أسواقه ا نافقة لهذا العهد. وللخط ا معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها. وأشكالها متعارفة بينهم. فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع، وقد لقنها حسناً وحذق فيها دربة وكتابا، وأخذها قوانين عملية؛ فتجيء أحسن ما يكون.

وأما أهل الأندلس، فافترقوا في الأقطار، عند تلاشي ملك العرب ا، ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية، من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة؛ فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما. وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها، لتوفر أهل الأندلس ا عند الجالية من شرق الأندلس. وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم. وإنما كانوا يفدون على دار الملك بتونس؛ فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس؛ حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء، وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران، نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه، وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران. وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي، تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها. وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك، بالمغرب الأقصى، لون من الخط الأندلسي، لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا، واستعمالهم إياهم سائر الدولة. ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف. فصارت الخطوط بإفريقية والمغربين مائلة إلى الرداءة، بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها، إلا العناء والمشقة، لكثرة ما يقع من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة، حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر. ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع، بنقص الحضارة وفساد الدول. والله يحكم لا معقب لحكمه" (39).

الرسم العثماني من وجهة نظر ابن خلدون

لقد قدس الله-تعالى- قرآنه ا يد، ومن مظاهر هذا التقديس: الرسم المصحفي، ويراد به الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان- رضي الله عنه- في كتابة كلمات القرآن وحروفه؛ حيث إن الأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للمنطوق، من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير. لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل؛ فوجدت ا حروف كثيرة، جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق؛ وذلك لأغراض شريفة ظهرت، ومنها ما هو مكنون على أسرار كتاب الله، والتي تفسر يوماً بعد آخر ؟ ! (40).

موقف ابن خلدون من الرسم المصحفي:

يتزعم ابن خلدون الفريق القائل بأن رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفي؛ وعليه فتجوز مخالفته. ويرى الفريق: أن ما في الرسم العثماني، من زيادات أو حذف، لم يكن توقيفاً أُوحي به من الله على رسوله، ولو كان كذلك لآمنا به وحرصنا عليه، بل إن هذا الفريق ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيرى أن هذا الرسم، بما فيه من زيادات أو حذف أو غيرها، إنما هو خطأ من الكتاب ؟!! (41)

يقرر ذلك ابن خلدون بقوله: "كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان

والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع".

ويضيف قائلاً: "وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يقتضى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركاً، ويتتبع رسمه خطأً وصواباً. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسماً، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه".

ويتحمس ابن خلدون لما جنح إليه؛ قائلاً: "ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أ م كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل؛ بل لكلها وجه. ويقولون في زيادة الألف في (لا أذبحنه): إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنـزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط. وحسبوا أن الخط كمال، فنـزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح. واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية. والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق؛ إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس. وقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم- أميا، وكان ذلك كمالاً في حقه، وبالنسبة إلى مقامه؛ لشرفه وتنـزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها. وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن؛ إذ هو منقطع إلى ربه، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا، شأن الصنائع كلها، حتى العلوم الاصطلاحية. فإن الكمال في حقه هو تنـزهه عنها جملة بخلافنا". [42]

الردّ على ما جنح إليه ابن خلدون

يمكن أن يرد على ابن خلدون فيما جنح إليه هو ومن تابعه بما يلي: [43]

أولاً: بالأدلة التي ساقها جمهور العلماء لتأييد مذهبهم، والتي بعضها من الكتاب والسنة، وبعضها الآخر من إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم.

ويرى هذا الفريق: أن الرسم المصحفي توقيفي لا تجوز مخالفته.

واستدلوا بأن النبي - صلى الله عليه وسلم- كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن فعلاً ذا الرسم وأقرهم الرسول على كتابتهم، ومضى عهده - صلى الله عليه وسلم- والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل. بل ورد أنه-صلى الله عليه وسلم-كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم المصحف وكتابته. ومن ذلك قوله لمعاوية- وهو من كتبة الوحي-: "ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، ومرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك".

ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن ذا الرسم في المصحف، ثم حذا حذوه عثمان في خلافته، فاستنسخ تلك

الصحف في مصاحف على تلك الكتبة، وأقر أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، عمل أبي بكر وعثمان-رضي الله عنهم أجمعين- وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين؛ فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم، ولم ينقل أن أحداً منهم فكّر أن يستبدل به رسماً آخر من الرسوم التي حدثت في عهد ازدهار التأليف، ونشاط الدواوين، وتقدم العلوم. بل بقي الرسم العثماني محترماً متبعاً في كتابة المصاحف، لا يمس استقلاله، ولا يباح حماه. (44)

ثانياً: أن ما ادعاه بعضهم، من أنه ليس في نصوص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، مردود بما سبق من إقرار الرسول -صلى الله عليه وسلم- كتاب الوحي على هذا الرسم، ومنهم زيد بن ثابت، الذي كتب المصحف لأبي بكر وكتب المصاحف لعثمان... والحديث الآنف، وفيه يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمعاوية: " ألق الدواة، وحرف القلم...إلخ"؛ فإنه حجة على أنه -صلى الله عليه وسلم- كان واضع دستور الرسم لهم.

ثالثاً: ما احتج به جمهور العلماء بأن للرسم العثماني أسراراً، ومزايا وأغراضا عديدة، منها: (45)

1- أن الرسم العثماني يدل على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة. ولتوضيح ذلك: رسمت تكاد السمو هكذا- تكاد السموت فطرن من غير ضبط ولا نقط، فهي برسمها هكذا تحتمل قراءة نافع والكسائي بالياء: يكاد السموت كما تحتمل قراءة الباقين من السبعة بالتاء: "تكاد". وقراءة حفص والكسائي [تتفطرن] - بالتاء وفتح الطاء مشددة- وقراءة الباقين بالنون وكسر الطاء مخففة.

2- إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة. وذلك نحو قطع كلمة [أم] في قوله تعالى أم من يكون عليهم وكيلاً (47). ووصلها في قوله تعالى: أمن يمشي سويا على صراط مستقيم (48). إذ كتبت هكذا "أمن" بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتهما ميما واحدة مشددة؛ فقطع [أم] في الآية الأولى في الكتابة للدلالة على أ ا "أم" المنقطة التي بمعنى بل، ووصل أم الثانية للدلالة على أ ا ليست كتلك.

3- الدلالة على معنى خفي دقيق، كزيادة في كتابة كلمة [أيد] من قوله تعالى: والسماء بنينها بأييد ، (49) إذ كتبت هكذا [بأييد] - بيائين- وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى ا السماء، وأ ا لا تشبهها قوة، على حد القاعدة المشهورة: " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"!

ومن هذا القبيل: حذف الواو من قوله: ويدع الإنسان (50) ويمح الله البطل (51)؛ للدلالة على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل للتأثر به في الوجود! ؟

4- إفادة بعض اللغات الفصيحة، مثل قوله سبحانه وتعالى:[يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه] (52). كتبت بحذف الياء، هكذا: "يأت" للدلالة على لغة هذيل! .

5- حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال، ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة.

وينضوي تحت هذه الفائدة مزيتان:

أ- التوثق من ألفاظ القرآن وطريقة أدائه وحسن ترتيله وتجويده. فإن ذلك لا يمكن أن يعرف على وجه

اليقين من المصحف، مهما تكن قاعدة رسمه واصطلاح كتابته؛ فقد تخطئ المطبعة في الطبع، وقد يخفى على القارئ بعض أحكام تجويده، كالقلقلة والإظهار والإخفاء والإدغام والروم والإشمام ونحوها، فضلاً عن خفاء تطبيقها.

ولهذا قرر العلماء: أنه لا يجوز التعويل على المصاحف وحدها. بل لا بد من التثبت في الأداء والقراءة، بالأخذ عن حافظ ثقة. وإن كنت في شك فقل لي بربك: هل يستطيع المصحف وحده بأي رسم يكون، أن يدل قارئاً أيا كان على النطق الصحيح بفواتح السور الكريمة، مثل: كهيعص . حم ، عسق ، طسم ؟! ومن هذا الباب الروم والإشمام في قوله سبحانه: مالك لا تأمنا على يوسف [53]، من كلمة لا تأمنا !

ب- اتصال السند برسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ وتلك خاصية من خواص هذه الأمة الإسلامية امتازت ا على سائر الأمم.

يتضح، مما سبق، أنه لا صحة لما جنح إليه ابن خلدون، في مقدمته، من أن الرسم المصحفي اصطلاحي، وأن ما ورد فيه، من زيادات، أو حذف، أو غيرها، إنما هو خطأ من الكتاب؟ !!

فالأمر-كما وضحنا بالأدلة والبراهين- لا يتعلق بإحكام الخط من عدمه، كما جنح إلى ذلك ابن خلدون وتحمس؛ إن الأمر متعلق بتوقيفية الرسم المصحفي، كما سبق أن وضحنا.

من هنا؛ يجب الالتزام بالرسم العثماني، وذلك مذهب جمهور العلماء؛ ويستشهدون على ذلك بقول إمامين جليلين من أئمة المذاهب.

فقد سئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء، فقال لا، إلا على الكتبة الأولى.

والإمام أحمد بن حنبل يقول: "تحرم مخالفة خط عثمان في ياء أو ألف أو واو أو غيره" [54].

وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية ما نصه: "كلمة (الربا) تكتب بالواو والألف، كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف؛ لأن رسمه سنة متبعة"[55].

وجاء في المحيط البرهاني في فقه الحنفية ما نصه: "إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني". [56]

هذا، "وقد أثيرت هذه المسألة في زماننا، وكان للجنة الفتوى، في الأزهر الشريف، إسهام فيها؛ إذ رأت الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه، واحتجت لما رأته: بأن القرآن كتب في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- برسم كتبت به مصاحف عثمان. استمر المصحف مكتوباً ذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة ا تهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً، أنه رأى تغيير هجاء المصحف عن ما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة..."[57]

ورأى حنفي ناصف: " وجوب المحافظة على الرسم العثماني؛ لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله، لفظاً وكتابة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان" [58].

الاحتجاج اللغوي عند ابن خلدون

هو ذلك المنهج الذي يعنى بوضع الضوابط والقوانين التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة، بحيث يعد الخروج عليه ضرباً من ضروب اللحن. [59]

وقد وضع اللغويون شروطاً ومعايير لذلك تشمل الزمان والمكان:

فمن ناحية الزمان: حدد اللغويون العرب الفصحاء الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم بنهاية القرن الثاني الهجري، بالنسبة لعرب الأمصار، وأواسط القرن الرابع الهجري، بالنسبة لعرب البدو من جزيرة العرب، وسموا هذه العصور بـ: "عصور الاحتجاج". (60)

أما من ناحية المكان: فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة، فكلما كانت القبيلة بدوية، أو أقرب إلى حياة البداوة ،كانت لغتها أفصح والثقة فيها أكثر. وكلما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة، كانت لغتها محل شك ومثار شبهة؛ ولذلك تجنبوا الأخذ عنها. (61)

ويوضح ذلك أحد اللغويين المحدثين بقوله: وحين استعرضنا مساكن البدو والحضر وحالتهم الاجتماعية؛ تبين لنا أنّ العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولـى: مقدار قرب مساكنها مكة وما حولها.

والثانيـة: مقدار توغلها في البداوة. (62)

أقول: لقد قرر ابن خلدون هذه المعايير في مقدمته، وسبق اللغويين حين قال: "ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها؛ لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جها م. ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم. وأما من بَعد عنهم من ربيعة ولخم وجذاع وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن، ا اورين لأمم الفرس، والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغا م في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية". (63)

ومن خلال تطبيق هذه المعايير، خرج لنا ابن خلدون، من مسحه الشامل للأقطار الناطقة في عهده، بحقيقة قررها بقوله: "اعلم أنّ عرفَ التخاطُبِ في الأمصار وبين الحَضَر ليس بلغَة مضَرَ القديمة؛ بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لُغَة مضر، وعن لغة هذا الجيل العَربي الذي لعهدَنا، وهي عن لغة مضر أبعد.

فأما أ ا لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر، يشهد له ما فيها من التغاير الذي َبعدَ عن صناعة أهل النحو لحنا، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصلاحا م؛ فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده، والإبانة عما في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم.

وأما أ ا أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل؛ فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة. فمن خالط العجم أكثر، كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم... وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى. واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق. أما إفريقية والمغرب، فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرا ا م، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل؛ فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب، لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد. وكذا المشرق، لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم، وتداولت بينهم لغا م في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأظئاراً ومراضع؛ ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى. وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالقة والإفرنجة. وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة م، تخالف لغة مقر ويخالف أيضاً بعضها

بعضاً، كما نذكره، وكأ ا لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم. والله يخلق ما يشاء ويقدر" (64).

اللغة ملكة صناعية عند ابن خلدون

يقرر ابن خلدون هذا بقوله: "اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجود ا وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصا ا، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب".

ويضيف قائلاً: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطبا م، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها؛ فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصـ ـير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم.

هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع؛ أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم، ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم. وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر ا عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضاً؛ فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربي". (65)

هذا؛ ويكشف ابن خلدون عن السر في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان، قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي، فيقول: "والسر في ذلك أن مباحث العلوم كلها إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية، من بين العلوم الشرعية، التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغا ا المؤدية لها، وهي كلها في الخيال؛ وبين العلوم العقلية، وهي في الذهن. واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم، وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك. والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر، وروابط وختام عن المعاني. ولا بد في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها لمعرفة دلالا ا اللغوية عليها، وجودة الملكة لناظر فيها؛ وإلا فيعتاص عليه اقتناصها زيادة على ما يكون في مباحثها الذهنية من الاعتياص"(66).

ويضيف ابن خلدون قائلاً: "وقد تقدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد؛ فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصراً في اللغة العربية، لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل، فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى، وهو ظاهر. وإذا كان مقصراً في اللغة العربية ودلالتها اللفظية والخطية، اعتاص عليه فهم المعاني منها كما مر. إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربية، كأصاغر أبناء العجم الذين يربون مع الغرب قبل أن تستحكم عجمتهم، فتكون اللغة العربية كأ ا السابقة لهم، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من العربية. وكذا أيضاً شأن من سبق له تعلم الخط الأعجمي قبل العربي.

ولهذا نجد الكثير من علماء الأعاجم، في دروسهم ومجالس تعليمهم، يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب إلى قراء ا ظاهراً يخففون بذلك عن أنفسهم مؤونة بعض الحجب ليقرب عليهم تناول المعاني".(67)

ويضيف: "ولا يعترض ذلك أيضاً مما كان لليونانيين في علومهم من رسوخ القدم، فإ م إنما تعلموها من لغتهم السابقة لهم وخطهم المتعارف بينهم. والأعجمي المتعلم للعلم في الملة الإسلامية، يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه، ومن غير خطه الذي يعرف ملكته. فلهذا يكون له ذلك حجاباً كما قلناه. وهذا عام في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج، وسائر من ليس من أهل اللسان العربي. وفي ذلك آيات للمتوسمين". (68)

القياس في اللغة العربية عند ابن خلدون

انقسم علماء اللغة حيال ذلك إلى فرق ثلاثة: (69)

الفريق الأول:

مذهب جمهور العلماء، ويرى أنه لا يصح القياس ـذا العمل، إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة، يبرهن على أن العرب، أصحاب اللغة، قد جاءوا بمثله أو نظيره، وأنّ هذا النظير كثير الورود في كلامهم المروي عنهم.(70)

وقد ذهب إلى هذا ابن جني (71) ،ومن قبله أبو علي الفارسي والمازني وغيرهم من اللغويين.

يقول أبو عثمان المازني: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت بعضها؛ فقست عليها غيره. (72)

هذا، وقد انتصر لهذا الفريق ابن خلدون؛ حيث يقول: "واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة، إنما هو النقل عن العرب أ م استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا تقل إ م وضعوها لأنه متعذر وبعيد، ولم يعرف لأحد منهم. وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم نعلم استعماله، على ما عرف استعماله في ماء العنب، باعتبار الإسكار الجامع، لأن شهادة الاعتبار في باب القياس إنما يدركها الشرع الدال على صحة القياس من أصله. وليس لنا مثله في اللغة إلا بالعقل، وهو محكم، وعلى هذا جمهور الأئمة. وإن مال إلى القياس فيها القاضي وابن سريج وغيرهما. لكن القول بنفيه أرجح". (73)

الفريق الثاني:

ويمثله ابن الأنباري الذي صرح وقرر أن هناك فرقاً بين النحو واللغة: فالنحو علم قائم على المقاييس المستنبطة من كلام العرب، والقياس جاء في النحو، بل قال إن (النحو كله قياس).

ثم قال: بخلاف اللغة، فإ ا وضعت وضعاً نقلياً لا عقلياً، فلا يجوز فيها القياس، بل يقتصر على ما ورد به النقل.(74)

الفريق الثالث:

وقد حاول التوفيق بين نوعين من الألفاظ التي لم يتصرف ا العرب، حيث نوع كثر وروده في كلامهم من غير تصرف، فدل ذلك على قصدهم لإبقائه على هيئته؛ وقد تم فلا يجوز لنا نحن أن نتصرف فيه. ونوع قل وروده في كلامهم فلم يعرف قصدهم فيه فيجوز لنا - إذن- أنْ نتصرف فيه. (75)

الطريق إلى تعلم الفصحى من منظار ابن خلدون

يوجه ابن خلدون نصيحته في هذا المضمار قائلاً: "اعلم أنّ ملكة اللسان المضري، لهذا العهد، قد ذهبت وفسدت. ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي

نزل ا القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة ا. إلا أن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكناً، شأن سائر الملكات. ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنو م؛ حتى يتنـزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منـزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم؛ ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عبارا م، وتأليف كلما م، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم؛ فتحصل له هذه الملكة ذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثر ما رسوخاً وقوة. ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب، ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال. والذوق يشهد بذلك، وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع، نظماً ونثراً . ومن حصل على هذه الملكات، فقد حصل على لغة مضر، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها، وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها".(76)

ويؤكد ابن خلدون أنّ حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينسج هو عليه. ويتنـزل بذلك منـزلة من نشأ معهم وخالط عبارا م في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم. (77)

ويوضح ابن خلدون: أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجود ا بجودة المحفوظ؛ فيقول تحت هذا العنوان: "قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ، لمن يروم تعلم اللسان العربي؛ وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ. فمن كان محفوظه من أشعار العرب الإسلاميين: شعر حبيب أو العتابي أو ابن المعتز أو ابن هانئ أو الشريف الرضي؛ أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابـئ؛ تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة، ممن يحفظ أشعار المتأخرين، مثل شعر ابن سهل أو ابن النبيه أو تَرَسل البيساني أو العماد الأصبهاني، لنـزول طبقة هؤلاء عن أولئك. يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق. وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، تكون جودة الاستعمال من بعده، ثم إجادة الملكة من بعدهما. فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام، ترتقي الملكة الحاصلة، لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتنمو قوى الملكة بتغذيتها". (78)

هذا؛ ويرجع ابن خلدون السبب في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقهـا من كلام الجاهلية، في منثورهم ومنظومهم؛ فيقول: "فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعـة والحطيئـة وجرير والفرزدق ونصَيب وغيلان ذي الرمة والأحوص وبشار، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية، وصدراً من الدولة العباسية، في خطبهم وترسيلهم ومحاورا م للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عَبدَة وطرفة بن العبد، ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاورا م.

والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذاك للناقد البصير بالبلاغة.

والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثيلهما، لكو ا ولجت في قلو م ونشأت على أساليبها نفوسهم؛ فنهضت طباعهم وارتقت ملكا م في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها؛ فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم، أحسن ديباجة، وأصفى رونقاً من أولئك، وأرصف مبنى وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة. وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة. (79)

وبعد؛ فإن مقدمة ابن خلدون تعد موسوعة من الموسوعات الفكرية المنفردة ذا الإيجاز المبهر، اللافت للأنظار؛ وكأ ا مقدمات لكل العلوم! حتى لكأني لا أجد علماً من العلوم الفكرية إلا وجدناه في هذا الكتاب؛ بحيث جمع أطرافه، ملخصاً إياه!!

ولا عجب؛ ففي عصر النكبات تكثر الموسوعات: فمن رحمة الله- تعالى- وفضله أن هيأ بعد نكبة بغداد ثلّة من العلماء الموسوعيين من أمثال: العلامة السيوطي، وابن خلدون، وابن تيمية، وابن القيم... إلخ.

جاء هذا بعد عصر المحن؛ فقد وفقهم الله - تعالى- إلى جمع تراث السابقين في شتى مجالات المعرفة؛ ولعلهم أخذوا الدرس من ضياع ما ضاع من تراث المسلمين في دجلة، في الوقت الذي لم تصل إليه أنظمة حديثة لجمع التراث كالحاسوب (الكمبيوتر)-مثلاً-؛ فكان العلماء الأجلاء؛ ولعله لحكمة عظيمة، وهي حفظ تراث المسلمين المتعلق بكتاب الله –تعالى-!

رحم الله المفكر العظيم العلامة ابن خلدون (ت 808هـ) رحمة واسعة، بقدر ما قدم للإنسانية وأفادها من منبع علمه، وفيض معرفته، وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين...

الهوامـــش

1- تاريخ العلامة ابن خلدون: (كلمة الناشر)- بتصرف يسير-، ط. دار الكتاب اللبناني، سنة 1982م.

2- من أعلام الحضارة الإسلامية:د. حمد بن ناصر الدخيل، ص339، الطبعة الأولى- دار الشبل بالرياض، سنة 1993م.

3- الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير: د. محمد رجب البيومي، ص204-بتصرف يسير-، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1980م.

4- لمزيد من التفصيل؛ يراجع: ترجمة ابن خلدون لنفسه في كتاب "العبر" (تاريخ العلامة ابن خلدون): 14/795-1224. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني: 1/337-339: ط. دار المعرفة ببيروت، د.ت. ودراسات عن المؤرخين العرب: المستشرق مارغوليوث، ترجمة د. حسين نصار، ص 170-172، ط. دار الثقافة ببيروت، د.ت. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب: للعماد الحنبلي، 7/76،77، الطبعة الثانية- دار المسيرة ببيروت، سنة 1979م. والضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوي، 4/145-149، ط. دار مكتب الحياة ببيروت: د.ت. وكنـز الأجداد: لمحمد كرد علي، ص369-377، الطبعة الثانية-دار الفكر بدمشق سنة 1984م. والنجوم

الزاهرة: لابن تغري، 155،156/14، ط. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

5- ورد في هامش تحقيق تاريخ العلامة ابن خلدون، عند ترجمة ابن خلدون لنفسه، 795/14، ما نصه: (ابن خلدون)- بفتح الخاء- كما ضبطه (ابن خلدون) بخطه بالقلم مراراً، وكما نص عليه السخاوي في الضوء اللامع: 145/4.

أقول: وتأسيساً على ما سبق؛ فإننا نقول ابن خلدون- بفتح الخاء-؛ على سبيل الحكاية !

6- ابن خلدون (732-808هـ): للدكتور عماد الدين خليل، ص 125، بحث منشور في كتاب: أعلام التربية العربية الإسلامية (ا لمد الرابع)، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، سنة 1989م.

7- المرجع السابق: ص 125.

8- من أعلام الحضارة الإسلامية: ص339.

9- الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير: ص 198.

10- تاريخ العلامة ابن خلدون: (كلمة الناشر).

11- من أعلام الحضارة الإسلامية: ص 343.

12- من أعلام التربية العربية الإسلامية: ص 126/4.

13- تاريخ العلامة ابن خلدون: (كلمة الناشر).

14- الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير: ص200، 201.

15- عصر سلاطين المماليك: للدكتور محمود رزق سليم، 235/6، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة. نقلاً عن كتاب الأدب العباسي: للشيخ أحمد الإسكندري، ص 233.

16- المرجع السابق: 235/6.

17- ابن خلدون: للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص248، (سلسلة أعلام العرب).

هذا؛ ومن التراكيب المخطئة التي أحصاها الدكتور وافي في المقدمة: "لابد وأن"، "لا يترك شيئاً إلا وأحصاه"، "لم يقتصر على ذلك بل وأخذ يعمل كيت وكيت".

18- الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير: ص 205، 209.

19- مقدمة ابن خلدون: ص 469.

20- المصدر السابق: ص 469.

21- نفس المصدر: ص 469-470.

22- المصدر السابق: ص 470-471

23- نقس المصدر: ص471.

24- المصدر السابق: ص 472.

25- نفس المصدر: ص 472-473.

26- المصدر السابق: ص 473.

27- نفس المصدر: ص 474.

28- المصدر السابق: ص475.

29- نفس المصدر: 475، 476.

30- المصدر السابق: ص 476.

31- عصر سلاطين المماليك: للدكتور محمود رزق سليم، 235/6، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة. نقلاً عن كتاب الأدب العباسي: للشيخ أحمد الإسكندري، ص 233.

32- مقدمة ابن خلدون (ت 808هـ): ص 328-329- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية ببيروت، سنة 1993م.

33- المصدر السابق: ص 329.

34- نفس المصدر: ص329-330.

35- سورة الرحمن: الآيتان 3، 4.

36- مقدمة ابن خلدون: ص 333.

37- المصدر السابق: ص 333.

38- نفس المصدر: ص333.

39- المصدر السابق: ص 331-332.

40- مفاهيم العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، 369/1-بتصرف-، ط. عيسى البابي الحلبي، د.ت.

41- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبد الفتاح شلبي، ص 119- بتصرف يسير-، ط. دار ضة مصر، سنة 1380هـ. وراجع؛ بحوث ومقالات في فقه العربية: د. محمد السيد علي بلاسي، ص 88 وما بعدها، الطبعة الأولى-دار الولاء للتراث، سنة 1994م؛ تجد مزيداً من التفصيل حول هذه القضية.

هذا؛ ولعل ما تحمس له ابن خلدون في قضية الرسم المصحفي وعدم توقيفه ما قد فتح ا ال للمستشرقين المغرضين ومن تابعهم من أمثال جولد تسيهر وآرثر جفري: من أن الرسم المصحفي أصل لاختلاف القراءات؟ !! لمزيد من التفصيل؛ ينظر: قطوف من فقه اللغة:د. محمد السيد على بلاسي، ص 64 وما بعدها، الطبعة الأولى-دار ظافر، سنة 2000م.

42- مقدمة ابن خلدون: ص 330، 331.

43- مفاهيم العرفان في علوم القرآن: 381،382/1-بتصرف يسير-، وراجع ما بعدها من صفحات؛ تجد مزيداً من التفصيل.

44- المرجع السابق: ط/377 –بتصرف يسير.
45- نفس المرجع: 377/1 وما بعدها.
46- سورة الشورى: من الآية 3.
47- سورة النساء: من الآية 109.
48- سورة الملك: من الآية 32.
49- سورة الذاريات: من الآية 47.
50- سورة الإسراء: من الآية 11.
51- سورة الشورى: من الآية 22.
52- سورة هود: من الآية 105.
53- سورة يوسف: من الآية 11.
54- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص 116، 117، نقلاً عن المحكم: ص15.
55- مناهل العرفان في علوم القرآن: ص 379.
56- نفس المرجع والصفحة.
57- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص 118 نقلاً عن مجلة الرسالة: العدد 216 سنة 1937م.
58- المرجع السابق: ص 118، نقلاً بتلخيص عن مجلة المقتطف: عدد يوليو سنة 1933م.
59- الموجز في البحث اللغوي: د. محمد سعد، ص 62، نقلاً عن: البحث اللغوي بين النظرية والتطبيق: د. محمد عفيفي، ص 93. ولمزيد من التفصيل، يراجع: المدخل إلى البحث اللغوي:د. محمد السيد على بلاسي، ص 63 وما بعدها، الطبعة الأولى – المطبعة العصرية ببيروت، سنة 1999م.
60- ينظر؛ مجلة مجمع الخالدين 202/1، 294، 303. وفقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، ص 199، ط. دار ضة مصر، د.ت.واللغة العربية.. خصائصها وسما ا:د عبد الغفار هلال ص 138، الطبعة الثالثة، سنة 1406هـ.
61- البحث اللغوي عند العرب:د. أحمد مختار عمر، ص 47،48، الطبعة الرابعة- مطابع سجل العرب، سنة 1402ه.
62- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ص ،51، 52- بتصرف يسير-، ط6- مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
63- مقدمة ابن خلدون: ص 477.
64- المصدر السابق: ص 480.
65- مقدمة ابن خلدون: ص 477.
66- المصدر السابق: ص 467، 468.
67- نفس المصدر والصفحة.
68- المصدر السابق: ص 469.
69- لمزيد من التفصيل، يراجع: الاشتقاق عند الزجاج.. مع عمل معجم اشتقاقي لغوي من كتبه المتاحة: للدكتور/ محمد السيد علي بلاسي، ص 84 وما بعدها (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر الشريف، سنة 1993م).
70- من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص 48، الطبعة الثالثة- مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1966م.
71- راجع؛ الخصائص: لابن جني، 121/1، 358، 270/3 وما بعدها، تحقيق محمد علي النجار، ط3- عالم الكتب، سنة 1403هـ.
72- انظر؛ دراسات في العربية وتاريخها: للإمام الشيخ محمد الخضر حسين، ص 70، الطبعة الثانية، الناشر: المكتب الإسلامي بدمشق، سنة 1380هـ.
73- مقدمة ابن خلدون: ص 473.
74- تعليل الأسماء: د. محمد حسن جبل، ص 52، 53، (بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر المنصورة، العدد العاشر، سنة 1410هـ).
75- الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي:د. عبد الحميد محمد أبو سكين، ص 81- بتصرف يسير- الطبعة الأولى- الأمانة، سنة 1399هـ.
76- مقدمة ابن خلدون: ص 481.
77- المصدر السابق: ص 482.
78- نفس المصدر: ص 495، 496.
79- المصدر السابق: ص 497.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**

1- ابن خلدون: علي عبد الواحد وافي، (سلسلة أعلام العرب).

2- ابن خلدون (732-808 هـ):عماد الدين خليل، بحث منشور في كتاب: أعلام التربية العربية الإسلامية (ا لمد الرابع)، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، سنة 1989م.

3- الأدب الأندلسي بين التأثر و التأثير: محمد رجب البيومي، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1980م.

4- الاشتقاق عند الزجاج.. مع عمل معجم اشتقاقي لغوي من كتبه المتاحة: محمد السيد علي بلاسي، (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر الشريف)سنة 1993م.

5- الاشتقاق وأثره في النحو اللغوي: عبد الحميد محمد أبو سكين، الطبعة الأولى- الأمانة، سنة 1399هـ.

6- البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، الطبعة الرابعة – مطابع سجل العرب، سنة1402هـ.

7- بحوث ومقالات في فقه العربية: محمد السيد على بلاسي، الطبعة الأولى- دار الولاء للتراث، سنة 1994م.

8- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني، ط. دار المعرفة ببيروت، د.ت.

9- تعليل الأسماء: محمد حسن جبل، (بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر المنصورة: العدد العاشر، سنة 1410هـ).

10- تاريخ العلامة ابن خلدون: ط. دار الكتاب اللبناني، سنة 1982م.

11- الخصائص: لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط3، عالم الكتب، سنة 1403هـ.

12- دراسات عن المؤرخين العرب: للمستشرق مارغوليوث، ترجمة حسين نصار، ط.دار الثقافة، بيـروت، د.ت.

13- دراسات في العربية وتاريخها: للإمام الشيخ محمد الخضر حسين، الطبعة الثانية، الناشر: المكتب الإسلامي بدمشق، سنة 1380هـ.

14- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. دار ضة مصر، سنة 1380هـ.

15- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: للعماد الحنبلي، الطبعة الثانية- دار المسيرة ، بيروت، سنة 1979م.

16- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوي، ط. دار مكتبة الحياة بيروت: د.ت.

17- عصر سلاطين المماليك: محمود رزق سليم، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة.

18- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، ط. دار ضة مصر، د.ت.

19- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

20- قطوف من فقه اللغة: محمد السيد علي بلاسي، الطبعة الأولى، دار ظافر، سنة 2000م.

21- كنوز الأجداد: لمحمد كرد علي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سنة 1984م.

22- اللغة العربية.. خصائصها وسما ا: عبد الغفار هلال، الطبعة الثالثة، سنة 1406هـ.

23- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (العدد الأول).

24- المدخل إلى البحث اللغوي: محمد السيد علي بلاسي، الطبعة الأولى، المطبعة العصرية، بيروت، سنة 1999م.

25- مقدمة ابن خلدون (ت808هـ)، الطبعة الأولى)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1993م.

26- من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، سنة 1966م.

27- من أعلام الحضارة الإسلامية: حمد بن ناصر الدخيل، الطبعة الأولى، دار الشبل بالرياض، سنة 1993م.

28- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط. عيسى البابي الحلبي، د.ت.

29- الموجز في البحث اللغوي: محمد سعد. نقلاً عن: البحث اللغوي بين النظرية والتطبيق: محمد عفيفي (بدون طباعة وتاريخ).

30- النجوم الزاهرة: لابن تغري، ط. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

تحرير ظاهرة القلقلة في القراءة وعلم الأصوات

د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان [*]

دعا إلى هذا البحث الاختلاف بين المسموع من قراءة القُراء لما فيه من صوت القلقلة بأحرفها، ولا سيما القاف والجيم، ومخارج تلك الأحرف، حتى إن السامع، لما فيه من حروف القلقلة، لا يجد موجباً لها؛ وذلك لضعف دواعيها في أحرفها. والقارئ المتتبع لذلك ينكر وقوع قلقلة القاف والجيم، من أغلب القُراء، بمقتضى مخارج حروف القلقلة المذكورة في كتب التجويد. وإذا سمع منها، شيئا بدا أن القلقلة ضعيفة جداً، لا تكاد تسمع، ويغلب على صوتها في قراءة القارئ السكون، فالقاف في نحو " الفلق، وخلق" (العلق 1-2)، عند الوقف عليها يكاد يسمع لها صوت. وكذا " نقعا" (العاديات 4)، ومثل ذلك صوت الجيم في "الرجعى" (العلق 5) و"نجعل" و "النجدين" (البلد 8، 10).

بل إن في كلام علماء اللغة على صوتي القاف والجيم مخرجا ما لا يدل على أنهما من أصوات القلقلة. قال سيبويه في تعيين مخرج القاف [1] : "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف..." وفي تعيين مخرج الجيم [2] "وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك مخرج الجيم والشين والياء". وكلام المبرد أعم من كلام سيبويه، يقول [3] : "أول مخارج الفم مما يلي الحلق مخرج القاف ... ويتلو ذلك مخرج الكاف وبعد مخرج الشين ويليها مخرج الجيم".

ولا شك أن في تعيين مخارج هذه الحروف مقترنا بمسموع أمثلة منها ونماذج، يجعلها واضحة، شيئا ما، في إظهار صوت القلقلة في درجة ما، كما أن كلام علماء الأصوات على صفات تلك الحروف تزيد في الكشف عن صوت القلقلة وتوضيحه. واشتهرت هذه الحروف بصفة القلقلة أو اللقلقة. وذكر عن الخليل فرق بين المصطلحين، أن أولهما شدة الصياح، وثانيهما شدة الصوت [4]. جاء في القاموس المحيط أن قلقل بمعنى صوت. والشيء قلقلة وقلقالا بالكسر، ويفتح حركه. والتقلقل التحرك، وحروف القلقلة : جطد قب. ولقلق كل صوت في اضطراب أو شدة الصوت[5].

واختلف العلماء في استعمال أي المصطلحين، فالمتقدمون لزموا كلمة القلقلة، وبعض المتأخرين خصوا هذه في حال الوقف، لأن الصوت ا يظهر في الوقف. وقد فسر ابن الجزري ذلك بما يكشف عن فهم المتأخرين لكلام المتقدمين[6].

واختلفوا في عد ا، فهي خمسة أحرف، وجمعوها في لفظ : جد بطق ، أو قد طبج، أو قطب جد. وشاع آخرها. وهي ثمانية بإضافة الهمزة والتاء والكاف. وفسر ابن الجزري ترك الجمهور للهمزة بما يدخلها من التغيير، وأن سيبويه ذكر التاء بما لها من نفخ وهو قوي في الاختبار، وأن المبرد ذكر الكاف لأ ا دون القاف. وقد

[*] عمان - الأردن

جمعوها في قولك : أجدت طبقك، أو أجدك قطبت. وبعض هذه الحروف أشد قلقلة من غيرها، وأصلها في ذلك القاف، لشدة استعلائها. وأوضح المبرد صوت قلقلة بقوله : [7] "واعلم أن من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه...وإذا تفقدت ذلك وجدته، فمنها القاف والكاف إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد. وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف فإن وصلت لم تكن ... وهذه المقلقلة بعضها أشد من بعض..." .

وفي كلام مكي توضيح أكثر لصوت القلقلة قوله: [8] "وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن وإرادة إتمام النطق بهن، فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن"، وقال أيضا : "فكأن الصوت يشتد عند الوقف على القاف، فسميت بذلك لهذا المعنى. وأضيف إليها أخواتها لما فيهن من ذلك الصوت الزائد عند الوقف عليهن".

وكلام سيبويه على صفة كل حرف من حروف القلقلة يوضح ما تقدم ذكره من نقض هذه الصفة فيها، أو انعدامها، في وقت ما. ويذكر الشدة وحروفها، فيعدها على الترتيب: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء، ويفسرها بأنها الحروف التي يمتنع أن يجري فيها[9]. ويفسرها المبرد بأنها تمنع النفس. ومثل سيبويه للشدة بقوله:"إذا لفظت بها لم يتسع مخرج النفس معها"[10].

ويوضح المبرد هذه الأصوات بأنك إذا رددتها ارتدع الصوت فيها وهي المجهورة [11].

ويتبع ذلك كلامه على حروف القلقلة بأنها تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها. وذلك لأنها اضغطت مواضعها [12].

وذكر ابن يعيش هذه الحروف بقوله: [13] وهي حروف تخفى في الوقف وتضغط في مواضعها فيسمع عند الوقف في الحرف منها نبرة تتبعه. وإذا شددت ذلك وجدته. فمنها القاف كقول : الحق. ومنها الكاف، إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد. وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف... وقال أيضا : "وسميت حروف القلقلة لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت لشدة الحصر والضغط نحو : الحق، اذهب، اخلطْ، اخرج. وبعض العرب أشد تصويتا من بعض". وكذلك قال ابن الجزري [14]: ثم إن هذه الحروف وصفت بالجهر. فذكر ابن الجزري الجيم، وأنها انفردت من أخويها الشين والياء بالشدة. واشتركت مع الياء في الجهر [15]، ونقل عن يعقوب بن السكيت [16] أن بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيماً، وأنشد عن ابن الأعرابي :

كأن في أذنابهن الشول

عبس الصيف قرون الإجل

يريد الإيل.

وتقديم العلماء لصوت القاف على أخواته، وجعله أصل الحروف الأخرى في القلقلة، يوجب السؤال عن صوتها بالقلقلة في ما يسمع من قراءة القراء، لماذا يخفى أو لا يسمع كما ينبغي، بحسب كلام ابن الجزري، وهو يفسر حاجتها إلى القلقلة بقوله[17]:"لأنها إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها حال سكونها في الوقف وغيره، وإلى زيادة إتمام النطق بهن. فذلك الصوت في سكونهن أبين منه في حركتهن. وهو في الوقف أمكن". فكلمة الضعف، في هذا النص، لا تعني غير خفاء تلك الأحرف. وذكره لزيادة إتمام النطق بهن يفيد ذلك أيضا. وكذلك تقريره أن القلقلة فيهن أبين وهي ساكنة منها وهي متحركة. وفي تفسير الخليل للقلقلة بأنها شدة الصياح؛ أي ارتفاع الصوت بأحرف القلقلة غاية المراد بإسماع الصوت بها.

واستيفاء صفات هذه الحروف، مما قرره علماء الأصوات، يزيد في أن تكون مسموعة وهي مع غيرها، مما ذكره معه ابن السراج تسعة عشر حرفا [18]. والحرف المجهور هو الذي أشبع الاعتماد على موضعه، ومنع النفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد. وفي كلام ابن يعيش أن الجهر يقوي الاعتماد في الحرف [19].

وتوصف هذه الحروف بالشدة. والحرف الشديد هو الذي يشتد الاعتماد فيه بلزوم موضعه؛ أي انضغاطه، كما ذكر ابن يعيش [20]. وتعريفها عند المبرد أنها الحروف التي تمنع النفَس، وتسمى الشديدة [21]، وقال فيها أيضا إن اللفظ بها لا يتسع معها مخرج النفَس [22].

وذكر مكي أن أصوات الحروف الأخرى، وهي الهمزة والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، أضيفت إلى القاف لما فيهن من ذلك الصوت الزائد؛ أي النبر عند الوقف عليهن. وإن كانت القاف أبينها لقربها من الحلق وقوتها في الاستعلاء [23]. وأشار ابن يعيش إلى درجات القلقلة، فبعض أصواتها أشد حصراً من بعض[24].

وفي ما نقله ابن الجزري عن أبي الحسن شريح من كلامه على حروف القلقلة، واختلافها بما لها من النبر، وأثر موضعها في الكلمة، وهي أنها متوسطة نحو الباء في كلمة الأبواب، والجيم في كلمة النجدين، والدال في كلمة مددنا، والقاف في كلمة خلقنا، والطاء في كلمة أطوار. وكون هذه الأحرف طرفا في نحو : لم يتب، ولم يخرج، ولقد، ومن يشاقق، ولا تشطط، فهذه أبين من المتوسطة في الوقف. وقال ابن الجزري إن هذا عين ماقاله المبرد[25].

ونص مكي أن النبر في حروف القلقلة في الوقف عليها أظهر منه في الوصل [26].

وفي كلام السيوطي عن ظاهرة النبر وغيرها من مخارج أصوات الحروف وصفا لها توضيح لها في حال ائتلاف الكلام. فهو يفرق بين نطق الحرف وحده ونطقه في كلمة، أو انعقاد الكلام. ويدعو القارئ أن يأخذ نفسه بإحكام الحرف حالة التركيب [27] لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقّق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة. فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد.

وهذا ما شرحه دانيال جونز في كلامه على صوت الجيم [28]، فهو يصفه بأن الأوتار الصوتية عند النطق به تتذبذب حتى يسمع، لأنه حرف ساكن انفجاري حلقي. وذكر منه عدة أصوات بحسب موقعه من الكلمة، فهو في نحو (geese) أمامي وفي نحو (got) خلفي. ولحرف العلة تأثير فيه، نحو (language) حيث تستدير الشفتان، ويتأثر بحرف (m,n) نحو (dogmatic) و(agnis)، ويتأثر صوت (g) إذا أتبع بمثل (a,o,u) كما في (language, good, game)

ويسمع صوت (g)في نحو (exact, examination)

وهو ما وضحه ابن الجزري بقوله [29] : "والجيم يجب أن يتحفظ بإخراجها من مخرجها. فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر. وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف، كما يفعله بعض الناس، وهم موجودون كثيرا في بوادي اليمن. وإذا سكنت وأتى بعدها بعض الحروف المهموسة، كان الاحتراز بجهرها وشدتها أبلغ... وكذا إذا كانت مشددة".

وأشار الدكتور كمال بشر إلى صوتي الجيم والقاف من حيث كلامي عليهما، وعلى الرغم من محاولته إيضاح ما يتصل بمخرجهما والعرض لكلام العلماء عليهما، فإن في تقريره تشتيتا يبعد القارئ عن حقيقة الأمر، بل إنه نفى أن يكون رواد علم الأصوات، من العرب، قد ذكروا الهمزة ضمن أصوات القلقلة. وفي كلام سيبويه على أصوات القلقلة قطع بأن الهمزة من بينها (30).

وأضيف إلى ذلك كيف ينطق الناس اليوم بصوتي القاف والجيم، ولا سيما في بعض دول الخليج وبلاد الشام ومصر. فأول الصوتين ينطق في كلامهم بلفظ صوت الجيم في الإنجليزية نحو (gool) و (agnis) بدرجة من القلقلة عالية. وثاني الصوتين ينطق بلفظ صوت الجيم القاهرية نحو: جميل، جابر، بدرجة من القلقلة أقل من القاف، فهما صوتان متآخيان في الشدة والجهر، متقاربان في النبرة؛ أي القلقلة، مختلفان في المخرج، غير أنهما في قراءة القُراء اليوم مختلفان، فهما في السمع أقل درجة في القلقلة، حتى إن أصوات الطاء والدال والباء أكثر قلقلة منهما في القراءة القرآنية، نحو: أفتطمعون، فادارأتم، من قبل (31).

علماً أن صوتي القاف والجيم المقلقلين شائعان أكثر في بلاد الخليج. وتشيع الجيم المقلقلة في لهجة القاهرة، وتسمع في صعيد مصر دالاً مشددة مجهورة.

ويدعو هذا الكلام إلى ذكر خبر(32) "القراءة سنة". فكيف القراءة في ظاهرة القلقلة، وهل لهذا تفسير؟ لا يعقل أن تختلف القراءة، ذلك أن القلقلة درجات، ولم يزل القراء في جملتهم يأتون على القلقلة في درجة دون أن يرتكبوا مخالفة في ذلك، برخصة الأحرف السبعة التي تبيح للناس أن يقرأوا بحسب اقتدارهم وعاداتهم اللغوية. فهم لا يغيرون في النص العزيز شيئا، وقد ثبت في رسم المصحف ورواية النص قراءة لم تزل كما كان يأخذها آخر عن أول دون أن يحيد أحد عن الأصول المتبعة في قراءة القرآن، غير ما طرأ على نطق بعض أصوات من اختلاف الحروف. وهذا ظاهر جداً، وبات من عادة الناس هنا وهناك مما لا يستطيعون الكلام خلاف تلك العادة. وهذا أمر معروف، فطالما تحدث من ليس من قوم أي قوم بلغتهم، فأتى باللفظ بلهجته في لغته الأم. وهذه الظاهرة تفسر قراءة القُراء بالنص العزيز، فيأتي لفظهم مبايناً لما نص عليه علماء اللغة من ظواهر نحو القلقلة والإدغام والإمالة. وفي الخبر أن أبا بكر ابن عياش ذكر قراءة عاصم لكلمة مؤصدة(33) أنه كان يهمزها همزاً شديداً، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظها. وقال: كنت أشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها (34). وعاصم ممن جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد،(35) فكيف بغيره من الناس ولا فصاحة لهم.

ومما يعتذر به لهؤلاء الذين أخطأوا في أداء نحو ظاهرة القلقلة أن وصف علماء اللغة لمخارج الأصوات وصفا جاء غاية في المطلوب وتقريرا لكلامهم. بيد أن الناس فيه متفاوتون، لا يمكن أن يتقاربوا في أداء ذلك لاختلافهم في القدرة وتباين لهجاتهم، وهو ما جاءت الرخصة به في خبر الأحرف السبعة.

الهوامش

1- كتاب سيبويه 405/2، ليس من خلاف في عبارة الآخـرين في تعيين مخارج هذه الأصوات، نحو كلام ابن جني في سـر صناعة الإعراب 47/1، وابن يعـيش في شـرح المفصـل 124/10، وكلام شراح الشافية في شروح الشافية 336/1.

2- نفسه 433/4.

3- المقتضب 192/1.

4- القاموس المحيط : قلقل.

5- النشر 203/1.

6- نفسه .

7- المقتضب 196/1.

8- الرعاية 124.

9- المقتضب 195/1.

10- كتاب سيبوية 406/2.

11- نفسه 194/1.

12- نفسه.

13- شرح المفصل 129/10.

14- النشر 203/1.

15- نفسه214/1.

16- سر صناعة الإعراب 176/1.

17- النشر 203/1.

18- الأصول في النحو 403/3.

19- شرح المفصل 129/10.

20- نفس الصفحة من السابق.

21- المقتضب 194/1.

22- نفسه 195/1.

23- الرعاية 125.

24- شرح ابن يعيش 129/10.

25- النشر 204/1.

26- الرعاية 124.

27- الإتقان 285/1.

28- An Outline of English Phonotics

29- النشر 217/1.

30- كتاب سيبويه 406/2. وانظر علم اللغة العام146/1.

31- سورة البقرة71.

32- السبعة في القراءات 50، وفضائل القرآن 104/أ.

33- سورة الهمزة 8.

34- الرعاية لتجويد القراءة 146.

35- غاية النهاية 347/1.

المصادر والمراجع

1- بشر، كمال محمد ، **علم اللغة العام** – الأصوات، ط 2 ، دار المعارف بمصر، 1970.

2- الجاربردي، ابن جماعة الكتاني، **مجموعة الشافية من علمي الصرف والخطّ**، عالم الكتب، بيروت.

3- ابن الجزري، محمد بن محمد أبو الخير، "أ" **النشر** في **القراءات العشر**، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبعة التوفيق، دمشق، 1345 "ب" غاية النهاية في طبقات القراء، بعناية ج. برجشتراسر ، مكتبة المثنى، بغداد.

4- ابن جني، عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، **سر صناعة الإعراب**، ط1، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.

5- ابن السراج، محمد بن سهل أبو بكر، **الأصول** في **النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

6- ابن سلاّم، القاسم أبو عبيد، **فضائل القرآن**، مخطوط نسخة المكتبة الظاهرية، دمشق.

7- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، **كتاب سيبويه**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، 1966.

8- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **الإتقان** في **علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967.

9- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين، **القاموس المحيط**، تصحيح مصطفى عناني، 1913.

10- القيسي، مكي بن أبي طالب أبو محمد، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، 1984.

11- المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963.

12- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر، **السبعة** في **القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1972.

13- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين، **شرح المفصل**، عالم الكتب، مكتبة المثنى، بيروت، القاهرة.

14- An Outline of English Phonetics, Danial Jones, W.Heffe, Cambridge, 1969.

التداخل الدلالي بين الاسم والمسمى والتسمية

د. وليد السرافبي(*)

إن قضـــية الاســـم (Noun) والمســـمى (Nominee) والتسمية (Nomination)، توافقاً في الدلالة، أو تناقضاً وتداخلاً، إحدى القضـايا الفكريـة الكبرى التي طال فيها النـزاع، واحتدم فيها الجـدل، وتضاربت فيها الآراء بـين الأصـوليين، واللغـويين، والنحاة، فلا تكاد مؤلفات كثير منهم تخلو من عرض لهذه المسألة، أو الضرب فيها بنصيب وافر، حتى خصها بعضهم بمؤلف خاص، كالبيهقي (ت 458 هـ)، والغزالي (ت 505 هـ)، وابن السيد البطليوسـي (ت 521 هـ)، والفخـر الرازي (ت 606 هـ). وكانت مسألة خلق القرآن الـتي قال ا المعتزلة، وتبرأ منها أهل السنة، هي المهاد النظري الفكري لهذه القضية في الفكر الإسلامي.

وليس هدف البحث أن يخوض في تلك المسألة، التي كان لها أكبر الأثر في مسيرة الفكـر الإسـلامي، ولكنه محاولة يؤمل أن تكون جادة في تبيان دلالات هذه المصطلحات الثلاثة: الاسم، والمسمى، والتسمية، لدى كل من المناطقة، والأصـوليين، واللغـويين، والنحـاة، وتوصيف العلائق فيما بين هذه المصطلحات، ترابطاً أو انفصالاً، وبيان علاقة كل ذلك بعلم ((الســيمياء)) في تراثنا الفكري العربي، وفي علم اللغة الحديث، وذلك كله من خلال طرح جملة من القضايا الإشكالية، ومحاولـة إيجاد إجابات شافية لها، والكشف عن علاقة ((الاسم)) بجوهر المسمى وماهيته، وهل هو جزء لا يتجـزأ مـن جوهر المسمى فتكون اللغة هبة إلهية، أم أن الاسم رمز لغوي (Symbole) للمسمى (nominee)، فتكون اللغة تقليداً اجتماعياً ؟ ومن ثم توظيف بعض نتائج هذا البحث في ميدان النحو العربي.

يطلق (الاسم = Noun) في العربية ويقصد به الدليل أو العلامة. جاء في لسان العرب: ((واسم الشيء وسمه وسمه وسماه: علامته))[1]. وجاء فيـه أيضاً: ((والاسم: اللفظ الموضوع علـى الجـوهر أو العرض لتفصل فيه بعضه عن بعض))[2].

وجاء في القاموس المحيط: ((اسم الشيء وسمه وسماه، وسماه – مثلـثين – علامته)) [3].

ويراد بالاسم اصطلاحاً: ((ما دل على معنى في نفسه غير متعرض ببنيته للزمان، ولا يدلّ جـزء مـن أجزائه على جزء من أجزاء معناه، واللفظ الدال علـى معنى مفرد دلالة إشارة دون الإفادة)) [4].

والمسمى - لغة -: اسم مفعول من الفعل الزائـد على ثلاثة أصول سمى تسمية، فهو مسمى، وهو مـا

(*) كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

وقع عليه الاسم. واصطلاحاً: ((ذات الشيء الذي وضع الاسم بإزائه، أو المعنى الذي وضع الاسم بإزائه)) [5].

والتسمية-لغةً -: مصدر الفعل غير الثلاثي سمى تسمية: أطلق اسماً. واصطلاحاً: ((وضع الاسم للمعنى، أو إعطاء اسم أو صفة لمسمى معين، وجعل ذلك اللفظ دالاً على ذلك المعنى، أو جعل ذلك اللفظ المعين معرفاً لماهية ذلك المسمى)).

لقد قسم أفلاطون الألفاظ على أساس دلالتها على مسمياتها قسمين:

أولهما: أن الاسم، تبعاً لوظيفته في القضية المنطقية، هو ((اللفظ الذي يمكن أن يقع موضوعاً للمحمولية التي يعكسها التركيب)) [6]. فقد قصر (أفلاطون) تعريف الاسم على وظيفته الدلالية تارة، فأكد في كتابه (Kar Tyle) أن للأشياء جوهراً ثابتاً، والاسم أداة تواصل وفرز وتعبير عن هذا الجوهر فهو شبيه بالمكوك بالنسبة إلى القماش، وأن ثمة تلاؤماً طبيعياً بين الكلمة الدالة ومعناها أو مسماها (المدلول)، وبذلك يكون (الدال) تعبيراً لا ينفصم عن جوهر المدلول؛ ذلك أن اقتران الدال بالمدلول هو الذي يؤسس اللغة، وهذا الاقتران يتشكل رمزاً لغوياً متقاطعاً من الناحية الدلالية مع المرجع الخارجي أو المفهوم [7].

وأشار من ناحية أخرى إلى العلاقة الإسنادية التي تقوم في القضية المنطقية بين الاسم الذي يكون موضوعاً لمحمول [8].

وأثبت أفلاطون من خلال (كراتيلس) قيام علاقة طبيعية بين المسميات وما يشير إليها من أسماء، وهذه العلاقة هي الأصل الكامن وراء وجود هذه الأسماء؛ ذلك أن الأصل في الاسم أن يحاكي شيئاً، وفي هذه المحاكاة تعريف بالأشياء وإعلام بها، وإذا عرفت الأسماء عرفت مسمياتها [9].

إن اللغة-وفاقاً لرأي كراتيلس السابق-هبة إلهية، والأسماء جزء لا يتجزأ من جوهر المسميات[10]، وهو بذلك يناقض ما ذهب إليه (هيرموجين)- أحد تلامذة سقراط-من أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأن تعليق اسم على مسمى أمر اعتباطي، فلكل مسمى اسم تواطأ الناس على جعله رمزاً لهذا المسمى، ومن هنا – على ما يرى – كان الإغريق والبربر يقدرون على تسمية أشياء واحدة بأسماء متعددة [11].

والتقى ((دينيس التراقي)) (توفي في القرن الثاني قبل الميلاد) بأفلاطون في تعريفه السابق للاسم، فلحظ جانبين، **أولهما:** الجانب الشكلي. **وثانيهما:** الجانب الوظيفي؛ فجعل الاسم جزءاً من التركيب يختص بأمرين: الدلالة على شخص أو شيء-وهذا جانب وظيفي وقبوله علامات تصريفية-وهو جانب شكلي وظيفي معاً، وهذه العلامات التصريفية هي: [12]

1- الابتدائية.
2- النداء.
3- المفعولية.
4- الإضافة إلى الضمير.
5- التعدية بالحرف.
6- التعدية بالواسطة.

وهذه العلامات يمكن إجمالها بوظائف كبرى داخل التركيب، هي:

1. الارتباط بطريق العلاقة الإسنادية.
2. الارتباط بعلاقة الإضافة.
3. الارتباط بعلاقة التعدية .

إن ما يلاحظ على الحالات التصريفية تلك أنها جعلت أصلاً في التفريق بين الاسم وغيره من أجزاء التركيب في نحونا العربي، وفي وضع تعاريف لكل منها، نحو قبول الاسم الدخول في العلاقة الإسنادية، أو علاقة الإضافة، أو التعدية، وفي هذا فرز بين الوظيفة الدلالية للاسم، وعلاماته الشكلية الخاصة، أو علاماته النابعة من علاقاته ضمن التركيب.

أما أرسطو فقد عرف الاسم بأنه ((صوت مركب لا يتضمن الزمان، وليس لجزء من أجزائه دلالة مفردة)) [13]. وعرفه في موضع آخر تعريفاً منصباً على الوظيفة الدلالية. فذهب إلى أنه ((تعبير عن مقولة الجوهر)) [14]. وأنه ((لفظة دالة بتواطؤ مجردة عن الزمان، وليس واحد من أجزائها دالاً بمفرده)) [15].

وهذه التعريفات تتقاطع في مسألة الدلالة الكلية للاسم، ويفترق الأول والثالث عن التعريف الثاني في الإشارة إلى انتفاء الدلالة الزمانية للاسم، وتواطؤ الجماعة اللغوية على هذه الوحدة الصوتية التي ترمز إلى (جوهر = مسمى) ما.

وما هو ملحوظ على تعريفات (أرسطو) الآنفة الذكر محاولته التلفيق والتوفيق فيها بين النظرتين اللتين أوردهما (أفلاطون) على لسان شخصيتين من شخصيات محاوراته، وأعني بهما (كراتيلس) و(هيرموجين) اللذين ينظران إلى اللغة نظرتين متناقضتين، فالأول يراها هبة إلهية، وبذلك يجعل الأسماء جزءاً من جوهر الأشياء [16].

والثاني يراها ذات طبيعة عرفية قائمة على التواطؤ من قبل الجماعة اللغوية، تواطؤاً يشير – بلا شك – إلى التعقّل والتفكّر؛ ذلك أنه لا يمكن أن يتم التواطؤ من قبل جماعة غير مفكرة، فليس ثمة أي ارتباط بين الاسم والمسمى، وإلى هذا كان يميل أفلاطون[17].

وتشير تلك التعريفات من جهة أخرى إلى مفصل هام في إنجاز التفريق بين طرفي الكلام: الاسم والفعل، وأعني بذلك تجرد بنية الاسم دلالياً من الزمن، إلى جانب إشارته إلى كلية الرمز اللغوي (الاسم = Noun)؛ ذلك أنه مركب صوتي يفقد – عند تجزئته وتفكيكه - دلالته باجتماع الكل، وهذا ((يقرب مما يقوله المحدثون من أن الصوتية (phoneme) لا معنى لها بمفردها، ولا تكتسب معناها إلا بتآلفها مع غيرها من الأصوات لتكون اسماً أو فعلاً)) [18].

ويشير التعريف الأخير منها إلى أن الاسم مرآة تحكي خصائص الموجودات، وتكشف عن سماتها ومعالمها، وتفرز العلامات الفارقة فيما بينها، وهي الفوارق نفسها التي نلمسها في الواقع الخارجي، وفي هذا تجسيد لمسألة ((المحاكاة))، وإشارة إلى مسألة هامة جداً غدت مثارخلاف، وموضع أخذ ورد في الفكر الإنساني، وهي علاقة الاسم والمسمى، أو علاقة الدوالّ بالمداليل. وبهذا يكون أرسطو أول من أشار إلى أن الاسم مزيج من التشكيل الصوتي الذي يجمع بين الاسم وجوهر المسمى.

وفي الفكر الإسلامي ذهب ابن سينا إلى أن الاسم علامة لغوية ذات مبنى مزدوج، فهي جملة أصوات مسموعة، إذا وردت على السمع، ولدت معنى يرتسم في صفحة الفكر، وبذلك تقف النفس على

الربط بين المسموع الصوتي والمعنى المرسوم له، وكلّما طرق هذا التشكيل الصوتي السمع، توجهت النفس إلى مدلوله [19]، فالعلامة عند ابن سينا تتألف من مسموع صوتي، ومفهوم مرتبط به، وهو المفهوم نفسه الذي سنقف عليه عند سوسير بعد قرون متطاولة.

وربط حازم القرطاجني (ت 684 هـ) بين الدلالة الصوتية والرمز الكتابي، ربطاً دلالياً؛ فلكل شيء ((وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة اللفظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ لمن لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه)) [20].

فبالارتكاز على الترابط الدلالي الناجز بين اللفظ (الاسم) المؤلف من جملة أصوات وما يشير إليه، يقوم حازم بالربط بين دلالة هذه الأصوات والرسم الكتابي؛ ذلك أن دلالة الإشارة عند حازم لا تكون ناجزة إلا بالانتقال من الرمز المكتوب الذي يجسد في الفهم صورة الألفاظ وهي صورة سمعية، وهذه تستدعي صورة ذهنية، وتشير هذه الأخيرة إلى المدركات في الواقع المحسوس.

وقد احتلّت مسألة التفريق بين كل من: الاسم، والمسمى، والتسمية، حيزاً كبيراً في الفكرالإسلامي، انطلاقاً من مسألة ((خلق القرآن)) التي زلزلت الفكر العربي الإسلامي، وانقسم الناس في ذلك أقساماً، حتى عد بعضهم الخوض في التفريق بين هذه المصطلحات نوعاً من ترف عقلي لا ينبغي أن يشغل الناس أنفسهم به. فقد نقل عن إبراهيم الحربي (ت 285 هـ) أنه وعد تلاميذه بالخوض في الاسم والمسمى، إلا أنه أحجم عن الخوض في ذلك وقال لهم: ((قد كنت وعدتكم أنْ أملي عليكم في الاسم والمسمى، ثم نظرت فإذا لم يسبقني في الكلام فيها إمام يقتدى به فرأيت الكلام فيه بدعة، فقام الناس وانصرفوا. ثم جاءه رجل يوم الجمعة فسأله عن هذه المسألة، فقال له: ألم تحضر مجلسنا بالأمس ؟ قال: بلى. فقال: أتعرف العلم كله ؟ قال: لا. قال: فاجعل هذا مما لا تعرف))[21].

وذهب الفخر الرازي (ت 606 هـ) إلى أن البحث في هذه المسألة فضول من القول[22]. ورأى ابن كثير (ت 774 هـ) أن الخوض في ذلك يجري مجرى العبث [23].

ويمكن تصنيف الآراء والمذاهب على النحو الآتي:

1- الاسم عين المسمى[24]: وبه قال أكثر المنتسبين إلى السنة، ومنهم: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224 هـ)، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ)، وأبو القاسم الطبري (ت 350 هـ)، وهبة الله اللالكائي (ت 418 هـ)، والحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ)، والباقلاني (ت 637 هـ)، ومحمد بن الحسن، وابن فُورك (ت 406 هـ)، وابن عطية (ت 541 هـ) وهو أحد قولين قال بهما أصحاب أبي الحسن الأشعري (ت 330 هـ)، وإليه ذهبت الحشوية والكرامية . وهؤلاء ينطلقون من اعتبار التطابق بين الدال والمدلول، ويعتبرون أن الاسم نفس المسمى، وأرادوا بالمسمى ما وضع الاسم بإزائه[25]. وحجة أولئك قوله سبحانه وتعالى: (سبح اسم ربك الأعلى) (الأعلى: 1) والمسبح هو ذات الله، لا ألفاظ الذاكرين، فاسم الله هو الله. وقوله تعالى أيضاً (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (الرحمن 55: 78) والمتبارك هو الله سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: (وما

تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها) (يوسف 12: 40) والمعبود - هنا- ذوات المسميات، لا الألفاظ الدالة عليها. ويعبر عن ذلك قول أبي الحسن الأشعري (ت 330 هـ): ((من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً)) [26].

وروى البيهقي (ت 458 هـ) عن الإمام الشافعي - رحمه الله – قوله: ((إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة)) [27].

2- **الاسم غير المسمى:** [28] وهو رأي الجهمية، والمعتزلة، وكثير من الزيدية، وبه قال ابن حزم الأندلسي[29] (ت 456 هـ): والقائلون ـذا الرأي يعدون المسمى ما يطلق عليه الاسم، ويعتبرون المدلول أعم من المطابقي، فمدلول الخالق الخلق، الخلق غير ذات الخالق [30].

وحجة هؤلاء قوله تعالى: (ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه ا وذروا الذين يلحدون في أسمائه) (الأعراف: 180)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن للهِ تسعةً وتسعين اسماً)) فلو كان الاسم هو المسمى لكان مؤدى الآية والحديث الحكم بتعدد الآلهة. فالذين يذهبون إلى أن الاسم والمسمى متطابقان يحذرون من القول: إن الاسم يكتسب دلالته من خلال تواضع ا تمع اللغوي عليها، مما يفضي م إلى القول: إن (الله)- عز وجل- لم يكن له اسم في الأزل؛ لأنه لم يكن ثمة لفظ ولا لافظون يتواضعون عليه، وبذلك يكون الاسم حادثاً[31].

وذهبوا في قوله تعالى: (سبح اسم ربك) (الأعلى: 1)، وقوله: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (الرحمن: 78) إلى أن الاسم -ههنا- مقحم، وأنّ كل حكم ورد فيه (اسم) فالمراد به مدلوله إلا بقرينة تبطل ذلك. فإذا ذكر اسم (زيد) اتجه الحكم إلى مدلوله إذا انعدمت القرينة [32].

ومن هنا علق القاضي عبد الجبار (ت 415 هـ) على قوله تعالى:(سبح اسم ربك) (الأعلى: 1) فقال: كيف يصح تـ يه المسمى الذي هو (الله) تعالى، بعد ذلك: (الذي خلق فسوى) (الأعلى: 2) والخلق من صفات الذات الإلهية لا من صفات اسمه [33].

ورد الجويني (ت 428 هـ) ما احتجوا به من وجهين، أولهما: أنه قد يراد بالاسم التسمية، ويحمل الإطلاق في الأسماء على المسميات. وثانيهما: أن كل اسم يدلّ على فعل، فالأسماء هي الأفعال، وهي متعددة.

3- ذهب أبو إسحاق الإسفراييني (ت 418 هـ) إلى أن أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام: قسم للذات، وقسم لصفات الذات، وقسم لصفات الفعل؛ فالقسم الأول يكون الاسم والمسمى واحداً فيهما [34]، مثل (قديم) و (إله) و (ملك). والثاني يكون الاسم صفة قائمة بالمسمى فلا يقال فيها: هي المسمى ولا غيره، نحو: العالم، والقادر، لأن الاسم هو العلم والقدرة. والثالث هو من صفات الفعل؛ فالاسم غير المسمى، نحو: الخالق والرازق، فالخلق والرزق غيره. قال البيهقي مرجحاً الرأي الأخير: ((ولو كان اسمه غيره أو ليس هو المسمى لكان القائل إذا قال: عبد الله -والله اسمه- أن يكون عبد اسمه؛ أي غيره، أو لا يقال: إنه هو، وذلك محال)) [35].

4- ذهب أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) إلى تغاير هذه المصطلحات الثلاثة وعدم ترادفها، وجعل الاسم يقابل الصفة، والمسمى يقابل الموصوف، والتسمية بمعنى الربط بين الصفة والموصوف [36].

وقد قسم الغزالي وجود الأشياء أربع مراتب، هي:

1- وجود عيني، وهو الوجود الحقيقي الأصلي.

2- وجود ذهني، وهو الوجود التصوري.

3- وجود لساني، وهو الوجود اللفظي الدليلي.

4- وجود خطّي يتمثّل في المكتوب.

إن الوجودين الأولين وجودان حقيقيان لا يختلفان عبر العصور، أما الوجودان الأخيران فهما اللذان يختلفان عبر توارد الأيام، لأ ما وجودان اختياريان تواضعت عليهما الجماعة الإنسانية [37]. فالغزالي يجعل الخط دليلاً على اللفظ، واللفظ دليلا على الوجود التصوري (المعنى = المفهوم)، وهذا الوجود الذهني مثال للموجود الواقعي (المرجع)، فالاسم-إذاً-علامة-رباعية الأطراف: وجود واقعي خارجي، وجود ذهني، وجود لفظي، وجود خطي. فالغزالي يجعل الوجود الواقعي (المرجع)؛ الأساس الذي تحيل عليه العلامة اللغوية (الاسم)، وهو ما ألغاه ((سوسير)) على ما سنرى، إن شاء الله، في صفحات قادمة.

إن كلمةً مثل كلمة ((السماء)) ذات وجود في عينها وذا ا، وهو وجود واقعي عياني، ولها وجود نفسي تصوري ذهني؛ ذلك أن صور ا تنطبع في البصر، ثم الإدراك، فلو عدمت السماء لبقيت الصورة الذهنية لها حاضرة في الذهن؛ فالمطبوع في الذهن مثال للمعلوم، والصورة المنطبعة في المرآة محاكية للموجود في الواقع الخارجي، ثم إن لها وجوداً لفظياً يدل على الوجود الذهني، ولها أيضاً وجود في الخط هو هذه الأصوات المقطعة أربعة مقاطع، هي السين، والميم، والألف، والهمزة، وهو وجود دال على اللفظ لمن يطرق سمعه التلفظ ا [38]. فالمسمى-على هذا-مفهوم الاسم (المدلول) والاسم (دال) عليه، ولا مشاحة في أن الفرق بين بين (الدال) و (مدلوله) [39].

وما تحرج منه القائلون باتحاد الاسم والمسمى وتطابقهما-وأعني به القول بحدوث الاسم بعد أن لم يكن – يرد عليه الغزالي بأن ((معاني الاسم كانت ثابتة في الأزل، ولم تكن الأسماء؛ لأن الأسماء – عربية أو أعجمية-كلها حادثة.... والأسماء التي سيلهمها الله عباده، ويخلقها في أذها م، وفي ألسنتهم، أيضاً معلومة عنده))[40].

5- وكان للفخر الرازي (ت 606 هـ) رأيان في المسألة ذهب في أولهما إلى القول بعدم التطابق بين الاسم والمسمى، فلفظة ((الجدار)) تختلف عن ماهيته، وكذلك لفظ ((السماء))، و((الأرض)).

وذهب في الثاني إلى أن الاسم، والمسمى، والتسمية مصطلحات متغايرة لا ترادف بينها، قال: ((المشهور من قول أصحابنا-رحمهم الله تعالى-أن الاسم نفس المسمى وغير التسمية. وقالت المعتزلة: إنه غير المسمى وغير التسمية. واختيار الشيخ الغزالي-رضي الله عنه-أن الاسم والمسمى والتسمية أمور ثلاثة متباينة، وهو الحق عندي))[41].

واستدل الرازي على تغاير ((الاسم)) و ((المسمى))، بأن ((أسماء الله كثيرة، والمسمى ليس بكثير، فالاسم غير المسمى... وأما أن المسمى ذه الأسماء ليس بكثير فهو متفق عليه، فثبت أن الأسماء كثيرة، وأن المسمى ليس بكثير، وكانت الأسماء مغايرة للمسمى لا محالة)) [42].

ودلل على ذلك أيضاً بأن الاسم قد يكون موجوداً والمسمى مفقوداً، فيقال مثلاً: معدوم، ومنفي، وسلب، واللاثبوت، وهذه أسماء لمسميات معدومة. وقد يكون للشيء الواحد أسماء كثيرة من قبيل الترادف، وقد

يكون الاسم واحداً والمسميات كثيرة، من قبيل الاشتراك؛ ذلك أن الاسم لفظ، وهو عرض، والمسمى قد يكون ذاتاً ممكنة أو واجبة، ومن ذلك مثلاً لفظتا ((الثلج)) و ((النار))، فلو كان الاسم هو المسمى، لكان من تلفظ باللفظ الأول ((الثلج)) وجد برد الثلج، ومن تلفظ بالثاني وجد حر النار..

تلك كانت جملة الآراء التي قيلت في مسألة تطابق الاسم والمسمى والتسمية أو اختلافها، والأسباب والدوافع التي كانت كامنةً وراء هذه المقولات. ولست هنا بصدد إثارة المسألة المتعلقة بخلق القرآن، والردود على القائلين ا، وإنما أردت أن أكشف المهاد النظري لمسألة التداخل الدلالي، أو التطابق في ما بين المصطلحات الثلاثة، وأن أمهد بذلك للوقوف على جوانب المسألة لدى كل من الأصوليين، واللغويين، والنحاة، ولأعرج بعد ذلك على جوانب المسألة في علم اللغة الحديث وعلم السيمياء خاصة، وما يقوله فيما يتعلق بالرمز اللغوي، والعلامة اللغوية، والدال والمدلول. ثم لنخلص بعد ذلك إلى جملة النتائج التي قد يكون لبعضها إسهام في تغيير مفاهيم استقر عليها النحو العربي مدداً متطاولة.

*** الأصوليون:**

أشار الأصوليون إلى مسألة ((الدلالة الوضعية)) التي يريدون ا تطابق دلالة اللفظ الوضعية مع مسماه، نحو دلالة (الإنسان) على الحيوان الناطق. وقد سميت هذه الدلالة دلالة مطابقة، لتوافق اللفظ مع ما وضع له توافقاً تاماً. وثمة دلالة اللفظ الوضعية على جزء مسماه، وهي دلالة تضمن؛ لأن اللفظ دل على ما يقع ضمن المسمى، فلفظة (إنسان) ذات دلالة ضمنية على (حيوان) فقط، أو على (ناطق) فقط [43].

وذهبوا إلى أن وضع الأسماء ينقسم خمسة أنواع، هي:[44]

1- الألقاب والأعلام الموضوعة للتمييز بين المسميات، وهي تقوم مقام الإشارة إلى الوجود العيني، مثل: زيد، عمرو.
2- الأسماء التي وضعت لإفادة بنية مخصوصة، كالإنسان والسبع.
3- الأسماء التي وضعت لإفادة الجنس، نحو: العلم، والإرادة.
4- الأسماء الموضوعة لإفادة أمر مرتبط بالمسمى، كأن يولد، لامرئ ما، فيسمى أباً، ومن ذلك أيضاً: تحت، وفوق.
5- الأسماء التي تفيد معنى على وجه الاشتقاق، كقولنا: قاتل، سارق، مسروق، ومضروب [45].

وقسموا أوضاع المفردات دلالياً قسمين، هما: المعاني الاسمية، وهي التي تدرك بصورة مستقلة عن الجملة، وهذه تعم أسماء الذوات والمعاني. (المصادر). والمعاني الحرفية، وهذه لا تعدو أن تكون جملة من الروابط التي لا تدرك مستقلة خارج التركيب، ولها دور أصيل في تركيب الجمل وربطها [46].

فللمعاني الاسمية لدى الأصوليين استقلالها التصوري، لأ ا ((الصور التي تحضر في الذهن، ويكون لها مطابق في الخارج ولو فرضاً مثل: مفهوم العدم ... فمعنى اللفظ هو نفس تلك الصورة، أما مطابقها فليس هو معنى اللفظ))[47].

فالاسم يحكي عن المعنى المستقل تصورياً (المسمى= المدلول) كما تحكي المرآة عن الصورة المنطبعة على

سطحها، ولا فرق بين أن يكون المعنى المنطبع ذاتاً أو معنى، نحو: زيد وعمرو، وإرادة، وقيام، وسفر...

وحقيقة الاسم-تأسيساً على ما سبق- تتسم بميزتين، الأولى: دلالية، ويراد ا الاستقلال المفهومي، والثانية تركيبية، ويراد ا أن تكون عنصراً في العلاقة الإسنادية، سواء أكان الإسناد منه أم إليه.

والحرف على العكس من ذلك، فليس له استقلال في المفهوم، وهذا ما ينأى به عن أن يكون طرفاً في العلاقة الإسنادية في تركيب ما. ومن هنا كانت معاني الحروف معاني لا ترتبط بصورة ذهنية ما خارج إطار التركيب، فهي مجرد روابط بين أجزائه. والحقيقة أن المفهوم المستقل الذي قرنوا به الدخول في طرفي الإسناد، فميزوا بذلك كلاً من الفعل والحرف عنه، لا يتناول تناولاً مباشراً ذلك اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال في (زيد)، إنما يتناول الموجود الذهني الذي يقع عليه هذا اللفظ المركب من جملة أصوات؛ ذلك أن عملية الإسناد، بطرفيها، لا يمكن أن تصح من اللفظ (زيد)، ولكن تصح من مسماه الذي تشير إليه هذه الأحرف المذكورة.

إن علماء أصول الفقه يفرقون بين كل من: الاسم، والمسمى، والتسمية، فلكل من المصطلحات المذكورة دلالته الخاصة، فقد عرف الغزالي (ت 505 ﻫ) الاسم بأنه ((ما يشعر بمسمى من غير إشارة إلى زمن محصل))[48]. وعرفه الآمدي (ت 631 ﻫ) بأنه ((ما دلّ على معنى في نفسه ولا يلزم منه الزمان الخارج عن معناه لبنيته))[49]. وذهب العضد الإيجي (ت 756 ﻫ) إلى أن اللفظ المفرد محصور في الاسم والفعل والحرف، وهو إما مستقل في المفهومية أو لا، فالثاني هو الحرف، والأول إما أن يدل بيئته على أحد أزمنة أو لا يدل، فالثاني هو الحرف، والأول هو الفعل [50]، وإلى هذا ذهب كل من: الفخر الرازي (ت 606 ﻫ)، وتقي الدين السبكي (ت 756 ﻫ)، والأسنوي (772 ﻫ) في فرزهم أقسام الكلام، انطلاقاً من قبولها الدخول في عملية الإسناد.

إن لكل من المصطلحات الثلاثة دلالته الخاصة التي تباين دلالة المصطلحين الآخرين؛ ذلك أن الاسم منبئ عن المسمى وكاشف عنه، وأمارة عليه، وليس الاسم صورةً ذهنية، فهو لفظ يدل على معنى في نفسه، دونما اقتران بزمان محصل، دلالة إشارة لا دلالة إفادة [51]. فالصورة الذهنية إنما هي للمسمى الذي هو المعنى الذي وضع ذلك الاسم بإزائه، والمراد بالمعنى هنا الذات أو الحدث الذي يشير إليه الرسم الصوتي.

وقد فرق الرازي-كما فرق غيره- بين هذه المصطلحات، وذهب إلى أن الاسم لفظ دال بالتواضع والمواطأة على معنى ليس للزمان نصيب فيه، وأن المسمى هو الشيء الذي وضع ذلك اللفظ بإزائه، واحتج لذلك بغير ما دليل، ومن ذلك قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه ا) (الأعراف 7: 180) وقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: ((إن لله تسعةً وتسعين اسماً)) فالأسماء كثيرة والمسمى واحد [52]. واحتج لذلك أيضاً من الناحية اللغوية؛ ذلك أن اتفاق أهل اللغة معقود على انقسام الكلم أقساماً ثلاثة، هي: الاسم، والفعل، والحرف، فالاسم كلمة، والكلمة هي الملفوظ ا، والمسمى هو ذات الشيء وحقيقته، وكل من اللفظ والمعنى تنطبق على الآخر، فاللفظ عرض، وحال في المحل، وغير باق، ومركب من تعاقب حروف، وهو عبراني وعربي، أما المعنى فيقال فيه: جسم، وقائم بالنفس، وباق، وموصوف بالأعراض،

فكيف يخطر ببال العاقل أن يقول: الاسم والمسمى واحد ؟ [53].

والأسماء لا تغدو معروفة إلا إذا عرفت أعيا ا وعهدت، فالمسميات أصل، والأسماء فرع لها، وإذا ارتفع الأصل ارتفع الفرع، فوجود الأعيان هو الأول، ووجود الأسماء تالٍ له، وأما إطلاق اسم على ما عدم أصله فهو من باب إعارته اسم شيء آخر موجود [54]، وفي ذلك تأكيد مسألة التواضع في الأسماء، ومن ثم اجتماعية الظاهرة اللغوية.

أما التسمية فهي عندهم عقد الصلة بين الاسم ومسماه لتعيينه وتمييزه عن غيره [55]؛ فهي مواضعة اجتماعية تجعل اللفظ دليلاً على المعنى. وتطلق التسمية على أمرين، الأول: وضع الاسم، والثاني: ذكر الاسم، ((والأشبه أ ا أحق بالوضع منها بذكر الاسم)) [56].

وقد جعل ابن حزم الأندلسي (ت 456 ه) التسمية ((تحريكنا الصدر واللسان عند نطقنا ذه الحروف، وهي غير الحروف؛ لأن الحروف هي الهواء المندفع، فهو المحرك - بفتح الراء -، والإنسان هو المحرك - بكسر الراء - والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك)) [57].

وتابع الغزالي (ت 505 ه) ابن حزم في تفريقه بين المصطلحات الثلاثة وتشبيه الاسم والتسمية والمسمى بالحركة، والتحرك، والمتحرك، إذ الحركة دليل الانتقال من موضع إلى آخر، والتحريك عبارة عن إيجاد هذه الحركة، والمحرك هو القائم بإجراء الحركة، والمتحرك دليل على الشيء الذي وجدت فيه الحركة، والحركة صادرة عن فاعل، والمتحرك هو الذي يدلّ على الموضع الذي حوى الحركة ولا يدلّ على الفاعل [58].

والملحوظ هنا أن الغزالي يتابع ابن حزم حتى في أمثلته، ويقول بتباين الاسم والمسمى والتسمية؛ ذلك أن ((التسمية هي إنتاج الدلالة التي قوامها الاتحاد بين العلامة وما تحيل إليه في الواقع الخارجي في سياق الإبانة))[59]، فهي الحقل الدلالي الذي ننطلق فيه من المدلول إلى الدال؛ أي الاسم الذي يكشف عن حقيقة الشيء ويعرفها، ويبين عن المسمى. وهي في مقابل الدلالة التي هي فعل الدال، ولا شك أن الدال يختلف عن الدلالة والمدلول؛ لأن الأسماء عبارات عن المعاني، والاسم عبارة عن المسمى، ووضع الاسم للمسمى مغاير لذات الاسم، كما أن المفهوم من التحريك مغاير للمفهوم من نفس الحركة. ولو عد الاسم هو المسمى، لكان وضع الاسم للمسمى من قبيل وضع الشيء لنفسه، وذلك محال.

ورد على من جعل الاسم هو التسمية استناداً إلى قوله تعالى: (ولِلهِ الأسماءُ الحسنى) (الأعراف 7: 180) بأن التسمية تطلق ويراد ا إما وضع الاسم إزاء المسمى، أو ذكر الاسم والتلفظ به، وهي تقلّ أو تكثر بحسب الذين يتسمون ا، فكثرة التسميات لا تحتاج بالضرورة إلى كثرة في الأسماء، والمراد بالآية الأسماء لا التسميات؛ أي الألفاظ الموضوعة الدالة على المعاني المختلفة [60].

ولعل الرأي الذي يمكن الركون إليه بعد عرض الآراء المتضاربة في ذلك عند الأصوليين أن الاسم ذو دلالتين، فقد يراد به المسمى تارة، وقد يراد به اللفظ الدال عليه والمؤلف من جملة حروف تشير إلى المسمى. فإذا قيل: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، فالمراد هنا المسمى (الذات الإلهية) نفسه. وإذا قيل: إن الله اسم عربي، والرحمن كذلك، والرحيم اسم من أسماء الله فالمراد هنا الاسم لا المسمى، فإذا قيل إن اللفظ غير المعنى، فلا

شك في صحة ذلك، وإذا ((أريد أن الله -سبحانه- كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى)) (61)، ولعل في هذا إشارة إلى أن ((الاسم)) مشترك بين كل من المسمى والتسمية، وأن القرائن هي الفيصل في تحديد الدلالة.

*** اللغويون:**

أما اللغويون فقد شجر الخلاف فيما بينهم في تحديد الدلالة اللغوية لمصطلح (الاسم) تبعاً لاختلافهم في أصل اشتقاقه؛ أهو من السمة أو من الوسم ؟ فذهب بعضهم إلى أن المعنى اللغوي له هو التنويه والرفع؛ ذلك أن الاسم يسمو بمسماه ، ويدل عليه ، ويرفعه ويظهره ، فاللام فيه حرف علة ، ووزنه (فَعل) أو (فَعل) ، وهو يائي أو واوي . وهذا هو قول البصريين، ودليلهم على ذلك ما يلي:

1- تكسير (الاسم) على (أسماء) برد لام الكلمة المحذوفة.

2- تصغيره على (سمي) (62)، ذلك أن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها. وفي نقل سيبويه عن يونس أن أبا عمرو بن العلاء، كان ينقل عن العرب تصغيرهم اسماً على (أُسيم)، كما يصغرون (ابناً) على أُبين،

وعليه قول الشاعر:

ترك أبينيك إلى غير راع

3- أن العرب تقول: فلان سميك، وسميت فلاناً بكذا، وأسميته بكذا ، وهذا مدخل له في باب الأكثر .

4- أنه لم يرد عن العرب تكسيرهم إياه على (أوسام)، ولم ينقل عنهم تصغيره على ((وسيم))، ولم يقولوا: فلان وسيمك، ووسمت فلاناً أو أوسمته، بمعنى جعلت له اسماً.

وذهب آخرون إلى أن الاسم مشتق من الوسم، فهو علامة على المسمى ومميز له من غيره، وبه قال الكوفيون. قال الفيروزابادي: ((واسم الشيء، وسمه، وسمه، وسماه، وسماه- مثلثتين- علامته، واللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز، وجمعه: أسماء وأسماوات، وجمع الجمع أسامي، وأسامٍ، وسماه فلاناً، وبه، وأسماه إياه وبه، وسماه إياه، وبه.... وسماوة كل شيء شخصه))(63).

وقال أبو حاتم الرازي: ((.... اسم الشيء سمته والدليل عليه)) ((وقال الترمذي: الاسم هو السمة، وجميع العلم في الأسماء... وكأنه سمي اسماً، لأنه يضيء لك عن لب الشيء، ويترجم عن مكنونه... فقوله: (وعلم آدم الأسماءَ كلها) (النجم 53: 23)؛ أي أعطاه سمة كل شيء ليستدلّ على مكنون كل شيء وجوهريته)) (64)، ((ولأنه تنويه بالدلالة على معنى الاسم، لأن المعنى فيه)) (65). وعلى هذا يكون منه فاء الكلمة واواً، فهو على مثال (عدة) و (زِنة) إلا أنه عوض عن المحذوف هاء. ويعضد القول الأول جملة أمور، منها:

1- أن (الاسم) يكسر على أسماء، ولم يأت مكسراً على أوسام.

2- أنه لم يرد مصغراً على (وسيم)، وصغر على (سمي)، والتكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.

3- الدخول في باب الأكثر، ذلك أن القول باشتقاقه من السمو مدخل في باب الأكثر، وجعله مشتقاً من (الوسم) مدخل له في باب الأقل؛ ذلك أن حذف اللام كثير وحذف الفاء قليل.

4- أن جعله من باب (السمو) يفضي إلى جعل الهمزة في أوله عوضاً عن الواو في آخره أو الياء، وهذا موافق لأصولهم في أن يكون المعوض في غير محل الحذف، وفي ذلك يقول الزجاج: ((... ومن قال: إن اسماً مأخوذ من ((وسمت)) فهو غلط، لأنا لا نعرف شيئاً دخلته ألف الوصل وحذفت فاؤه...و لا يقدر أحد أن يرى ألف الوصل فيما حذفت فاؤه من الأسماء))[66].

5- بطلان قول من ذهب إلى أن (أسماء) و (سمي) الأصل فيهما (أوسام) و(وسيم)، ثم قلبت (أوسام) إلى (أسماء)، فأعل إعلال (كساء)، وصار (وسيم) (سميواً)، ثم أعل إعلال (جري) مصغر (جرو)، فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت ياء وأدغمت الياء في الياء؛ لأن القلب لا يصار إليه إلا إذا دعت ضرورة إلى ذلك، لأنه خلاف الأصل [67].

وبناء على ما سبق إيراده من مرجحات نذهب إلى ترجيح الرأي الأول، لما ورد فيه من سماع، وموافقته أصول العربية، على الرغم من أن الرأي الثاني مقبول من جهة الوظيفة الدلالية، ولكنه خارج عن السماع وأصول العرب في تصاريف كلما ا.

أما تعريفه في الاصطلاح فهو- عندهم كما هو عند الأصوليين-: ((ما دل على معنى في نفسه، غير متعرض ببنيته للزمان، ولا يدل جزء من أجزائه على جزء معناه [68] وهو علامة للشيء ودليل يرفعه إلى الذهن... ولفظ دالّ على معنى مفرد... وإطلاقه على الحقيقتين اللفظية والمعنوية بغية تمييزها من اللقب مما يشاركها في النوع.

وتعود فائدة هذا الخلاف اللغوي إلى أمر عقَدي، فالذين ذهبوا إلى اشتقاقه من (السمو والرفعة) يقولون: إن (الله)- سبحانه وتعالى-لم يزل ((موصوفاً قبل وجود الخلق وبعدهم وعند فنائهم، لا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته، وهو قول أهل السنة)) [69].

أما الذين قالوا بالرأي الثاني فيقولون: ((إن الله كان في الأزل من غير اسم ولا صفة، ولما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، وهو قول المعتزلة، وهذا أشد من قولهم بخلق القرآن [70].

وقد كان أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) يذهب إلى أن الاسم هو المسمى من دون أن يذكر حداً له؛ فقد نقل المبرد عنه قوله: ((الاسم هو المسمى))[71]. وقال في تفسيره (البسملة): ((وبسم الله: إنما هو بالله؛ لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه))، وذهب في قول لبيد [72]:

إلى الحَول ثم اسم السلامِ عليكما
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

إلى أن (اسم السلام) هو السلام، وأن المراد: ثم السلام عليكما، وإنما أدخل (الاسم) هنا صلةً، لأن اسم المسمى هو المسمى بعينه.

وقد رد أبو جعفر الطبري (ت 310 هـ) هذا التأويل؛ لأنه لو صح تأويله على ما قال به أبو عبيدة لأمكن أن يقال: رأيت اسم زيد، على أن اسمه هو نفسه، والعرب تجمع على استحالة ذلك. قال: ((ويسأل القائلون قول

من حكينا قوله هذا -وهو يريد أبا عبيدة - فيقال لهم: أتستجيزون في العربية أن يقال: أكلت اسم العسل، يعني بذلك أكلت العسل كما جاز عندكم: اسم السلام -يعني في قول لبيد المتقدم-وأنتم تريدون: السلام عليكم؟!)). [73]

وخرج الطبري قول لبيد السابق تخريجين، أولهما: أن يكون السلام هنا اسماً من أسماء الله-تعالى-والمعنى: ثم الزما اسم الله وذكْره بعد ذلك ودعا ذكْري والبكاء علي، وذلك على وجه الإغراء، وجاء (الاسم) مرفوعاً لتأخر الحرف الذي يؤدي معنى الإغراء – وهو عليكما – وهذا مذهب وارد في العربية، وعليه قول الراجز:

يا أيها المائح دلوي دونكا [74]

فالمراد الإغراء بـ (دونك) وهي مؤخرة، وكذلك يكون قول لبيد، وهذا هو المعنى المقدم والأولى [75]. وثانيهما: أن الاسم يراد به التسمية فهما متطابقان، ومعنى البيت: ثم تسميتي الله عليكما، ومثله قول من يعجب بشيء ما: اسم الله عليك، وكأن المراد أعيذكم من السوء [76].

وسكت ثعلب (ت 291 هـ) عن القول في التفريق بين المصطلحين، فقد قيل له وقد نقل عنه قول سيبويه بالتنوين التفريق بينهما: ((ليس لي فيه قول)) [77].

وفرق أبو حاتم الرازي (ت 321 هـ) في كتابه ((الزينة في الكلمات الإسلامية)) بين الاسم والمسمى، ذلك أن الأسماء عبارات عن المعاني [78]، فلو أن ثمة تطابقاً لكان (المسمى) بعدد الأسماء التي تعبر عنه أو تشير إليه، فللسيف-مثلاً-أسماء كثيرة، نحو:العضب، والمهند، والمشرفيّ، والاختلاف في التواضع على الأسماء، إنما يقع في الأسماء، لا في الذوات المسماة، فهذه ثابتة لا تتغير (5).

إن الاسم والمسمى يشبهان الصفة والموصوف، وهما - لا شك - متغايران، وذلك ((أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة الصفة أ ا غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، والاسم شيء، والمسمى شيء آخر، وكل شيء يعرف باسم.

وخرج تأويل الطبري بيت لبيد بأن مراده من تطابق الاسم والمسمى أن كل اسم تحته معنى، نحو (زيد، عمرو)؛ فإذا كان المقصود هو اللفظ المؤلف من الزاي، والياء، والدال، كأن تقول: امح اسم زيد، أو امح من كتابك زيداً، فالقول بتطابق الاسم والمسمى صحيح. وإذا قصد بذلك أن اللفظ (زيداً) هو ذات الشخص المسمى به فهذا خطأ؛ ((فإن أراد أن الجوهر هو مستحق للاسم، وأن بنية الاسم قائمة معه، واللفظ هو المعبر عن تلك البنية، وهو غيره، جاز أن يقول: الاسم هو المسمى، يريد البنية التي هي معنى الاسم الواقعة له بوقوعه، لازمة له، فهو مصيب)) [79].

وكان ابن السيد البطليوسي(ت 521 هـ)، وأبو القاسم السهيلي (ت 581 هـ)، أكثر اللغويين تناولاً للمسألة، فقد خصها ابن السيد برسالة بعنوان-رسالة في الفرق بين الاسم والمسمى))[80]. وخصها السهيلي ببحث ماتع في مقدمة كتابه ((نتائج الفكر)) [81].

تردد ابن السيد بين القول بتطابق الاسم والمسمى حيناً، وبين القول باختلافهما حيناً آخر، فقد بدأ رسالته، الآنفة الذكر، وأراد بالاسم-ههنا -الاسم الذي يقصد به ((التسمية))، والعبارة عن المعنى الذي يريد المتكلم

تأكيده، فسؤال شخص عن اسمه لا يراد منه الاستفسار عن ماهية الذات وحقيقتها، وإنما يتوجه القصد إلى العبارة / الرمز الذي أشير به إلى هذه الذات.

فإذا قال شخص ما: محوت اسم زيد من مكـان وأثبته في آخر، فالحروف التي تؤلف اللفظ (زيداً) ليست هي ذات الشخص الذي تدل عليه، فهي -في الحقيقـة- مجرد أصوات ترمز إلى الذات التي علقت ا.

وعلى الرغم من إفادة الاسم -ههنا- ما تفيـده التسمية، ثمة فرق بين بينهما من ناحية البنية، ومن ناحية الوظيفة. أما الفارق الوظيفي فهو ينقسـم إلى وظيفـة دلالية من جهة، فالتسمية هي الحقل الدلالي الذي ينطلق منه للربط بين الدال والمدلول، والاسم مجرد رمز علامة على مسماه.

ووظيفة سياقية داخل التركيب، فالاسم لا أثر له فيما بعده، فلا يحتاج في سياق التركيب إلى ما يرتبط به بعلاقة التعدية، والعكس من ذلك ترتبط ((التسمية)) بما بعدها بالعلاقة نفسها، فهي تعمل عمـل الفعـل، فنقول: أعجبني تسميةُ زيد أخاه سعيداً، على غرار قولك: عجبت من قَوت زيد عياله، بفتح القاف في (قَـوت)، أما الاسم (قُوت) فهو (اسم) لا يرتبط بعلاقة تعدية في سياق التركيب، فالقَوت مصدر له عمل الفعل، والقُوت بضم القاف علامة لما هو ذات تقوم بوظيفة الإشباع.

وتأسيساً على ذلك ذهب ابـن السـيد إلى أن المقصود بـ (الأسماء) في قوله تعالى: (ولله الأسمـاء الحسنى) (الأعراف: 180)، وفي قولـه -صـلى الله عليه وسلم-: (إن لله تسعة وتسعين اسماً) هو التسمية، لأن في جعل الاسم -ههنا- ذات الاسم إثباتاً لتعـدد المسميات، وهذا كفر بإجماع.

وأما جعل الاسم هو المسمى فيكون من ثلاثة أوجه، منها ما هو حقيقي، ومنها ما هو مجازي، وهي [82]:

1- أن وضع الأسماء على المسميات سببه غياب الذوات عن العيان، فأحوج إلى ما ينوب عن هذه المسميات في نقل المعاني إلى نفوس السامعين، فهذه نيابة عن المسمى في نقل التصور -والمتصور واحد من كـلٍ منهما - أجاز أن يقال -بضرب مـن التأويـل: إن الاسم هو المسمى.

2- أن أكثر المعاني المشتقة للمسـميات لازمـة لهـا، موجودة فيها، فمن فيه حياة قيل له: حي؛ فالتلازم موجود بين الاسم ومسماه؛ ذلك أن الاسم يوجـد بوجود المسمى، ويرتفع بارتفاعه، فمن هنـا أيضـاً -بضربٍ من التأويل- أمكن أن يقال: إن الاسم هـو المسمى.

3- أن العرب تقصد بالاسم (المعنى _ المدلول) الذي تحت التسمية، ذلك أنهم يقولون: هذا مسمى زيد، ومرادهم أن معنى هذا المسمى ذه الحروف المقطعة هو (زيد)، ويقولون كذلك: هذا اسـم زيـد، ومقصدهم أن هذه الحروف التي تشـكل اللفظـة ((زيد)) هي التي أطلقت على تلك الذات، و ذا يكون الاسم والمسمى مترادفين على (المـدلول) الواقع تحت التسمية. وإذا ما قيل: كتبت اسم خالد أو عمرو... فالمراد: كتبت هذه الحروف المقطعـة التي يشكل مجموعها كلمة (زيد)، هذه الكلمـة التي يقع المسمى – ذاتاً أو معنى – تحتها، إلا أ ـا أنيبت مناب هذا المعنى، وأقيمت مقامه.

أما السهيلي (ت 481 هـ)- فقد كانت المسـألة موضع اهتمامه، فأفرد لها صفحات من كتابه (نتـائج

الفكر) فند فيها شبه القائلين باتحاد الاسم والمسمى، ورد على من اتهم سيبويه بهذه المقالة ونسبها إليه، وعلى من قلل من شأن البحث في هذه المسألة، ومن شنع على غيره ممن عرض للمسألة وعنفه أو بدعه، فقال: ((فهي مسألة طال فيها التنازع، وكثر فيها القول بين الأصوليين والمتفلسفين، وشاركهم فيها طائفة من النحويين، حتى ألفوا فيها التواليف، وصنفوا فيها التصانيف، وشنع كل فريق على مخالفه بأنواع التشنيع والتعنيف، وبدع بعضهم بعضاً حتى كاد يكفره والأمر في ذلك -إن شاء الله- سهل المسلك، قريب المدرك لمن شرح الله صدره ونور بصيرته. وإن كان أبو حامد الغزالي قد زعم أنها طويلة الذيل، قليلة النيل، وليس الأمر كما ذكر، بل فيها كثير لمن نظر واستبصر)) (83).

إن فتح مغاليق هذه المسألة، وتبيان رسومها يفضي إلى فتح مغاليق كثير مما يعترض الناظر في القرآن الكريم أو الباحث في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أو المتفحص لكلام العرب الذي يؤدي فهمه ومعرفة خفيات أسلوبه إلى فهم كتاب الله الكريم ومعرفة تأويله، وما ترمي إليه الأحاديث النبوية الشريفة (84).

يفرق السهيلي بين الاسم في أصل الوضع ومسماه؛ ذلك أن للموجودات مظهرين: وجود عيني، مثل زيد وعمرو، ووجود ذهني تصوري، نحو العلم، والإرادة، والألفاظ التي تعبر عنهما وتشير إليهما هي ألفاظ يمدها اللسان، وهي تكشف عن حقيقة الوجودين في مجتمع لغوي ما، وهي ألفاظ مؤلفة من جملة من أصوات مقطعة، وذات طبيعة فيزيائية وضع لها لفظ مؤلف من همزة وصل، وسين، وميم للتعبير عنها، فهذا اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال عبارة ((عن الشخص الموجود في العيان والأذهان وهو المسمى، واللفظ الدال عليه، الذي هو الزاي والياء والدال، وهو الاسم)) (85)، فهذا الأخير (زيد) أصبح (مسمى) من حيث عبر عنه باللفظ الذي هو الهمزة والسين والميم (86).

ويمكن تقريب ذلك بتشبيه الاسم (بالحلْية) و (المسمى) بـ (المحلى)، فإذا قيل: حليت الفتاةَ بهذه الحلية، أو أسميت زيداً بهذا الاسم، ومعلوم ضرورة أنه لا اتحاد بين (الحلية) و(المحلّى) فكذلك الشأن بالنسبة إلى كل من (الحلية) و(المسمى). ثم إن (التحلية) -وهي وضع (المحَلي)- بكسر اللام- (الحلية) على (المحلى) -بفتح اللام-، فكذلك ((التسمية)) هي إجراء (الاسم) على (المسمى) وتخصيصه به.

إذاً فالألفاظ مختلفة غير مترادفة، فلكل لفظ دلالته؛ ذلك أن القول باتحاد الاسم والمسمى يفضي بالضرورة إلى بطلان أحد المعاني الثلاثة، وهذا – كما ترى – يرجع في الحقيقة إلى قول أبي حامد الغزالي مع اختلاف في الأمثلة المضروبة، والمغايرة بين هذه المصطلحات منسوبة إلى سيبويه، وقد أخطأ من نسب إليه غير ذلك احتجاجاً بقوله: ((فأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ إحداث الأسماء))(87). يقول السهيلي: ((فقد نص على أن الاسم غير المسمى لو تأملوه، ولكنهم تعاموا عنه وأغفلوه، فقال -رحمه الله -: الكلم: اسم، وفعل، وحرف؛ فقد صرح بأن الاسم كلمة، فكيف تكون الكلمة هي المسمى، والمسمى إنما هو شخص، فهذا بيان ونص، لا سيما مع قوله فيما بعد: تقول: سميت زيداً بهذا الاسم كما تقول: علمته بهذه العلامة))(88)؛ ذلك أن ما يعرض له سيبويه من علامات الإعراب، والإعلال، والإبدال، والحذف، والزيادة، هو ما

يعتري الاسم ولا علاقة له بالمسمى البتة [89].

وأما شبه القائلين باتحاد الاسم والمسمى فمرجعها أمران، الأول: عقلي، وهو أن القول باختلافهما يفضي إلى القول: إن أسماءه مخلوقة وصفاته محدثة، والثاني: آيات من القرآن الكريم، أو مواضع من حديث النبي - صلى الله عليه و سلم – أو كلام العرب.

أما الرد على الشبه العقلية، فإن القول باختلاف دلالة هذه المصطلحات لا يلزم من ذلك القول بحدوث أسمائه وصفاته، فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي سمى نفسه بكلامه القديم، إذ القرآن قديم لا محالة، وهو متضمن أسماء الله الحسنى، فالاسم هو اللفظ الدال على المسمى، وهو مخالف للمسمى. والقائلون باتحاد الاسم والمسمى مخالفة لأهل السنة ... ((وأصلنا المتقدم موافق للغة، موافق لمذهب أهل السنة، مخالف لمذهب أهل المعتزلة، لأنهم لا يقولون بقدم الكلام، فالاسم على مذهبهم غير المسمى، كان من كلام الخالق أو من كلام المخلوق... فقد حصحص الحق، وتبين القصد، و الحمد لله)) [90].

أما الآيات القرآنية التي كانت مثار الشبهة، عند القائلين باتحاد الاسم والمسمى، فهي قوله تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى) (الأعلى 87: 1)، وقوله: (واذكر اسم ربك) (الإنسان 76: 25) وقوله: (تبارك اسم ربك ذي الجلالِ والإكرامِ) (الرحمن 55: 78) و (ما تعبدون من دون اللهِ إلا أسماءً سميتموها) والمسبح هو الله -عز وجل- ، والذي أُمرنا بذكره هو الله سبحانه وتعالى، وما أُمر النبي بذكر غير الله. ومذهب الغزالي (ت 505 هـ) في هذه الآيات، تعلق الذكر بالاسم مع مخالفته للمسمى، وذلك تعظيماً للاسم، وإذا وجب تنزيه المعظم وجب تنزيه ما هو بسببه، وهو الاسم ههنا. وهذا رأي مردود من نواحٍ عدة، منها: [91]

1- أنه لم يرد عن النبي -صلى الله عليه و سلم- أنه كان يقول في تسبيحه: ((سبحان اسم ربي))، وفي هذا دليل على عدم اعتقادهم بتعلق التسبيح بالاسم، و إنما المقصود -ههنا- المسمى.

2- أن ما ذهب إليه الغزاليّ يفضي إلى إطلاق التكبير، و التحميد، والتنزيه، والتقديس على الاسم، فيقال: كبرت اسم ربي، واسم ربي أكبر، وهذا لم يرد عن أحد من المسلمين.

3- أن الاسم لو كان هو المسمى، لأمكن القول: اسم الله أكبر بدلاً من (الله أكبر)، وسجدت لاسم ربي، وخفت اسم ربي...

ولكن العلة التي يخرج عليها ذكر الاسم في الآيات، أن الذكر محله القلب، والتسبيح نوع منه دون التلفّظ باللسان، والله -جل وعلا- تعبدنا بالأمرين معاً، أقصد بالذكر القلبي واللسانيّ، اعتقاداً ونطقاً، و بذلك يكون معنى الآيات: اذكر اسم ربك بالقلب و اللسان، لأن الذكر القلبي يتعلق بالمسمى الذي علامته لسانية (الاسم) والذكر اللساني يتعلق بكل من اللفظ ومسماه؛ فاللفظ ليس مراداً ((لنفسه، فقد وضحت تلك الحكمة التي من أجلها أُقحم ذكر الاسم وأنه به كملت الفائدة، وظهر الإعجاز في النظم والبلاغة في الخطاب))[92].

وعلى هذا يكون ذكر الاسم تنويهاً بنوعي الذكر القلبي واللساني [93].

وأما ما اشتبه عليهم في قوله تعالى: (وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها) (يوسف 12: 40) فقد ذهب ظن القائلين باتحاد الاسم والمسمى إلى أن

المعبود - ههنا - هو الاسم، والمعبود - حقيقةً - هو المسمى، وهم عبدوا تلك المسميات من باب التعظيم و التفخيم لأسمائها التي على (مسمى) حقيقي، فكـأ م بـذلك عبدوا الأسماء التي اخترعوها، ولو كانت الأسماء - ههنا - ذات المسميات لكان الكلام خلواً من الإعجاز، وخبت فائدة الكلام، وضاعت بلاغة النظم [94]. وذمهم راجـع إلى خصوصية التسمية لا إلى مطلقها [95].

وأما الشبه التي مرجعها كلام العرب، فمنها قول لبيد: [96]

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقول ذي الرمة: [97]

لا ينعش الطرف إلا ما تخونه

داعٍ يناديه باسم الماءِ مبغوم

وقول ذي الرمة أيضاً: [98]

تداعين باسمِ الشيبِ في متثلم

جوانبه من بصرة وسلام

وقد رد السهيلي على تأويلات ابن السيد في الآيات والأبيات، فقال: ((وقد أجاب بعض الحذّاق عن هـذا بجوابٍ لا يقوم على ساقٍ، ولا يكاد يفهم لشدة التكلّف والاستغلاق. وكان هذا الرجل قد ألف في الاسم والمسمى كتاباً، ذهب فيه إلى أنّ الاسم غير المسمى كما قدمناه، ولكنه تكلف وتعسف، ومن ألف فقد استهدف)) [99].

فبيت ((لبيد)) يوجه توجيهين، أولهما: أن مراد الشاعر بالسلام هو التحية، فشرفه لبيد بالإضافة إلى اسم الله عز وجل مبالغةً في التعظيم والاحترام، فكأنما يقول: ((لم أجد سلاماً أشرف من هذا أحييكم به. وثانيهما: أن الشاعر لم يرد إيقاع السلام حالاً، وإنما أراده بعـد انقضاء الحَول، فلو أنه حيا قائلاً: ثم السلام عليكم لكان يفهم منه إرادة إيقاع التحية حالة التلفّظ بالبيت، ولذلك جاء ذكره (الاسم) الذي هو عبارة عن اللفظ مـراداً بذلك جعل النطق بالتسليم بعد الحَول، فالسلام دعاء، ولا ارتباط للدعاء بالمستقبل، ذلك أن ((الظروف إنمـا تقيد الأحداث الواقعة فيها خبراً أو ياً، وغير ذلك من المعاني فهي واقعة لحينه)) [100]. وعلى هذا يكون إيقاع التسليم بعد انقضاء الحول، ولو حذف لفظ (الاسم) من البيت لوقع التسليم في الحال، ولكن ذكر الاسم - وهـو اللفظ - تقييداً للتسليم وجعله ما بعد الحَول ظرفاً له [101].

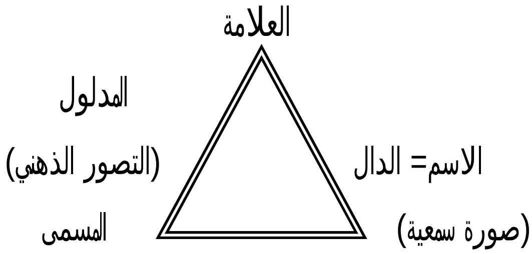
وأما بيتا ذي الرمة، فقد قصد في البيـت الأول إزالة الاشتراك بين لفظ (الماء) وصوت الظبيـة، ولم يقصد إلى حكاية صوت الظبية باسم الماء، وأ ا دعـت ولدها ذا الاسم فغدا صو ا كأنه تعبير عـن المـاء. والبيت الثاني منهما شبيه بالأول ولا يخرج تأويله عـن تأويل سابقه، ذلك أنه لم يأت بـ ((الشـيب)) في حال تنكير، وليس للألف واللام وجـود في تصـويت الإبل في أثناء سيرها، مما يدل على أن قصد الشـاعر أن الإبل يدعو بعضها بعضاً بصوت يشبه، نطقاً وتلفظـاً، صوت ((الشيب)) 3.

فالنـزاع في لفظة (ا س م)، وأ ا تطلق علـى الألفاظ، فيكون الاسم عين التسمية بالمعنى المذكور؛ أي القول الدال لا بمعنى فعل الواضع، وهو وضع الاسـم للمعنى، أو تطلق على مدلولا ا، فيكون عين المسمى.

وفي الدرس اللغوي الحديث جعـل (سوسـير) الاسم رمزاً لغوياً (صورة سمعية)، لا يـربط جـوهراً (مسمى) باسم، ولكنه يربط مفهوماً (تصوراً) بصورة سمعية، هي جملة الأصوات التي تتشكل منها العلامات.

ومراده بالعلامة جملة التمثلات المادية للصوت في ذهن السامع أو المتكلم، وليس مجرد المكون الفيزيائي الصرف. ومراده بالصورة السمعية – كذلك – جملة التمثّلات التي تترسخ في أفهامنا عبر منافذ الحواس إلى العالم الخارجي [102].

وهذه العلامة = الرمز تنشأ من الاتحاد بين وجهيها، وهما: التصور الذهني (concept) المسمى بـ (المدلول)، والصورة السمعية (significant) الدال، وبذلك لا يكون الصوت، بطبيعته المادية الفيزيائية، جزءاً من مكونات العلامة اللغوية، ولكن الصوت اللغوي – بنية نفسية ذهنية – جزء من هذه العلامة، لأنه ليس هو الصوت الفيزيائي بذاته، ولكنه صورة سمعية له نسخت في الذهن[103]، ويتمثل ذلك في المثلث اللغوي:



إن سوسير يعمل-من جهة أولى-على تقليص مبدإ المحاكاة الصوتية في نشأة العلامة اللغوية؛ ذلك أن تلك العلامات التي تحاكي الصوت حقيقة عشوائية ليس لها أي تعليل، إضافة إلى قلة عددها، وهي لا تعدو أن تكون محاكاة تقريبية تواطئية، وما ينسب إلى بعض العناصر اللغوية من محاكاة صوتية نتيجة عفوية لتطورها الصوتي[104].

ويسعى، من جهة ثانية، إلى القول باتصاف هذا الرمز اللغوي (الدال = الاسم) بصفتين هامتين، الأولى: الاعتباطية؛ أي انتفاء وجود أية علاقة مباشرة بين الرمز / الاسم، وبين الشيء المسمى: فالدال على هذا ليس إلا اختياراً صوتياً لا قصد للجماعة في اختياره، فلا توجد أية علاقة يمكن توصيف تعليل لها فيما بين الدال = الاسم، والمدلول (المسمى).

والثانية: الديمومة، والمراد بها أن هذه الجماعة اللغوية أو تلك تستعمل اللفظة نفسها أو العبارة ذاتها للدلالة على ذات الشيء (المدلول = المسمى) أو ذات الفكرة (المفهوم) [105].

ومما يؤكد اعتباطية العلامة اللغوية خضوع الدلالة، وهي اتحاد العلامة بالمرجع، للتغير بتأثير التبدل في البيئة اللغوية، والاستعمال، وتطورات المداليل، فلو كان الارتباط بين الدال والمدلول عضوياً لما أمكن تفكيكه، ولأصبح تغير رمزية الدال إلى مدلول متغير أمراً مستحيلاً. وهكذا تستمد الوحدات اللغوية وجودها من تواطؤ ساد على مر الزمن. ولتغير المجتمع اللغوي كبير الأثر في هذا التواطؤ[106]، فلو كان ثمة اتحاد بين الاسم (الدال) والمسمى (المدلول)، لاتحدت الأسماء في اللغات كلها [107].

وسوسير مسبوق إلى فكرة القول باعتباطية العلامة اللغوية، بجهود كثير من علمائنا الذين كان لهم إسهام واضح في الدرس السيميائي، فقد كان ابن جني يذهب إلى أنّ متكلم اللغة:لو قال: (أخذَ) مكان (ترك) لأغنى عن صاحبه، ولأدى إلى الحاجة إليه تأديته، ألا ترى أنهم لو استعملوا (لَجع) مكان (نجع) لقام مقامه وأغنى مغناه))[108].

إنّ العلامة اللغوية عند سوسير ثنائية المبنى، فهي شكل لساني يجمع بين وجهين هما: الوجه الدالّ،

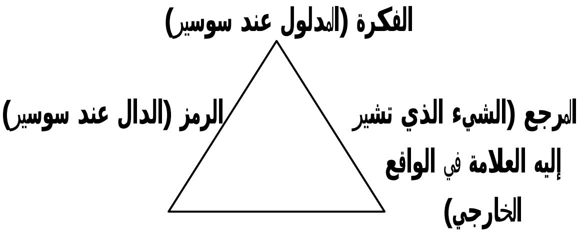
والوجه المدلول[109]، وهذا المفهوم لم يكن سوسير صاحب الأسبقية فيه، فقد قاله قبله غير واحد، كابن سينا (ت 428 هـ) عند تناوله دلالة اللفظ في كتابه (العبارة)، فقد ذهب ابن سينا إلى أن دلالة اللفظ تتحصل عند ((ارتسام مسموع الاسم في الذهن، وهذا يؤدي إلى ارتسام معنى في النفس، فتعرف النفس أن هذا الذي سمع هو لهذا المعنى... فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه))[110]. وذهب من جهة أخرى إلى أن ((الدلالة بالألفاظ إنما هي بحسب المشاركة والاصطلاح)) 7؛ ذلك أن الغرض من التواضع عبر التواصل اللغوي تمييز المعاني بالأسماء، والغاية من وضع الكلمة المفردة إفادة معانيها بالتركيب، فلو وضعت لفظة واحدة للشيء وخلافه من قبيل البدل لم يفهم ا أحدها، لأن في ذلك نقضاً للغرض من المواضعة 8.

وكأبي حيان التوحيدي (ت 380 هـ) الذي قال مؤكداً اعتباطية دلالة الألفاظ: ((واللفظ إن خلا من العلة جرى مجرى الاصطلاح)) [111].

فمما تقدم نقف على مفصل هام من مفاصل النظرية السيميائية عند دي سوسير، وأعني بذلك تمييزه بين مرجع العلامة – وهو مجموعة الأشياء التي تحيل عليها العلامة – وبين مدلول هذه العلامة؛ أي ذلك الوجود اللساني الذي يتعلق بداله، فمدلولات اللغة غير متناسقة، لا مع الجواهر، ولا مع المقاصد الذاتية التي يمكن الوقوف عليها خارج اللغة. فقد قصر العلامة على وجهين، هما: الدال، والمدلول [112]، واتحادهما يؤدي إلى إقامة عملية رجوع إلى العالم الخارجي من خلال سياق الجملة، ومن اتحاد العلامة بالمرجع تنتج الدلالة في سياق التبيين [113].

لكن الغزاليّ (ت 505 هـ) قبل قرون جعل المرجع أساساً في العلامة، فقد سبق أن رأينا أنه يجعل وجود الأشياء ذا مراتب أربع، هي: وجود عيني، وآخر ذهني، وثالثٌ لساني، ورابع خطي، فتكون الكتابة محيلة على اللفظ، واللفظ يحيل على المعنى المتصور ذهنياً،وهذا الأخير هو المثال.

وقد جاء كل من (أوجدن وريتشاردز) ليناقضا مفهوم (سوسير)، ويتطابقا مع مفهوم كل من الغزالي (ت 505 هـ) وحازم القرطاجني (ت684 هـ) في جعل المرجع الذي تحيل عليه العلامة خارج التصور الذهني، مكوناً هاماً من مكونات العلامة؛ ذلك أ مـا ذهبا إلى أن العناصر اللغوية لا قيمة لها، ولا دلالة لها من دون مرجع تحيل عليه، فاستعمال علامة لغوية ما ليس مرتبطاً بما تدل عليه معجمياً[114]، ولذلك كان المثلث اللغوي عندهما يتكون من وجوه ثلاثة على النحو الآتي:



فالرمز اللغوي- بناء على ما تقدم- مر ن بالموجود الذهني (الفكرة = المدلول) بعلاقة السببية؛ ذلك أن الدال يستدعي في ذهن المتلقي مدلولاً، وهذا يصبح دالاً بالنسبة إلى المرجع الذي يحيل إليه في عالم الواقع ، وهو (مدلول) بالنسبة إلى (الدال) الذي هو المتصور الذهني .

فالاسم (الموجود اللساني) لا يعدو أن يكون علامة لغوية أو رمزاً إلى مدلول (وهو علامة المسمى)، وهو علامة أحادية وثنائية معاً، وهو ممتنع الاستقلال عن المسمى (المدلول)؛ ذلك أنه لا وجود له من غير مدلول

يشير إليه، وهو ثنائي أيضاً لأن (المسمى = المدلول) يتطلب (دالاً) ما، ولكن هذا الدال ليس هو المدلول بعينه[115].

إن قطع الصلة بين الرمز اللغوي وكنه ما يشير إليه، لا يتعارض مع علاقة اللغة مباشرة بما قر في خلد الجماعة اللغوية، لأن وظيفة اللغة تقوم على التبادل الفكري داخل إطار الجماعة اللغوية. وإن قيمة أي رمز لغوي لا تتعدى مستوى رضا الجماعة اللغوية به، وتقبلها له في هذه البيئة اللغوية أو تلك، واتفاقها على استعمال هذا الرمز دون غيره، وهذا يؤكد أن اللغة، في حقيقتها، ظاهرة اجتماعية تتكون من علامات لغوية (Linguistic Signs) هي الألفاظ، وهذه تتألف من عناصر لغوية (Linguistic elements)، هي الوحدات الصوتية (Phonemes) ، ووحدات صرفية (morphemes) تحكمها جملة من الضوابط والقواعد (Grammar)، وتنسق فيما بينها، لتحقيق عملية التواصل اللغوي، وهو الوظيفة الأولى المشروب، ولم يأت بالماء منكراً، وإنما جاء به معرفاً باللام العهدية، لأن مراده الماء المعهود شربه، وفي هذا دليل على تباين الاسم والمسمى [117].

* النحاة:

تبوأ الاسم مكانة متقدمة لدى النحاة، فاقت قيمة قسيميه الفعل والحرف، فهو الأول في الدرس النحوي، من حيث البناء والإعراب، ومن حيث دوره الوظيفي في التركيب، وتحمله مختلف المعاني النحوية التي يحكمها السياق [118]. ووجود الفعل مرهون بوجود الاسم، ووجود الحرف مرهون بوجود الفعل [119].

ويكشف تتبع التعريفات، التي وضعها النحاة للاسم، عن حيرة واضطراب شديدين، مما جعل حدودهم غير جامعة ولا مانعة؛ ذلك أنك تقف على خلط منهم بين حد الاسم وعلاماته، مما يعكس إحساساً لديهم بالاضطراب في تحديد تخوم كل مصطلح، حتى وصلت حدودهم له إلى سبعين حداً.لم يضع شيخ النحاة سيبويه حداً للاسم، إلا أنه قسمه انطلاقاً من الاعتبار الشكلي، فاقتصر على التمثيل دون وضع حد له فقال: ((فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، فالاسم : رجل ، وفرس ، وحائط)) [120].

وانطلق في تقسيم آخر للاسم من الاعتبار الوظيفي في التركيب، فقد نقل عنه ابن فارس (ت 395 هـ) أنه قال: ((الاسم هو المحدث عنه))[121].

وأرجع السهيلي امتناع سيبويه عن وضع حد جامع مانع للاسم ووضعه حدين لكل من الفعل والحرف، إلى أنّ الاسم لدى النحاة واقع على ما هو في كلام العرب، فلم تكن ثمة حاجة إلى وضع حد له والفعل والحرف عبارتان اصطلح عليهما النحاة، فالفعل عند العرب ما دل على الحدث، وهو عند النحاة فقط ما دل على حدث مقترن بزمان، والحرف عند النحاة ما دل على معنى في غيره، والعرب لا يعرفون للحرف هذا المعنى [122]؛ ذلك أن متكلم اللغة لا يلتفت إلى تحديد المفاهيم والمصطلحات، فحسبه إنجاز العناصر اللغوية التي تكون حبال تواصل مع مجتمعه، من خلال العلاقات السياقية التي تحقق غرضه. ثم إن مرحلة تحديد المصطلحات والمفاهيم مرحلة تالية مرحلة إنجاز الحدث اللغوي، يدل على ذلك تعدد المفاهيم لمصطلح واحد، والخلط بين المصطلح وعلاماته، وإدخال عناصر لغوية ضمن مصطلح الاسم لا تخضع لدى التدقيق لمفهوم الاسم الذي لم يتبلور، فيما يكشف عن اتفاق بين النحاة عليه.

ولكن السهيلي ذهب إلى أن سيبويه ((فرق بين الاسم والمسمى فليس الاسم هو المسمى ذاته))[123].

وكان منطلق السهيلي، من هذا الاستنتاج، أنّ ما أورده سيبويه، والنحاة من بعده، علامات للاسم، ليس له أي ارتباط بالمسمى الذي هو الشخص، وهذا دليـل على أن أحداً منهم لم يقل بتطابق الاسم والمسمى، ولم يشر إلى ذلك عربي، ولم يعتقده نحوي [124].

وأما ما نسب إلى سيبويه من قولٍ باتحاد الاسـم والمسمى عند نصه على أن الأفعال ((أمثلة أخذت من لفظ إحداث الأسماء)) ، فالمعنى أ ا مشتقة من المصادر التي تحدثها الأسماء التي يراد ا أصـحاب الأسمـاء لا المسميات ، فالكلام بذلك يكون على تقدير مضـاف محذوف ، ((والمحتملات لا تعارض بالنصوص ... وقد نص -رحمه الله تعالى- قبل هذا الكلام بسطر واحـد على أن الاسم غير المسمى... فقال: والكلـم: اسـم، وفعل، وحرف... فكيف تكون الكلمة-وهي اسم-هي المسمى، والمسمى إنما هو شخص، فهذا بيان ونص، ولا سيما مع قوله فيما بعد: تقول: سميت زيداً ذا الاسم، كما تقول: علمته ذه العلامة))[125].

والتفت الكسائي (ت 189 هـ) إلى معنى سياقي آخر، وهو ارتباط الاسم بما قبله بعلاقة الوصفية فالاسم – عنده – ما صح أن يوصف. واعترض على هذا الحد بأن ثمة ما هو معدود في الأسماء، إلا أنه لا يقع موصوفاً، وذلك مثل كيف، وأين [126].

واستند المبرد (ت 286 هـ) في حده الاسـم إلى المعنيين، الشكلي والوظيفي، فأما الشكلي فقبوله حرف الجر، وأما الوظيفي فأحدهما دلالي، والآخر سياقي. فأما الدلالي فهو وقوعه على معنى (مسمى) نحو رجل، وفرس، وزيد وعمرو، والسياقي ذهابه في الاسم إلى ما كـان فاعلاً [127].

وأشار الفراء (ت 207 هـ) إلى جانب شكلي يميز الاسم وهو التنوين، والألف واللام. وآخر وظيفي، وهو الارتباط بعلاقة سامية الأصل، هي علاقة الإضافة، فقال: ((الاسم ما احتمل التنوين، والإضافة، أو الألف واللام))[128].

والعلامة الوظيفية التي أشار إليها الفراء يمكن أن تكون تعبيراً عن علاقتي الإسناد والتعديـة [129] فيمـا أطلق عليه النحاة اسم الإضافة اللفظية عنـدما يكـون المضاف اسم فاعل أو مفعـول أو صـفة مشـبهة، إذ الارتباط بين الطرفين ارتباط وثيق يكاد يحيلهما كلمـة واحدة [130]، فيغدو اتصال الجزأين مقوياً لقبح فصـل عرا العلاقة بينهما [131]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((أنا وكافل اليتيم هكـذا))[132]، ولعـل في إشارة النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى التلازم بضـم إصبعيه وتلاصقهما دليلاً على تلازم العلاقة بين المضاف (كافل) و(المضاف إليه = اليتيم).

ومن هنا، نجد الفراء يفرق بين اسم الفاعل العامل -وهو عنده اسم؛ إذ إنه لا يقبل التنـوين[133] نتيجـة علاقة الإضافة، ولأن معناه ماضٍ-وبين اسـم الفاعـل العامل عمل فعله حتى جعله قسيماً للفعلـين الماضـي والمضارع، وسماه فعلاً دائماً [134].

وراعى ابـن السـراج (ت 316 هـ): المعـنى الوظيفي في تحديد الاسم فهو ((ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصاً وغـير شـخصٍ)).[135] ويلاحظ على حد ابن السراج هذا، وفي هذا الموضـع، الاقتصار على المعنى الوظيفي، وأريد به الوظيفة الدالـة

على معنى، وإغفال الجوانب الشكلية، ومن هنا نجده يدخل في الأسماء كلاً من المصادر، والظروف، وأسماء الأعلام، واليوم، والساعة.

إلا أنه في موضع آخر خلط بين الوظيفي والشكلي، فذكر من الأول جواز الإخبار عن الاسم والنعت، والإضمار، وذكر من الثاني ما يعرف به الاسم من علامات، كالألف واللام، وعدم تقدم (قد) أو (سوف) عليه. وهذه علامات لا تعم الأسماء كلها، فثمة ما هو معدود في الأسماء، كالضمائر مثلاً، وهي لا يكنى عنها. وما استدراك ابن السراج على تعريفه الوظيفي الأول، إلا لشعوره بقصور هذا الحد ورغبته في جعله جامعاً مانعاً [136].

واعتمد الزجاجي (ت 339 هـ) في تفريقه بين الاسم وغيره الجانب الوظيفي، كالارتباط بعلاقة الإسناد، أو علاقة التعدية، وزاد على ذلك -إضافة إلى علامة شكلية إلصاقية كالتنوين، والألف واللام، والجر، والنداء- علامة شكلية تتناول بنية الاسم، وأقصد التصغير، فقال: ((والاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً، أو واقعاً في حيز الفاعل والمفعول... ليس يخرج عنه اسم البتة، ولا يدخل فيه ما ليس باسم)) [137].

وهذا الحد الذي عده صاحبه جامعاً مانعاً، فلا يخرج عنه اسم البتة، ليس بذاك، فثمة أسماء لا تصلح للتركيب في علاقة إسنادية (الفاعلية)، كأسماء الشرط والاستفهام، وثمة أسماء مخصوصة بالنداء، فلا تقع في غيره، نحو: (هناه، فلُ، مخبثان، ملأمان. وثمة أسماء لا تصغر، نحو (ما) و (من) و (جير) و (أيمن الله)، وهي لا تنون كذلك. وثمة أسماء لا تدخلها الألف واللام، مثل أسماء الإشارة، وأسماء الأفعال، والضمائر، ولذا لا يعد ما ذكره الزجاجي إلا رسماً للاسم، وليس حداً، لأن الحد يستغرق المحدود، والرسم لا يستغرقه.

ويمكن تأويل الاسم هنا بأنه هو المسمى، أو أنّ المراد به اللفظ المنطوق المكتوب الذي يراد به المسمى. فعلى التأويل الأول يصح تعريفه الاسم بقبوله العلاقتين الإسنادية والتعدية القائمتين على (الفاعلية)، و (المفعولية)، لأن المسمى لا اللفظ الدال عليه هو الذي يكون فاعلاً أو مفعولاً. ولكن ينتقض ذلك ببقية العلامات؛ فالمسمى لا تدخل عليه حروف الخفض، وإنما تدخل على اللفظ الدال عليه؛ فـ ((ليس مذهباً له ولا لأحد من النحويين أن يريد بالاسم المسمى، ولكنه أراد به الكلمة الدالة عليه)) [138].

ونظر أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) في حد الاسم إلى الجانب الوظيفي داخل التركيب، فقال: ((فما جاز الإخبار عنه من هذه الكلم فهو اسم)) [139]، فحدد بذلك الاسم بأهم العلاقات التي تربط الجملة العربية البسيطة، وأعني علاقة الإسناد، وهذه العلاقات محور كل العلاقات الأخرى، ذلك أنه ((باستطاعته تكوين جملة تامة ذات معنى، دلالي متكامل)) [140]، ولا فرق في ذلك بين الجملتين الاسمية، أو الجملة الفعلية، حيث يكون الارتباط بين اسم وفعلٍ منسوب إليه.

وأبو علي الفارسي لم يقتصر على الوظيفة السياقية، ولكنه أضاف إليها وظيفة أخرى هي الوظيفة الدلالية، فلا يخرج الاسم عن الدلالة على عين أو غير عين، وأضاف إلى جانب ذلك علامتين شكليتين إلصاقيتين، هما: التنوين، والألف واللام.

إن تتبع حدود النحاة يوقفنا على ترددهم في حد الاسم بين وظيفة دلالية، أو تركيبية محكومة بالسياق، إلى جانب ذكرهم علامات شكلية، وصلت عند السيوطي إلى ثلاثين علامة. إلا أن في الإمكان ملاحظة تفاوت بينهم واضطراب في حد الاسم والتفريق بينه وبين غيره من أجزاء الكلام، فقد صرح ابن عصفور (ت 669 هـ) لأول مرة بأن المراد من دلالة الاسم على الزمان في قولهم: ((الاسم ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة من الزمان))[141] هو الدلالة الذاتية، لا الدلالة الناتجة عن الصيغة الصرفية[142]، فقال: ((فإنْ وجد من الأسماء ما يدل على زمان، كـأمس، وغد، فبذاته لا ببنيته، ألا ترى أنهما لا تتغيران))[143] ، وبذلك يكون ابن عصفور أول من أخرج الصفات بعد سيبويه، الذي وزع الأبنية الصرفية بين أسماء الذوات وبين أسماء المعاني والصفات، معتمداً الأحرف الأصول ((قيمة خلافية تفرق بين أقسام الكلام: الاسم، والفعل، والحرف... إذ إن اختلاف الكلمات في المبنى علامة شكلية بارزة يمكن أن تكون أساساً في التفريق بين الأقسام المختلفة))[144].

وفرق ابن مالك[145] (ت 676 هـ) بين الاسم والصفة، لكنه أقحم الأعلام، والمصادر، والمبهمات، والصفات في باب الاسم.

وخص الرضي (ت 686 هـ) علاقة الإضافة بالاسم، وهي قيمة خلافية لا تخص الاسم وحده، ولكنها تنطبق على الصفات والجمل أيضاً، إلا أن الفرق بين علاقة الإضافة في الأسماء، تفيد التعريف أو التخصيص، وفي الثانية ليست إلا ظاهرة شكلية تقصر الصفة على الزمن النحوي المستفاد من السياق، وهو الزمن الماضي[146].

إن ما سبق عرضه من آراء النحاة وأقوالهم يدفعنا إلى استنتاج جملة من النتائج، منها:

1- الاضطراب في وضع حد جامع مانع للاسم.
2- الخلط في حد الاسم بين تحديد الماهية والحقيقة الذاتية للاسم، وبين ما يميزه عن قسيميه من علامات.
3- التفريق بين الأسماء والصفات، فالأسماء علامات على المسميات وليس الزمن جزءاً منها، والصفات دلالات على موصوف بالحدث الذي يدل على الزمن دلالة التزامنية، وللصفات خصائص شكلية ومعان وظيفية لا تتحقق في الأسماء [147].
4- التفريق بين المصطلحات الثلاثة: الاسم، والمسمى، والتسمية، فهي مصطلحات متباينة قد تتداخل دلالياً.

تعود تفرقة النحاة بين الاسم والمسمى إلى أصل ساروا عليه، وهو امتناع إضافة الشيء إلى نفسه، ولو كان الاسم هو نفس المسمى، لكانت فيه إضافة الشيء إلى نفسه، ولم يقل بذلك نحوي ولا عربي. فلو كان الاسم هو المسمى، لأمكن أن يقال في قوله تعالى: (وأجلٍ مسمى) (الأنعام: 2): أجل اسمٍ، واسم هذا الاسم كذا، ولأمكن أن يقولوا في (بسم الله): بمسمى الله.

وقد ذهب العكبري (ت 616 هـ) إلى أن الإشكال الذي اعتقده النحاة في (بسم الله)، من إضافة الشيء إلى نفسه، يمكن تأويله على وجه من الوجوه الآتية [148]:

الأول[149]: أن الاسم، ههنا، بمعنى التسمية، وهي غير الاسم؛ لأن التسمية هي التلفظ بالاسم وتعليقه على المسمى، والاسم هو العلامة الملازمة للمسمى، فهو غيره.

الثاني[150]: أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: باسم مسمى الله.

الثالث[151]: أن لفظ (اسم) في الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ صلة؛ أي زائد. وهذه الزيادة-عند الأخفش-للخروج من القسم إلى قصد التبرك، وهو عند قطرب إجلالاً وتعظيماً. والرأيان الثاني والثالث ضعيفان؛ لأن القرآن الكريم ليس موضع اضطرار، وكل من الزيادة والحذف لا يلجأ إليهما إلا عند الاضطرار.

وزاد أبو البقاء [152] في قوله تعالى: (سبح اسم ربك) (الأعلى: 1) رأياً ثالثاً على رأيي الفارسي، وهو الأخذ بظاهر الآية، وأنّ المراد تنزيه اسمه من التبذّل والكذب عند القسم، وبه قال أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)، وأشار إلى أن ثمة من يقول: إن الاسم بمعنى المسمى هنا [153].

ونسب السمين الحلبي (ت 756 هـ) إلى أبي عبيدة قوله بزيادة كل من الباء أو (اسم) في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق: 1) وأن التقدير: اقرأ اسم ربك على القول بزيادة الباء، أو اذكر ربك، على القول بزيادة (الاسم) [154].

والحقيقة أن أبا عبيدة لم يقل بزيادة (الاسم) في هذه الآية، واقتصر على القول بزيادة الباء فحسب، إلا أنه في (البسملة) قدر الاسم زائداً، ولعل السمين توهم ذلك في كل الآيات التي ورد فيها لفظ (الاسم). لقد استند الذين ذهبوا إلى زيادة (الاسم) في الآيات إلى ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، بحذف الاسم، ولو أن الاسم والمسمى متحدان لقال: سبحان اسم ربي. فالقائلون بالفرق بين الاسم والمسمى، جعلوا (الاسم) صلة، والذين قالوا باتحادهما، لم يقولوا بزيادته[155].

وأما قولهم في الآية الكريمة: (ما تعبدون من دون اللهِ إلاّ أسماءً سميتموها) (يوسف: 40): إن الاسم هو المسمى، لأنهم لم يعبدوا الأسماء، ولكنهم عبدوا أصحابها الذين سموها، فمردود بأن هذه الأسماء التي وضعت إزاء تلك الآلهة المتوهمة ليس لها مسميات واقعية، فلا وجود لما يعتقدونه فيها من ألوهية هذه الأصنام، إلا في الأذهان التي وضعت لها هذه الأسماء [156]، فهي أسماء أطلقوها على أصنام ينسبون إليها الألوهية، ومثلهم في ذلك مثل الذي يسمي قشر البصل لحماً، ويأكل القشر فيقال له: ما أكلت من اللحم إلا اسمه [157]، والتسمية ليست إلا وضع الاسم إزاء المسمى، فالاسم-كما مر آنفاً – يقابل الحلية، والمسمى يقابل (المحلى)، والتسمية تقابل (التحلية)، وهذه أسماء ذات دلالات مختلفة لاختلاف حقائقها[158].

والنتيجة التي نخلص إليها – من وجهة نظري – أن الاسم في أصل الوضع ليس هو ذات المسمى، ويعضدني في ذلك جملة أمور، منها:

1- أن ثمة فارقاً بين الوضع اللغوي والاستعمالي، فالأول وضع اللفظ دليلاً على المعنى، كأن تسمي شخصاً بزيد. والثاني يراد به إطلاق اللفظ وإرادة مسماه بالحكم، وهو الحقيقة، أو غير مسماه – مع وجود علاقة بينهما – وهو المجاز[159].
2- أن معرفة الأسماء لا تتم إلا بعد حصول المسميات.

3- أن معرفة الأسماء لا تقتضي-ضرورة-معرفة مسمياتها، ذلك أن مجرد معرفة المرء الأسماء لا توقفه على حقيقة المسميات، إذا لم يكن عارفاً بحقائقها، وإلا فهو عارف بجملة تقطيعات صوتية مجردة.

4- أن العلامات الإعرابية، التي هي مؤشرات على المعاني المختلفة باختلاف السياق، لا علاقة لها بحقائق المسميات، وإنما ترتبط بالألفاظ الدالة عليها.

5- أن التسمية وظيفة صرفية يؤديها الاسم في اللغة (160).

6- أن الفعل ينبئ عن حركة المسمى لا حركة اللفظ (الاسم) الذي هو علامة عليه، والذي هو عبارة عن أصوات مقطعة.

7- أن دلالة الألفاظ ليست ذاتية من غير تواضع كما يرى عباد الصمري (ت 250 هـ)؛ ذلك أنها لو كانت دلالتها ذاتية لما وجد أي اختلاف في الأسماء باختلاف الجماعة اللغوية والبيئة الجغرافية، ولتوصل كل إنسان إلى لغته (161).

8- أن الألفاظ، وهي حروف مقطعة وضعت اختياراً للدلالة على ذوات الأشياء، تقسم إلى: ألفاظ تدل على معنى في غيرها، وهي ما يطلق عليها اسم الحروف، وأخرى تدلّ على معنى في نفسها، وهذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين، أولهما: ألفاظ دالة على زمن حصول تلك المعاني، وهذه هي الأفعال. وثانيهما: ألفاظ ليس فيها دلالة صيغية على الزمان-وإن كان فيها ما يدلّ دلالة معجمية عليه-وهذه هي الأسماء.

إلا أن المصطلحات الثلاثة: الاسم، والمسمى، والتسمية، قد تتداخل دلالاتها سياقياً فحسب، فيكون الاسم عين التسمية، نحو إطلاق (اسم) على الألفاظ الدالة على المسميات، فالاسم (زيد): هو الشخص الموجود في الواقع، والمعنى، واللفظ الدال عليه (162).

وقد يقع المسمى موقع الاسم الذي يراد به (التسمية)، وهذا الباب ((ينكره أكثر من يسمعه ممن لم يتميز في معرفة كلام العرب حتى يتبين وجهه، وهو شيء يخص اللغة العربية، ولا يكاد يوجد في شيء من سائر الألسنة))(163).

فجمهور النحاة متفقون على أن المصدر الميمي للفعل الزائد على ثلاثة أحرف يوافق وزنه وزن مفعوله، نحو: مزقته تمزيقاً وممزقاً، وانطلق انطلاقاً ومنطَلقاً، ومن ذلك قوله تعالى: (وندخلكم مدخلاً كريماً) (النساء 5: 12) والمقصود بـ ((مدخلاً)): إدخالاً.

ومصدر (سمى) تسميةً، واسم المفعول (مسمى)، وهو شبيه بـ (سويته تسويةً ومسوى)، فإذا قيل: أعجبني مسمى فلان زيداً، فالمعنى ههنا يتوجه إلى التسمية؛ أي: يعجبني تسمية فلان زيداً، وبهذا تترادف هذه المصطلحات سياقياً، وإن كانت في أصل وضعها متباينة.

وقد يكون الشيء مسمى من جهة، وتسميةً من جهة أخرى، فيكون لفظ (اسم) بمثابة الجنس والنوع؛ لأنه يقع على الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني، نحو: الجوهر، والعرض، وزيد؛ فهي ألفاظ يطلق على كل واحد منها (اسم)، وهي كذلك تسمية للمعنى الذي يتضمنه، فيكون بذلك مسمى بالنسبة إلى الاسم الذي فوقه، وتسمية واسماً بالنسبة إلى المعنى الذي تحته (164).

وبعد هذا العرض لجملة الآراء في المصطلحات الثلاثة: الاسم، والمسمى، والتسمية، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

1- التفت الفلاسفة، والأصوليون، واللغويون في وضع حد للاسم إلى وظيفته الدلالية على مسماه.

2- الاسم دليل لغوي وضع إزاء المسمى، وليس ثمة أي ارتباط بين الاسم وطبيعة مسماه، فدلالة الأسماء على مسمياتها دلالة تواضعية بين أفراد الجماعة اللغوية.

3- المسمى هو الذات أو المعنى الذي يشير إليه الاسم، وهو عند الأصوليين مبدأ الاشتقاق، أو الحدث الذي هو مدلول المادة.

4- تخبط النحاة في وضع حد جامع مانع للاسم، وخلطوا بين وظيفتيه الدلالية والتركيبية، وبين العلامات الشكلية التي تفرزه عن قسمي الكلام: الفعل والحرف وفق تقسيمهم الثلاثي.

5- أدخل النحاة تحت الأسماء ما ليس منها، كالضمائر، وأسماء الإشارة، والظروف، واسم الفاعل، والمشتقات المبدوءة بميم زائدة، والمصادر، لذا يتبنى البحث الدعوة إلى إخراجها من حيز الأسماء، لخروجها عن قواعدهم المقررة.

6- يتبنى البحث حداً للاسم أقرب إلى أن يكون جامعاً مانعاً، وهو أن الاسم: ما دل على مسمى به دلالة وضع.

7- تطلق التسمية اصطلاحاً على وضع الاسم إزاء المسمى، أو على ذكر الاسم.

8- القرائن هي الفيصل في التفريق بين هذه المصطلحات في حال تداخلها.

الهوامش

1. ابن منظور (ت 711 هـ): لسـان العـرب، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط 1، 1993 م (سمو).
2. اللسان (سمو).
3. الفيروز أبادي (ت 817 هـ): القاموس المحيط، رتبه الطاهر أحمد الزواوي، ط 4، دار عالم الكتب، الرياض، 1996 م، (سمو).
4. علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت 571 هـ): الواضح في أصول الفقه، تحقيق عبد الله التركـي، ط 1، 1999 م، دار الرسالة، بيروت 1: 98.
5. التهانوي (ت ق 12 هـ) كشاف اصـطلاحات الفنـون، شركة خياط للطباعة والنشر، بيروت 3: 708.
6. عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، اتحـاد الكتـاب العـرب، 1986، دمشق، ص 85.
7. سهى فتحي نعجة: إشكالية التعريب في ضوء الإمكانيـات التوليدية للغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسـانية، ع85، س22، ص 93.
8. اللغة والدلالة: 86.
9. أوزوالد ديكرو: القاموس الموسوعي لعلم اللسـان الجديـد ترجمة منذر عياسي، جامعة البحـرين، ط1 / 2003 م، ص: 439.
10. ماريوباي: لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، قسـم النشـر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، 1970، ص: 2، و محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التـاريخ، ط 1 / 1396 هـ - 1976 م، دار الشروق، جدة، ص: 77.
11. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: 439.
12. اللغة والدلالة: 86. ويطلق على هذه العلامـات في النحـو اللاتيني واليوناني ما يأتي: الاسمي في مقابل الابتداء. والندائي في مقابل النداء. والموضـوعي في مقابـل المفعـول بـه. والامتلاكي في مقابل الإضافة إلى الضمير. وغير المباشـر في مقابل المتعدى بحرف. والعلاقي في مقابـل المتعـدى إليـه بواسطة.
13. اللغة والدلالة: 85.
14. اللغة والدلالة: 85.
15. اللغة والدلالة: 85. وانظر: محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ، ط 1، 1396 هـ ، 1976 م، دار الشروق، جـدة، ص: 78.
16. أئمة النحاة في التاريخ: 77.
17. أئمة النحاة في التاريخ: 77.
18. أئمة النحاة في التاريخ: 77.
19. ابن سينا (ت 428 هـ): كتاب العبارة، حققـه محمـود الخضيري، القاهرة، 1970.
20. حازم القرطاجني (ت684 هـ) : منهاج البلغاء ، تحقيق محمد الحبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تـونس ، 1966 ، ص 19.
21. إبراهيم بن إسحاق الحـربي (ت 285 هـ): رسـالة في أن القرآن غير مخلوق، تقديم وتحقيق وتعليق: علي بن عبد العزيز الشبل، ط 1، 1995 م، دار العاصـمة، الريـاض، مقدمـة التحقيق، ص: 19.
22. الفخر الرازي (ت 606 هـ) : التفسير الكبير، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت بلا تاريخ، ج1 ص 109.
23. ابن كثير (ت 774 هـ): تفسير القـرآن العظـيم، ط 2، 1991 م، دار الخير، دمشق ، ص : 20 .
24. انظر: أبو الحسن الأشعري (ت 330 هـ): الإبانة عن أصول الديانة، المطبعة السـلفية، القـاهرة، 1385 هـ ، ص: 9، ومقالات الإسلاميين، صححه ريتر، مطبعة الدولة إستانبول، 1929م، ص 172 ، والجويني (ت 478 هـ) : الإرشاد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص 142 ، والبغوي (ت 516 هـ): شرح السنة ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، بـيروت،1391 هـ ، ج5 ، ص 59 ، والبيهقي (ت 458) : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، قدم له أحمد عصـام الكاتـب ، ط 1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1401 هـ - 1981 ، ص : 71 – 72 ، والفخر الرازي (ت 606 هـ) : لوامـع البينـات ، المطبعة الشرقية ، القـاهرة ، 1323 هـ ، ص : 5 – 10 ، وابن عطية: المحرر الـوجيز، والتـهانوي (ت ق 12 هـ) : كشاف اصطلاحات الفنـون ، ج 3 ، ص : 708 ، وأبـو البقاء اللغوي (ت1094): الكليات ، أعده للنشـر عـدنان

درويش، وزارة الثقافة، دمشــق، ط2، 1981، ج 1 ، ص 122 ، والآلوسي (ت) : روح المعاني 52، ومحمــد صــالح الزركان : فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، دار الفكر ، ص 230 .

25. كشاف اصطلاحات الفنون 3: 708.
26. الإبانة عن أصول الديانة: 9.
27. الاعتقاد: 75.
28. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت324 ه): مقالات الإسلاميين، صححه ريتــر، مطبعــة الدولــة، اســتانبول، 1929م، ص 172، والآلوسي (ت): روح المعاني.
29. ابن حزم الأندلسي (ت 456 ه): الفصل في الملل والأهواء والنحل، حققه محمد إبراهيم نصير، و عبد الرحمن عميرة، ط 1، 1402 ه ، 1982، شركة مكتبات عكاظ، الريــاض، السعودية، ج 1، ص 140.
30. كشاف اصطلاحات الفنون 3: 708.
31. الكليات 1: 122.
32. أبو يحيى السنيكي الأنصاري (ت 926 ه)، حققه صــالح مهدي العزاوي، مجلة المورد، مج 7، ع 3، 1978 م.
33. القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415 ه): تنــزيه القــرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، ص: 459.
34. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: 71 – 72.
35. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: 75.
36. أبو حامد الغزالي (ت 505 ه): المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، حققه محمد عثمان الخشــب، مكتبــة القــرآن، القاهرة، 1985، ص: 28. والفخر الــرازي (ت 606 ه): شرح أسماء الله الحسنى، راجعه وقدم له: طه عبد الــرؤوف سعد، ط 1، 1404 ه - 1984 م، دار الكتاب العــربي، بيروت، ص: 21. والمستصفى: دراسة وتحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، بلا تــاريخ، ج 1، ص 65 – 67.
37. شهاب الدين القرافي (ت 684 ه): شرح تنقيح الفصول، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط 1، 1393 – 1973، دار الفكر، القاهرة، ص: 5.
38. المقصد الأسنى: 36.
39. المقصد الأسنى: 33.
40. المقصد الأسنى: 36.
41. شرح أسماء الله الحسنى: 21. وانظر: التفسير الكبير 1: 108.
42. شرح أسماء الله الحسنى: 22. وانظر: تفسير ابن كثير، ج 1، ص: 20، والتفسير الكبير ج 1، ص: 108.
43. محمد بن أحمد الفتــوحي النجــار (ت 872 ه): شــرح الكوكب المنير، حققه محمد الزحيلي، ونزيه حماد، جامعــة الملك عبد العزيز، 1400 ه ، 1980 م، دار الفكر، دمشق، ج 1، ص: 126.
44. علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت 571 ه): الواضح في أصول الفقه، تحقيق عبد الله التركــي، ط 1، 1999 م، دار الرسالة ببيروت 1: 98.
45. علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت 571 ه): الواضح في أصول الفقه، تحقيق عبد الله التركــي، ط 1، 1999 م، دار الرسالة ببيروت 1: 98.
46. مصطفى جمال الدين: الدرس النحوي عند الأصــوليين، دار الرشيد، بغداد، ط1، 1980م، ص: 64.
47. بدائع الأفكار1: 42، نقلاً عن الدرس النحوي عند الأصوليين، ص: 65.
48. أبو حامد الغزالي (ت 505 ه): المنخول في أصول الفقه، حققه محمد حسن هيتو، (بلا مكان طبع ولا تاريخ)، ص: 79 – 80.
49. سيف الدين الآمدي (ت 631 ه): الإحكام في أصــول الأحكام، حققه أحد الأفاضل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1387 ه ، - 1967 م، ج 1، ص: 18.
50. الدرس النحوي عند الأصوليين 63.
51. الواضح في أصول الفقهه، ج 1، ص 95. وانظر الجرجاني (ت 816 ه): التعريفات، حققه عبد الرحمن عميدة، عالم الكتب.
52. التفسير الكبير 1: 108، وتفسير ابن كثير 1: 20.
53. شرح أسماء الله الحسنى: 23. وانظر: شرح الكوكب المنير، ج 1، ص 124.
54. أبو حيان التوحيدي (ت 400 ه): المقابسات، حققه محمــد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970: ص: 97.

55. المقصد الأسنى: 24، وشرح أسماء الله الحسنى: 21، والتفسير الكبير 1: 20، وتفسير ابن كثير 1: 20.
56. المقصد الأسنى: 30. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنـون، ج 3، ص 708.
57. أبو محمد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصير، ود. عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكـاظ للنشـر، السـعودية، ط 1، 1402 هـ - 1982 م، ج 5، ص: 141.
58. المقصد الأسنى: 30.
59. يوسف غازي: مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العـربي الجامعية، ط 1، 1985 م، دمشق، ص 199.
60. المقصد الأسنى: 38 – 39.
61. علي بن محمد بن أبي العز الحنفـي (ت 792 هـ): شـرح الطحاوية، ط 3، المكتب الإسلامي، بلا تاريخ: ص: 69.
62. الجوهري: (ت 393 هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، حققه أحمد عبد الغفور عطار، ط 1، دار العلم للملايين، (سمـو). وقال الرازي (ت 322 هـ): ((قال الترمذي في الاسم نحو هذا)). الرازي (ت 322 هـ) الزينة في الكلمات الإسلامية، تحقيق عبد الله سلّوم السامرائي، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، القاهرة، ج، ص 8.
63. القاموس المحيط، (سمو).
64. الزينة في الكلمات الإسلامية، ج 2، ص: 7.
65. الزينة في الكلمات الإسلامية، ج 2، ص: 7.
66. أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت 310 هـ): معاني القرآن وإعرابه، شرح وتعليق عبد الجليل عبده شـلبي، ط 1، 1414 هـ، دار الحديث، القاهرة، ج 1، ص 19.
67. السمين الحلبي (ت 756 هـ): الدر المصون، تحقيق أحمـد الخراط، ط 1، دار القلم، دمشق، ج 1، ص 19.
68. الواضح في أصول الفقه 1: 95.
69. الدر المصون 1: 20.
70. الدر المصون 1: 20.
71. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بـيروت، (سما).
72. ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، الكويت، 1960 م، نسخة مصورة عنها، ص: 214، وهو في: عبد القـادر البغـدادي، خزانة الأدب، حققه عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب 1977 م، ج 4: 337، 340، 342.
73. تفسير القرآن العظيم 1: 20.
74. البيت لراجز جاهلي من بني أُسيد بن عمرو بن تميم، وهو في: ابن يعيش، شرح المفصل، دار عالم الكتب، ج 1، ص 117، وفي خزانة الأدب 6: 200. وهو شاهد على تقدم معمـول اسم الفعل عليه، فـ (دلوي) مفعول (دونك) بمعنى خذ. والبصريون يمنعون ذلك، فيجعلـون (دلـوي) مبتـدأ، و (دونك) ظرفاً لاسم فعل. خزانة الأدب 6: 200.
75. أبو جعفر الطبري (ت 310 هـ): جامع البيـان في تأويـل القرآن، ط 2، 1997 م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 80 – 81.
76. جامع البيان في تأويل القرآن، ج 1، ص 80 – 81.
77. لسان العرب (سما).
78. الزينة في الكلمات الإسلامية، ج 2: 134.
79. الزينة، ج، 2 ص 10.
80. قمت بتحقيقها وستجد طريقها إلى النشر قريباً، إن شاء الله.
81. أبو القاسم السهيلي (ت 581 هـ): نتائج الفكر، حققـه محمد إبراهيم البنا، 1984 م، السعودية، ص 39 – 51.
82. رسالة في الفرق بين الاسم والمسمى 22/أ.
83. نتائج الفكر: 38.
84. نتائج الفكر: 39.
85. نتائج الفكر: 39.
86. نتائج الفكر: 39.
87. سيبويه (ت 176 هـ): الكتاب، حققه المرحوم عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ج 1، ص 2.
88. الكتاب 1: 2.
89. نتائج الفكر: 40.
90. نتائج الفكر: 42 – 43.
91. نتائج الفكر: 43 – 44.
92. نتائج الفكر: 45.
93. نتائج الفكر: 47.
94. نتائج الفكر: 46.

95. محمد بن عبد الرحيم الأرمـوي (ت 715 هـ): الفـائق، دراسة وتحقيق علي عبد العزيز العميريني، القاهرة، دار الاتحاد الأخوي، 1411 هـ / 1991 م، ج 1، ص 174.
96. سبق تخريجه.
97. ديوان ذي الرمة (ت 117 هـ)، حققه عبد القدوس أبـو صالح، ط مجمع اللغة العربية، دمشـق، 1973، ج 1، ص: 390، ونتائج الفكر: 47. وابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج 3، ص 14.
98. ديوان ذي الرمة، ج 1، ص 107، ونتـائج الفكـر: 48، وشرح المفصل 3: 14، 85.
99. نتائج الفكر: 48.
100. نتائج الفكر: 49.
101. نتائج الفكر: 50.
102. الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة للنشـر، ط 1، الجزائر، 2001، ص 77. وانظر: دي سوسور: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ، ومحمد الشـاوش ، ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، 1985، ص 100 .
103. مبادئ اللسانيات البنيوية: 78.
104. دروس في الألسنية العامة: 113.
105. ماريوباي: لغات البشر، ترجمة صلاح العرب، الناشر قسـم النشر بالجامعة الأمريكية، 1970 م، القاهرة، ص: 21.
106. ميشال زكريا: الألسنية، مبادئها واعلامها، بيروت، 1980 م، ص: 183 – 184.
107. مبادئ اللسانيات البنيوية: 79.
108. ابن جني (ت 392 هـ): الخصائص، تحقيق محمـد علـي النجار، دار الهدى، بيروت، بلا تاريخ، ج 1، ص 65.
109. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص: 527.
110. ابن سينا (ت 428 هـ): العبارة، تحقيق محمود الخضـيري، القاهرة، 1970 م، ص: 3، 4.
111. أبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، نشره أحمـد أمـين والسيد صقر، القاهرة، ص:266.
112. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: 444.
113. مدخل إلى الألسنية، ص: 43 – 63.
114. ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد ، الهيئة المصرية ، ص : 219 .
115. جون كوين: اللغة العليا، ترجمة أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 1999 م، الهيئة العامـة لشـؤون المطـابع الأميرية، ص: 140.
116. لغات البشر: 22 – 24.
117. نتائج الفكر: 48.
118. محمد مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه،ط 1، 1964، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 141.
119. المقابسات: ص 103.
120. الكتاب 1: 12.
121. ابن فارس (ت 395 هـ): الصاحبي، تحقيق السـيد أحمـد صقر، دار إحياء الكتب العربية، 1977 م، ص: 89.
122. نتائج الفكر: 64.
123. نتائج الفكر: 40.
124. نتائج الفكر: 40.
125. نتائج الفكر: 40.
126. نتائج الفكر: 70.
127. أبو العباس المبرد (ت 286 هـ): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج 1، ص: 3. وانظر: الصاحبي: 91.
128. الصاحبي: 90.
129. مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيـب الجملـة العربية؛ مكتبة لبنان، ناشرون، ص: 168.
130. السيد يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربيـة، مكتبـة لبنان، بيروت، 1969 م، ص: 12.
131. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج 2، ص: 183.
132. الحديث في: الأدب المفرد، ج 4، ص: 52.
133. أبو زكريا الفراء: معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، ج 2، ص: 420.
134. معاني القرآن 2: 202.
135. ابن السراج (ت 316 هـ): الأصول، تحقيق عبد الحسـين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1985، ج 1، ص: 36.
136. أقسام الكلام: 39.
137. الزجاجي (ت 339 هـ): الإيضاح في علل النحو، تحقيـق مازن المبارك، ص: 48.

138. نتائج الفكر: 63.
139. أبو علي الفارسي (ت 377 هـ): الإيضاح، تحقيق حسـن شاذلي فرهود، دار التأليف، القاهرة، ط 1، 1969 م، ج 1، ص 36.
140. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: 164.
141. الزمخشري (ت 538 هـ): المفصل، دار الجيل، بـيروت، ص: 6، والرضي الأستراباذي (ت 686 هـ): شرح الكافيـة، ج 1، ص: 8، وشرح المفصل ج 1، ص: 3.
142. كشاف اصطلاحات الفنون 3: 711.
143. ابن عصفور (ت 669 هـ): المقرب، تحقيق عبـد السـتار الجواري، بغداد، ط 1، 1971 م، ج 1، ص 45.
144. أقسام الكلام: 60.
145. ابن مالك (ت 676 هـ): التسهيل، تحقيق محمـد كامـل بركات، دار الكتاب العربي، 1972، ص: 3، 4.
146. أقسام الكلام: 60.
147. أقسام الكلام: 94.
148. أبو البقاء العكبري (ت 616 هـ): إملاء ما من به الرحمن، ط 2، 1969، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج 1، ص 4.
149. هذان الرأيان قال ـما الفارسي. الدر المصون 1: 18.
150. هذان الرأيان قال ـما الفارسي. الدر المصون 1: 18.
151. هذا الرأي قال به الأخفش وقطرب، وتابعهما الفارسي. الدر المصون 1: 18.
152. إملاء ما من به الرحمن 2 : 284 .
153. أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ): البحر المحيط، مطـابع النصر الحديثة، الرياض، ج 8، ص: 458.
154. الدر المصون 11: 56.
155. اللسان (سما).
156. الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ): المفردات في غريب القرآن، حققه محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص: 224.
157. بدائع الفوائد، ج 1، ص 19، ونتائج الفكر: 40
158. بدائع الفوائد، ج 1، ص 19، ونتائج الفكر: 40
159. شرح تنقيح الفصول، ص: 22.
160. أقسام الكلام: 274.
161. فخر الدين الرازي (ت 606 هـ): المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني، ط 1، جامعة الغمام محمد بن سعود الإسـلامية، 1399 هـ ، 1979 م، الرياض، ج 1، ص 243.
162. كشاف اصطلاحات الفنون 3: 709 ن والكليات 1: 120.
163. رسالة في الفرق بين الاسم والمسمى 5 / أ .
164. رسالة في الفرق بين الاسم والمسمى والتسمية 6/ أ.

معجم مصطلحات المياه

د. محمد طبي (*)

A fleur d’eau	على وجه الأرض
A pente raide	شديد الانحدار
Abattre à la cote	ألقى على الساحل
Abîme	هوة
Ablation	ذوبان
Absence d’une situation cadastrale	غياب وضعية للمسح
Absorption	امتصاص
Accessoires de montage	ملحقات التركيب
Accessoires de pose	ملحقات الوضع
Accessoires de raccordement	ملحقات الوصل
Accostage	دنو من الساحل
Accoster	دنا من الساحل
Accumulation	تراكم
Achèvement du puits	إتمام البئر
Achèvement	اكتمال
Achromatique	لالوني
Acide silicique	حمض السيليسيك
Acide sulfurique	حمض الكبريت
Acide	حمض
Acidité	حموضة
Action à distance	فعل عن بعد
Activer	نشط
Activité volcanique	نشاط بركاني

Adapter(s’..)	تكيف
Adapter	كيف
Addition d’eau	جر المياه
Addition d’eau	جلب المياه
Adhérence du ciment	تماسك الإسمنت
Advection	حمل حراري
Aérobie	هوائي
Affaissement de terrain	انخفاض الأرض
Affluent	رافد
Affluent (s)	رافد (روافد)
Afflux latéral	تدفق جانبي
Afflux	تدفق
Affouillement des eaux	جرف المياه تحت بناء
Agiter	قلب
Agrégat de sol	تكتل التربة
Agrégat	تجمعي
Agressif	مخرب
Aire de base	عرض القاعدة
Aire de drainage	مساحة التصريف (المائي)
Air	هواء
Alcool	كحول
Algue (s)	طحلب (طحالب)
Alignement du puits	تقويم البئر

(*) للاستاذ محمد طبي من الجزائر إسهامات طيبة في مجال توفير مقابلات عربية للمصطلحات الاجنبية المتداولة، بصفة خاصة، في ا الات الصناعية والتقنية، وصدر له معجم المهن (قطاع الصناعة والمناجم).

Alimentation aspiration	تغذية بالجذب
Alimentation automatique	تغذية آلية
Alimentation automatique	تغذية تلقائية
Alimentation en eau de surface	إمداد بالمياه السطحية
Alimentation en eau	تزود بالماء
Alimentation en eau	تغذية مائية
Alimentation flotteur	تغذية بعوامة
Alimentation hydraulique	تغذية مائية
Aller au fond	ترسب في القاع
Alluvion	غرين(طين)
Aménagement de l'eau	تدبير الماء
Aménagement de l'eau	تنظيم المياه
Aménagement	تهيئة
Amenée d'eau	جلب الماء
Amerrir	هبط على الماء
Amerrissage	هبوط على الماء
Amont	عالية النهر
Ampérmètre	مقياس شدة التيار
Amphibie	برمائي
Analyse statistique	تحليل إحصائي
Ancrage dans le sol	تثبيت في الأرض
Ancre flottante	مرساة عائمة
Ancre	مرساة
Ancrer	أرسى
Angle de contact	زاوية الاتصال
Angle de polarisation	زاوية الاستقطاب
Angle de réflexion	زاوية الانعكاس
Angle de réfraction	زاوية الانكسار

Angle de repos	زاوية الراحة
Angle de rotation	زاوية الدوران
Anhydre	لامائي
Anhydre (sel…)	لامائي (ملح…)
Anhydriser	فرغ من الماء
Année hydrologique	سنة مائية
Anomalie	شذوذ
Anticlinal	محدب
Anticongelateur	مضاد للتجمد
Anticorrosif	مضاد للصدإ
Antigène	مولد الضد
Antimicrobien	مضاد للمكروب
Antimitotique	مضاد للفطر
Antimousse	مضاد للرغوة
Antioxydant	مضاد للأكسدة
Antisepsie	تطهير
Antiseptique	مطهر
Apatite	أباتيت
Appareil à distiller	جهاز التقطير
Appareil à pulvériser	جهاز الرش
Appareil d'absorption	جهاز الامتصاص
Appareil d'aération	جهاز وية
Appareil de chauffage	جهاز التسخين
Appareil de coupure	جهاز القطع
Appareil de mesure des états de surface	مقياس السطحيات
Appareil de projection	جهاز القذف
Appareil	جهاز
Approvisionnement en eau	تموين مائي
Aquaculture	تربية المائيات

Aquaculture	زراعة مائية
Aquedue	عبارة (قناة مائية)
Aqueux (phase….se)	مائي(وجه مائي)
Aqueux(dispersion…se)	مائي (انتشار مائي)
Aqueux(solution…se)	مائي (محلول مائي)
Aqueux	مائي
Aquiclude	طبقة كتيمة
Aquicole	مائي
Aquicole(industrie…)	مائي (صناعة تربية المائيات)
Aquiculteur	مربي المائيات
Aquiculture	تربية المائيات
Aquifère	محتوى مائي
Aquifère	حامل للماء
Aquosité	مائية
Aragonite	أراغونيت
Argileux	أرجيلي
Argile	طين
Aride (climat…)	جاف (مناخ...)
Aride	جاف
Aride	قاحل
Arôme	عبير
Arpentage	عملية المسح
Arrondissement	تكور
Artificiel	اصطناعي
Assainissement	تطهير
Assèchement	تجفيف
Assécher	جفف
Atmomètre	أتمومتر (مقياس التبخر)

Atmosphère absolue	ضغط جوي مطلق
Atmosphère	جو
Attachement	ارتباط
Attachement	جدول الإنجازات
Attribution	تناسب
Augert basculeur	دلو دوار
Augite	أوجيت (فلز)
Auto épuration	تنقية ذاتية
Autochtone	رسوبيات محلية
Automation-automatisation	تآلية
Autonomie	استقلالية
Avaloir	بالوعة
Aval	مجرى نحو الأسفل
Aval	هبوط النهر
Avant-montagne	سفح الجبل
Bac de jaugeage	صهريج القياس
Bac enterré	حوض تبخر مطمور
Bac flottant	حوض عائم
Bac salé	بحيرة مالحة
Bac salé	بحيرة ملحية
Bac	وعاء
Baguette de divinatoire	قضيب بحث عن الماء
Baignoire	حمام
Baignoire	مغطس
Bain	حمام
Baril	برميل
Barographe	باروغراف (آلة تسجيل الضغط الجوي)
Baromètre	بارومتر (مقياس الضغط الجوي)

Barrage de retenue	سد مجمع
Barrage souterrain	سد جوفي
Barrage	سد
Barrière hydrologique	حاجز مائي
Barrière montagneuse/littorale	حاجز جبلي – ساحلي
Barrière	حاجز
Basalte	بازلت (حمم)
Base-type	قاعدة نمطية
Basique	قاعدي
Basses eaux	ماء قليل
Bassin clos (fermé)	حوض مغلق
Bassin d'alimentation	حوض التغذية
Bassin d'expérimentation	حوض تجريبي
Bassin de coulée	حوض الصب
Bassin de décantation	حوض الترسيب
Bassin de prise	حوض الأخذ
Bassin fluvial	حوض ري
Bassin hydrogéologique	حوض مياه جوفية
Bassin méditerranéen	حوض البحر الأبيض المتوسط
Bassin versant	حوض التصريف (المائي)
Bassin versant	حوض منحدر
Bassin versant	حوض صباب
Bassin versant	حوض مائي
Bassin	حوض
Bathométrie	باتومتر (عداد لقياس عمق بئر)
Batterie du puits	مجموعة آبار
Besoin en eau	احتياج مائي

Besoin en eau	الحاجيات من الماء
Bidon	دلو – سطل
Bifurcation	تشعب ثنائي
Bilan d'oxygène de l'eau	توازن الأكسجين في الماء
Bilan hydraulique	ميزانية مائية
Bilan hydrologique	موازنة مائية
Biologie	بيولوجيا (علم الأحياء)
Biotique	حياتي
Blocage	إغلاق
Boisson	مشروب
Bord (de mer)	شط (البحر)
Bordure de protection d'un puits	جدار حماية البئر
Borne repère	علامة مرجعية
Bouche à eau	منفذ الماء
Bouche d'accès	منفذ الوصول
Bouche d'aération	فوهة التهوية
Bouche d'échappement	فوهة الانفلات
Bouche d'égout	فوهة البالوعة
Bouché	مسدود
Bouché	منفذ (فوهة)
Boucher de trou de coulée	سد ثقب الطفح
Bouchon argileux	سداد طيني
Bouchon de trop-plein	سدادة الطفح
Bouclier	درع
Boue activée	وحل منشط
Boue de forage	طين الحفر
Boue dirigée	وحل مهضوم
Boue	وحل

Boue (circulation de…)	وحل (دورة ال...)
Boue (sortie…)	وحل (مخرج ال...)
Bouée	عوامة
Boues activées	أوحال منشطة
Bouillir	غلى
Bourbe	سبخة
Bouteille	زجاجة
Branchement individuel	وصل فردي
Branchement	وصل – ربط
Bruit de fond	ضجيج الخلفية
Bulles (s)	فقاعة (فقاقيع)
Burette	قطارة
Buse (s)	ماسورة (مواسير)
Buse	ماسورة
Câble immerge	سلك مغمور
Câble porteur	سلك حامل
Cadastre	تقييم مساحة الأراضي
Cadastrer	مسح
Calcaire	كلسي (يحتوي على كربونات)
Calcite	كالسيت (فلز)
Cale à eau	خزان الماء (في السفينة)
Cale(donner la …)	قذف في الماء
Canal d'assèchement	قناة التجفيف
Canal collecteur	قناة مجمعة
Canal d'écoulement	قناة التصريف
Canal d'évacuation	قناة التصريف
Canal d'évacuation	قناة التفريغ (الصرف)
Canal d'irrigation	قناة الري

Canal de jaugeage	قناة القياس
Canal foré	قناة محفورة
Canal jaugeur	قناة مدعمة
Canal latéral	قناة جانبية
Canal maritime	قناة بحرية
Canal flexible	قناة لينة
Canal principal	قناة رئيسية
Canal souterrain	قناة تحت الأرض
Canalisation	قناة (مجموعة قنوات)
Canal	قناة
Caniveau d'écoulement	بالوعة التصريف
Caniveau d'évacuation	بالوعة تفريغ
Caniveau	بالوعة
Caniveau	مجرى مائي
Capacité d'accueil	قدرة الاستيعاب
Capacité de rétention d'eau	قدرة استبقائية الماء
Capacité de transmission	قدرة الإرسال، قدرة الانتقال
Capacité de transport	سعة الحمل
Capacité	سعة
Captage des eaux souterraines	مياه جوفية محبوسة
Captage des eaux	التقاط المياه
Capuchon imperméable	غطاء غير منفذ للماء
Caractéristiques des fluides	ميزات السوائل
Caractéristiques du bassin	ميزات الحوض
Caractéristiques du lit	خواص القناة
Caractéristiques	ميزات
Caractéristiques géotechniques	خاصيات جيو – تقنية

Caractéristiques mécaniques	ميزات ميكانيكية
Carbon de trempe	كربون السقي
Carrière	مقلع – محجر
Carte géographique	خريطة جغرافية
Carte	خريطة
Cassure fragile	تكسر هش
Cave	قبو
Célérité d'onde	سرعة الموجة
Cendre volcanique	رماد بركاني
Centre d'attraction	مركز الجذب
Centre de consommation	مركز الاستهلاك
Centre de distribution	مركز التوزيع
Centre de pluie torrentielle	مركز العاصفة المطرية
Centre de rotation	مركز الدوران
Centre hydraulique	محطة مائية
Centre thermique	محطة حرارية
Cercle d'influence	دائرة التأثير
Chaîne de distribution	سلسلة التوزيع
Chaîne de montagne	سلسلة جبلية
Chaleur de condensation	حرارة التكثف
Chaleur de vaporisation	حرارة التبخر
Chambre de vapeur	حجرة البخار
Chambre de captage	حجرة المصدر
Chambre de refroidissement	حجرة التبريد
Champignon d'eaux usées	فطر المياه القذرة
Champs d'action	حقل عمل
Champs des vitesses du vent	حقل سرعة الرياح

Champs du puits	حقل للآبار
Champs vectoriel	حقل متجهات
Charge admissible	حمولة مسموحة
Charge d'aspiration	ضغط الامتصاص
Charge de base	حمولة الأساس
Charge de pollution	حمولة التلوث
Charge du lit	حمولة الطبقة
Charge externe	حمولة خارجية
Charge permanente	حمولة دائمة
Chasse d'eau	طرادة الماء
Château d'eau	خزان الماء
Chaud	ساخن – حار
Chaudière (s)	مرجل (مراجل)
Chaudron	قدر
Chauffage central	تسخين مركزي
Chauffe-bain	سخان الحمام
Chauffe-eau	سخان الماء
Chemin d'infiltration	مسار التسرب
Chemise d'eau	قميص الماء
Chemise de pompe	بطانة المضخة
Chenal alluvial	قناة لحقية
Chenal d'écoulement	ممر التصريف
Chevauchement	تراكب أرضي
Chlore	كلور
Chlorhydrique	كلور الماء
Chott	مستنقع مالح
Chute d'eau	شلال
Chute d'eau	شلال مائي
Chute de température	هبوط درجة الحرارة
Chute	شلال
Ciment d'injection	إسمنت حقن

Ciment imperméable	إسمنت غير منفذ للماء
Ciment isolant	إسمنت عازل
Cimentation	تسمنت
Ciment	إسمنت
Circuit d'eau	دائرة الماء
Circuit de mesure	دائرة القياس
Circulation de l'eau	مرور الماء
Circulation inverse	دورة معكوسة
Circulation naturelle	مرور طبيعي
Circulation par pompe	مرور بمضخة
Citerne d'eau	صهريج ماء
Citerne	صهريج
Clapet de fermeture	صمام الكبح
Clapet de sécurité	صمام الأمان
Clapet	صمام
Clarification de l'eau	وضوح الماء
Clepsydre	ساعة مائية
Cloison en eau	حاجز مائي
Clôture	سياج
Coefficient d'activité	معامل النشاط
Coefficient d'emmagasinement	معامل التخزين
Coefficient d'infiltration	معامل التسرب
Coefficient de fuite	معامل التسرب
Coefficient de pondération	معامل الوزن
Colle imperméable	غراء غير منفذ للماء
Collecteur d'évacuation	مجمع التفريغ
Colluvion argilo-sableuse	رواسب طينية رملية
Colonne de liquide	عمود سائلي
Commande automatique	مراقبة آلية

Commande de l'eau	قيادة الماء
Commande hydraulique	قيادة هيدروليكية
Compactage	رص (الأرض)
Composant	مركب
Compostage des boues	ترسب الأوحال
Compte-gouttes	قطارة
Compteur à eau	عداد الماء
Compteur automatique	عداد تلقائي
Compteur d'eau	عداد الماء
Condensation	تكثف
Conditions géologiques	ظروف جيولوجية
Conditions initiales	شروط مبدئية
Conditions limites	شروط حدية
Conducteur	ناقل
Conduit de distribution	ماسورة التوزيع
Conduit	ماسورة (قناة)
Conduite d'eau	مجرى الماء
Conduite de prise	أنبوب ألاخذ
Conduit	أنبوب ناقل
Cône d'influence	قُمع التأثير
Cône	مخروط
Confluence	ملتقى ا اري
Congélation en bloc	تجميد في كتل
Congélation	تجمد
Conglomérat de base	تجمع صخري قاعدي
Conjointe	معا
Conservation d'eau	محافظة على الماء
Conservation des eaux	محافظة على المياه
Consommateur d'eau	مستهلك الماء

Consommation d’eau	استهلاك الماء
Consommation	استهلاك
Constante de diffusion	ثابت الانتشار
Construction d’un puits	بناء البئر
Contamination radioactive des eaux	تلوث إشعاعي للمياه
Contamination de l’eau	تلوث الماء
Contamination	تلوث
Contenance du réservoir	سعة الخزان
Contenance	سعة
Contrainte admissible	عقبة مقبولة
Contrainte de rupture	عقبة الانفصال
Contrainte naturelle	عقبة طبيعية
Contraintes physiques	عقبات مادية
Contraintes du sol	عقبات ترابية
Contre-pression	ضغط مرتد
Contrôle de programmation	مراقبة البرمجة
Corps de poche	جسم الوعاء
Corps de pompe	جسم المضخة
Corps flottant	جسم عائم
Corps flottants	أجسام عائمة
Corps isolant	جسم عازل
Corps liquide	جسم سائل
Corrélation géologique	ترابط جيولوجي
Corrosion atmosphérique	تآكل جوي
Corrosion marine	تآكل بحري
Cote rocheuse	شط صخري
Cote sablonneuse	شط رملي
Couche aquifère artésienne	طبقة مائية أرتوازية

Couche aquifère littorale	طبقة مائية ساحلية
Couche caractéristique	طبقة متميزة
Couche encaissante	طبقة الاحتباس
Couche inter calcaire	طبقة متداخلة
Couche isolante	طبقة عازلة
Couche superficielle	طبقة سطحية
Couche	طبقة
Couche (s)	طبقة (طبقات)
Coude	منعطف
Coulée à la pression atmosphérique	صب تحت الضغط الجوي
Coulée de boue	جريان الطين
Couler	جريان
Couloir naturel	ممر طبيعي
Coup de bélier	دفعة الماء في الأنبوب
Coupe géologique	مقطع جيولوجي
Coupe - tube	قاطع أنبوبة
Coupure d’eau	قطع الماء
Courant alternatif	تيار تناوبي
Courant de densité	تيار الكثافة
Courant de marée	تيار المد والجزر
Courants vagabonds	تيارات ضالة
Courbe d’ajustage	منحني الضبط
Courbe d’étalonnage	منحني المعايرة
Courbe de consommation	منحني الاستهلاك
Courbe de niveau	منحني المستوى
Courbe de rabattement	منحني الهبوط (نسبة الماء)
Courbe de régression	منحني التراجع
Courbe de remous	منحني المياه المتبقية
Courbe standard	منحنٍ نموذجي

Cours d’eau récepteur	مستقبل مجرى المياه
Cours d’eau	مجرى مائي
Cours inférieur	مجرى سفلي
Cours souterrain	مجرى مائي تحتي
Couverture de neige	غطاء ثلجي
Couverture de sol	تربة علوية
Couverture de sol	غطاء التربة
Couverture de sol	غطاء أرضي
Couverture mécanique	غطاء ميكانيكي
Couverture végétale	غطاء نباتي
Craie	طبشور
Cratère	مدخنة بركانية
Crépine filtrante	مصفاة الامتصاص
Crête	قمة
Critères d’appréciation	معايير الملاحظة
Critères de qualité de l’eau	معايير نوعية للماء
Critères de similitude	معايير التشابه
Crochet de forage	خطاف الحفر
Cuve à eau douce	دن الماء العذب
Cuve à tremper	دن السقي
Cuve de rinçage	دن الغسل
Cybernéticienne	عالم التوجيه
Cybernétique	علم التوجيه
Cycle hydrologique	دورة مائية
Cycle	دورة
Dalot	قناة (مياه)
Décolmatage d’un puits	خض البئر
Débitmètre	مقياس متدفق
Débit d’un fleuve	منسوب النهر

Débit de base	جريان قاعدي
Débit de pointe	انسياب أعظم
Débit de sécurité	انسياب أمني
Débit du puits	انسياب البئر
Débit entrant	دفق داخلي
Débit permanent	انسياب دائم
Débit sortant	تدفق خارجي
Débit	انسياب
Déblais de forage	شظايا الحفر
Débordement	فيضان
Déborder	فاض (طفح)
Débris	حطام
Décapage	تنظيف
Décapant	منظف
Déchets de raffinage	فضلات التكرير
Déchets liquides	نفايات سائلة
Déchets	نفايات
Décolmatages	إزالة مناطق الإعاقة
Déferlement	زبد الموج
Déformation	تشوه
Dégivrage automatique	إزالة الصقيع آليا
Dégorger	صب
Dégouttement	تقطير
Dégoutter	قطر
Dégradation	تآكل
Degré d’aération	درجة التهوية
Degré de saturation	درجة الإشباع
Degré	درجة
Délais de grâce	فترة السماح

Délavage	تخفيف اللون بالماء
Délaver (se…)	ابتل
Delta	دلتا
Demande en eau	مطلب مائي
Déminéralisation	إزالة الأملاح
Déminéralisation	إزالة الأملاح المعدنية عن الماء
Densité du réseau	كثافة شبكة (التصريف)
Densité	كثافة
Dénudation	تآكل
Déplacement	استبدال
Dépôt alluvionnaire	مستودع الطمي
Dépôt chimique	ترسب كيميائي
Dépôt des matières liquides	راسب المواد السائلة
Dépôt glaciaire	كتلة جليدية
Dépôts deltaïques	ترسبات الدلتا
Dépoussiéreur	آلة إزالة الغبار
Dépression	منخفض سطحي
Dérivation d'un fleuve	تعديل مجرى النهر
Dérivée directionnelle	اشتقاق موجه
Descente eau	ماسورة تصريف المياه
Description de la zone	تعريف المنطقة
Déshydrations des bous	تجفيف الماء من الوحل
Désinfecter	طهر
Désodorisation	إزالة الروائح
Dessableur	جهاز فصل الرمل عن الماء
Dessalement de l'eau de mer	إزالة أملاح ماء البحر
Dessalement	إزالة الملوحة

Dessalement (usine de..)	إزالة الأملاح (مصنع...)
Destiner à la consommation	خصص للاستهلاك
Détecteur des fuites	كاشف التسرب
Détenteur automatique	صمام تمدد آلي
Détonateur	مفجر
Détritus	فتات
Développement du cours d'eau	تطور ا رى المائي
Développement du puits	تطوير البئر
Développement durable	تنمية مستدامة
Déversement des eaux	صب المياه
Déversement	صب
Déversement	فائض
Déverser	يحول
Déversoir	حاجز مائي
Déversoir	عائق مائي
Déviation	انحراف
Diagenèse	تحول
Diamètre du puits	قطر البئر
Diamètre effectif	قطر حقيقي
Diamètre extérieur	قطر خارجي
Diasrophisme	التواء القشرة الأرضية
Diatomite	دياتوميت (صخر)
Diffusion	انتشار
Digue	حاجز (ضد الفيضانات)
Dispersion aqueuse	انتشار مائي
Dispositif d'amorçage de pompe	جهاز سقي المضخة
Disposition de pompage	نموذج الضخ
Distillation	تقطير
Distribution aléatoire	توزع عشوائي

Distribution de saturation	توزع الإشباع
Distribution sous pression	تقطير تحت الضغط
Diurne	يومي
Doline	بالوعة
Doline	حفرة
Dosage proportionnellement automatique	تناسب آلي
Dose absorbée	جرعة ممتصة
Dose journalière admissible	جرعة يومية مسموح ا
Dose	جرعة
Douche de vapeur	منضحة غازية
Douche	منضحة
Drague à grappin	حفارة صدفية
Draguer	جرف
Drainge d'eau	است اف مائي
Drainage	تصريف المياه
Drain	مصرف (مائي)
Dresse-tube	مقوم الأنابيب
Droit des eaux	قانون المياه
Droit international des eaux	قانون دولي للمياه
Dureté de sol	قساوة التربة
Dureté temporaire	قساوة مؤقتة
Dureté totale	قساوة إجمالية
Eau (adduction d'…)	ماء (جرال...)
Eau (captage des …x)	ماء (التقاط المياه)
Eau (chambre à…)	ماء (غرفة المياه)
Eau (château d'…)	ماء (خزان الماء)
Eau (point d'…)	ماء (مورد)

Eau (prisme à…)	ماء (منشور مائي)
Eau (qualité de l'…)	ماء (نوعية ال...)
Eau agressive	ماء هجومي
Eau aromatique	ماء ذو عبير
Eau bouillie	ماء مغلي
Eau brut	ماء خام
Eau buvable	ماء شروب
Eau captive	ماء محتبس
Eau chaude	ماء ساخن
Eau colorée	ماء ملون
Eau corrosive	ماء فعال
Eau corrosive	ماء نشط
Eau d'égouts	ماء القاذورات
Eau dangereuse	ماء خطر
Eaux de cavernes	مياه قبوية
Eau de chaux	ماء الجير
Eau de chlore	ماء الكلور
Eaux de compensation	مياه تعويضية
Eau de constitution	ماء التشكيل
Eau de cristallisation	ماء التبلور
Eau de fusion	ماء الذوبان
Eaux de la nappe artésienne	مياه ارتوازي
Eau de lavage	ماء الغسل
Eau de mer	ماء البحر
Eau de mine	ماء منجمي
Eaux de pluie	مياه الأمطار
Eau de puits	ماء الآبار
Eau de refroidissement	ماء التبريد
Eaux de remous	مياه متبقية

Eaux de restitution avale	مياه المؤخرة
Eaux de rinçage	مياه الغسل المرتد
Eaux de surface	مياه سطحية
Eau de toilette	ماء مطهر
Eau disponible	ماء متوفر
Eau distillée	ماء مقطر
Eau douce	ماء عذب
Eau douce (lentille d'…)	ماء عذب (عدسة...)
Eau du puits	ماء البئر
Eau du sol	ماء التربة
Eaux fossiles	مياه محبوسة
Eau fraîche	ماء بارد
Eau gazeuse	ماء غازي
Eau glacée	ماء مثلج
Eau importée	ماء مستورد
Eau industrielle	ماء للصناعة
Eau légère	ماء خفيف
Eau liée	ماء مرتبط
Eaux météoriques	مياه جوية
Eau naturelle	ماء طبيعي
Eaux polluées	مياه ملوثة
Eau potable	ماء الشرب
Eau potable	ماء صالح للشرب
Eau potable	ماء للشرب
Eau pure	ماء زلال
Eau pure	ماء نقي
Eau régale	ماء ملكي
Eau salée	ماء مالح
Eau saline	ماء أجاج

Eau saline	ماء مالح
Eau saline	ماء مالح (أجاج)
Eau saumâtre	ماء مالح
Eaux sous la zone de pergélisol	مياه دائمة التجمد
Eaux souterraines originaires	مياه جوفية أصلية
Eaux souterraines	مياه جوفية
Eaux stagnantes	مياه راكدة
Eaux superficielles	مياه سطحية
Eau turbulent	ماء هائج
Eau usée	ماء قذر
Eaux volcaniques	مياه بركانية
Eau (…traité)	ماء (...معالج)
Eau (alimentation en …)	ماء (تغذية بال...)
Eau (colonne d'..)	ماء (عمود مائي)
Eau (dureté d'..)	ماء (صلابة الماء)
Eau (dureté d'..)	ماء (قساوة ال...)
Eau (HO2)	ماء (رمز الماء...)
Eaux intérieures	مياه داخلية
Eaux boueuses	مياه بالأوحال
Eaux courantes	مياه جارية
Eaux d'égouts	مياه البواليع
Eaux d'égouts	مياه ا اري
Eaux de diffusion	مياه الانتشار
Eaux de presse	مياه مضغوطة
Eaux dystrophies	مياه قليلة المواد المغذية
Eaux juvéniles	مياه حديثة
Eaux lacustres	مياه راكدة
Eaux lacustres	مياه بحيرات
Eaux minérales	مياه معدنية

Eaux retenues	مياه متجمعة
Eaux souterraines	مياه جوفية
Eaux thermales	مياه معدنية
Eaux usées domestiques	مياه مجاري المنازل
Eau	ماء
Ebullition	غليان
Ecaille	شظايا
Echange thermique	تبادل حراري
Echantillon du sol	عينة تربة
Echantillon perturbée	عينة مضطربة
Echantillon(s)	عينة (عينات)
Echantillonnage par lots	أخذ العينات على دفعات
Echantillonnage	أخذ العينات
Echantillonneur automatique	معين آلي
Echaudage	غسل بالماء الساخن
Echelle	مقياس
Echo-soudeur	مسبار العمق
Ecologie humaine	علم بيئة الإنسان
Economie des eaux	الاقتصاد في المياه
Ecoulement (…libre)	جريان (...حر)
Ecoulement (résistance d'…)	جريان (مقاومة ال...)
Ecoulement critique	جريان حرج
Ecoulement du canal principal	جريان القناة الرئيسة
Ecoulement libre	جريان حر
Ecoulement naturel	جريان طبيعي
Ecoulement permanent	جريان مستمر
Ecoulement rapide	جريان سريع
Ecoulement total	جريان كلي

Ecoulement tranquille	جريان هادئ
Ecoulement vierge	جريان بكر
Ecoulement	جريان
Ecoulement (régime d'…)	جريان (نظام ال...)
Ecoulement (régime d'…saturé)	جريان مشبع
Ecrasement	ا يار
Ecume	رغوة
Effet d'arc-boutement	تأثير الجسور
Efficacité barométrique	فعالية الضغط الجوي
Efficacité de température	فعالية درجة الحرارة
Effluent	تدفق خارجي
Elaboration d'une proposition de projet	إعداد اقتراح مشروع
Electrode du courant	مسرى التيار
Elément constitutif	عنصر مكون
Elément nutritif	عنصر مغذ
Embouchure	مصب النهر
Embouteiller	عبأ في زجاجات
Emplacement des canalisations	موضع مجموعة القنوات
Empoisement des eaux	تسميم المياه
Endoréique	محبوسة المياه (مياه لا تصل البحر)
Energie d'activation	طاقة التنشيط
Epaisseur	سمك
Epaissssiement des boues	تكثيف الأوحال
Epandage de surface	غمر سطحي
Epuisement	است اف
Epuration d'égouts	معالجة مياه ا اري
Epuration des eaux d'égouts	تنقية مياه القنوات

Epuration primaire	تطهير أولي
Epuration	تطهير (تنقية)
Equation de continuité	معادلة الاستمرار
Equation hydrologique	معادلة مائية
Equipe de forage	فريق الحفر
Equivalent chimique	مكافئ كيمائي
Erosion de fleuve	تآكل النهر
Erosion du sol	انجراف أرضي
Essai de pompage	اختبار الضخ
Essai sur le terrain	اختبار بالحقل
Essai sur le terrain	تجربة ميدانية
Estuaire	شعبة
Estuaire	شعبة (مصب النهر)
Etallonnage	معايرة (تقييم لمقاييس)
Etanche	كتيم (حاجز)
Etanchéité au ciment	إحكام إسمنتي
Etanchéité	كتيمة
Etang	بركة
Etape de fleuve	منسوب النهر
Evaluer	قيم
Evaporamètre	صهريج قياس التبخر
Evaporation	تبخر
Evaporer	بخر
Evaporites	متغيرات
Evier	مغسل – حوض (للأواني)
Excavation	تنقيب
Excaver	نقب
Exploitation géophysique	تنقيب جيوفيزيائي

Exploitation minière à ciel ouvert	منجم سطحي
Explosif (s)	متفجر (متفجرات)
Explosion	انفجار
Exutoire artificiel	تصريف اصطناعي
Exutoire du bassin	فم الحوض المائي
Exutoire subaquatique	ينبوع تحت مائي
Exutoire unique	مصرف وحيد
Exutoire	مخرج (للمياه القذرة)
Facteur climatique	عامل مناخي
Facteur d'échelle	عامل المقياس
Facteur de conversion	عامل التحويل
Facteur de déposition	عامل الترسب
Facteur de forme	عامل التشكل
Facteur du vent	عامل الرياح
Facteur structural	عامل بنيوي
Facteurs naturels	عوامل طبيعية
Faille inverse	صدع متصالب
Faille	تصدع
Famille de courbes	عائلة منحنيات
Ferrugineux	حديدية
Ferrrugineux (zone…)	حديدية (منطقة...)
Filtre	مصفاة
Fissure	تصدع
Flacon	قنينة
Flaque d'eau	بركة ماء
Fleuve de boue	سيل من الوحل
Fleuve intermettent	ر متقطع
Fleuve souterrain	واد تحت أرضي
Flexure	انحناء

Flottabilité	قابلية العوم
Flottation	طفو
Flottation	عوم
Flotter	عام (طفا)
Flotteur	عائم، عوامة
Fluide de forage	سائل الحفر
Fluide	سائل
Fluidité	سيولة
Flux	تدفق
Fonction caractéristiques du puits	معامل البئر
Fonds de pêche	أعماق الصيد (البحري)
Fond	قاع
Fontaine (… publique)	عين (... عمومية)
Fontaine	عين
Fonte de neige	ذوبان الثلج
Forage à l'air	حفر بواسطة الهواء
Forage au câble	حفر بالدق
Forage au diamant	حفر ألماسي
Forage de reconnaissance	حفر استكشافي
Forage profond	حفر الآبار العميقة
Forage	حفر
Force de gravité	قوة الجاذبية
Forer	حفر
Foreuse à la percussion	حفارة بالدق
Formation de pluie	تشكل المطر
Formation de rosée	تشكيل الندى
Forme de pente	شكل المنحدر
Forme protectrice	قالب واق
Fossé d'écoulement	خندق التصريف

Fosse de drainage	قناة التصريف
Fosse	حفرة
Fossé	خندق
Fouille (s)	حفير
Fouilles de terrain	حفر الأراضي
Four à bains de sel	فرن الحمامات الملحية
Fracturation hydraulique	شقوق بئرية
Fracture	شق
Fréquence	تردد
Front d'onde	جبهة الموجة
Fumorelle	نفث بركاني
Fusion	انصهار
Fut	برميل
Fût (s)	برميل (براميل)
Gaine isolante	كم عازل
Galerie de drainage	رواق التصريف المائي
Galeries étanches	أروقة كتيمة
Gel dans le sol	تجمد في التربة
Gelée blanche	جليد أبيض
Géodésie	علم المساحة
Géohydrologie	علم المياه الجوية
Géologie structurale	جيولوجيا بنيوية
Géomorphologie	علم شكل الأرض
Géophysique	جيوفيزياء
Géosphère	الأغلفة الأرضية (جو، يابسة، ماء)
Géothermique	جيو حراري
Gestion des eaux	تسيير المياه
Gisement	حفر
Glace de fond	جليد عمقي

Glaciation	تجلد
Glacier actif	جليدية نشطة
Glaciologie	علم الجليديات
Glaciologie	علم التجميد
Glacis	منحدر خفيف
Glissement de terrain	انزلاق الأرض
Glissement	انزلاق
Gonflement	انتفاخ
Gouffre	هوة
Goût d'acide	طعم حامضي
Goutte d'eau	قطرة ماء
Gouttes(s)	قطرة (قطرات)
Goutte-à-goutte	قطرة – قطرة
Gouttelette	قطيرة
Gouttière	ميزاب
Gouttière	ميزاب - مزراب
Graphique de distribution	مخطط توزيع
Gravier	حصى
Gravillon concassée	حصى مسحوق
Gravimètre	مقياس الجاذبية
Gravitaire (eau…)	انحدار (الماء)
Grés	حجر رملي
Groupe de pompe	مجموعة مضخات
Groupe géohydrologique	مجموعة مائية جيولوجية
Gué	مجازة
Hauteur d'aspiration	ارتفاع الامتصاص
Hauteur d'eau	ارتفاع سطح الماء
Hauteur d'eau	ارتفاع المنسوب المائي
Herbicide	مبيد للأعشاب الضارة
Homogène (fluide)	متجانس (سائل...)

Homogène	متجانس
Huile minérale	زيت معدني
Humidimètre	جهاز قياس الرطوبة
Humidité absolue	رطوبة مطلقة
Humidité présumée du sol	رطوبة التربة المتوقعة
Humidité présumée	رطوبة متوقعة
Humidité	رطوبة
Hydraulique	هيدروليك (علم حركة السوائل)
Hydrodynamique	هيدروديناميك (الحركية المائية)
Hydrogramme du puits	مخطط مائي للبئر
Hydrogramme simple	مخطط مائي بسيط
Hydrogramme	مخطط مائي
Hydrographie	هيدروغرافيا (علم شكل الشبكة المائية)
Hudrographique	هيدروغرافيا (متعلقة بمياه المنطقة)
Hydromètrie	قياسات مائية
Hydromodule	كمية الماء لنضج المحصول
Hydrophyte	نبات مائي
Hydrosphère	غلاف الأرض المائي
Immiscible	غير قابل للامتزاج
Impermèable (lentille..)	كتيمة (عدسة...)
Incapacité naturelle	عجز طبيعي
Indicateur limitatif	مؤشر المنسوب
Indice d'aération	محتوى الهواء
Indice d'écoulement	مؤشر الجريان
Industrie aquicole	صناعة تربية المائيات
Inépuisable	لاينضب
Inépuisables (ressources…)	موارد لا تنضب

Infiltration	تسرب
Infiltration	تسلل
Influence maritime sur le littoral	تأثير بحري على الساحل
Ingénieur des irrigations	مهندس ري
Injecter	حقن
Injectivité	قدرة الحقن
Inondation (plaine d'…)	فيضان (سهل...)
Inondation	فيضان
Inondé	مغمور
Insolation	تشميس
Insoudable (métal…)	غير قابل للحام (معدن...)
Insoudable	غير قابل للحام
Installation d'alimentation en eau	إقامة منشأة للتموين بالماء
Installation d'alimentation en eau	منشأة التموين بالماء
Installation de filtration	منشأة تصفية
Installation de forage par battage	حفارة بالدق
Installation de forage	أجهزة الحفر
Installation de forage	منشأة الحفر
Instillation	تقطير
Instiller	قطر
Instruments de travail	أدوات العمل
Intensité de pluie	شدة المطر
Intensité de relief	شدة التضاريس
Interférence de puits	تداخل البئر
Interstice primaire	فتحة أصلية
Invasion d'eau	غزو مائي
Invasion des eaux salées	طغيان مياه البحر

Invasion des eaux salées	غزو المياه المالحة
Invation	غزو
Inversion	انقلاب
Irradiation solaire	إشعاع شمسي
Irrigable	قابل للري
Irrigateur	مضخة الري
Irrigation (demande en eau d'…)	ري مطلوب
Irrigation superficielle	ري سطحي
Irrigation superficielle	سقي سطحي
Irrigation	ري
Irriguer	روى
Isohyète	متساوي الأمطار
Jaillir	ينبثق
Jauge à chaîne	مقياس السلسلة (للمنسوب)
Jauge avertisseuse	مقياس منذر
Jauge de pluie	مقياس المطر
Jauge-debit	مقياس التدفق
Jauge-pression	مقياس الضغط
Jet d'eau	فوارة
Jet	قذف
Jet (pompe à …)	نفاثة (مضخة ...)
Jet	نافورة
Joint d'étanchéité	وصلة الكتامة
Joint de stratification	شق طبقي
Joint isolant	وصلة العزل
Joint (s)	وصلة (وصلات)
Kane	هضبة جليدية
Lac intérieur	بحيرة داخلية

Lac volcanique	بحيرة بركانية
Lac (s)	بحيرة (بحيرات)
Laccolithe de glace	قباب متجمدة
Lac	بحيرة
Législation des eaux	تشريع مائي
Levée topographique	وضع خرائط لسطح الأرض
Levé	مسح
Ligne d'un cours d'eau	خط مجرى الماء
Ligne de base	خط الأساس
Ligne de cote	خط الساحل
Ligne de crête	خط القمة
Ligne de faille	خط التصدع
Ligne de partage des eaux	حد توزيع المياه
Ligne de partage des eaux	حد تقسيم المياه
Limite d'aspiration	حد الامتصاص
Limite de liquidité	حد السيلان
Limnigraphe	مسجل المنسوب (المائي)
Limnologie	علم بيئة المياه العذبة
Liquide déplacé	سائل مزاح
Liquide surnageant	سائل عائم
Lit de fleuve	قاع النهر
Lit de rivière	سرير الواد
Lit de rivière	قاعدة النهر
Litre	لتر
Littoral	شاطئ
Loi des corps flottants	قانون الأجسام الطافية
Lutte contre la pollution	مقاومة التلوث
Lutte contre les mauvais herbes	محاربة الأعشاب الضارة

Machine à draguer	آلة الجرف
Manchon de tubage	وصيلة تبطين
Marais	مستنقع
Mare	مستنقع
Marécage fluvial	مستنقع ري
Marécage	مستنقع
Marteau de forage	مطرقة الحفر
Masse d'absorption	كتلة الامتصاص
Massif montagneux	كتلة جبلية
Matelas de gaz	وسادة غازية
Matériau incohérent	مادة غير ملتحمة
Matière de décapage	مادة التنظيف
Matière instable	مادة غير ثابية
Matière polluante	ملوثات
Matière première	مادة أولية
Maximum de consommation d'eau	استهلاك أقصى للماء
Méandre	تلوي النهر
Mécanique des sols	علم مكانيك التربة
Mesure	قياس
Mesures courtes des algues	مكافحة الطحالب
Méthode d'application	طريقة التطبيق
Méthode de lavage par contre courant	طريقة الغسل المرتد
Micro tamis	مصفاة دقيقة
Migration des fluides	هجرة السوائل
Milieu aqueux	وسط مائي
Minéral accessoire	فلز ثانوي
Minéral argileux	معدن طيني
Minéraux	فلزات
Minimum de consommation d'eau	حد أدنى لاستهلاك الماء

Minuterie	مؤشر الوقت
Mise à la terre	تأرض
Mise à zéro	صفر التعديل
Mobilité chimique	حركة كيميائية
Modification du temps	تعديل الطقس
Molletière	ساقية
Mollisol	طبقة التربة العليا
Montagne tabulaire	قمة جبل مسطحة
Monture	إطار جهاز الحفر
Moraine latérale	توضعات جليدية جانبية
Moyenne annuelle	متوسط سنوي
Moyenne arithmétique	متوسط حسابي
Moyenne géométrique	متوسط هندسي
Mur porteur	جدار حامل
Nappe aquifère inclinée	طبقة مائية مائلة
Nappe aquifère	طبقة مائية
Nappe captive	جيب ماء محتبس
Nappe d'eau	طبقة مائية
Nappe de fond	طبقة القاع
Nappe libre	مياه جوفية حرة
Nappe perchée	مياه جوفية معزولة
Nappe phréatique	طبقة مائية
Nature géologique	طبيعة جيولوجية
Nature juridique des terrains	طبيعة قانون الأراضي
Neige	ثلج
Niveau d'eau	مستوى الماء
Niveau de base d'érosion	مستوى أساسي للتآكل
Niveau de référence zéro	مستوى الصفر
Niveau du sol	مستوى الأرض

Niveau moyen de mer	منسوب متوسط البحر
Niveau phréatique	منسوب الماء الحر
Nivellement	تسوية (الأرض)
Normes pour la qualité des eaux	معايير جودة المياه
Nuage	غيمة
Obstacle	حاجز
Obstruction de tuyau	انسداد الأنبوب
Océan (s)	محيط (محيطات)
Odeur désagréable	رائحة كريهة
Onde de choc	موجة الهزة
Onde de cisaillement	موجة القص
Orientation	توجيه
Oued	وادي
Outil de recharge	جهاز تغذية
Ouvrage d'eau	منشأة مياه
Ouvrages hydrauliques	تجهيزات مائية
Oxydation atmosphérique	أكسدة جوية
Paroi d'un puits	جدار بئر
Particule de sol	جزئية التربة
Pédologie	علم التربة
Pelle	مجرفة
Pelle-bêche	مجرفة قصيرة
Pendage original	ميل أصلي
Pendage	ميلان
Pénétration complète d'un puits	اختراق كلي للبئر
Pente ascendante	مياه تجاه الأعلى
Pente de ligne d'eau	ميل سطح الماء
Pente du terrain	انحدار الأرض
Pente raide	منحدر وعر

Pénurie d'eau	أزمة ماء
Pénurie d'eau	نقص الماء
Plage	شاطئ
Plaine littorale	سهل ساحلي
Plan d'eau	مخطط مائي
Plaque de base	لوحة الأساس
Plateau	هضبة
Ploiement vers le bas	التواء نحو الأسفل
Pluie efficace	مطر فعال
Pluie excédentaire	مطر غزير
Pluie fine	رذاذ
Pluies torrentielles	أمطار عاصفة
Pluie	مطر
Pluies annuelles	أمطار سنوية
Pluies torrentielles	أمطار غزيرة
Pluviomètre	جهاز قياس المطر
Poids spécifique	جاذبية خصوصية
Poids spécifique	كثافة الوزن
Point d'ébullition	نقطة درجة حرارة الغليان
Point d'ébullition	نقطة درجة الغليان
Point de choc	نقطة الهزة
Point de congélation	نقطة التجمد
Point de départ	نقطة الانطلاق
Point de fusion	نقطة الانصهار
Point de montée	نقطة الارتفاع
Point de référence	نقطة مرجع
Point de saturation	نقطة الإشباع
Point de tir	نقطة الانطلاق
Pointe	ذروة

Polarisation	استقطاب
Polluant industriel	ملوث صناعي
Pollution de l'eau	تلوث الماء
Pollution des eaux	تلوث المياه
Pollution du sol	تلوث التربة
Pollution	تلوث
Pompage pneumatique	ضخ بالهواء
Pompe à double effet	مضخة مزدوجة العمل
Pompe à engrenage	مضخة مسننة
Pompe à plongeur	مضخة غائصة
Pompe centrifuge	مضخة دافعة عن المركز
Pompe d'aspiration	مضخة الامتصاص
Pompe d'augmentation	مضخة تعزيز
Pompe foulante	مضخة إزاحة
Pompe foulante	مضخة دافعة
Pompe submersible	مضخة مغمورة
Ponceau	مصرف معترض
Porosité effective	مسامية فعالة
Poseur canalisation	واضع شبكة قنوات
Poseur conduites	واضع قنوات
Poseur tuyau	واضع أنابيب
Potamologie	علم الأ ار وا اري المائية
Potentiel de force	قوة كامنة
Pouvoir d'absorption	قدرة الامتصاص
Précipitation efficace	هطول فعال
Précipitation primaire	تطهير أولي
Précipitation sur canal	هطول على القناة
Précipitation	هطول
Presqu'île	شبه جزيرة

Pression absolue	ضغط مطلق
Pression atmosphérique	ضغط جوي
Pression d'air	ضغط الهواء
Pression de refoulement	ضغط التصريف المائي
Pression de service	ضغط التشغيل
Pression différentielle	ضغط تفاضلي
Pression partielle de vapeur	ضغط جزئي للبخار
Procédé des boues activées	أسلوب معاملة الأوحال المنشطة
Productivité du puits	إنتاج البئر
Profill du sol	مقطع التربة
Profondeur critique	عمق حرج
Profondeur de la neige	عمق الثلج
Profondeur de la parcelle	عمق القطعة الأرضية
Profondeur de pénétration	عمق الاختراق
Profondeur envahie	عمق الاختراق
Propagation d'onde	مسار الموجة
Prospection magnétique	مسح مغناطيسي
Protection cathodique	حماية مهبطية
Protection contre la pollution	حماية من التلوث
Protection	حماية
Psychromètre	مقياس رطوبة الجو
Puisage d'eau	حوض مائي
Puisard	حفرة ضخ
Puissance d'une couche	قدرة الطبقة
Puits (s)	بئر (آبار)
Puits abandonné	بئر مهجورة
Puits alésé	بئر موسعة
Puits artésien source	بئر ارتوازية متدفقة

Puits artésien	بئر ارتوازية
Puits collecteur	بئر مجمعة
Puits creusé	بئر محفورة
Puits d'essai	بئر اختبارية
Puits d'observation	بئر مراقبة
Puits de convergence	بئر مجمعة
Puits de prélèvement	بئر السحب
Puits de recharge	بئر امتصاص
Puits de soudage	بئر تجريبية
Puits effleurant la nappe	بئر مثقوبة
Puits excentrique	بئر مائلة
Puits fictif	بئر وهمية
Puits limnigraphe	بئر قياس
Puits non tubé	بئر غير مكسوة
Puits permanent	بئر دائمة
Puits peu profond	بئر قليلة العمق
Puits sanitaire	بئر قاذورات
Puits sec	بئر جافة
Puits subartésien	بئر تحت ارتوازية
Puits tarissant	بئر مخفقة
Puits (paroi d'un…)	بئر (جدار ال...)
Puits (protection sanitaire d'un…)	بئر (حماية ال...صحيا)
Pycnomètre	مقياس الكثافة
Qualité de l'eau	جودة الماء
Qualité de l'eau	نوعية الماء
Quantité scolaire	كمية حقيقية
Rabattement spécifique	هبوط المنسوب المائي الخصوصي
Rabattement	هبوط (نسبة الماء)

Raccord	وصلة
Raffinerie (installation de la …)	مصفاة (إنشاء ال…)
Ravin	منحدر
Ravin	منخفض
Ravin (…s nombreux)	منحدرات عديدة
Recharge artificielle	تعبئة اصطناعية
Reconditionnement	إعادة تشغيل البئر
Récupération	استرداد
Recyclage	رسكلة (إعادة الدورة)
Réduction de la superficie	اختزال المساحة
Réduction	اختزال
Réflexions multiples	انعكاسات متعددة
Reflux	تدفق
Reflux	تدفق (ماء)
Refoulement de la pompe	تصريف المضخة
Refoulement	دفع
Refus	رفض
Regard	بالوعة
Regélation	إعادة التجمد
Régime d'écoulement fluvial	منوال جريان الماء
Régime hydrologique	نظام مائي
Région montagneuse	ناحية جبلية
Régulateur de capacité	معدل السعة
Régulation du régime des eaux	ضبط جريان الماء
Relevé topographique	بيان طوبوغرافي
Relief	تضاريس
Remblaiement	ردم
Remplissage	تعبئة
Remplisseuse automatique	مالئة آلية

Rendement annuel	مردود سنوي
Repère (s)	معلم (معالم)
Réseau d'alimentation	شبكة التغذية
Réseau d'assainissement	شبكة التطهير
Réseau d'assainissement	شبكة تصفية
Réseau de distribution d'eau	شبكة توزيع الماء
Réseau de distribution d'eau	شبكة توزيع المياه
Réseau hydrographique	شبكة ا اري المائية
Réseau sous-terrain	شبكة تحتية
Réseau synoptique	شبكة متكاملة
Réseau	شبكة
Réserve naturelle dirigée	محمية طبيعية مرعية
Réservoir	خزان
Résistance à l'usure	مقاومة التآكل
Résistance à la traction	مقاومة التوتر
Résistivité	مقاومية
Ressources du sol	موارد أرضية
Ressources hydrauliques da la commune	موارد البلدية من الماء
Rétention	احتباس (مياه)
Réutilisation des eaux	إعادة استعمال المياه (القدرة)
Revêtement	تبطين
Richesses naturelles	ثروات طبيعية
Rides de l'eau	تموجات الماء
Rincer	غسل برفق
Rivage	شاطئ
Rive	ضفة
Riverain	ري (قائم على النهر)
Riverain	ري (مقيم على ضفة النهر)

Rive alimentée par nappe	واد ممون من الجرف
Rivière antécédente	واد سابق
Rivière continue	واد مستمر
Rivière interrompue	واد متقطعة
Rivière isolée	واد منعزلة
Rivière pérenne	واد دائمة
Rivière remblayante	ر ردمي
Rivière subséquente	مجرى معدل
Robinet de vidange	صمام التفريغ
Robinet mélangeur	صنبور خلاط
Robinet	صنبور
Robinet	صمام
Roche cristalline	صخر متبلور
Roche étriquée	صخر حطامي
Roche extrusive	صخرة اندفاعية
Roche mère	صخرة أم
Roche-mère	الصخر الأم
Roches carbonatées	صخور فحمية
Ruban de mesure	شريط القياس
Rugosité du lit	خشونة الطبقة
Ruisseau	جدول
Ruissellement de surface	جريان سطحي
Ruissellement de surface	سيل سطحي
Sable (modèle en …)	رمل (نموذج...)
Sable argileux	رمل طيني
Sable éolien	رمل منحرف
Sable grossier	رمل خشن
Sable mouvant	رمل زاحف
Sable très fin	رمل كثير النعومة

Sable	رمل
Saison pluviale	فصل ممطر
Salinisation	تملّح
Salubrité	انحلالية
Saludge	وحل
Saturation	إشباع
Saturé d'eau	متشبع بالماء
Saumure	مياه مالحة
Sauvegarder des ressources en eau	حماية مصادر الماء
Saveur de l'eau	نكهة الماء
Sceau	دلو – سطل
Sec à l'air	هواء جاف
Séchage	تجفيف
Sécheresse	جفاف
Sédiment	رسابة
Segment d'approche	قطاع تقريب
Sel anhydre	ملح لا مائي
Sel (tolérance de …)	ملح (تسامح ملحي)
Séparateur d'eau	جهاز عزل الماء
Séparateur du sable	جهاز فصل الرمل
Séparation	فصل
Seuil	عتبة
Similitude géométrique	تشابه هندسي
Siphon	سيفون
Siphon	ممص
Site actif	موقع نشط
Sol arable	تربة زراعية
Sol instable	تربة غير مستقرة
Sol sablonneux	تربة رملية

Sol salé	تربة مالحة
Solifluxion	زحف التربة
Soluble dans l'eau	منحل في الماء
Solution aqueuse	محلول مائي
Solution – tampon	محلول مقاوم
Sommet	ذروة
Sommet	قمة
Sonde	مسار
Sonde de la profondeur d'eau	مقياس العمق المائي
Sonde tordue	حفرة ملتوية
Soulèvement	وض
Soupape de réglage	صمام الضبط
Source artésienne	ينبوع ارتوازي
Source chaude	ينبوع حار
Source d'émergence	ينبوع انخفاضي
Source d'infiltration	ينبوع تسربي
Source de débordement	ينبوع متدفق
Source de déversement	منبع جاذبي
Source froide	ينبوع بارد
Source geyser	منبع حار
Source minérale	منبع معدني
Source saline	ينبوع مالح
Source thermale	ينبوع حراري
Sous-sol	طبقة أرضية (تحت التربة مباشرة)
Souterrain	تحت أرضي
Spéléologie	دراسة الكهوف
Station d'épuration d'eaux usées	محطة تنقية المياه القذرة
Station de jaugeage	محطة القياس

Station de pompage	محطة ضخ
Stérilisateur	معقم
Stock tampon	مخزون احتياطي
Stratification thermique	تطبق حراري
Stratigraphie	ستراتيغرافيا (علم طبقات الأرض)
Structure du sol	بنية التربة
Structure du sol	تركيبة التربة
Sublimation	تصعيد
Subsidence	هبوط الأرض
Succion de l'eau dans le sol	امتصاص رطوبة التربة
Sulfate	سلفات (كبريت)
Surcharge	حمولة زائدة
Surface d'alimentation	مساحة تغذية
Surface de chauffe	سطح التسخين
Surface de contact	مستوى التماس
Surface du sol	سطح التربة
Surface mouillée	مساحة مبتلة
Surface spécifique	سطح خصوصي
Surpression	ضغط
Sursaturation	فوق الإشباع
Système d'alimentation	نظام التغذية
Système d'approvisionnement en eau	أسلوب التموين بالماء
Système d'irrigation	نظام الري
Tableaux des hauteurs	سجل المناسيب
Talus continental	منحدر قاري
Tambour du câble	بكرة السلك
Tarière	مثقاب (صخري)
Tarir	ينضب

Taux d’infiltration	معدل التسرب
Taux de besoin en eau	معدل الاحتياج المائي
Taux de production	معدل الإنتاج
Technique de pêche	تقنية الصيد (البحري)
Technologie convenable	تقنية ملائمة
Tectonique	تكتونيا (علم بنية الأرض)
Télémesure	قياس عن بعد
Température	درجة الحرارة
Tempête	عاصفة
Temps d’arrivée	زمن الوصول
Temps de base	زمن أساسي
Temps de concentration	زمن التركيز
Temps de montée	زمن الارتفاع
Temps de mouillage	فترة الابتلال
Temps de séchage	زمن التجفيف
Tension de l’eau dans le sol	توتر رطوبة التربة
Tension superficielle	توتر سطحي
Terrain carbonique	أرض كربونية
Terrain	أرض
Terrasse fluviale	مصطبة رية
Terrasse	مصطبة
Terre enclave	أرض حبيسة
Terre rouge	تربة حمراء
Terre (utilisation des …s)	أرض (استعمال الأراضي..)
Tête de revêtement	رأس أنبوب الإكساء
Tête du puits	قمة البئر
Texture de sol	بنية التربة

Tir en éventail	إطلاق مروحي
Toit imperméable d’un aquifère	طبقة احتباس عليا
Tonneau	برميل
Topographie	طوبوغرافيا
Tourbillon	دوامة
Tournant d’une rivière	انحناء النهر
Traînée	جر
Traitement acide des puits	معالجة أحماض البئر
Traitement du puits	معالجة البئر
Traitement du sol	معالجة الأراضي
Trajectoire d’onde	مسار الموجة
Tranchée	خندق
Transfert de chaleur	نقل الحرارة
Transfert entre bassin	تحول بين السدود
Transformable	يحول
Transformateur	محول
Transformation	تحويل
Transition	تحول
Transmission	إرسال
Travaux d’intérieur	أعمال داخلية
Travaux de terrain	أعمال حقلية
Trépan	حفارة
Treuil de forage	أعمال السحب
Tributaire	رافد
Tripant au diamant	رأس الحفر الألماسي
Trou d’aération	ثقب وية
Trou du puits	ثقب البئر
Tubage temporaire	أنابيب إكساء مؤقتة
Tubage (puits)	تبطين (رسكلة)

Tube à catalyse	أنبوب المساعدة
Tube coudé	أنبوبة معقوفة
Tube d’eau	أنبوبة الماء
Tube de drainage	أنبوبة صرف المياه
Tube de pilot	أنبوب مرشد
Tube en U	أنبوب على شكل (U)
Tube en acier	أنبوبة فولاذية
Tube en cuivre	أنبوبة نحاسية
Tube sans soudure	أنبوب غير ملحوم
Tube	أنبوبة
Tunnel de lave	أنبوبة الحمم
Tunnel de séchage	نفق التجفيف
Turbide (eau…)	عكر (ماء...)
Turbide	عكر
Turbidité	تكدر
Turbidité	مؤشر لنسبة عكر الماء
Turbine à eau	تربين مائي
Turbine à vapeur	تربين بخاري
Turbine axiale	تربين محوري
Turbine parallèle	تربين متواز
Turbulence	تشوش الجريان
Tuyau d’arrosage	أنبوب الرش
Tuyau d’aspiration	أنبوب الامتصاص
Tuyau d’échappement	أنبوب التصريف
Tuyau de distribution	أنبوب التوزيع
Tuyau de drainage	أنبوب التصريف (المائي)
Tuyau de refoulement	أنبوب التصريف
Tuyau de refoulement	أنبوب الدفع
Tuyau de trop-plein	أنبوب الطفح

Tuyau de vapeur	أنبوب البخار
Tuyau de vidange	أنبوب التفريغ
Tuyau en terre cuite	أنبوب فخاري
Tuyau flexible	أنبوب لين
Tuyau flexible	أنبوب مرن
Tuyau métallique	أنبوب معدني
Tuyau	ماسورة
Tuyautage	صناعة الأنابيب
Tuyauterie soudée	أنابيب ملحومة
Tuyauterie	مجموعة الأنابيب
Usagers de l’eau	مستهلكو الماء
Usine d’eau	مصنع ماء
Usine d’eau	مصنع مياه
Utilisation d’eau	استعمال الماء
Utilisation de l’eau	استخدام الماء
Utilisation domestique	استعمال زمني
Utilisation du sol	استعمال التربة
Vagues (s)	موجة (أمواج)
Vaguelette	مويجة
Valeur limite	قيمة محددة
Valeur moyenne	قيمة متوسطة
Vallée antécédente	مجرى سابق
Vallée anticlinale	مجرى تحدبي
Vallée remblayée	واد مطمور
Valée (s)	شعبة (شعاب)
Vallée	واد
Vallon	جدول
Vanne de réglage	صمام التحكم
Vanne maîtresse	بوابة رئيسية

Vanne principale	صمام أساسي
Vanne	مفتاح
Vanne –papillon	صمام – فراشة (على شكل...)
Vapeur d'eau	بخار الماء
Vaporisation	تبخر
Vas	حمم
Veine d'eau souterraine	عرق مائي جوفي
Versant	حوض مائي
Vésiculaire	تكهفي
Vidange	تفريغ
Viscosité	لزوجة
Vitesse d'eau souterraine	سرعة المياه الجوفية
Vitesse de filtration	سرعة التسرب
Vitesse de forage	سرعة الحفر
Volume de la phase solde	حجم المادة الصلبة

Zéro de l'échelle	صفر القياس
Zone d'appel	منطقة إمداد
Zone d'influence	منطقة التأثير
Zone d'investigation	منطقة تنقيب
Zone de consommation	منطقة الاستهلاك
Zone de perte de boue	نطاق ضياع الوحل
Zone de pluie	منطقة ممطرة
Zone de saturation	منطقة التشبع بالماء
Zone de saturation	منطقة إشباع
Zone de transition	منطقة تحول
Zone gel annuel	نطاق التجمد السنوي
Zone du sol humide	نطاق ماء التربة
Zone écologique humide	منطقة بيئة التربة
Zone géographique	منطقة جغرافية
Zone tampon	منطقة حاجزة

معجم مصطلحات تعويض الأسنان

د. فؤاد الذاكري (*)

A	
abrasif	مسحل،ج مساحل
abrasion	سحل، انسحال
abrasion des dents	دثور الأسنان
abrasion occlusale	دثور طاحني، دثور إطباقي
absorption	مص، امتصاص، ارتشاف
accélérateur	مسرع
acier inoxidable	فولاذ لاالطوخ، فولاذ صامد
acryl	راتينج أكريلي
acrylique	أكريلي
adaptation	مطابقة، ملاءمة
adhésion	تلاصق، تماسك
ajustement	ضبط، إحكام
ajuster	ركز، وصل
alginate	ألجينات
alignement des faces occlusales	تنضيد الوجوه الإطباقية
alvéole	سنخ، ج أسناخ
amovible	نزوع
analeptique	مقو، منشط
analyse de l'occlusion	تحليل إطباقي
analyse des rapports d'occlusion	تحليل العلاقات الإطباقية
ancrage enveloppant	مثبتة مغطية
ancrage extra-	مثبتة خارج التاج
coronaire	
ancrage à glissière	وصلة مشقوقة
ancrage intra-coronaire	مثبتة داخل التاج
ancrage intra-radiculaire	مثبتة داخل الجذر
ancrage à pivot	مثبتة جذرية
ancrage radiculaire	مثبتة جذرية
ancrage à tenon radiculaire	مثبتة ذات طرف جذري
angle de bennet	زاوية بينت
angle de la cuspide	زاوية الحدبة
angle forme par le plan des cuspides et le plan d'occlusion	زاوية مستوى الحدبات
angle de guidage incisif	زاوية الدليل القاطعي
anomalie de position de la mandibule	سوء وضع الفك السفلي
anomalie de position du maxillaire inférieur	سوء وضع الفك السفلي
appophise condyloidienne	نائي لقمي
appophise coronoïde	نائي منقاري
appareil	جهاز، أداة
appareil masticateur	جهاز المضغ، الجملة الماضغة
appareil de prothèse dentaire	جهاز سني، جهاز الأسنان المستعارة

appareil à tracer les crochets	ماسحة الأمثلة
apposition	ضم، إضافة، تراكُب (*)
appui	استناد، سناد ، مستند
appui extra-coronaire	سناد سطحي، سناد خارجي
appui incisif	سناد قاطعي
appui intra-coronaire	سناد مدمج
appui lingual	سناد لساني
appui occlusal	سناد إطباقي
appui de précision	سناد محكم
arc dentaire	قوس سنية
arc facial	قوس وجهية
arc facial à axe ajustable	قوس وجهية ذات محور ضبوط
arcade dentaire	قوس سنية
arête	حيد، ج حيود وأحياد
armature	هيكل
articulateur	مطبق، ج مطابق
articulateur adaptable	مطبق ضبوط، مطبق قابل للضبط
articulateur à charnière	مطبق بسيط، إطار إطباقي
articulation	إطباق، تنضيد الأسنان، مفصل – ج مفاصل
mettre en articulation	رصف، مفْصل
articulation anatomique	تمفصل تشريحي، مفصل تشريحي
articulation à charnière	مفصل بكري
articulation dentaire	إطباق الأسنان
articulation mandibule-temporale	مفصل صدغي فكي

articulation de la parole	إفصاح
articulation reproduite par l'articulateur	إطباق مطبقي
articulation temporo-mandibulaire	مفصل فكي صدغي
articulation temporo-maxillaire	مفصل صدغي فكي
articulation trochléenne	مفصل بكري
articule	إطباق
articule balance	إطباق موازن، إطباق متوازن
articule balance dans les prothèses	إطباق متوازن للجهازين السنيين
articule dentaire	إطباق الأسنان
articuler	نضد، مفْصل
assurer la contention	حفظ التثبيت
atelier de prothèse	مخبر سني
atelier de prothèse dentaire	مختبر التعويض السني
atrophie	ضمور
atrophie gingivale consécutive à la ménopause	ضمور لثوي إياسي
atrophie musculaire	ضمور عضلي
atrophie osseuse	ضمورعظمي
atrophie senile	ضمور هرمي، ضمور شيخوخي
atrophie du tissue adipeux	ضمور شحمي
attachement	وصلة، اتصال
attachement à friction	وصلة احتكاكية
attachement à glissière	وصلة مشقوقة
attachement interne	وصلة داخلية
attachement	وصلة ذات موازاة

parallèle	

attachement de précision	وصلة محكمة الأجزاء
attelle	جبيرة، ج جبائر
attrition occlusale	سحل إطباقي
augmentation de la dimension verticale	زيادة البعد العمودي
augmentation de la dimension verticale en position d'occlusion	زيادة البعد العمودي الإطباقي
augmentation de la dimension verticale en position de repos	زيادة البعد العمودي في وضع الراحة
autopolymère	راتنج ذاتي التضاعف
autopolymèrisant	ذاتي التماثر
autopolymèrisantion	تضاعف ذاتي ، تماثر ذاتي
axe	محور، ج محاور
axe bicondylien	محور بين اللقمتين
axe charnière	محور بكري
axe charnière mandibulaire	محور بكري فكي
axe condylien	محور لقمي
axe longitudinal	محور طولي
axe neutre de bandeau droit	محور التعادل للرافدة المستقيمة
axe d'ouverture	محور الفتح، محور الانفتاح
axial	محوري
ayant des dents	ذو أسنان طبيعية
B	
bain de dérochage	محلول التنقية
bakélite pour dentier	الصفيحة القاعدية للجهاز السني
bande pour coffrage	لفافة التسوير

bandeau	رافدة، ج روافد، عارضة
bandeau à conjonction	رافدة واصلة
bandeau continu	رافدة مستمرة، رافدة ممتدة
bandeau lingual	رافدة لسانية ، عارضة لسانية
bandeau en porte-à-faux	رافدة عتلية
bandeau restreint	رافدة مقيدة
bandeau simple	رافدة بسيطة
bandeau vestibulaire	عارضة شفهية، عارضة دهليزية
barre	عارضة، ج عوارض
barre à conjonction	عارضة واصلة
barre conjonctive	عارضة كبرى
barre linguale	عارضة لسانية
barre palatine	عارضة حنكية
barre vestibulaire	عارضة شفهية، عارضة دهليزية
du bas	من الأسفل
base métallique	قاعدة معدنية
base de prothèse	قاعدة الجهاز السني
base de prothèse teintée	قاعدة الجهاز السني الملونة
base provisoire	قاعدة مؤقتة، قاعدة وقتية
béance	انفغار، انفتاح العضة
biologie	علم الأحياء، بيولوجيا
biologie de l'appareil masticateur	بيولوجيا جهاز المضغ
biomécanique	ميكانيكا بيولوجية
biomécanique dentaire	ميكانيكا بيولوجية سنية
biométrie	إحصاء بيولوجي

biophysique	فيزياء بيولوجية
biophysique dentaire	فيزياء بيولوجية سنية
blanc d'Espagne	أبيض إسبانيا (مسحوق للصقل)
bombe	معقود
bord	حافة
bord libre de la gencive	حافة اللثة الحرة
bord de la prothèse	حافة الجهاز
bourrage	حشو
bourrage d'une prothèse	حشو قالب الجهاز السني
bourrelet occlusal	حوية إطباقية
bourrelet d'occlusion	سمك الإطباق
bourrelet de passavant	حوية باسافانت
branche montante de la mandibule	رأد، شعبة صاعدة للفك السفلي
branche montante du maxillaire inférieur	رأد، شعبة صاعدة للفك السفلي
bras de crochet	عارضة الضمة
bras du crochet circonférentiel	ساعد الضمة المحيطية
bras du crochet à potence	ساعد الضمة ذات العارضة
bras réciproque	ساعد مقابل
bras de rétention	ساعد مثبت
bras de rétention d'un crochet circonférentiel	ساعد الضمة المحيطية المثبت
bras de stabilisation d'un crochet circonférentiel	ساعد الضمة المحيطية الموازن
bridge	جسر
bridge amorti	جسر ثابت نزوع

bridge amovible	جسر نزوع، جسر متحرك
bridge inamovible	جسر ثابت، جسر غير نزوع
bridge avec intermédiaire au contact de la gencive	جسر تام الدمية
bridge à selle	جسر ذو سرج
bridge supra muqueux	جسر صحي
bridge à travée cintrée	جسر صحي
brosse circulaire	فرشاة دائرية
brosse circulaire pour polissage	دولاب الصقل، فرشاة الصقل
bruxisme	صرير الأسنان، صريف الأسنان
bruxomanie	صرير الأسنان الهوسي أو العصبي
buccal	خدي، فموي
bucco-	فموي
bucco-sinusien	فموي جيبـ ـي
butée intermaxillaire	ضغط مركزي، دفع مركزي
buter	ركز، وصل
C	
calcul	حجر للسجل
camouflage	تمويه، غشاوة مموهة
canal de coulée	مصب- ج مصاب
canine	ناب - ج أنياب
caractéristiques anatomiques de la denture ou de la prothèse	نمط إطباقي للتعويض السني
cas	حالة
centre de la crête	وسط الحيد الفكي
centre du rebord	وسط الارتفاع الفكي

centre du rotation	مركز الدوران
centrique	مركزي
chambre à air	حجرة تفريغ الهواء
chambre de vide	حجرة فراغية
chape	ستارة –ج ستائر
chape à transférer	قبعة النقل
charlatan	دجال، متطبب
charlatanerie	تدجيل
charlatanisme	تدجيل، تطبب
châssis	هيكل
checkbite	تحقق الإطباق
checkbite en position centrique	تحقق الإطباق المركزي
checkbite en position excentrique	تحقق الإطباق المنحرف
checkbite propulsion	تحقق الإطباق المتقدم
checkbite en rapport de diduction	تحقق الإطباق الجانبي
cheminée de coulée	منفذ التصريف
chevauchement	تراكُب
chois de la couleur des dents	انتقاء لون الأسنان
chois des dents pour prothèse	انتقاء الأسنان للتعويض
ciment	إسمنت
cire	شمع
cire bleue en bâtons	قضبان الشمع الأزرق
cire de coffrage	شمع التسوير
cire collante	شمع الإلصاق
cire de contrôle	رقاقة تحقق الإطباق
cire de contrôle en position centrique	رقاقة تحقق الإطباق المركزي
cire de contrôle en position excentrique	رقاقة تحقق الإطباق المنحرف
cire de contrôle en	رقاقة تحقق الإطباق المتقدم

propulsion	
cire de contrôle en rapport de diduction	رقاقة تحقق الإطباق الجانبي
cire pour coulée	شمع الصب
cire à modeler	شمع الصفائح القاعدية
cire d'occlusion	شمع الإطباق
cire pour plaque base	سمع الصفائح القاعدية
cire	مشمع
clavette	مزلاج الوصلة
clé pour moulage	وتد الصب
cœfficient d'élasticité	معامل المرونة
cœfficient de reslience	معامل الرجوعية
coffrage d'une empreinte	تسوير الطبقة
coiffe	غطاء معدني
coiffe complète	غطاء كامل، تاج كامل
coiffe à transféré	غطاء النقل
Col du condyle	عنق اللقمة الفكية
collet d'une dent	عنق السن
colorant	ملون
coloration	صباغ ، صبغ - ج أصباغ
colorer	لون ، صبغ
comminution des aliments	سحق الطعام ، تجزئة الطعام
composante de force	مركب القوة
composantes de la mastication	مركبات المضغ ، مقومات المضغ
composantes de l'occlusion	مقومات الإطباق
composition pour empreinte	مركب الطبع
composition à modeler	مركب الطبع
compression des tissus	ضغط النسج ، انضغاط

	النسج
conception de la prothèse	تصميم الجهاز السني
condyle	لقمة - ج لقم
condyle mandibulaire	لقمة الفك السفلي
condyle du maxillaire inférieur	لقمة الفك السفلي
cône pour coulée	مخروط الصب
conjoncteur	واصلة ، ج واصلات
conjoncteur à barre	عارضة واصلة ، واصلة كبرى
connexion	واصلة ، ج واصلات
construction	تركيب ، بناء
construction des prothèses partielles	صنع الأجهزة السنية الجزئية
construction d'une seule prothèse	صنع الأجهزة السفلية المفردة
contact balançant	تماس موازن
contact initial	تماس أولي
contact occlusal déviateur	تماس إطباقي محول
contact occlusal interrupteur	تماس إطباقي معترض
contact prématuré	تماس مبتسر
contact travaillant	تماس عامل
contention	تثبيت ، إقرار
assurer la contention	حفظ التثبيت
contour	محيط ، كفاف ، حد ، شكل ، هيئة
contour de l'extension	حدود التمديد
contour de la fausse gencive	حدود جناح الجهاز السني
contour gingival	كفاف لثوي ، هيئة اللثة
contour de la zone couverte par la	حدود المقر القاعدي

prothèse	
contourner	حدد ، كفف
contraction	تقلص ، انقباض
contraction isométrique	تقلص مماثل
contraction isotonique	تقلص متواتر ، تقلص متساوي التوتر
contraction musculaire	تقلص عضلي
contraction posturale	تقلص وضعي
contracture	تقفع
contrainte	إجهاد
contrainte de cisaillement	إجهاد القص
contrainte de compression	إجهاد الضغط
contrainte occlusale	إجهاد إطباقي
contrainte de traction	إجهاد الشد
contre matrice	طبعة المثال السلبية
contre-partie	الطبعة المعكوسة للمثال
contrepartie du moufle	جزء البوتقة العلوي
contre-plaqué	ظهارة - ج ظهارات
coordination	تنسيق ، تنظيم
correction des malocclusions	تصحيح الإطباق
correction des surfaces occlusales des dents	تعديل السطوح الإطباقية للأسنان ، تعديل الإطباق
corriger les bords d'une prothèse	حفف الجهاز السني
cote balançant	جانب موازن
cote travaillant	جانب عامل
couche de plâtre pour correction de l'empreinte préliminaire	طبقة من الجبس تصحح ا الطبعة الأولية ، طلاء جبسي

coulée	صب، سكْب
coulée d'un modèle	صب المثال
coulée en présence d'un vide	صب فراغي
coulée dans le vide	صب فراغي
couler	سكْب
couple de torsion	عزم اللي
courbe	منحنٍ - ج منحنيات
courbe d'alignement	منحني التراصف
courbe d'articulation obtenue par meulage automatique intra-buccal	منحنٍ إطباقي منحوت
courbe de compensation	منحنٍ مكافئ ، منحن معادل
courbe inversée	منحنٍ معكوس ، منحنٍ مقلوب
courbe de monson	منحني مونسون
courbe d'occlusion	منحني الإطباق
courbe de spee	منحني سبي
courbes meulees automatiquement	تقوسات منحوتة
courbure occlusale	تقوس إطباقي
couronne	تاج - ج تيجان
couronne anatomique	تاج تشريحي
couronne artificielle	تاج صنعي
couronne de céramique	تاج خزفي
couronne clinique	تاج سريري
couronne complète	تاج كامل
couronne extra-alvéolaire	تاج خارج السنخ
couronne jacket de céramique	تاج جاكيت الخزفي

couronne jacket en résine acrylique	تاج جاكيت الأكريلي
couronne de porcelaine	تاج خزفي
couronne en résine acrylique	تاج من الراتـنج الأكريلي
couteau à cire	سكين الشمع
couteau à plâtre	سكين الجبس
craie pulvérisée	مسحوق الطباشير
craquelures des dents artificielles	تصدع الأسنان الصناعية
craquement de l'articulation temporo-mandibulaire	نقيض المفصل الصدغي الفكي
crayon enregistreur	مرسمة - ج مراسم ، قلم راسم
crème à polir	جلاء ، مصقلة
crête	حيد -ج حيود وأحياد
crête alvéolaire	حيد سنخي
crête palatine	حيد حنكي ، غضن حنكي
crête de passavant	حيد باسافانت
crête résiduelle	حيد باق
crête restante	حيد متبق
crêtes palatines	حيود حنكية ، غضون حنكية
crochet	ضمة - ج ضمات
crochet à bras	ضمة ذات عوارض
crochet continu	ضمة متواصلة ، ضمة مطردة
crochet englobant plus de la moitié de la circonférence de la dent	ضمة محيطية ، ضمة مطوقة
crochet à potence	ضمة ذات عوارض
crochet roach	ضمة روتش

cuire	صنع ، صلب
cuire une prothèse	صنع الجهاز السني
cuisson	تصنيع ، تصليب
cuspide	حدبة - ج حدبات
cycle des mouvements de mastication	دورة حركات المضغ
cylindre pour coulée	اسطوانة الصب
cylindre pour mise en revêtement des inlays	اسطوانة صب الحشوات
D	
décapage	جلاء
décharge	تفريج ، إراحة
défaut d'ethnocentrie des bords	نقصان إحكام الحافات ، تسرب الحافات
défaut d'herméticité des bords	انفكاك الحافات
déformation	انفتال، التواء
déformer	انفتل ، التوى
se déformer	فتل، لوى
dégagement occlusal	مجاوزة إطباقية
dent	سن، ج أسنان
ayant des dents	مجهز بالأسنان
fausse dent	سن مستعارة
dent en acryl	سن أكريلية
dent d'ancrage	سن داعمة
dent antagoniste	سن مقابلة
dent antérieure	سن أمامية
dent artificielle	سن صنعية
dent artificielle avec face occlusale métallique	سن صنعية مقواة بسطح طاحن معدني

dent artificielle de forme anatomique	سن تشريحية الشكل
dent artificielle pour occlusion inversée	سن معكوسة الإطباق
dent du bas	سن سفلية
dent à crampons	سن ذات دبابيس
Dent sans crampons	سن بدون دبابيس
dent cuspidée	سن ذات حدبات
dent sans cuspides	سن بدون حدبات ، سن مسحاء
dent diatorique	سن بلا دبوس
dent du haut	سن علوية
dent inférieure	سن سفلية
dent en matière plastique	سن لدائنية
dent naturelle	سن طبيعية
dent non-anatomique	سن لا تشريحية
dent non cuspide	سن بلا حدبات
dent à pivot	سن موتدة ، سن ذات وتد
dent de porcelaine	سن خزفية
dent postérieure	سن خلفية
dent postérieure sans cuspides	سن خلفية بلا حدبات، سن خلفية مسحاء
dent avec renfort métallique	سن مقواة بالمعدن
dent en résine acrylique	سن راتينجية
dent supérieure	سن علوية
dent à tube	سن ذات أنبوبة ، سن مقناة
-pilier dent	سن داعمة
denté	ذو أسنان طبيعية ، مجهز بالأسنان
dentier	جهاز سني

dentier complet	جهاز سني كامل
dentier partiel	جهاز سني جزئي
dentier reproduit	جهاز سني منسوخ ، جهاز سني احتياطي
dentition	إسنان ، إثغار
denture	مجموعة الأسنان الطبيعية ، عوض سني كامل
déplacement en mouvement de levier	انتقال فعل العتلة
déplacement des tissus	انزياح النسج ، ابتعاد النسج
dépression alvéolaires du maxillaire inférieur	مقارن(ج مقرن) سنخية سفلية
dérochage	تنقية
désignation des dents	وضع رموز للأسنان
détendant	مرخٍ ، مريح
détente	استرخاء ، استراحة
diagnostic	تشخيص
diastème	فلج الأسنان ، فرق الأسنان
dilatation	توسع ، تمدد
dilatation de prise	تمدد تجمدي
dilatation thermique	تمدد حراري
Dimension verticale	بعد عمودي
Dimension verticale de l'occlusion	بعد عمودي في وضع الإطباق
dimension verticale de la position de repos	بعد عمودي في وضع الراحة
diminution de la dimension verticale	إنقاص البعد العمودي
diminution de la dimension verticale en position de repos	نقص البعد العمودي في وضع الراحة
diminution de la distance entre les arcades	نقص البعد العمودي

diminution de la hauteur d'occlusion	نقص البعد العمودي الإطباقي
disjoncteur	قاطعة الإجهاد
dispositif	جهاز ، أداة
dispositif à butée intermaxillaire	أداة الضغط المركزي
dispositif à butée intermaxillaire pour l'enregistrement des rapports maxillo-mandibullaires par trace	أداة الضغط المركزي الراسمة لعلاقات الفك العلو ي والسفلي
dispositif de contention	مثبتة
dispositif de rétention	مثبتة
disposition des dents	تنضيد الأسنان
disposition des dents antérieures	تنضيد الأسنان الأمامية
disposition des dents sur plaque d'essai	تنضيد الأسنان على قاعدة التجربة
disposition dentaire	تنضيد الأسنان
disque	دولاب – ج دواليب
disque en feutre	دولاب لباد
distal	وحشي
distance entre les arcades	مسافة ما بين الحيدين السنخيين
distance entre les arcades en position de repos	الفرجة اللا إطباقية
grande distance entre les crêtes	تباعد القوسين
petite distance entre les crêtes	تقارب القوسين
distance entre les deus crêtes alvéolaires	المسافة بين القوسين السنخيتين

distance réduite entre les crêtes	نقص المسافة بين القوسين
division palatine	حنك مشقوق ، شرم الحنك
dose de radiations	مقدار الإشعاع
duplicate du dentier	جهاز منسوخ ، جهاز احتياطي
durée de conservation en réserve	مدة فعالية المادة
dysfonction dentaire	اختلال وظيفة الأسنان
dysharmonie occlusale	تخالف إطباقي
E	
échancrure	ثلمة – ج ثلم
échancrure du crochet de l'aile interne de l'apophyse ptérygoïde	ثلمة جناحية فكية
échancrure sigmoïde	ثلمة سينية
édente	أدرد
égalisation de la pression	مساواة الضغط
élasticité	مرونة
élasticité physiologique du muscle	المرونة الفسيولوجية للعضلات
élasticité physiologique du muscle	المرونة الفيزيائية للعضلات
élasticité totale du muscle	المرونة الإجمالية للعضلات
élastique	مرن
élastomère au silicone pour empreintes	مادة مطاط السيليكون الطابعة
électromyographie	مخطط عضلي كهربائي
élément extra coronaire de rétention	مثبتة خارج التاج

élément intra coronaire de rétention	مثبتة داخل التاج
élément de rétention	مثبتة
élément de rétention directe	مثبتة مباشرة
élément de rétention indirecte	مثبتة غير مباشرة
élévation capillaire	جذب شعري ، ارتفاع شعري
éminence piriforme de la mâchoire inférieure	وسادة خلف الأرحاء السفلية
empreinte	طبعة – ج طبعات
empreinte du bas	طبعة سفلية
empreinte directe de l'os	طبعة مباشرة للعظم
empreinte palatine pour division	طبعة الحنك المشقوق
empreinte finale	طبعة أخيرة
empreinte fractionnée	طبعة مجزأة
empreinte du haut	طبعة علوية
empreinte inférieure	طبعة سفلية
empreinte du maxillaire supérieur	طبعة الفك العلوي
empreinte du maxillaire inférieure	طبعة الفك السفلي
empreinte muco-statique	طبعة مخاطية ساكنة ، طبعة غير مبدلة
empreinte osseuse directe	طبعة مباشرة للعظم
empreinte périphérique	تشكيل حافة الطبعة
empreinte préliminaire	إظهار الانطباعات الحفافية
empreinte pour prothèse complète	طبعة الجهاز الكامل
empreinte pour prothèse partielle	طبعة الجهاز الجزئي

empreinte au stents	طبعة بمركب ستـ نت
empreinte supérieure	طبعة علوية
empreinte terminant	طبعة أخيرة
empreinte des tissus	طبع النسج
empreinte des tissues périphériques	انطباع النسج الحفافية
endiguement latéral	سد حفافي
endiguement palatin	سد حنكي
endiguement postérieur	سد حنكي خلفي
enduit de cire	مشمع ، مطلي بالشمع
enregistrement	تسجيل
enregistrement avec arc facial	تسجيل بالقوس الوجهية
enregistrement à la cire	تسجيل إطباقي
enregistrement à la dimension verticale	تسجيل البعد العمودي
enregistrement avant extraction	تسجيل قبل القلع
enregistrement fonctionnel des insertions musculaires	تشكيل حافة الطبعة
enregistrement fonctionnel de la mastication	تسجيل حركات المضغ
enregistrement graphique	رسم بياني
enregistrement avant intervention chirurgicale	تسجيل قبل الجراحة
enregistrement intra-buccal avec maquettes	تسجيل إطباقي
enregistrement intra-buccal avec maquettes de cire	تسجيل شمعي إطباقي
enregistrement intra-buccal en position centre avec maquettes	تسجيل إطباقي مركزي

enregistrement intra-buccal en position excentrique avec maquettes	تسجيل إطباقي منحرف
enregistrement intra-buccal en position de latéralité avec maquettes	تسجيل إطباقي جانبي
enregistrement intra-buccal en propulsion avec maquettes	تسجيل إطباقي اندفاعي
enregistrement des mouvements de la mandibule	تسجيل حركات الفك
enregistrement de l'occlusion	تسجيل الإطباق
enregistrement préliminaire	تسجيل قبل القلع
enregistrement du profil	تسجيل تمثيل الطلعة الجانبية
enregistrement en propulsion	تسجيل اندفاعي
enregistrement du rapport des maxillaires	تسجيل علاقة الفكين
enregistrement du rapport des maxillaires en position centre à la hauteur de l'occlusion	تسجيل لعلاقة الفكين المتأخرة
enregistrement du rapport d'occlusion en position centre	تسجيل العلاقة الإطباقية المركزية
enregistrement des rapports de position	تسجيل العلاقة الوضعية
enregistrement des tissus	طبع النسج
enrober en revêtement	كسا
entaille	فرضة – ج فرض
épaulement pour taquet d'appui	مقر السناد
éperon	مهماز – ج مهاميز

équilibration	موازنة ، توازن
équilibration mandibulaire	موازنة الفك السفلي
équilibration occlusale	موازنة الإطباق
équilibration occluso-articule	موازنة الإطباق
équilibre	توازن
équilibre occlusal	توازن إطباقي
équilibre de l'occlusion	توازن إطباقي
équilibre occluso-articule	توازن إطباقي
équilibrer	وازن ، توازن
équilibreur	موازن
ergot	ظفر – ج أظفار ، مهماز
espace de décharge	فسحة تخفيف الضغط ، فسحة إزالة الضغط
espace d'inocclusion au repos	مسافة لا إطباقية
espace interdentaire	المسافة ما بين السنية
espace interproximal	فسحة التلاصق ، فسحة التقارب
espace libre	مسافة فاصلة مجاورة
espace libre d'inocclusion	فرجة لا إطباقية
espace prothétique	حيز الجهاز السني
espace retro-mylo-hyoidien	مسافة خلفية ضرسية لامية
essai en bouche	تجريب في الفم
essayage de la prothèse	تجريب الجهاز السني
estampage	تطريق
estampe	مطرق
estamper	طرق ، شكّل بالتطريق

esthétique	علم الجمال
esthétique de la prothèse	جمال العوض السني
établi	منضدة العمل
établissement du plan de traitement	تخطيط المعالجة ، رسم خطة المعالجة
étanche	محكم الانطباق
eugénate	أوجينات التوتياء
eugénate de zinc	أوجينات الزنك
exagération de l'étendue	فَرط التمديد
exagération de l'extension	تمديد زائد
examen	فحص
examen fonctionnel	فحص وظيفي
examen radiographique complet de la bouche	تصوير كامل الفم بالأشعة
excentrique	خارج المركز ، منحرف
exécution des prothèses en résine acrylique à partir maquettes dentées	تصنيع الأجهزة السنية الأكريلية
expansion	تمدد، توسع
expansion de la cire	تمدد الشمع
expansion hygrométrique	تمدد رطوبي
expansion hygroscopique	تمدد رطوبي
expansion de prise	تمدد تصلبي
expansion thermique	تمدد حراري
expression du visage	سيماء
extension verticale linguale de la prothèse	جناح لساني للجهاز السني
externe	خارجي
extra buccal	خارج الفم

extrados de la prothèse	سطح الجهاز السني المصقول
extra-oral	خارج الفم
extrémité distale	طرف وحشي
extrémité postérieure de la prothèse	مؤخرة
F	
face externe de la prothèse	سطح الجهاز السني المصقول
face en infraclusion	سطح إطباقي منخفض
face interne de la prothèse	سطح الانطباع للجهاز السني
façonné	مكيف
façonner les contours	شكل الحواف
facteur étiologique	عامل مسبب
fausse dent	سن مستعارة
fermer	أطبق ، أغلق
fermeture finale du moufle	إغلاق البوتقة الأخيرة
fermeture du moufle	إغلاق البوتقة
fermeture préliminaire du moufle	إغلاق البوتقة التجريبي
feston gingival	حافة متقوسة لثوية ، كفة لثوية
festons	تطاريف ، عموجات – ج عموج ، حواف متقوسة
feuille	رقاقة – ج رقاقات
feuille d'étain	رقاقة القصدير
feuille d'or	رقاقة الذهب
feuille de platine	رقاقة البلاتين
fil d'acier inoxydable	سلك الفولاذ اللاالطوخ

fil étiré	سلك مشكل
fil métallique	سلك معدني
fil tréfilé	سلك مكيف
final	أخير ، نائي
fini	إكمال صقل الجهاز
fixation	تثبيت
fixer	ثبت
force	قوة – ج قوى
force masticatrice	قوة العض ، قوة المضغ
force occlusale	قوة إطباقية
forme	شكْل ، طراز ، نمط
forme de l'arcade	شكل القوس
forme de la dent	شكل السن
forme des dents	شكل الأسنان
forme des dents antérieures	شكل الأسنان الأمامية
forme des dents postérieures	شكل الأسنان الخلفية
forme moyenne du siège de la prothèse	مستوى الاستقرار الوسط
forme occlusale	نموذج إطباقي
forme sphérique du plan d'occlusion	الشكل الكروي للسطح الإطباقي
forme des surfaces occlusales	شكل إطباقي ، شكل طاحني
Forme du visage	شكل الوجه
four électrique	فرن كهربائي
fourchette de l'arc facial	شوكة القوس الوجهية
fourniture de la prothèse	تزويد بالجهاز السني
fusion	صهر ، انصهار
G	
gabarit	معيار ، مرصاف ، مقياس

gabarit d'occlusion	مرصاف إطباقي
garnissage du moufle avec la résine	حشو البوتقة بالأكريل
gauchir	اعوج ، التوى
gauchissement	اعوجاج ، التواء
gencive	لثة – ج لثات
fausse gencive	جناح الجهاز السني
fausse gencive labiale	جناح شفهي
fausse gencive linguale	جناح لساني
fausse gencive vestibulaire	جناح خدي
gériatrie	طب الشيخوخة
gérontologie	طب الشيوخ
glissement mandibulaire	انزلاق الفك
ganthion	نقطة فكية
gnathodynamomètre	مقياس قوة الفكين
gnathodynamomètre à pointe ajustable	مقياس قوة الفكين ذو الأسلة
gnathologie	مبحث الجهاز المضغي
gomme-laque	صمغ اللك
gouttière	ميزاب – ج ميازيب
gouttière sublinguale	الميزاب تحت اللسان
gouttière pour taquet d'appui	مقر السناد
gouttière vestibulaire	ميزاب دهليزي
guérisseur	متطبب
guidage antérieur	دليل أمامي ، مرشد أمامي
guidage antérieur ajustable	دليل أمامي ضبوط ، مرشد أمامي ضبوط
guidage condylien	دليل لقمي ، مرشد لقمي
guidage incisif	إرشاد قاطعي

gutta-percha	كوتابركا
gutta-percha pour plaque-base	كوتابركا الصفيحة القاعدية
H	
Harmonie occlusale	توافق إطباقي
harmonie occlusale fonctionnelle	توافق إطباقي وظيفي
du haut	أعلى
haut de la crête	قمة الحيد الفكي
hauteur du contour	علو المحيط التاجي
hauteur de la cuspide	ارتفاع الحدبة
hauteur de l'inocclusion	مسافة التجاوز الإطباقي ، مسافة لا إطباقية
hauteur de l'occlusion	بعد عمودي إطباقي
hermétique	محكم السد
hydrocolloïde	غروي مائي
hydrocolloïde pour empreintes	مادة طبع غروية مائية
hydrocolloïde irréversible	غروي مائي لا عكوس
hydrocolloïde réversible	غروي مائي عكوس
hyperplasie	تنسج ، فرط التكون
hypertension musculaire	فرط التوتر العضلي
hypertrophie	ضخامة، تضخم
hypoplasie	نقص التكون
I	
implant	زرع – ج زروع ، غرز – ج غروز
implant prothétique	جهاز سني مغروز
inclinaison condylienne latérale	ميل لقمي جانبي
inclinaison du guidage condylien	ميل الدليل اللقمي

inclure en revêtement	كسا
inclus	مندمج ، منطمر
indicateur condylien sur l'arc facial	مؤشرة لقمية على القوس الوجهية
indice	مؤشر، دليل، قرينة
individualisation du caractère de la prothèse	تمييز الجهاز السني
inférieur	سفلي
inflammation de la muqueuse	التهاب الغشاء المخاطي
infra-	تحت، أسفل، سفلي
infra-structure d'un implant	البنية التحتية للغرزة السنية
infra-structure de la prothèse implantée	وطيدة الجهاز ذي الغرزة
inoxydable	صامد، لاطلوح
insertion	غرز، إدخال، ارتكاز
intercuspidation	تداخل الحدبات، تشابك الحدبات
intredentaire	بين الأسنان
interférence des cuspides	تعارض الحدبات
intermédiaire de bridge en céramique	سن جسرية، دمية خزفية
interocclusal	بين القوسين
interprétation radiographique	تفسير شعاعي
interprétation radiologique	تأويل شعاعي
intra-buccal	في الفم
intrados de la prothèse	سطح الانطباع للجهاز السني
irréversible	لاعكوس، لاردود
J	
jet de sable	سفح رملي

joint étanche	سداد محكم، موصل محكم
joint hermétique	انسداد محكم
joint périphérique	ختم حفافي
jonction	وصل، اتصال، موصل
jonction hermétique	سد محكم
L	
labial	شفهي ، شفوي
laboratoire	مخبر ، مختبر
laboratoire de prothèse dentaire	مخبر سني، مختبر التعويض السني
laque	راتينج اللك ، شيلاك
latéral	جانبي
laver	غسل
ligne d'appui	خط الارتكاز العتلي
ligne d'appui retentive	خط الارتكاز العتلي المثبت
ligne d'appui stabilisante	خط الارتكاز العتلي المقر
ligne de camper	خط كامبر
ligne de démarcation palatine	خط الاتصال الحنكي
ligne de guide	خط الإرشاد إلى موقع الضمة
ligne labiale	خط الشفة
ligne médiane	خط متوسط
ligne mylo-hyoïdienne	خط ضرسي لامي
ligne oblique interne	خط منحرف باطن
ligne de rétraction maximum de la lèvre inférieure	منحسر الشفة السفلية
ligne de rétraction maximum de la lèvre supérieure	منحسر الشفة العلوية
limite de la déformation élastique	حد التشوه المروني

limite d'élasticité	حد المرونة
lingual	لساني
longueur du bandeau entre deux supports	طول الرافدة الممتدة بين دعامتين
longueur de travée d'un bridge	مدى الجسر، طول الفجوة الجسرية
luette	لهاة – ج لهوات
M	
mâchoire	فك – ج فكوك
mâchoire édentée	فك أدرد
mâchoire inférieure	فك سفلي
mâchoire supérieure	فك علوي
maintenu en place	مثبت
malade	مريض – ج مرضى
maladie	حالة مرضية ، مرض
malocclusion	سوء الإطباق
mandibulaire	فكي سفلي
mandibule	فك سفلي
maquette de cire	مثال شمعي
maquette dentée	النموذج الشمعي للجهاز
maquette d'occlusion	صفيحة الإطباق ، صفيحة العض
masselotte	صهارة – ج صهارات
mastication	مضغ
mastiquer	مضغ ، علْك
matériau à base d'alginate pour empreintes	مادة الألجينات الطابعة
matériau pour base prothétique	مادة قاعدة الجهاز السني
matériau pour dentier	مادة الجهاز السني

matériau pour empreintes	مادة الطبع
matériau à l'eugénate de zinc pour empreintes	عجينة أوكسيد الزنك والإجينول الطابعة
matériau pour prothèse	مادة الجهاز السني
matériau au rubber base pour empreintes	مادة الطبع ذات الأساس المطاطي
matière isolante facilitant la séparation	مادة عازلة
matière plastique à empreinte	مركب الطبع
matière thermoplastique	لدائني حراري
matières plastiques	لدائن ، مواد بلاستيكية
matière pour estamper	أداة تطريق
maxillaire	عظم الفك ، فك – ج فكوك
maxillaire inférieur	الفك السفلي
maxillaire inférieur en protrusion	فك سفلي أفقم ، فقم الفك السفلي
maxillaire supérieur	فك علوي ، عظم الفك العلوي
maxillo-	فكي علوي (سابقة ، بادئة)
maxillo-facial	فكي وجهي
maxillo-mandibulaire	فكي علوي وسفلي
mécanicien-dentiste	تقني سني
mélange sous vide	مزج تفريغي
méthode	طريقة العمل
méthode de montage du modèle en articulateur avec sillons de repérage	طريقة المثال المعلم

mettre en articulation	نضد ، رصف ، مفْصل
mettre les dents en occlusion	أطبق الأسنان
mettre en moufle	وضع في البوتقة ، بوتق
mettre en revêtement	كسا
meulage automatique	سحل وظيفي
meulage sélectif	سحل انتقائي
meule	دولاب ساحل
meule de carborundum	دولاب كربورندوم، حجر كربورندوم
meule diamantée	دولاب ألماسي ، حجر ألماسي
meule émeri	دولاب سنباذج ، حجر سنباذج
meule pour tour d'atelier	دولاب المخرطة ، حجر المحرك المخبري
meulette	حجر ساحل ، دولاب ساحل
meulette de carborundum	حجر كربورندوم
meulette diamantée	حجر ألماسي
meulette émeri	حجر سنباذج ، دولاب سنباذج
milieu environnant	بيئة ، ج بيئات
mise en moufle	الوضع في البوتقة ، بوتقة
mise en place de la tige de coulée	تثبيت الصنع
mise en revêtement	كسو
mise en revêtement sous vide	كسو فراغي
mobilité des tissus	قابلية النسخ للانزياح
modelage de la cire	تشميع

modelage à la spatule	تلويق ، مزج ، خلْط
modèle	مثال – ج أمثلة ، نموذج
modèle de l'arcade dentaire	مثال سني
modèle dentaire	مثال سني ، مثال سني فموي
modèle d'étude	مثال الدراسة ، مثال التشخيص
modèle avant extraction	مثال ما قبل القلع
modèle avant intervention chirurgicale	مثال سابق للجراحة
modèle d'orientation	مثال التشخيص
modèle original	مثال رئيسي ، مثال أصلي
modèle en platre-pierre	مثال حجري
modèle réfractaire	مثال مقاوم للحرارة ، مثال صامد
modèle de revêtement	مثال المسحوق الكاسي
modèle unitaire	مثال ، نموذج
modification des rapports entre les maxillaires	تعديل علاقة الفكين
moignon pour couronne jacket	جدعة تاج جاكيت
montage des dents	تنضيد الأسنان ، رصف الأسنان
montage des dents antérieures	تنضيد الأسنان الأمامية
montage des modèles en articulateur	تركيب في المطبق
montage du modèle en articulateur avec sillons de repérage	تثبيت المثال المعلم
monter	نضد ، رصف
mortaise sur face occlusale	تثبيت طاحني

mortaise pour taquet d'appui	مقر السناد
moufle	بوتقة – ج بواتق
mettre en moufle	وضع البوتقة ، بوتق
moufle pour coulée	بوتقة الصب
moufle à couronnes	بوتقة التيجان
moufle pour les prothèses	بوتقة الأجهزة السنية
moufle réfractaire	بوتقة مقاومة للحرارة ، بوتقة صادة
moulage par injection	قولبة بالحقن
moulage par pression	قولبة بالضغط
moule	قالب – ج قوالب
mouvement de bennet	حركة بينت
mouvement extrême	حركة الفك القصوى
mouvement extrême postérieur	حركة قصوى خلفية
mouvement fonctionnel de la mandibule	حركة الفك الوظيفية
mouvement de glissement	حركة انزلاقية ، إطباق انزلاقي
mouvement intermédiaire	حركة متوسطة، حركة متخللة
mouvement de latéralité	حركة جانبية، اندفاع جانبي
mouvement mandibulaire	حركة الفك
mouvement mandibulaire libre	حركة الفك الحرة، حركة الفك الطليقة
mouvement masticateur	حركة المضغ
mouvement de mastication	حركة المضغ
mouvement masticatoire	حركة المضغ

mouvement d'ouverture	حركة الفتح ، حركة الانفتاح
mouvement d'ouverture et de fermeture pures	حركة بكرية
mouvement postérieur d'ouverture	حركة الفتح الخلفية
mouvement de propulsion	بروز أمامي ، تقدم الفك السفلي
mouvement des tissus périphériques	حركة النسج الحفافية
mouvement de translation	حركة انتقالية
mouvements de glissement mandibulaires	حركات الفك الانزلاقية
moyen de réciprocité	وسيلة تحقيق التعادل
muco-statique	مخاطي ساكن ، قاطع المخاط ، غير مبدل
muscle abaisseur	عضلة خافضة
muscle élévateur	عضلة رافعة
musculature	جهاز عضلي
myoresolutif	مرخي العضل
N	
nasion	نقطة أنفية
neuro-musculaire	عصبي عضلي
niveau de rétraction de la lèvre	منحسر الشفة
nourrie dans la coulée	حجرة تغذية الصبيبة
noyau	قائمة – ج قوائم
O	
objet coulé	صبيبة – ج صبائب ، سكيبة – ج سكائب
observation	تسجيل ، تدوين

obturateur	سدادة - ج سدادات
obturateur à charnière	سدادة مفصلة
obturateur pour division palatine	سدادة حنكية
obturateur velo-palatine	سدادة حنكية
obturation directe en resine acrylique	ترميمة أكريلية مباشرة
occlusal	إطباقي
occluseur	مطْبِق
occlusion	إطباق
mettre les dents en occlusion	أطبق الأسنان
occlusion acquise	إطباق مكتسب
occlusion anatomique	إطباق تشريحي
occlusion en bout-à-bout	إطباق حدا إلى حد
occlusion centrale	إطباق مركزي
occlusion centrique	إطباق مركزي
occlusion de convenance	إطباق مريح
occlusion équilibre	إطباق موازن ، إطباق متوازن
occlusion équilibre dans les prothèses	إطباق متوازن للجهازين السنيين
occlusion excentrique	إطباق منحرف
occlusion fonctionnelle	إطباق وظيفي
occlusion habituelle	إطباق مألوف
occlusion mécaniquement équilibre	إطباق متوازن آليا ، إطباق آلي التوازن
occlusion pathogénique	إطباق ممرض
occlusion physiologique	إطباق غريزي ، إطباق طبيعي

occlusion physiologiquement équilibre	إطباق متوازن غريزيا ، إطباق غريزي التوازن
occlusion en propulsion	إطباق متقدم ، إطباق أمامي
occlusion symétrique	إطباق متناظر ، إطباق متناسق
occlusion traumatisante	إطباق رضي
occlusion traumatogène	إطباق راض
occluso-	إطباقي، انطباقي (بادئة)
odonto-gerontologie	طب أسنان الشيوخ
odontogramme	مخطّط الأسنان
odonto-stomatologie psychosomatique	طب الأسنان النفسي البدني
or en feuille	رقاقة الذهب
oral	فموي ، فمي
organe de mastication	عضو المضغ ، جهاز المضغ
os alvéolaire	عظم سنخي
os basal	عظم قاعدي
os basilaire	عظم قاعدي
oxide de zinc	أوكسيد التوتياء ، أوكسيد الزنك
oxyphosphate de zinc	أوكسي فوسفات الزنك ، أوكسي فوسفات التوتياء
P	
palais	حنك – ج أحناك
palais artificiel	سدادة حنكية
palais dur	حنك صلب
palais mou	حنك رخو
palatin	حنكي
palato-	حنكي (بادئة)
papier à articuler	ورق الإطباق

papier de verre	ورق زجاج
papille	حلَيمة
papille incisive	حليمة قاطعية
papille retro-incisive	حليمة حنكية
paralleliseur	مقياس الموازاة
parallelomètre	مقياس الموازاة
partie inférieur de la ligne mylo-hyoïdienne	حيد ضرسي لامي
partie inférieur de la ligne oblique interne	الجزء السفلي للخط المنحرف الباطن
partie inférieur du moufle	الجزء السفلي للبوتقة
partiel	جزئي
passé au sable	مرمل ، مجلو بالرمل
passer au sable	رمل ، جلا بالرمل
passivité	سلبية
pâte abrasive	عجينة ساحجة
pâte à empreinte	عجينة الطبع
pâte à empreinte à l'oxide de zinc	عجينة أوكسيد الزنك الطابعة
pâte à l'oxyde de zinc-eugenol	عجينة أوكسيد الزنك و الأجينول
pathologie	علم الأمراض ، باثولوجيا
patient	مريض – ج مرضى
pente de la crête inférieure	منحدر الحيد السفلي
pente incisive	زاوية الدليل القاطعي
périmètre de l'arc dentaire	محيط القوس السنية
périmètre dentaire	محيط السن
phonétique	علم الأصوات
phosphate de zinc	فوسفات الزنك ، فوسفات التوتياء
pièce femelle de l'encastrement	ميزاب الوصلة
pièce en forme de fer à cheval de l'arc facial	شوكة القوس الوجهية
pièce mâle de l'encastrement	مزلاج الوصلة
pierre	حجر
Pierre artificielle	حجر صنعي
pilier	دعامة – ج دعائم، ركيزة – ج ركائز
pilier de bridge	دعامة الجسر
pilier intermédiaire	دعامة متوسطة
pilier primaire	دعامة رئيسية
pilier terminal	دعامة طرفية
pince	ملقط – ج ملاقط
pince à creusets	ملقط البواتق
pince à moufle	ملقط البوتقة
pivot occlusal	مرتكز إطباقي
pivot occlusal ajustable	مرتكز إطباقي ضبوط
placer les tiges de coulée	ثبت المصب ، ثبت مجرى الصبيبة
plan	مستوى – ج مستويات
plan des cuspides	مستوى قمم الحدبات
plan de francfort	مستوى فرانكفورت
plan de guidage	مستوى الإرشاد
plan horizontal	مستوى أفقي
plan médian	مستوى متوسط
plan occlusal	مستوى الإطباق
plan d'occlusion	مستوى الإطباق
plan orbital de simon	مستوى سيمون الحجاجي
plan d'orientation	مستوى توجيهي
plan sagittal	مستوى سهمي

plan sagittal médian	مستوى سهمي متوسط
plan de traitement	خطة المعالجة
plan vertical	مستوى عمودي
plaque dite chirurgicale	قالب جراحي فموي
plaque d'enregistrement	قاعدة التسجيل
plaque pour essayage	قاعدة التجربة ، قاعدة الاختبار
plaque linguale	صفيحة لسانية
plaque de matière plastique	قاعدة لدائنية ، قاعدة بلاستيكية
plaque métallique	قاعدة معدنية
plaque de prothèse	قاعدة الجهاز السني
plaque de prothèse en polystyrène	قاعدة البولستيرين
plaque de prothèse supportée par les dents piliers	قاعدة مستندة الى الأسنان
plaque de resine acrylique	قاعدة راتينج أكريلي
plaque en vulcanite	قاعدة المطاط الصلب
plaque-base	صفيحة قاعدية
plaque- base en laque	قاعدة اللك ، قاعدة الشيلاك
plaque-base stabilisée	صفيحة قاعدية مستقرة
plasticité	لدانة
plastique	لدن ، لين ، لدائني
plateau	طبق – ج أطباق
plateau individuel	طبق خاص
platine en feuille	رقاقة البلاتين
plâtre	جِبس
plâtre dur	جبس صلب ، جبس قاس
plâtre à empreinte	جبس الطبع

plâtre pour modèles	جبس الأمثلة
plâtre de paris	جبس باريس
platre-pierre	جبس حجري
platre-pierre à prise rapide	جبس حجري سريع التصلب
platre-pierre pour usage dentaire	جبس حجري سني
pli bucco gingival	طية خدية لثوية
point d'appui	نقطة الارتكاز
point céphalométrique	نفطة قياس للرأس
point de convergence des muscles minimiques	جزع الفم
point correspondant à l'axe charnière	طرف المحور البكري الفكي
point correspondant à l'axe de rotation mandibulaire	طرف المحور البكري الفكي
point craniométrique	نقطة جمجمية
point mandibulaire médian	نقطة الفك السفلي المتوسطة
pointe	رأس ، رأس ذو مقبض
pointe diamante	حجر ألماسي
pointe pour dispositif à butée intermaxillaire	نقطة ارتكاز مركزية ، أسلة الضغط المركزي
poli	صقيل
polissage	صقْل ، حلو ، جلاء
polymère	متماثُر ، كثير الذرات
polymérie	تماثُر
polymérisant à la chaleur	متماثر بالحرارة ، متصلب بالحرارة
Poplymérisation	تماثُر
polymérisation d'une prothèse	تصنيع الجهاز السني ، تصليب الجهاز السني

polymérisation de la resine acrylique	مماثرة الراتينج الأكريلي، تصنيع الراتينج الأكريلي
polymérisation des resins	تماثر الراتينج
polymériser	ماثَر ، صنع
polymériser une prothèse	ماثر الجهاز السني ، صنع الجهاز السني
polymerisme	تماثُر
ponce pulvérisée	مسحوق الخفان
pont	جِسر – ج جسور
pont amovible	جسر نزوع
pont cantilever	جسر عتلي
pont en porte-à-faux	جسر ظفري ، جسر عتلي
pont à selle	جسر ذو سرج
pontic	سن جسرية ، دمية – ج دمى
pontic de porcelaine	دمية خزفية
porte-empreinte	طابع - ج طوابع
porte-empreinte en acryl	طابع أكريلي
porte-empreinte ajustable	طابع ضبوط
porte-empreinte du bas	طابع سفلي
porte-empreinte pour édentés	طابع الأفواه الدرد
porte-empreinte pour empreinte partielle	طابع جزئي
porte-empreinte du haut	طابع علوي
porte-empreinte individuel	طابع فردي
porte-empreinte partiel	طابع جزئي
porte-empreinte perforé	طابع مثقب
porte-empreinte pour prothèse partielle	طابع الأعواض الجزئية

porte-empreinte en resine acrylique	طابع أكريلي
pose d'une attelle	تثبيت الجبيرة
position centrique	وضع مركزي
position du condyle permettant un mouvement d'ouverture et de fermeture	وضع الحركة البكرية النهائي
position excentrée	وضع منحرف
position excentrique	وضع منحرف
position occlusale excentrique	وضع إطباقي محيط
position en occlusion	وضع إطباقي
position permettant un maximum des mouvements d'ouverture et de fermeture pures	وضع الحركة البكرية للقمتين
position permettant un mouvement de charnière	وضع الحركة البكرية للفك السفلي
position physiologique de repos	وضع الراحة الغريزي
position en propulsion	وضع متقدم ، وضع اندفاعي
position de repos	وضع الراحة ، وضع الاسترخاء
position de retropulsion mandibulaire	وضع الفك الخلفي
remettre en position	صحح الموقع ، أعاد
post-damming	سد خلفي
potence d'appui occlusal	عارضة السناد الإطباقي
potence de crochet	عارضة الضمة
poudre abrasive	مسحوق ساحج

poudre à polir	مسحوق الصقل
poutrelle	عارضة – ج عوارض
précoce	مبكر ، قبل أوانه
prématuré	مبتسر
presser à estamper	جهاز تطريق
presser à estamper pour usage dentaire	جهاز تطريق سني
pression masticatrice	ضغط العض
pression occlusale	ضغط الإطباق
prise à la chaleur	تصلب بالحرارة
prise d'occlusion	تسجيل للإطباقي
prise de l'occlusion centre	تسجيل لعلاقة الإطباق المركزي
prise d'occlusion à la cire ramollie	تسجيل الإطباق بالشمع الملين
prise de plâtre	تصلب الجبس
procédé	طريقة العمل
procédé du laboratoire de prothèse dentaire	إجراءات مخبرية تعويضية
process alvéolaire aplati	جيد فكي مسطح
prodontie	فقم ، بروز الأسنان
produit pour base prothétique	مادة قاعدة الجهاز السني
produit de polissage pour usage dentaire	جلاء سني ، مادة الصقل السني
produit pour rebassage	مادة مبطنة ، مادة للتبطين
proéminent	بارز
profil	طلقة جانبية
profil facial	طلقة جانبية وجهية
prognathe	أفقم – ج فقم

prognathie	فقم ، بروز الأسنان
prognathie bimaxillaire	فقم مزدوج ، فقم الفكين
prognathie inférieure	فقم الفك السفلي
prognathie mandibulaire	فقم الفك السفلي
prognathie supérieure	فقم الفك العلوي
prognathisme	فقم
pronostic	إنذار المرض
pronostic dentaire	إنذار سني
pronostic du dentier	إنذار الجهاز السني
proportion d'eau et de poudre	نسبة الماء إلى المسحوق
prothèse	تعويض ، جهاز سني
prothèse amovible	تعويض سني نزوع
prothèse d'attente	تعويض وقتي
prothèse chirurgicale	تعويض جراحي
prothèse complète	جهاز سني كامل
prothèse de conditionnement de la gencive	جهاز سني لمعالجة اللثة
prothèse conjointe	جهاز سني كامل
prothèse definive	جهاز سني دائم
prothèse dentaire	تعويض الأسنان
prothèse dentaire complète	تعويض بالجهاز السني الكامل
prothèse dentaire partielle	تعويض سني جزئي
prothèse pour division palatine	جهاز الحنك المشقوق ، سدادة حنكية
prothèse d'essai	جهاز التجربة
prothèse esthétique	جهاز سني تجميلي
prothèse facial	تعويض وجهي

prothèse avec fausse gencive en porcelaine	جهاز سني خزفي اللثة
prothèse fixe	جسر ثابت
prothèse immédiate	جهاز سني فوري
prothèse implantée	جهاز سني ذو غرزة ، جهاز سني مغروز
prothèse intercalée	جسر – ج جسور
prothèse intercalée amovible	جسر متحرك ، جسر نزوع
prothèse après intervention chirurgicale	تعويض بعد الجراحة ، جهاز بعد الجراحة
prothèse maxillo-faciale	تعويض فكي وجهي
prothèse partielle	تعويض سني جزئي
prothèse partielle amovible	تعويض جزئي نزوع
prothèse partielle conjointe	تعويض جزئي ثابت
prothèse partielle à extension distale	جهاز سني جزئي ذو امتداد وحشي
prothèse partielle fixe	جهاز سني جزئي ثابت
prothèse partielle inamovible	تعويض جزئي نزوع
prothèse partielle à prolongement distal	جهاز سني جزئي ذو امتداد وحشي
prothèse partielle unilatérale	جهاز سني وحيد الجانب
prothèse permanente	جهاز سني دائم
prothèse à pont fixe	جسر ثابت ، جسر تعويض ثابت
prothèse provisoire	تعويض وقتي ، جهاز سني مؤقت
prothèse en resine acrylique	جهاز سني أكريلي

prothèse temporaire	جهاز سني مؤقت
prothèse de transition	جهاز سني انتقالي
prothésiste	اختصاصي بالتعويضات ، صانع التعويضات السنية
prothétique	تعويضي
protraction	فقم ، بروز
protrusion du maxillaire supérieur	فقم الفك العلوي
provoquant un relâchement	مرخٍ ، مريح
psychosomatique	نفسي بدني ، عقلي جسماني
Q	
quadrant	ربع الدائرة ، نصف القوس السنية
qualitatif	كيفي
quantitatif	كمي
R	
radio-	شعاع ، مشع (بادئة)
radiogramme	صورة شعاعية
radiographie	صورة إشعاعية
radiographie dentaire	تصوير إشعاعي سني
radiographie extra-orale	تصوير إشعاعي خارج الفم
radiographie intra-orale	تصوير إشعاعي داخل الفم
radiographier	صور بالأشعة السنية
radiographique	شعاعي، إشعاعي
radiologie	علم الإشعاع
rainure	ميزاب الوصلة
rapport centre	علاقة مركزية
rapport entre les crêtes	علاقة الحيدين الفكيين

rapport dynamique	علاقة ديناميكية ، علاقة حركية
rapport eau-poudre	نسبة الماء إلى المسحوق
rapport excentrique des mâchoires	علاقة الفكين اللامركزية ، علاقة الفكين المنحرفة
rapport entre les maxillaires	علاقة وضعية بين الفكين
rapport des maxillaires en position excentrée	علاقة الفكين المنحرفة
rapport des maxillaires en position médiane	علاقة الفكين المتوسطة
rapport des maxillaires en position de retropulsion	علاقة فكية خلفية
rapport des maxillaires en position de retropulsion médiane	علاقة الفكين المتوسطة المتراجعة
rapport maxillo-mandibulaire	علاقة وضعية بين الفكين
rapport entre la muqueuse et la base prothétique	علاقة النسج الرخوة بقاعدة الجهاز
rapport occlusal	علاقة إطباقية
rapport de position des mâchoires	علاقة الفكين الوضعية
rapport en propulsion	علاقة الفكين الاندفاعية
rapport au repos	علاقة الاسترخاء ، علاقة الراحة
rapport de rétraction en position médiane	علاقة متأخرة متوسطة
rapport statique	علاقة سكونية
rapport vertical	علاقة عمودية

rapport vestibule-lingual	علاقة خدية لسانية
rayons de rontgen	أشعة رونتجن
rayons X	أشعة إكس ، أشعة سينية
réaction des supports	ارتكاس الدعامات
réaction des tissus	ارتكاس نسيجي
rebassage	تبطين
rebasage d'une prothèse	تبديل القاعدة ، نقض الجهاز السني
rebaser	بطن، بدل القاعدة
rebord	جناح – ج أجنحة ، حافة الجناح السني
rebord alvéolaire flottant	حيد رهل ، حافة سنخية مترهلة
rebord plat	حيد فكي مسطح
recherché de la ligne de guide	مسح
reconstituant	مقو ، معيد للصحة
reconstituer	أعاد ، جدد
reconstitution	رد ، إرجاع ، تعويض بدني
reconstitution fixe	تعويض ثابت
reconstitution prothétique	تعويض ترميمي
reconstruction	تعويض بدني ، تأهيل
reconstruire	عوض ، جدد
recouvrir d'une couche	طلّى ، دهن
rectification de l'articulation	ضبط الإطباق
rectification de l'occlusion	تعديل الإطباق
recuire	لين، لدن
réduction de la dimension verticale	نقص البعد العمودي

refoulement de la gencive	انحسار لثوي
regarnir	بطن
région	منطقة – ج مناطق ، ناحية - ج نواح
région mylo-hyoidienne	ناحية ضرسية لامية
régions des stries palatines	منطقة الغضون الحنكية
réglage	ضبط ، إحكام
réhabilitation	تأهيل
réhabilitation dento-maxillaire	تأهيل سني فكي ، تأهيل الفم
réhabilitation occluso-articulée	رفْع العضة
réhabilitation orale	تأهيل الفم
réhabilitation de la phonation	إصلاح النطق
réhabilitation phonétique	إصلاح النطق
réhabilitation phonétique prothetique	سدادة حنكية
réhabilitation prothetique de la phonation	سدادة حنكية ، مساعد نطق تعويضي
relâchement	استرخاء ، استراحة
provoquant un relâchement	مرخٍ ، مريح
relation acquise	علاقة مكتسبة
relation centrée	علاقة مركزية
relation de convenance	علاقة مألوفة
relation des crêtes	علاقة الحيدين (الفكيين)
relation excentrée des mâchoires	علاقة الفكين اللامركزية
relation habituelle acquise	علاقة (الفكين) المركزية المكتسبة

relation de latéralité	علاقة جانبية
relation des mâchoires en état d'équilibre musculaire	علاقة غير متكلفة للفكين ، علاقة توازن عضلي للفكين
relation des mâchoires excentrée acquise	علاقة (الفكين) المنحرفة المكتسبة
relation en occlusion	علاقة إطباقية
relation en occlusion centrique habituelle	علاقة الفكيين المركزية المكتسبة
relation de propulsion	علاقة اندفاعية
relation au repos	علاقة الراحة ، علاقة (الفكين) في حالة الاسترخاء
relation statique	علاقة سكونية
relaxant	مرخٍ، مريح
relaxant musculaire	مرخي العضل
relaxation	إرخاء ، إراحة
relaxation isométrique	ارتخاء متماثل القياس
remettre en position	أعاد، صحح الموقع
remontage	إعادة التنضيد
replacement immédiat	إعادة فورية
réparation d'une prothèse	إصلاح الجهاز السني
résiduel	باقٍ ،متخلف
résilience	رجوعية
resine	راتينج – ج راتينجات
resine acrylique	راتينج أكريلي
resine activé	راتينج منشط
resine autopolymérisable	راتينج ذاتي التماثر
resine autopolymérisante	راتينج ذاتي التماثر

resine copolymère	راتينج متآلف
resine dentaire	راتينج سني
resine au formol-phenol pour dentier	راتينج الفورمول و الفينول السني
resine non-polymérisée	راتينج غير مصنع
resine polymérisable à la chaleur	راتينج متماثر بالحرارة
resine polymérisable à froid	راتينج متماثر بالبرودة
resine polymérisée	راتينج مصنع
resine prothetique	راتينج الأجهزة السنية
resine styrenique	راتينج الستيرين
resine synthétique	راتينج تركيبـ ي
resine thermoplastique	راتينج يتلدن بالحرارة
resine vinilique	راتينج فينيلي
Résineux	راتينجي
résistance aux composants horizontales de la mastication	مقاومة المركبات الأفقية لقوة المضغ
résistance limite	مقاومة قصوى
résorption	امتصاص ، ارتشاف
résorption alvéolaire	امتصاص سنخي
résorption osseuse	امتصاص العظم
restant	باق ، متخلف
restaurateur	أعاد، جدد
restauration	ترميم ، ترميمة – ج ترميمات ، تعويض بدني
restauration défectueuse	ترميم معيب ، تعويض عائب
restauration des dimensions de la face	رد الأبعاد الوجهية

restauration provisoire	ترميم وقتي ، تعويض وقتي
restauration en résine polymérisable en bouche	ترميم أكريلي مباشر
restaurer	عوض
rétenteur	مثبتة
rétention	ثبات، استقرار
en rétention	مثبت
rétention directe	تثبيت مباشر
rétention indirecte	تثبيت غير مباشر
rétention au niveau de la paroi occlusale	تثبيت طاحني
rétention d'une prothèse	تثبيت الجهاز السني
rétention des prothèses partielles	تثبيت الجهازالسني الجزئي
retoucher	شذب ، هذّب
rétraction	سحب ، إرجاع ، انحسار
rétraction gingivale	انحسار لثوي
rétraction de la mandibule	تراجع الفك السفلي
retrait	انكماش ، انقباض
retrait de coulée	انكماش الصب
retrognathe	تقهقري
retrognathie	تقهقر فكي ، تراجع فكي
retrognathie inférieure	تقهقر الفك السفلي
retrognathie mandibulaire	تقهقر الفك السفلي
rétroposition	توضع خلفي للفك السفلي
retropulsion	توضع خلفي ، اندفاع خلفي
retropulsion de la mandibule	توضع خلفي للفك السفلي
réversible	عكُوس ، ردود
revêtement	مسحوق كاسٍ

inclure en revêtement	كسا
mettre en revêtement	كسا
revêtement réfractaire	مسحوق كاسٍ مقاوم للحرارة
rodage	ترويض (سحل تصحيحي)
roue	دولاب – ج دواليب ، عجلة – ج عجلات
rouge anglais	أحمر الصقل
rouge en poudre	أحمر الصقل
rupteur de force	قاطعة الإجهاد
S	
passe au sable	مجلو بالرمل
passer au sable	رمل ، جلا بالرمل
sabler	رمل، جلا بالرمل
sableuse	مرملة – ج مرامل
sandaraque	سندراك ، سندروس
scellement	إلصاق ، إلصاق بالإسمنت
schéma dentaire	مخطط الأسنان
section de la luette	استئصال اللهاة
segment	قطعة ، جزء
selle	سرج – ج سروج
selle à appui dentaire	سرج سني المستند
selle à appui muqueux	سرج محمول على النسج الرخوة
serge à extension	سرج طليق
selle métallique	سرج معدني
selle dans la prothèse intercalée	سرج جسري
selle en prothèse partielle	سرج الجهاز السني الجزئي
selle à support dentaire	سرج سني المستند

sénescence dentaire	شيخوخة سنية
série de dents	طقم أسنان ، مجموعة أسنان صنعية كاملة
seringue	محقنة ج- محاقن
seringue pour pâtes	محقنة المعاجين
seuil de la déglutition	عتبة البلع
siège de la base de prothèse	سطح قاعدة الجهاز السني
silicium	سيليسيوم
silicone	سيليكون
sillon	ميزاب – ج ميازيب، أخدود، ثلم – ج أثلام
sillon alvéolo-lingual	ميزاب سنخي لساني
sillon gingivo-buccal	ميزاب سنخي خدي
sillon gingivo-dentaire	ميزاب لثوي
sillon gingivo-jugal	دهليز خدي، ثني لثوي خدي
sillon gingivo-labial	دهليز شفهي
sillon sublingual	ثني تحت اللسان
sillon vestibulaire	ثني دهليزي، أخدود لثوي سني
se solidifier	تصلب، تجمد
soudage	لحام
soudage autogène	لحام ذاتي نقطي
souder	لحَم
souder par soudage autogène	لحم لحاما ذاتيا
soudure	لحام
soudure par points	لحام ذاتي بؤري، لحام ذاتي محدود

sous-	تحت، دون، أسفل (سابقة)
spasme musculaire	تشنج عضلي
spatule à plâtre	ملوقة الجبس
spécialiste en prothèse dentaire	اختصاصي في تعويض الأسنان
squelette de la prothèse	هيكل الجهاز السني
stabilisation	تثبيت، ترسيخ
stabiliser	ثبت، رسخ
se stabiliser	استقر، رسخ
stabilité	استقرار ، رسوخ
stabilité dimensionnelle	ثبات الأبعاد
stabilité de la prothèse	استقرار الجهاز السني
staphylite	التهاب اللهاة
staphylotomie	إزالة اللهاة ، استئصال اللهاة
stents	مركب ستنت
stomatologie	مبحث أمراض الفم
stress	إجهاد
strie palatine	غضن حنكي
stries palatines	غضون حنكية
structure	بنية ، تركيب
structure osseuse	بنية العظم
style pour enregistrement de l'arc gothique	مرسمة القوس القوطية
style enregistreur	مرسمة – ج مراسم ،راسمة
style pour trace de l'arc gothique	راسمة القوس القوطية
sub-	تحت، دون ، أسفل (سابقة)
sublingual	تحت اللسان
substance abrasive	مادة ساحجة

substance colloïde pour empreintes	مادة طبع غروية
substance élastique pour empreintes	مادة طبع مرنة
substance pour plaque-base	مادة القاعدة
substance plastique à empreinte	مركب الطبع
succion	قرص ماص
supérieur	علوي ، أعلى
support	دعم ، مساندة ، مستند
à support dentaire	مدعوم بالأسنان
support fixe	مستند ثابت
support libre	مستند طليق
support restreint	مستند مقيد
supra	فوق ، على (سابقة)
supraclusion	تجاوز إطباقي ، تجاوز عمودي
supraclusion incisive	إطباق مغلق، عضة مغلقة
supraposition	تجاوز إطباقي ، تخط إطباقي
supra-structure d'un implant	عالية الجهاز ذي الغرزة
supra-structure de la prothèse implantée	عالية الجهاز السني ذي الغرزة
surcharge	زيادة الحمل
surcharge horizontale	إثقال أفقي
surcharge verticale	إثقال عمودي
surélévation de l'occlusion	رفع الإطباق
surélever l'occlusion	فتح العضة ، رفع الإطباق
surface d'appui	منطقة ساندة، منطقة داعمة
surface couverte par la base de prothèse	منطقة المقر القاعدي

surface occlusale par l'empreinte	سطح الجهاز السني الإطباقي
surface occlusale du cote balançant	سطح إطباقي موازن
surface occlusale du cote travaillant	سطح إطباقي عامل
surface occlusale du dentier	سطح الجهاز السني الإطباقي
surface de sustentation	منطقة الإجهاد
surface vestibulaire de la prothèse	سطح الجهاز الخدي
surocclusion	تجاوز عمودي
surplomb	دفق، تجاوز أفقي، بروز الأسنان العلوية
surveyor	ماسحة، مخططة
sus-	فوق، أعلى، علوي (سابقة)
syndrome de l'articulation temporo-mandibulaire	تناذر المفصل الصدغي الفكي
syndrome de costen	تناذر كوستن
système bucco-pharngien	جملة فموية فكية
système de levier	فعل العتلة ، تقلقل عتلي
système masticateur	جهاز المضغ، جملة ماضغة
T	
tache	بقعة – ج بقع ،لطخة- ج لطخ
tacher	تبقع ، تلطخ
tailler	شذب، هذب
talon	مؤخرة، مؤخر
taquet d'appui	مستند، مقر، سناد
taquet lingual	سناد لساني
taquet retentif	سناد مثبت
technique	تقنية، طريقة العمل ، أسلوب تقني

technique de mise en revêtement avec noyau central	طريقة الكسو المزدوج
technique de prise d'empreinte	طريقة الطبع
technologie dentaire	تقانة سنية
teindre	لَطخ ، بقع
teinte	تلطخ ، اصطباغ ، تبقع
teinture	تلطيخ ، صبغ
template	قالب جراحي فموي
ténacité	متانة
tension	توتر ، إجهاد
tension superficielle entre deux surfaces	توتر سطح الطبقة الفاصلة
terminal	نائي ، أخير
tête du condyle	رأس اللقمة
thermoplastique	متلدن بالحرارة
tige condylien de l'arc facial	مزلاج لقمي للقوس الوجهية
tige de coulée	مجرى الصبيبة
placer les tiges de coulée	ثبت مجاري الصبيبة
tige de coulée de la pièce	مجرى المعدن المصهور
tige de paralleliseur	عمود التصميم
tissu	نسيج ، بنية
tissu flasque	نسيج مترهل
tissu hyperplastique	نسيج مفرط التكون ، نسيج مفرط التشكل
tissu lâche	نسيج رهل
tissue mou présentant une partie en retrait	إبط حيدي ، كتف لثوي
tissue osseux	نسيج عظمي ، بنية عظمية
tissues buccaux	نسج الفم ، نسج فموية

torque	عزم التدوير ، عزم اللي
tour d'atelier	محرك مخبري، مخرطة - ج مخارط
trace	رسم ، تتبع
trace extra-buccal	رسم خارج الفم
trace intra-buccal	رسم داخل الفم
trace au moyen d'un style enregistreur	رسم بالمرقم المسجل ، رسم بالأسلة الراقمة
tracer	رسم
traceur	مخططة، مرسمة - ج مراسم
traction	جر ، جذْب
traitement prothetique	معالجة تعويضية
trajet articulaire	مسرى إطباقي
trajet condylien	ممر اللقمة
trajet condylien latéral	ممر اللقمة الجانبي
trajet de fermeture	ممر الإغلاق
trajet mandibulaire engendré	مسرى إطباقي محدث
trauma	رض ، آفة رضية ، جرح
trauma occlusal	رض إطباقي
trauma occluso-articulaire	رض إطباقي
traumatique	رضي
traumatisme	رض ، حالة رضية ، حدوث الرض
traumatisme occlusal	رض إطباقي
traumatisme occluso-articulaire	رض إطباقي
traumatogène	محدث للرض، راض، ناشئ عن الرض
travail	عمل

travail de laboratoire	عمل تقني ، عمل مخبري
travail à la spatule	تلويق ، خلْط ، مزج
travaillé	مصنع
travailler à la spatule	لوق
triangle de bonwill	مثلث بونويل
triturant	إطباقي
tubercule palatin	حلّيمة حنكية
tubercule palatin retro-incisive	حليمة حنكية قاطعية
tubérosité piriforme de la mâchoire inférieure	وسادة خلف الأرحاء السفلية
U	
ulcératif	قرحي ، مقرح
ulcération	تقرح
ulcération dentaire	قرحة سنية
ulcération prothetique	قرحة تعويضية، قرحة محدثة بالجهاز السني
ulcération traumatique	قرحة رضية
ulcération decubital	قرحة الاضطجاع
ulcèrer	قرح
ulcère	تقرح، قرحة
ulcéreux	قرحي
ulcero-	قرحي (سابقة)
unilatéral	وحيد الجانب ، أحادي الجانب
usure	تآكُل
usure des dents	تآكل الأسنان
usure occlusale	تآكل طاحني
Uvule	لهاة – ج لهوات
V	
valeur phonétique	قيمة صوتية

ventouse	محجم مطاطي ، قمع ماص
vernis	فرنيش ، طلاء
vernis laque	فرنيش الشيلاك ، طلاء اللك
vernis à la sandaraque	فرنيش السندراك ، طلاء السنروس
verser	سكّب
vertical	عمودي
vestibulaire	شفهي ، شفوي ، خدي
vestibule de la bouche	دهليز الفم
vestibule buccal	دهليز الفم
vibrateur	مهزة – ج مهاز
vide	فراغ ، خواء
vieillissement dentaire	هرم الأسنان
vinyl	فينيل
viscosité	لزوجة
visqueux	لزج
vitallium	فيتاليوم (خليطة معدنية)
voie d'insertion	ممر إدخال الجهاز السني
voile	قناع ، شراع
voile de palais	شراع الحنك
Volant de tour	دولاب المخرطة
voute	قنطرة ، قبة
en voute	معقود ، مقبب ، محدب

voute du palais	شراع الحنك
voute palatine	حنك ، قبة الحنك
vulcanisation	بركنة المطاط
vulcanisation d'une prothèse	تصليب الجهاز السني
vulcaniser	بركن المطاط
Z	
zone	منطقة – ج مناطق
zone d'appui	منطقة السناد
zone de convergence cervicale	منطقة التقارب العنقي
zone de convergence occlusale	منطقة التقارب الطاحني
zone couverte par la base de prothèse	منطقة مغطاة بقاعدة الجهاز السني
zone de décharge	منطقة تخفيف الضغط ، منطقة رفع الضغط
zone de l'endiguement postérieur	منطقة السد الحنكي الخلفي
zone neutre	منطقة معتدلة
zone de pression	منطقة الضغط
zone retro-hyoïdienne	المنطقة خلف الضرسية اللامية